



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

القيم الكبرى في الإسلام

إعداد

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

(النسخة التجريبية)

2024م - 2025م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
1445 هـ - 2024 م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسمع أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

www.mbzuh.ac.ae

  mbzuh   MBZ university for humanities  mbzuh.ac.ae



القيَمُ الكُبرى في الإسلام



إعداد

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

2024 - 2025م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[البقرة: 129]

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: 151]

* * *



"بدون الأخلاق وبدون حسن السلوك وبدون العلم؛
لا تستطيع الأمم أن تبني أجيالها والقيام بواجبها،
وإنما حضارات الأمم بالعلم وحسن الخلق والشهامة
ومعرفة الماضي والتطلع للحاضر والمستقبل".

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيب الله ثراه)

مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة

* * *



"إن الإمارات تعزز هويتها، وأصالتها العريقة،
المستمدة من تعاليم ديننا الحنيف
والموروث الثقافي لأبائنا، وعادات وتقاليد أجدادنا،
بما تجسده من قيم إنسانية وأخلاقية نبيلة،
وسلوكيات حضارية رفيعة".

صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة (حفظه الله)

* * *





الفهرس

11	الفهرس
15	مقدمة
15	تمهيد:
19	مقدمة العلامة عبد الله بن بيّه
27	الفصل الأول: الأسس النظرية للقيم
28	مدخل إلى فهم القيم: تعريف القيم، وفلسفتها، وتصنيفاتها
28	مقدمة:
29	تعريف القيم:
37	مفهوم القيم وفلسفتها وخصائصها
49	أبعاد القيمة وعناصرها
50	أهمية القيم للفرد والمجتمع
50	أهمية القيم للفرد:
51	أهمية القيم للمجتمع:
54	تصنيف القيم
57	الفصل الثاني: القيم الكبرى في الإسلام



58.....	منظومة القيم الإسلامية
65.....	القيم المركزية الكبرى في الإسلام
65.....	القيمة المركزية الأولى: (الرحمة)
65.....	- الرحمة
97.....	- الإحسان
126.....	- الرفق
144.....	- العطاء
180.....	- الرأفة والعطف
199.....	- التعاون والتضامن
219.....	القيمة المركزية الثانية: (السلام)
219.....	- السلام
248.....	- الكرامة الإنسانية
268.....	- الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش
303.....	- التواصل والتعارف والاحترام
319.....	- العدل والاعتدال
339.....	القيمة المركزية الثالثة (العلم)
339.....	- العلم
400.....	- الاجتهاد والتفكير والتفكير



- 429.....- الصدق
- 446.....- الأمانة العلمية
- 466.....القيمة المركّبة الرابعة (الحكمة)
- 466.....- الحكمة
- 494.....- التعقل والمنطق
- 514.....- الصبر والشكر
- 547.....- الإيجابية والأمل
- 567.....- الجمال
- 584.....القيمة المركّبة الخامسة (تهذيب النفس)
- 584.....- تهذيب النفس
- 603.....- الإيمان
- 628.....- العبادة
- 650.....- القدوة
- 662.....- الحب
- 683.....القيمة المركّبة السادسة (المواطنة)
- 683.....- المواطنة
- 712.....- الوطن
- 728.....- إرث زايد -طيب الله ثراه-



745..... - الانتماء والولاء.

753..... - المسؤولية.

772..... الخاتمة.

* * *



مقدمة

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين؛ سيّدنا مُحَمَّد، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى كلّ من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فيُسعدُ جامعة مُحَمَّد بن زايد للعلوم الإنسانية أن تقدّم إلى المكتبة الإنسانية هذا الكتاب؛ الذي هو إحدى بواكير الأعمال العلميّة التي تسعى من خلالها إلى أداء رسالتها الثّقافيّة والحضاريّة، المتمثّلة في إبراز الصّورة الحضارية النّاصعة للإسلام؛ المتأسّس على القيَم، والهادف إلى تحقيق السّعادة للعالمين.

إنّهُ كتابٌ فريدٌ في موضوعه وأسلوبه ومنهجه؛ يتناولُ القيَم الكبرى في الإسلام؛ انطلاقاً من مقارنةٍ تمتعُ من معين القرآن الكريم والهدي النبوي العظيم، وتنهل من روافد المعارف الحكميّة والفلسفيّة؛ ليكون بذلك خيرَ ترجمان للرّؤية المنشودة في تحقيق التّكامل، ومدّ جسور الوصل بين المعارف الدينيّة والإنسانيّة.

ولا شكّ أنّ صدور هذا الكتاب سيُسهم - بمشيئة الله - في تيسير سُبُل التّواصل بين الثّقافات المعاصرة، والذي سيكون له عظيم الأثر في إيجاد تفاهمٍ عالميٍّ حول القيَم المشتركة وتفعيلها؛ بما يحفظ الإنسان، ويستديم العمران.



إنَّ جامعة مُحَمَّد بن زَايد للعلوم الإنسانيَّة، وهي تَرْفُ هذا العملَ إلى عموم القراء، لَترجو أن يكونَ بمنزلة فتحٍ لورشٍ علميَّةٍ في هذا المجال الواعد؛ مجالِ القيمِ الإنسانيَّة المشتركة، أملهً أن يكونَ له أثرٌ إيجابيٌّ في استعادة البعدِ القيمي والإنساني للخطاب الديني، بما يجلِّي نِصاعةَ الإسلام، ويُظهر صورته المشرقة، ويعرِّف بمبادئه السَّامية، التي تتوافقُ مع ما تُكبرُهُ الأمم والثقافات العالميَّة من قيم الحقِّ والخير والجمال.

وقد انتظمت مَشمولاتُ الكتابِ على النَّسقِ الآتي:

- مقدِّمة العلامة عبد الله بن بَيَّه حفظه الله.
- الأسس النظرية للقيم، وفيها:
 - (1) مدخل إلى فهم القيم، ويشتمل على: تعريف القيم، ومفهومها، وفلسفتها، وتصنيفاتها، وخصائصها، وعناصرها.
 - (2) أهمية القيم للفرد والمجتمع.
 - (3) تصنيف القيم.
- القيم المركزيَّة الكبرى في الإسلام، وهي:
 - (1) الرحمة: وأهم فروعها: الإحسان، والرفق، والعطاء، والرفاة والعطف، والتعاون والتضامن.



(2) السلام: وأهم فروعها: الكرامة الإنسانية، والأخوة الإنسانية

والتسامح والتعايش، والتواصل والتعارف والاحترام، والعدل والاعتدال.

(3) العلم: وأهم فروعها: الاجتهاد التفكُّر والتفكير، والصدق،

والأمانة العلمية.

(4) الحكمة: وأهم فروعها: التعقل والمنطق، والصبر والشكر،

والإيجابية والأمل، والجمال.

(5) تهذيب النفس: وأهم فروعها: الإيمان، والعبادة، والقُدوة،

والحب.

(6) المواطنة: وأهم فروعها: الوطن، وإرث زايد، والانتماء والولاء،

والمسؤولية.

وبين طيَّاتها إشاراتٌ وإثاراتٌ إلى ما يندرجُ في كلّ منها من قيَمٍ فرعيّةٍ؛

تعريفًا بها، وبيانًا لسبل تمثّلها.

● الخاتمة.

هذا ما اشتمل عليه الكتاب، سائلين الله تعالى أن ينفع به، ويكتب له القبول

في السماء والأرض.

وبالله التوفيق

* * *





مقدمة العلامة عبد الله بن بيّه

رئيس المجلس العلمي الأعلى لجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية،
رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا مُحَمَّد النَّبِيِّ الْخَاتَم،
وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لقد حازت جامعتنا، جامعة مُحَمَّد بن زايد للعلوم الإنسانية، مزية الاسم
وخصوصية المجال؛ فإنَّ الاسم الذي شُرُفَتْ بحمله ليس اسمَ علمٍ من أعلام
الأمة الكبار وقائداً حكيماً فحسب، بل هو عنوانٌ لرؤيةٍ وَطَنٍ وروايةٍ أُمّةٍ، رؤية
الإمارات العربيّة المتّحدة، القائمة على تقديم المقاربات التّواصلية وتبني
النّماذج التّعايشية.

إنَّ الطُّموح الذي أسّس هذا الصّرح المعرفيَّ الجديد متشوّفٌ إلى الإبداع،
ومؤكّد على ضرورة الابتكار، فالمرجوّ أن تكون جامعتنا منارةً للإشعاع العلميّ في
المنطقة كلّها، وصرحاً معرفياً، وفضاء للبحث ومناراً للإشعاع والتّفاعل مع
المجال الثّقافيّ الرّحب من حولها، وأن تنتهز لمهمة تجديد الخطاب الدّينيّ
باستعادة بُعد الإنسان وأسلوبه الحواريّ، وتحيين مفاهيمه وتفعيل قيّمه؛
وفّق ما استجدّ من أحوالٍ وطراً من مُتغيّراتٍ.

ولعلّ من أهمّ مداخل التّجديد استعادة المضمون القيّميّ الذي أصابه
ضمورٌ شديد، ووُصِّلَ ما انفصلَ من علاقة الدّين بالقيَم، فلا بدّ من خطابٍ
يجدّد القيَم في النفوس، خطابٍ تنساب في أوصاله روحٌ من الرّحمة والمحبة
والتّضامن؛ لتتنزّل سكينته على القلوب.



إنَّ القِيَمَ رُوحُ الدِّينِ، ولغُتُه الكونيَّة، وسبيلُ استعادته لدوره الإيجابيِّ في إرشاد العالم وإسعاده، واقتراح الحلول؛ لا سيَّما في هذه المرحلة العصيبة التي تمرُّ بها الإنسانيَّة.

في إطار هذا المسعى التَّجديديِّ يدخل هذا الكتاب القِيَمَ؛ الذي أرادت له الجامعة أن يكون فاتحةً خيرٍ لمشروعٍ علميِّ كبيرٍ في هذا المجال الواعد؛ مجال البحث في القِيَم الإنسانيَّة المشتركة.

إنَّ القِيَمَ في اللُّغة هي الشَّيء الثَّمين الذي يحرص الإنسان على اقتنائه والمحافظة عليه. وأمَّا المعنى الحديث للقيَم فهو ترجمة لكلمة (Valeur) بالفرنسيَّة أو (Values) بالإنجليزيَّة، فالمراد منه: ما يكون معياراً للخير والجمال والحقِّ، أو ما يكون مرجعاً يُرجع إليه معياراً أخلاقياً، لكنَّ معنى القِيَم في الإسلام ربَّما يكون أوسع من ذلك، فهي تعني: الفضائل والخصال الحميدة، وكلَّ أمرٍ يزيِّه العقل ويشهد له النَّقل، فالقيَم بهذا المعنى الإسلاميُّ تُرادف الخِصالَ والخِلالَ.

لقد اختلف العقلائيُّون من الفلاسفة في أصل القِيَم بين قائل بآلَا فرق بين مجتمعٍ ومجتمعٍ في أصل القِيَم، فما كان فاضلاً في الماضي هو فاضلٌ نبيلٌ في الحاضر، وما كان فاضلاً في أوروبا فهو فاضلٌ في الصين، وهذا مذهب إيمانويل كانت، وبين قائلٍ بنسبيَّتِها وخصوصيَّتِها كالإنجليزي "وايتهيد - Whitehead".

ولعلَّ المذهب المطلق هو الذي تؤيِّده الرسالات السَّماويَّة وتقدِّمه أوعية اللُّغة ومفاهيمُها، ف"العدل" في كلِّ لغة وفي كلِّ مكان كلمة جميلة، وعندما ننطق كلمة "الوفاء" فإنَّها كلمة جميلة، وعند أهل الأديان، وبخاصَّة الإسلام، فإنَّ



القيَم الإلهية المنشأ بشريّة المنتهى، متفاوتة في المتعلقات طبقاً لظروف المجتمعات.

ومعنى كونها إلهية المنشأ هو أنّها تقوم على مبدأ أخلاقيّ روحيّ عميق؛ وهو وجوب التخلُّق بأسماء الله الحسنى التي تصلح أن يقتدي بها العباد، ويتمثلوها في حياتهم، كاسمه الغفور والصّبور والرحيم والكريم والجميل والرؤوف والعدل والحليم...، وما أشبه هذه الأسماء التي تكون بالنسبة للإنسان قيماً إيجابية تحكّم حياته.

إن الله سبحانه وتعالى يضرب مثلاً للإنسان، وهو جلّ وعلا له المثل الأعلى، ويُقدِّم له وسيلة للإيضاح عن طريق التشبيه والتشبيه، وهو سبحانه لا يشبهه شيء، ولكن مع ذلك ليرغب الإنسان في الفضائل وليرقي همته للخير، فهو رحمن رحيم، فعلى الإنسان أن يكون رحيماً «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»⁽¹⁾، فالإنسان مدعوٌ للتخلُّق بأخلاق الله تعالى التي يمكن له، ولو على سبيل المجاز، أن يتّصف بها؛ ولذا ورد في الحديث في الدُّعاء في رمضان: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا»⁽²⁾.

هذا المعنى الجميل هو الذي عبّر عنه المغفور له الشَّيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، في حكمته الأصيلة ورؤيته الإيمانية حيث يقول: "التَّسامح واجب وإذا كان أعظمُ العظماء الخالقُ عز وجل يسامح، ونحن بشرُ خلقنا ما نسامح؟!".

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 91، 93/1.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3513، 534/5. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3850، 1265/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 25742، 484/42.



وكذلك من مصادر القِيَم: التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصْلِحِينَ، ثُمَّ إِعْمَالِ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ، وَفِي هَذَا الْأَصْلِ يَكُونُ الْمَشْتَرَكُ الْإِنْسَانِيُّ، فَالْعَقْلُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ تَوْزِيْعًا بَيْنَ النَّاسِ كَمَا يَقُولُ دِيكَارْت.

ويذكر الباحث الفرنسيُّ دُورِيَانُ أُسْتُور وغيرُهُ أَنَّ الْفِيلَسُوفَ نِيْتَشَةَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَوْقِفِهِ السَّلْبِيِّ مِنَ الْأَدِيَانِ، كَانَ شَدِيدَ الْإِعْجَابِ بِمَنْ يَسَمِّيهِمُ الْمَشْرِعِينَ الْكِبَارَ: مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ، بِوصفهم القلَّة الذين وضعوا للبشريَّة قِيَمَهَا.

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَزَكِّي الْفَضِيلَةَ أَيًّا كَانَ مَصْدَرُهَا أَوْ مُصَدِّرُهَا، وَمَهْمَا يَكُنْ مَنْشُؤُهَا أَوْ مُنْشِئُهَا، كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَزْكِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِجِلْفِ الْفُضُولِ الَّذِي عَقَدَتْهُ قِبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا أَتَتْ خُصُوصِيَّتُهُ مِنْ كَوْنِهِ لَمْ يُؤَسَّسْ عَلَى مَا هُوَ مَعْهُودٌ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنَ الْمَشْتَرَكِ الدِّينِيِّ أَوْ الْإِنْتِمَاءِ الْقَبِيلِيِّ أَوْ الْعِرْقِيِّ، بَلْ تَأَسَّسَ عَلَى الْقِيَمِ وَالْفَضِيلَةِ.

لِذَا، فَهِنَاكَ قِيَمٌ أَزَلِيَّةٌ تُزَكِّيُهَا النُّبُوءَاتُ وَالرِّسَالَاتُ، وَتَتَلَقَّاهَا الْعُقُولُ بِالْقَبُولِ، مِنْهَا قِيَمَةُ الْحَيَاةِ، وَقِيَمَةُ الْكِرَامَةِ، وَتِلْكَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْكَلِّيَّاتِ الْخَمْسِ: الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلَ وَالْعَرَضَ وَالْمَالِ، هَذِهِ الْقِيَمُ مَشْتَرَكَةٌ تَجِبُ إِعَادَتُهَا فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَهِيَ مَبْثُوثَةٌ فِي كُلِّ رِسَائِلٍ وَدَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ كُلُّهَا الْيَوْمَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا حَاجَةً الْفَطِيمِ إِلَى الْحَنَوِّ وَالْحَنَانِ وَالْعَطْفِ؛ بَعْدَ أَنْ أَحَالَ السُّفْهَاءُ وَالْمَجَانِينَ مَجَالَاتِ حَرَكَتِهَا إِلَى حَقُولِ الْغَامِ؛ إِنَّهَا قِيَمُ السَّلَامِ الثَّابِتَةُ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ، وَالَّتِي يَزَكِّيُهَا الْعَقْلُ وَتَقْتَضِيهَا الْمَصَالِحُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَتَصْلُحُ أَسَاسًا مُتِينًا لِلْعَمَلِ الْمَشْتَرَكِ وَالْإِلْتِقَاءِ حَوْلَهَا.



فأهمُّ القِيَم المشتركة بين الأديان، بعد الإيمان بالله سبحانه وعبادته، هي إعلاءُ كرامة الإنسان واحترامه، فالبشر جميعًا، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم، كرَّمهم الله عزَّ وجلَّ بنفخةٍ من روحه في أبهم آدم عليه السَّلام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 70].

ولهذا نجد أن القرآن الكريم يؤكد مبدأً أصيلاً نصَّت عليه الكتب السماوية السابقة؛ إذ يجعل قيمة كل نفس إنسانية بقيمة البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

ونشأ عن قيمة الكرامة الإنسانية قيمة أخرى هي قيمة المسؤولية: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم: 36 - 39].

القيَمَةُ الثَّالِثَةُ هي قيمة السَّلام، فالسَّلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيمة تدعو الأديانُ أتباعها إليها، وفي القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [سورة البقرة: 208]، ونجد هذه القيَمة في نصوص الأديان السَّماويَّة؛ فنقرأ في العهد القديم سفر مزامير داود: "حَدَّ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلام، وَاسْعَ وَرَاءَهُ"⁽¹⁾. وفي سفر الأمثال: "لُقْمَةُ يَابِسَةٍ وَمَعَهَا سَلامٌ، خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَلَانٍ مَعَ خِصَامٍ"⁽²⁾. وكذلك في إنجيل يوحنا: "سَلامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلامِي أُعْطِيكُمْ. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبَ"⁽³⁾.

(1) سفر المزامير لداود، إصحاح، 14:33.

(2) سفر الأمثال لسليمان، إصحاح، 1:17.

(3) إنجيل يوحنا، 14:27.



يقول الفيلسوف السّويسريّ هانس كيونغ: "لا يمكن تحقيق السّلام في العالم من دون السّلام بين أتباع الأديان".

ومن أهمّ القِيَم قيمة الأمل، وهو ضد اليأس، في القرآن الكريم نقرأ مقولة أبينا إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [سورة الحجر: 56]. ووصيّة يعقوب لأبنائه: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: 87] .

كما ترسّخ الأديان المحبّة بين النّاس، ففي الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽¹⁾، فسّرّها العلماء بأنّ الأخوّة الواردة في هذا الحديث تشمل الأخوّة في الإنسانيّة.

لقد كان من نصيبنا في دولة الإمارات أن نعيش في بلد تأسّس على القِيَم المستلهمة من قيَم الدّين الإسلاميّ والقِيَم الإنسانيّة المشتركة وقيَم العرب في شجاعتهم وسماحتهم وإحسانهم إلى الغريب والقريب، وهذه القِيَم كلّها تجسّدت في الوالد المؤسّس الشّيخ زايد طيّب الله ثراه؛ فلم تكن مجرد أقوال بل أفعال وتطبيق عمليّ.

لقد غرس الشّيخ زايد القِيَم الفاضلة النّبيلة في شعبه وبلده؛ فصارت دولة الإمارات العربيّة المتّحدة بلدًا يؤمن بالتّفاؤل، ويبني سياساته على إيمانٍ بأنّ الخير قادم بحمد الله، والمستحيل ممكن بعون الله تعالى.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 13، 14/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 71،



بمثل هذه الرؤية تتخلَّص النفوس من اليأس، وتتجاوز الأزمات مهما اشتدَّت واحتدَّت. وبمثل هذه الرؤية استلهمنا التَّاريخ ووصلنا إلى المَريخ.

إن أبناء الشَّيخ زايد وعيال الشَّيخ زايد يمثلون تلك القيَم ويعملون في نطاقها، وبمقتضاها، وقد برزت القيَم الإماراتية في أبهى صورة خلال أزمة كورونا؛ حيث شاهد العالم عملاً دؤوباً، وروحاً وثابة، وإنسانيَّة وتضامناً.

وهكذا، فإنَّ قيَم التَّعايش والتَّفاهم التي تقوم عليها الإماراتُ هي قيَم موروثية ومأثورة، هي القديم والجديد، والطَّريف والتَّليد.

فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَأَتَمَّا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ⁽¹⁾

فالنَّخل هنا في دولة الإمارات غُرست في منابت القيَم والهِمَم.

وختاماً، أرجو أن يجد المطالع الكريم في هذا السِّفر القِيَم الفائدة المرجوة والثَّمرة المنشودة، وأدعو الله أن يحفظ قيادتنا الرِّشيدة ووطناً الحبيب، ويُصلح أعمالنا ويكِّلها بالنَّجاح والتَّوفيق.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(1) البيتُ لزهير ابن أبي سلى، قاله في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوفٍ ومعناه: أنَّ أصالةَ الفرع وما يكون فيه من خيرٍ وكرمٍ إنَّما يأتيه من أصله وسَلَفه، ينظر: ديوان زهير، ص 87.





الفصل الأول: الأسس النظرية للقيم



مدخل إلى فهم القيم:

تعريف القيم، وفلسفتها، وتصنيفاتها

مقدمة:

تكتسي القيم أهميةً بالغةً على الصعيدين الاجتماعي والإنساني؛ حيث إنها تشكل هوية الفرد والمجتمع، وتؤثر بشكل مباشر على تكوينهما وتطورهما.

فالقيم تعين الفرد على تنمية نفسه، وتطوير ذاته، وتحقيق أهدافه، وتوجيهه نحو السلوكيات الإيجابية، وتمنحه النظرة التفاؤلية للحياة، وتقدير له الحافز للسعي من أجل رقيه وتطوره، وتعطي لحياته معنىً وهدفًا، وتساعد على فهم دوره في المجتمع، مما يسهم في سعادته ورضاه عن نفسه.

كما أن القيم تسهم في بناء علاقات اجتماعية متينة بين أفراد المجتمع، قائمة على التعاون والاحترام، والتسامح والإكرام، فهي تنظم سلوك الأفراد في إطار مجتمعهم، وتصور حق كل واحد منهم، وتضمن تعاملًا منصفًا وعادلًا فيما بينهم، وتجعلهم يسعون لتحقيق غايات مشتركة، وتبني أهداف سامية ومثمرة، وتحفزهم على قبول الآخرين مهما كانت التباينات الثقافية والاختلافات الدينية، وتسبّل عليهم حل النزاعات والخلافات؛ مما يثمر مجتمعًا قويًا متماسكًا، مستقرًا متلاحمًا، متقدمًا مزدهرًا.



تعريف القيم:

أولاً- في اللغة:

لغة: جمع قيمة⁽¹⁾، وكلمة "القيمة" أو "القيَم" تعود إلى الجذر "قَوَم"، الذي تتعدّد استخداماته ومعانيه في اللغة، ومن ذلك:

- الحُسْنُ: ومنه: خلق قَيِّمٌ، أي: حسن⁽²⁾.
- الديمومة والثبات والاستمرار: فالقيمة تطلق على الشيء الثابت المستمر⁽³⁾. و"قيمة: ثبات ودوام على الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: [البقرة: 255]، أي: الدائم الباقي"⁽⁴⁾، ويُقال: ما لفلان قيمةٌ، أي: ما له ثباتٌ ودوامٌ على الأمر⁽⁵⁾، وَهُوَ مَجَازٌ⁽⁶⁾، يُقال: قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به⁽⁷⁾.
- الاستقامة والاعتدال: قَوَمَ العود فاستقام، أي: عدّله فاعتدل وأصبح مستقيماً⁽⁸⁾. "وأمرٌ قَيِّمٌ: أي: مستقيم. ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ [البينة: 3]: أي: مستقيمة"⁽⁹⁾. وقَامَ الشيءُ واستقامَ: اعتدل واستوى،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 43/5، (قوم).

(2) الزبيدي، تاج العروس، 319/33، (ق و م).

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 125/4، (قوم).

(4) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 600/1.

(5) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 768/2.

(6) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 312/33، (قَوَم).

(7) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 125/4.

(8) الهروي، تهذيب اللغة، 125/2، (ق و م).

(9) الزبيدي، تاج العروس، 319/33، (ق و م).



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30]،
أي: عَمِلُوا بطاعته وَلَزِمُوا هدي نبيِّه ﷺ⁽¹⁾.

— تقدير الشيء وتقييمه: وهو مأخوذ من قِيَمَةِ الشيء وثمنه⁽²⁾،
وقيَمَةِ الشيء: قدره، وكتاب قِيَمٍ: ذو قِيَمَةٍ⁽³⁾، فالقيم جمع قيمة،
وهي ما يكون به الشيء ذا ثمن أو فائدة، ومنه قول علي رضي الله عنه: "قيمة
المرء ما يحسنه"⁽⁴⁾.

— عماد الشيء: قوام الشيء: ملاكه، وعماده الذي يقوم به، ومنه: هذا
قُوم الدين والحق: أي به يقوم⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: 25]، أي: قيامها بغير عَمَدٍ تُرى⁽⁶⁾.
— حفظ الشيء، والقيام بأمره: ومنه (القيوم) اسم من أسماء الله
الحسنى، ومن معناه: الْقَائِمُ الْحَافِظُ لكل شيء، وقِيَمَ الْقَوْمُ: سَيِّدَهُم،
الَّذِي يَقُومُ بِشَأْنِهِمْ وَيَسُوسُ أَمْرَهُمْ⁽⁷⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 498/12، (قوم).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 500/12، (قوم)، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،
312/33، (قوم).

(3) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 768/2.

(4) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 423/34، (حسن).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 43/5، (قوم).

(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 482/18.

(7) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 768/2.



ثانيًا- في الاصطلاح:

يظهر من التعريف اللغوي أن مصطلح "القيمة" في أصل اللغة يتوافق في بعض الوجوه مع المعنى الاصطلاحي السائد والشائع اليوم عن القيم، فلكل وجه من هذه الوجوه اللغوية المتقدمة حظٌّ في معنى القِيم؛ فالقيَمُ تتَّصِفُ بالحُسْنِ، وبالثَّبُوتِ والدوامِ والاستمرار، والمُلْتَزَمِ بها مستقيمٌ ومعتدِلٌ، وهي ذاتُ قيمةٍ ثمينة وغالية، وهي مكوّن رئيس في السلوك والأخلاق، تقوم عليها، وتحفظها وتوجهها، ولكن هناك تعريفات اصطلاحية معاصرة حدّدت معنى القيم، نختار منها أنها: مجموعة من المبادئ العليا والمثل المجردة؛ المتضمنة لعددٍ من السلوكيات والأخلاق، التي ترتقي بالأفراد والمجتمعات والأوطان، وتضمن العيش بسلام وطمأنينة⁽¹⁾.

ونظرًا إلى أن مفهوم القيم يدخل في مجالات العلوم الإنسانية كافة؛ فقد تنوّعت معانيه الاصطلاحية تبعًا للمجال والأساس النظري الذي ينطلق منه، فتعددت تعريفات العلماء والمتخصصين في العلوم الإنسانية في العصر الحديث، نذكر أهمها:

- التعريف الفلسفي:

القيم من المباحث التي اهتمَّ بها كثير من الفلاسفة قديمًا وحديثًا؛ إذ يقسّم الفلاسفة العلوم التي تبحث فيها الفلسفة إلى ثلاثة مباحث رئيسة، وهي:

1- مبحث الوجود.

(1) ينظر: خليفة، عبد اللطيف محمد، ارتقاء القيم - دراسة نفسية، ص 29، 30-35، وزاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، ص 32.



2- مبحث المعرفة.

3- مبحث القيم⁽¹⁾.

فتبحث الفلسفة في نشأة القيم وطبيعتها وماهيتها، وأصل القيم من حيث إطلاقها (إيمانويل كانت)، ونسبيتها زمنيًا ومكانيًا (وايتيهد - Whitehead)، والقيم من المفهومات الفلسفية التي كانت وما زالت إلى حدٍ كبير محورًا لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة، فبينما يرى بعضهم في معنى القيم رأيًا ما، يرى آخرون رأيًا آخر يناقضه تمامًا، لذلك تعددت فيها الآراء، وتشعبت فيها المذاهب⁽²⁾.

- التعريف النفسي:

يتكافأ مفهوم القيمة عند "ماسلو" مع مفهوم الحاجة، ووصف الفيلسوف الأمريكي "موريس تشارلز - Morris Charles" القيم بأنها علم السلوك التفضيلي⁽³⁾، بمعنى أن أي سلوك يمثل تفضيلًا لمسلك على الآخر، والمسلك المختار هو الأحسن والأكثر قبولًا وأهمية في نظر الفرد، طبقًا لتقديره وإدراكه⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الشيباني، محمد عمر التومي، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 30-32، والمحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، ص 30، 31.

(2) ينظر: المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، ص 31، وابن بيه، الموقع الرسمي، [القيم المشتركة](#).

(3) تشارلز وليام موريس، في كتابه أنواع القيم الإنسانية. Charles William Morris، Varieties of Human Value، University of Chicago Press (1956).

(4) دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، ص 23 - 24.



- التعريف الاجتماعي:

عرّفها "روكيش - Rokeach" بأنها "اعتقاد دائم (ثابت) بأنّ نمطاً معيناً من التصرفات أو النواتج القائمة تعد شخصياً أو اجتماعياً مفضلة على نمط آخر من التصرفات أو النواتج القائمة، وأنها تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع، وأنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات"⁽¹⁾.

وعرّف الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي "فلوريان زنانيكي - Florian Znaniecki"، وعالم الاجتماع الأمريكي "ويليام توماس - William Thomas" في كتابهما (الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا) القيمة الاجتماعية بأنها "أي معنى ينطوي على مضمون واقعي، وتقبله جماعة اجتماعية معيّنة، كما أن لها معنى محدداً؛ حيث تصبح في ضوءه موضوعاً معيناً أو نشاطاً خاصاً"⁽²⁾.

وعُرفت القيمة بأنها: "الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"⁽³⁾.

(1) ينظر: مجلة القضايا الاجتماعية، إحداهن التغيير والاستقرار في نظم المعتقدات وهياكل الشخصية، 1985، المجلد 41، العدد 1، ص 153. والخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، ص30.

(2) بيومي، محمد أحمد، علم اجتماع القيم، ص 146.

(3) دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، ص 52.



تعريف القيم الإسلامية:

بناء على ما تقدم من تعريفات يمكن القول: إن القيم الإسلامية هي مجموعة من المبادئ المستمدة والمستوحاة من النصوص القرآنية والنبوية، الواقعة تحت حكمها من التحسين والتقبيح، أو أحكامها من الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

- ومن سمات القيم الإسلامية أنها:

- صافية المنشأ: فالقيم الإسلامية تستند إلى وحي السماء، وتسمو عن الاختلاف البشري.

- شاملة متكاملة: اشتملت على الجانب الروحي والجسدي، والنفسي والعقلي والعاطفي، الفردي والأسري والاجتماعي، المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي...

- عامة: تتحقق عموميتها في الخلق كلهم، على اختلاف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، فهي تخاطب الناس من دون استثناء، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

- واقعية: لا ترتبط بالمثالية التي لا يستطيعها إلا أظهر الناس وأنقاهم من الأنبياء والقديسين، ولا بالخيال الذي يعلو على الواقع المعاش وينحصر في فردوس التنظير، إنما هي ميسورة مقدورة، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 233]، راقية المطلب، واقعية التطبيق، تراعي الطاقة المتوسطة والأداء المقدور لعموم الناس، تقدر الضعف البشري،



وتراعي الدوافع الإنسانية والحاجات البشرية والمؤثرات المادية، والظروف الطارئة؛ ومن ذلك أنها شرعت الرخص التي أباحت فيها ما لا يباح في غيرها، وأقرت التفاوت الاجتماعي واعتبرت الفروق الفردية، وراعت الأعراف والتقاليد ورّبت عليها بعض أحكامها... كل ذلك يشهد بواقعية القيم الإسلامية.

- ثابتة: لا تتبدل ولا تتغير، ولا تختص بزمان دون زمن، ولا تقتصر على بعض المجتمعات دون بعض، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوجود البشري من دون تفريق ولا تمييز، متناسبة مع الطبيعة البشرية، منسجمة مع الفطرة السوية والمنطق الإنساني الصحيح؛ بحيث يلتزمها الإنسان عن رغبة حقيقية وإرادة صلبة، لا عن تكلفٍ مصطنع وتمثيل ظاهري.

- متوازنة: لا غلو فيها ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، متوازنة بين الدنيا والآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201]، وبين الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِمَنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

- خيرة: ينعم بخيرها الفرد والمجتمع.



تحرير مصطلح القيمة والمصطلحات القريبة منه:

- الفرق بين الأخلاق والقيم:

تباينت وجهات نظر المفكرين والباحثين حول العلاقة بين القيم والأخلاق والفرق بينهما، ويمكن اختصار ذلك في النقاط الآتية:

1. الأخلاق أحد أنواع القيم.
2. كل الأخلاق إلزامية، وبعض القيم اختيارية.
3. القيم عالمية، والأخلاق مجتمعية ودينية.

- الفرق بين المبادئ والقيم:

المبادئ هي القواعد التي تصوغ مجالاتها وتحكمها، فهي قوالب فكرية، تطوّرت بتراكم الخبرة، ومصادرها متنوعة: (الدين، التربية، العادات، القناعات الشخصية، الخبرة...)، وهي تشكل النظرة الكلية للحياة، وتعمل على تفسير الواقع وإكسابه معنى، كما تتدخل في صياغة القيم وترتيبها⁽¹⁾.

أما القيم فتستند إلى هذه المبادئ المستمدة والمستوحاة من مصادر متنوعة، وتتأثر بها صياغة وترتيباً.

* * *

(1) ينظر: الخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، ص 32 وما بعدها.



مفهوم القيم وفلسفتها وخصائصها

لا تخفى على ذي عقل أهمية القيم وعِظَم دورها في بناء الإنسان وتكوين المجتمعات بمختلف ثقافات وأعرافها، وفي إطار هذه الأهمية الكبيرة للقيم نحاول هنا أن نوضح مفهوم القيم؛ ببيان طبيعتها، وخصائصها، وتصنيفها، وأهميتها للفرد والمجتمع، كما نذكر أهم ميزات القيم في الإسلام.

طبيعة القيم:

القيم من المباحث التي اهتمَّ بها كثيرٌ من الفلاسفة قديماً وحديثاً، وهي من المفهومات الفلسفية التي كانت -وما زالت- إلى حدٍّ كبيرٍ محوراً لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة، وسنحاول الوقوف على طبيعتها وخصائصها من خلال بعض الأسئلة الخلافية حول ذلك:

1) هل القيم ذاتية أم موضوعية؟

عدَّ الفيلسوف الألماني "ماكس شيلر - Max Scheler" القيم أوليةً قبليةً وموضوعيةً وثابتةً، وخالفه في ذلك كثير من الفلاسفة المعاصرين، من أشهرهم: فيلسوف الأخلاق الأسترالي "جون لسلي مكي - John Leslie Mackie" (1917م-1981م) في كتابه: "الأخلاق: ابتداء الصواب والخطأ"؛ حيثُ عقد فيه فصلاً بعنوان: "ذاتية القيم"، نفى فيه وجودَ قيم "موضوعية"؛ لما يمكن أن يؤول إليه القولُ بذلك من تنميط القيم، وإضفاء الطابع المعياري على نماذج منها، وفي



ذلك تحكّم فيها، وتهديد للأخلاق وكلّ شيء يُعدُّ قيمة أو ذا أهمية⁽¹⁾. فالقيم عنده نسبية أو ذاتيّة، على اختلاف ترتيبها في سلّم الأهميّة، بدءًا بمفهوم "الخير الأخلاقي" وانتهاءً بكل ما يتعلق به من المفاهيم؛ سواء أكانت موافقةً له أم مخالفة⁽²⁾.

وهو يرى أنّ الخلاف في طبيعة القيم بين "الموضوعيّة" و"الذاتية" إنّما هو خلافٌ لفظي؛ إذ إنّ كلا المذهبين يُصدر أحكامه التقويمية على الأفعال الإنسانية بناءً على "تجربة ذاتية"، قد تكون "حدسًا أخلاقيًا" عند الموضوعيين، أو "موقفًا شخصيًا" عند الذاتيين. وإذن، فإنّما هي "معركة كلمات، قول الشيء عينه، لكن بألفاظ مختلفة"⁽³⁾.

2) هل القيم ساكنة، أم أنها تقبل التبدّل والتغيّر؟

يجيب فيلسوف الأخلاق "ريتشارد ميرفين هير - Richard Mervyn Hare" عن هذا التساؤل؛ منطلقًا من تحديد منشأ القيم في مصدرين: الرغبات الذاتيّة، والتقاليد المجتمعية.

ولما كانت التقاليد المجتمعية - عادةً - ممّا يُرغبُ في اتّباعه؛ صحّ أن يقال: إن للقيم مصدرًا وحيدًا مشتركًا هو الرغبات الذاتيّة؛ إذ قولنا عن شيء إنّهُ "مهم" لدينا معناه أنّنا اتّخذناه "موضوعًا" لاهتمامنا الشّخصي، ولا يكفيننا في

(1) John Leslie Mackie, Ethics : Inventing Right and Wrong, Viking Press, 1977, p.14.

(2) Ibid, p.21.

(3) Ibid, p.319.



ذلك أن يكون محل اهتمام الآخرين فحسب، مهما بلغ حرصنا على تقليدهم
واتّباعهم!

ويمثل "هير" لذلك بمثالٍ من مجال الجماليات؛ حيثُ تظهر الفوارق بين
ما يستحسنه جيل الآباء من ألوان الموسيقى وبين ما يُؤثّرهُ جيل الأبناء؛ إذ لا
يكون تقليد الآباء في ذلك الاستحسان إلا تظاهراً؛ لإشباع رغبة تقليدهم
والتشبُّه بهم.

ومن أقوى الدلائل على قابلية القيم للتغيُّر في نظر "هير" ما جرت به
العادة من تغيُّر قيم الأسلاف عن الأجيال اللاحقة، ممثلاً لذلك بمعيار الشرف؛
الذي تحصره الأجيال الماضية في الشجاعة والمبادرة إلى خوض غمار الحروب،
وتعدّ الإحجام عن ذلك وصمة عار على جبين من لم يُقدم عليه، لكنّ الأجيال
المعاصرة - حسب "هير" - تؤثر السلام، وتعد ترك الاعتراض على ذلك الإقدام
وما يترتب عليه من مجازر عاراً أكبر.

فيمثل هذه الردود المتعاقبة، للأجيال اللاحقة على السابقة، تتغيّر القيم
المشتركة كما يقول "هير"⁽¹⁾.

(3) هل القيم واحدة أم متعددة؟

يرى الفيلسوف والمؤرخ الروسي البريطاني "إشعيا برلين - Isaiah Berlin
" (1997-1909م) أنّ القيم بطبيعتها متعدّدة، وذلك لما تتسم به من نسبية،
نتجت عن الصبغة الذاتية لها؛ فاعتبارُ الاختلاف في القيم منحصرًا في مفهوم

(1) Ibid, p.309-310.



الاختيار - على رأي "هير" - دون أن يتعدّاه إلى الخلق والإنشاء والإبداع؛ معناه نفي الفاعليّة والحريّة عن الإنسان.

والحق - في نظر أشعيا برلين - أنّ الاختيار بين أسى القيم إنما ينتج عن مقولات أخلاقية ومفاهيم جوهرية تنشأ عند الإنسان من رؤيته للعالم، ومن تصوّره لهويته التي تجعل منه إنساناً⁽¹⁾.

وحتمية الاختيار تفرضها طبيعة تصارع القيم؛ لأنّه لا يمكن تصوّر عالم تتواءم فيه القيم الجوهرية التي تحكم حياة النّاس في مختلف مجالاتها، فلا يمكن - مثلاً - أن تتواءم الحريّة التّامة مع المساواة التامة، ولا يمكن أن يتلاءم العدل مع السماحة، ولا أن تتوافق المعرفة مع السعادة، فتحقيق الانسجام بين هذه الثنائيات القيمية المتضادة أمرٌ بالغ غاية الصّعوبة في مستويي النظر والتنزيل⁽²⁾.

ولذلك؛ لا بد من الاختيار فيما بين القيم الإنسانية الجوهرية التي تُعدّ غايات في ذاتها، على ما في ذلك من صعوبة وعُسْر؛ إذ لا يمكن تصوّر وجود العالم إلا بتجرّع مرارة ذلك الاختيار وتحمل تبعاته، فثحتاج البشرية إلى إيجاد نظام قيميّ متّسم بالتعددية، قابل أن يتكيّف مع القناعات الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية المختلفة؛ بحيث لا يجد فيه أي منها مناقضة لقناعاته الأخلاقية الأكثر عمقاً والأقوى رسوخاً في نظره⁽³⁾.

(1) Isaianh Berlin et Johanbegloo Rahim, En toutes libertés, p.217-218.

(2) Ibid, p.173-174.

(3) Ibid, p.173.



إن تفهّم اختلاف الثقافات وتعدّد القيم - حسب "إشعيا برلين" - لا يتنافى مع الانتماء إلى غيرها، ولا ينعدم هذا التفهّم إلّا كان سبباً في التّطرّف؛ إذ لا معنى لانعدامه إلا الإيمان بقيمٍ مُطلقة واجبة الاحترام، لا تجوز مخالفتها بحال من الأحوال⁽¹⁾، وذلك أعظم أسباب التطرف وما ينشأ عنه من إراقة الدماء.

وقد كانت بين "إشعيا برلين" وصديقه الفيلسوف "ليو شتراوس - Leo Strauss" مناقشات حول القيم بين النسبية والإطلاق؛ إذ يحكي "إشعيا" أن صديقه "ليو" حاول مراراً أن يحمله على ما يؤمن به هو وتلاميذه من وجود قيم أزليّة مطلقة، ومعتزّف بها من قبل جميع الناس، في جميع الأزمنة والأمكنة، قيّم تُدرك بعين ميتافيزيقية، وبمملكة عقلية أفلاطونية، وتمثل الحياة الفضلى للإنسان، يدركها القديسون والفلاسفة، لكنّ "إشعيا" يعتذر بأنه لا يملك الامتياز بذلك الإدراك! ولا يتوقّف على ذلك النوع من العقل الذي يُجيبُ المركزية للحياة بإجابات قطعيّة لا يأتها الباطل⁽²⁾!

(4) هل القيم عامة ومشتركة؟

إن اشتراك القيم الخاصة بمجتمعات معيّنة والتي مرّدها إلى العرف والعادة أو الدّين، أمرٌ لا شك فيه، ولكن القيم العامة المشتركة بين الناس كلّهم هي أمر تردد فيه الفلاسفة، واختلفوا فيه اختلافاً شديداً وذهبوا فيه مذاهب، فكانوا طرائق قدداً من اقتصاديين واجتماعيين ونفعيين ومثاليين. فالفلاسفة لم يكونوا متفقين على وجود قيم مشتركة، فمنهم من يقول بالنسبية - مثل: "وايتهد - Whitehead" -، أي: إن القيمة نسبية ولا توجد قيم عامة؛

(1) Ibid, p.134-135.

(2) Ibid, p.136.



لانعدام وجود مفاهيم تنظيمية معينة مضبوطة ضبطاً كافياً لإيضاح تفاصيل السلوك لكل الكائنات العاقلة على الأرض. ومنهم من يقول بعموم القيم؛ بغض النظر عن دوافعه - مثل: "هنتر ميد - Hunter Mead" -، ويرى أنه لا يوجد إلا معيار واحد أو في حالة الأخلاق قانون واحد هو الصحيح منذ الأزل، وهو الذي يسري على البشر أجمعين، هذا المعيار لا يسري على نحو عالمي شامل فحسب، بل إنه أيضاً مستقل عن العصر، وعن الموقع الجغرافي، والتقاليد الاجتماعية المألوفة، والعرف القانوني وكل شيء آخر؛ فالخير والحق شامل يسري على كل زمان ومكان.

أما في الإسلام فكل التصورات الفكرية تشير إلى أساس مشترك للقيم بين الناس، فقد قرر الإسلام مبدأ المساواة المطلقة بينهم وردهم إلى أصل واحد؛ لأن ربهم واحد وأباهم واحد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»⁽¹⁾. ورسالة النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ هي للناس كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، والنزعة إلى الخير والإيمان والحق فطرة لكل الناس، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: 30].

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23489، 474/38.



إن من البدهي أنه توجد قيم مشتركة وأن العقل الذي هو أحسن الأشياء توزيعاً بين الناس - كما يقول "ديكارت - Descartes" - واللغة هما خير برهان على ذلك؛ فكل عقل وكل لغة يعتبر فيها "العدل" كلمة نبيلة حبيبة على النفوس، وكلمة "الصدق"، وكلمة "التسامح"، و"الوفاء"... وغيرها من الألفاظ المحمودة عند كل الأقوام. وفيها نقيض تلك الألفاظ؛ وهو مذموم لا يقبله أحد، مثل "الجور"، "الظلم"، "الكذب"، ولو قلت لأشد الناس جوراً: إنه جائر، لسخط من ذلك وأحب أن يوصف بالعدل؛ حتى الكذاب لا يريد أن يوصف بذلك، ومثله: "التعصب"، "الخيانة"، "الغدر"...، إنها صفات مذمومة كريهة إلى النفوس ممقوتة من جميع الأقوام، الفطرة والعقل يجانها في كل زمان ومكان⁽¹⁾.

5) هل من شأن القيم أن تتعارض؟

آمن عالم الاجتماع الألماني الشهير "ماكس فيبر - Maximilian Weber" (1864-1920 م) بمثل ما آمن به "إشعيا برلين" من نسبة القيم وتعددتها، فالمجتمعات تختلف في تصوراتها لمبادئ قيم الحق والخير والجمال... اختلافاً يمنعها من الانتظام حسب أهميتها في سلم ترابقي متفق عليه، داعياً إلى أن يلتزم الباحث الحياد فلا ينتصر لقيمة على أخرى.

وعلاقات التواصل بين البشر - على اختلاف ثقافتهم - ما كانت لتوجد لولا إيمانهم بوجود القيم، وتفعيلهم لما يعدونه منها مشتركاً بينهم.

(1) ينظر: ابن بيه، الموقع الرسمي، [القيم المشتركة](#).



(6) هل القيم كونية أم خصوصية؟

تعاليت نداءات الخصوصية أمام زحف العولمة خلال العقدين الماضيين في صفوف مختلف الأمم والقوميات، وقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على العلاقات البينية التي كانت تربط مختلف تلك الأمم والقوميات؛ إذ كانت تلك النداءات بمنزلة إعلان لانحسار الاهتمام بالمشترك الإنساني.

ذلك الاهتمام الذي نجد في تراثنا الثقافي ما يشهد له بالعراقة والتأصل، كقول أبي حيان التوحيدي (ت: 414 هـ - 1023 م) متحدثاً عن السمات الحضارية للأمم المختلفة: "لكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس في صناعاتها وحلّها وعقدِها كمال وتقصير؛ وهذا يقضي بأنّ الخيرات والفضائل والشُّرور والنقائص مفاضة على جميع الخلق، مفضوضة بين كلهم"⁽¹⁾.

وقول شيخه أبي سليمان السجستاني المنطقي (ت: 380 هـ): "اشتريت الأمم في جميع الخيرات والشُّرور، وفي جميع المعاني والأمور اشتراكاً أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره، ثم استبدّت كل أمة بقوالب ليست لأختها، واشتراكهم فيها كالأصول، واستبدادهم كالفروع، وفيما اشتركوا فيه المحمود والمذموم"⁽²⁾.

وهذا الرأي المنصف - حسب التوحيدي - لا يرتقي إلى إدراكه والعمل بمقتضاه إلا "من كان صحيح البنية، بريئاً من الآفة، متنزهّاً عن الهوى والعصبية، محبّاً للإنصاف في الخصومة، متحريراً للحق في

(1) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ص 71، 72.

(2) السابق، ص 147.



الحكومة، غير مُستَرَق بالتقليد، ولا مخدوع بالإلف، ولا مسخر بالعادة"⁽¹⁾، مؤمناً بأن: "الأمم كلها شركاء في العقول، وإن اختلفوا في اللغات"⁽²⁾، وبأن: "الحكمة مشاعة بين الخلق، لا تنسب إلى جيل، ولا تقف على قبيل، وإنما حظوظ الخلق فيها على قدر مشاربهم منها"⁽³⁾. ولعل أبو حيان لو أدرك زماننا هذا لكتب: "والأمم كلها مشتركة في القيم".

ومن الفلاسفة المعاصرين الذين يؤمنون بما آمن به التَّوحيدي من وجود القيم المشتركة، وضرورة الدَّعوة إلى تفعيلها: الفيلسوف "إشعيا برلين"، الذي لاحظ - مع إيمانه بنسبية القيم كما تقدم - أن مفاهيم الخير والشر لم تغب قط عن أية ثقافة بشرية، إمَّا وعيًا نظريًا بها، وإمَّا تطبيقًا عمليًا لمقتضياتها في مستويي السلوك والمواقف، ويرى "إشعيا" أن حقوق الإنسان ليست إلا قيمًا تهَمُّ النَّاس جميعًا بوصف الإنسانية، لا باعتبار انتماءاتهم العرقية أو القومية أو الدينية أو غيرها⁽⁴⁾، على ما بينهم من تفاوت في تصوُّر تلك القيم، وأنَّه لا سبيل إلى التفاهم الضَّامن للتسامح بينهم إلا بتفهم الظروف التي أدَّت بكل منهم إلى تكوين نظرتهم إلى تلك القيم من حيث التَّصوُّر والتَّنزِيل⁽⁵⁾.

وقد وافق فيلسوف التَّأويل "بول ريكور - Paul Ricœur" (1913-2005م) ما ذهب إليه "إشعيا" من التمثيل لمُشترك القيم بحقوق الإنسان؛ إذ

(1) السابق، ص 74.

(2) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، 1/145.

(3) السابق، 1/90.

(4) Isaianh Berlin et Johanbegloo Rahim, En toutes libertés, p.60- 61.

(5) Ibid, p.85.



لاحظ أن تواطؤ الأمم والمجتمعات والثقافات الإنسانية المختلفة على حاجة الكائن البشري إلى تلك الحقوق لا شيء زائد على طبيعته البشرية؛ أوضح دليل على إمكان التوافق على القيم المشتركة.

خصائص القيم:

تتميز القيم بعدد من السمات والخصائص، بيّنها في الآتي:

(1) الوجود والقيام:

فلا يمكن أن تنعدم القيم أو تنكّر، ولا مجال للمجادلة في ثبوتها أو إثباتها؛ إذ لا تخلو منها لحظة في حياة الإنسان، تعكسها عباراته في مدح الأشخاص ذوي الفضائل والمكرّمات، وتُجَلِّبها كلماته في الثناء على ذوي المواهب والقدرات، وتُظهرها جُمل الإعجاب ببديع وعذب الألحان والمعزوفات، وفي كلّ شيء يستحسنه الإنسان دليلٌ على وجود القيم وثبوتها في عالمه المعيش، ومثل ذلك ما يستهجنه ولا يرتضيه من الأقوال والآراء والأخلاق، وما يُظهر فضله على غيره - من مثيل أو قسيم - في مقام المقارنة والمفاضلة، كلّ ذلك شاهد أن للقيم وجودًا ضروريًا يُغني عن تكلف إثباتها بمسالك النظر والاستدلال!

(2) الثبات والاستمرارية:

فالقيم - من حيث الأصل - أصول وثوابت، لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان أو الأشخاص؛ لأنها تمثل الأسس الأخلاقية والروحية للمجتمعات.



وربما كان ذلك في القيم الأصلية العامة لا الفرعية أو الذاتية، فإن كانت القيم ذاتية ارتبطت بالفرد ارتباطاً وثيقاً يجعلها تتأثر به من حيث المعتقدات والاهتمامات والأمزجة والميول والرغبات... فتؤثر فيه تأثيراً ينعكس على أفكاره ومواقفه وتوجهاته، وما هذا الاختلاف الملاحظ بين الناس في ذلك إلا بسبب اختلاف هذه القيم الذاتية الفرعية.

وكما تختلف القيم الفرعية باختلاف الأفراد؛ قد تختلف - كذلك - باختلاف الأزمنة والأمكنة والأجيال، وتقدم قول "هير" في ذلك ومثل له بمثال من مجال الجماليات؛ حيث تظهر الفوارق بين ما يستحسنه جيل الآباء من ألوان الموسيقى وبين ما يؤثره جيل الأبناء، وكذلك تتغير بعض المفاهيم بتغير العالم وتطوره ونضجه الإنساني، وهذا من أقوى الدلائل على قابلية القيم للتغير في نظر "هير" كما تقدم، ولعلنا نوافقه في وقوع التغير في القيم الفرعية والذاتية دون الأصلية والمركزية والجماعية، التي لها أساس مشترك بين الناس جميعهم، تكون نبيلة محببة إلى النفوس، منسجمة مع الفطر والعقول على اختلاف المجتمعات وامتداد الجغرافيا وتعاقب التاريخ، وتكون أضدادها كرهية إلى النفوس مذمومة ممقوتة من جميع الأقوام، تمجُّها الفطرة والعقل في كل زمان ومكان؛ كما تقدم من قول ابن بيه حفظه الله⁽¹⁾.

(3) الفطرية:

فالقيم تنبثق من الفطرة الإنسانية، وتنشأ مع الإنسان منذ طفولته، ومما يدل على فطريتها: الرغبة الذاتية للإنسان في تمثل الأخلاق العالية،

(1) ينظر: ابن بيه، الموقع الرسمي، [القيم المشتركة](#).



والسعي نحو السلوكيات الحسنة، كالتعاطف، والتعاون، والعدالة...، وهذه النقطة المتعلقة بمنشأ القيم مختلف فيها بين الفلاسفة كما تقدم، تصدق على كثير من القيم، ولا تصدق على غيرها من القيم الفرعية المكتسبة؛ التي تخضع لمبادئ التعلم وقوانينه وآلياته واستراتيجياته.

كما تشترك القيم ببعض الخصائص التي سبق ذكرها في خصائص القيم في الإسلام، نحو:

(1) الشمول والتكامل:

فالقيم منظومة متكاملة، تشمل الجوانب الروحية والمعرفية والعملية للإنسان، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، في تكامل بين جميع المجالات؛ الاجتماعية والاقتصادية والوطنية، وغيرها.

(2) الواقعية والمرونة:

فالقيم تتسق مع إمكانيات الإنسان، وتتناغم مع قدراته، كما أنها -مع ما تتسم به من ثبات-؛ على درجة عالية من المرونة، والقدرة على التكيف مع البيئات المختلفة، مما يسمح بتنزيلها في كل بيئة وفق طرق واقعية وفعالة، وذلك يسهم في فهم اختلاف منظومات القيم بين المجتمعات والثقافات، ويعين على تقبل الآخرين، والتكامل معهم، والاستفادة من قيمهم وإفادتهم.



أبعاد القيمة وعناصرها

تتفق أغلبية الدراسات على أن القيمة بجميع أنواعها تتكون من ثلاثة أبعاد ترتبط بعلاقات تفاعلية مستمرة ومتداخلة، وهذه الأبعاد هي:

- 1) المعرفة (الإدراك).
- 2) الانفعال (الوجدان).
- 3) السلوك⁽¹⁾.

* * *

(1) ينظر: الخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، ص 68.



أهمية القيم للفرد والمجتمع

زرعُ القيم وتربيتها في النفوس قديمٌ قَدَمَ البشر أنفسهم، ونقلُ القيم من جيل إلى جيل يعدُّ جزءًا من حياة الإنسان، ويقع موضوع القيم ضمنَ اهتمام كثيرٍ من التخصصات العلمية؛ كالفلسفة، والدين، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وغيرها، وهي قضيةٌ كبرى تواجهها التربية المعاصرة في كل مجالاتها، وتُنَاقَشُ على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، دافعة مخرجاتها للاهتمام بمنظومة القيم وإعادة تثبيتها عند الإنسان المعاصر.

وفي هذا السياق نتناول هنا أهمية القيم على مستوى الفرد، والمجتمع:

أهمية القيم للفرد:

تتضح أهمية القيم للفرد بالأمور الآتية:

(1) القيمُ جوهرُ الكيان الإنساني:

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل، الذي يعمل على تحديد الخيارات وفقًا للمنظومة القيمية التي تشكل منبع السلوك وخلفية القرارات والمواقف، وبذلك يلتزم ما يحفظ له وجوده وإنسانيته ومزلقته، ولو لم تستند خياراته وأقواله وأفعاله إلى هذا المخزون القيمي لفقد إنسانيته، وسيطرت عليه أهواؤه وقادته مصالحه وغرائزه، فأنحرف عن مساره، وفقد بذلك أهم ميزة ميّزه الله تعالى بها عن سائر المخلوقات.



(2) القيمُ سرُّ التحكُّم والضبط الذاتي:

فالنظام القيمي هو الذي يضبط الإنسان لتنسجم حركته مع فطرته، ويحميه من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، ويكبح جماح الغرائز والشهوات، ويعين صاحبها على السيطرة عليها، وضبطها وتنظيمها لتسير في أقيمتها النظيفة المشروعة، فتكون بذلك خادمة للإنسان ومعيّنة له لا سيّدةً عليه مستبدة به.

(3) القيم منبع الطاقات الإيجابية:

فالذي يعطي الحياة معناها مجموعة من القيم التي ترسخ الحق والخير والجمال، وتتمثل في السلام والتسامح والتواصل والتعارف والحكمة والإيجابية والأمل والجمال والحب وطهارة النفس والعطاء...، هذه القيم الفاضلة هي التي تجعل الحياة ذات معنى وجدوى، وكلما ازداد نصيب الإنسان منها ازداد نصيبه من السعادة والنجاح والفاعلية والتميز والطمأنينة... إلى غير ذلك من المعاني التي تعزز عنده الطاقات الإيجابية، وتدفعه كل خطوة فيها إلى ما بعدها أو ما فوقها.

أهمية القيم للمجتمع:

تتمتع المجتمعات الإنسانية بمنظومات قيمية تشكل معايير تحدد طبيعة علاقة الأفراد بعضهم ببعض في شتى مجالات الحياة المختلفة، وتتضح أهمية هذه المنظومات في المجتمع من خلال النقاط الآتية:



(1) القيم صمام أمان المجتمعات:

تحصّنها من السلوكات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة، وتحفظ لها سلامتها وقوتها بقوة ثبات القيم والمثل التي تسود فيها، وهل يقوم الأمن في المجتمعات بغير منظومة قيمية تحمله؛ تتكون من الأمانة والعدل والرحمة والاعتدال...؟ وهل يعالج الكره التعصب والتطرف والإقصاء بغير ترسيخ قيم التعايش والتسامح والاحترام والمحبة في المجتمع؟! من هنا كانت المنظومة القيمية للمجتمع هي صمام الأمان له ولأفراده، تحفظ نسيج المجتمع من الآفات التي تفتك به، مثل الفردانية والأنانية والمصلحية والأثرة...، وكم من حضارة ذكرها التاريخ وقصها القرآن الكريم عبثاً توافرت فيها أسباب القوة المادية، ولكنها زالت لذلك الخلل القيمي والأخلاقي الذي فشا فيها.

(2) القيم تميّز هوية المجتمع:

تشكل القيم محوراً رئيساً من ثقافة المجتمعات والشعوب، وتشمل نواحي الحياة المختلفة، فتنعكس على أنماط السلوك الإنساني وتحكم التفاعلات الاجتماعية فيها، والذي يشكل بمجموعه هوية المجتمع وسمعته وفقاً للمنظومة القيمية السائدة فيه.

ولذلك يستند الحفاظ على هوية المجتمع وسمعته وتميُّزه إلى العناية بقيمه والمحافظة على معاييرها المتأصلة فيه، وأي خطر يلحق بهذه المنظومة القيمية الاجتماعية ينعكس ضعفاً في الهوية.



(3) القيم مؤشر النمو والبقاء:

لا يخفى على الناظر في التاريخ والواقع أنَّ قوَّة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحسب، بل إن بقاءها ونموها وازدهارها رهين منظوماتها القيمية والأخلاقية، والتي تشكل لها بذور البقاء والاستمرار والتطور.

* * *



تصنيف القيم

تختلف تصنيفات القيم باختلاف زاوية النظر إليها، أو باختلاف مجالاتها وأنواعها، ويمكن اختصار هذه التقسيمات فيما يأتي:

صاحب النظرية	المعيار	التقسيم
سبرانجر (E, Spranger) 1928 في كتابه: "أنماط الرجال"	محتوى القيمة موضوعها أو مجالاتها والنشاط المرتبط بها	النظرية، العقلانية
		الاقتصادية
		الاجتماعية
		السياسية
		الدينية
		الجمالية
وايت (M) (White, G1951)	محتوى القيمة موضوعها أو مجالاتها والنشاط المرتبط بها	جسمية
		اجتماعية
		ذاتية
		عملية
		معرفية
		ترويحية
		قيم اللعب
		قيم الأمن
لويس (1964)،	مقصد القيمة الغاية	قيم غايات: يعدها المجتمع مهمة في ذاتها، وهي الفضائل: كالأمانة



صاحب النظرية	المعيار	التقسيم
(F. A.Smith)	والوسيلة	والصدق.
		قيم وسائل: لبلوغ غايات أخرى أهم، كالعمل من أجل الحياة الكريمة.
كاندي (Candy)	عمومية القيمة العمومية والخصوصية	قيم عامة: يعتنقها أفراد المجتمع جميعهم ويرغبون بها، كالتعاون والأمانة.
		قيم خاصة: تتعلق بجماعة أو فئة معينة.
		قيم فردية: تتعلق بالأشخاص، مثل الانضباط الذاتي.
أبو العينين (1988)	دوام القيمة الديمومة والانقطاع	قيم عابرة: كالقيم المتعلقة بالموضة وغيرها.
		قيم ثابتة: ما يمس مقدسات المجتمع، ودينه، وضروريات الحياة.
تقسيمات أخرى	شدة القيمة درجة إلزاميتها للأفراد والمجتمعات	قيم ملزمة أو أمرة: ما يمس كيان ومصلحة الفرد أو المجتمع ومقدساته واستقراره.
		قيم تفضيلية: التي يشجع المجتمع عليها، ولكنه لا يعاقب على تركها
		قيم مثالية: يدرك المجتمع استحالة



صاحب النظرية	المعيار	التقسيم
		تحقيقها بصورة كاملة، لكنها موجهة للسلوك.
	وضوح القيمة	صريحة: التي يعبر عنها الفرد بالكلام.
		ضمنية: التي يستدل عليها من خلال السلوك.

والذي اعتمدناه في هذا الكتاب بعد استقراء عامة القيم المركزية الكبرى والثابتة في النصوص القرآنية والنبوية، الواردة في كتب القيم الأصلية، وإخضاعها بالجملة لمجموع التقسيمات السابقة وترتيبها حسب المحتوى، والمقصد، والعمومية، والدوام...؛ لنخلص بعد ذلك إلى عدد من القيم الكبرى رأيناها الأكثر إلحاحًا والأبرز أهمية ضمن رؤية الكتاب وهدفه، وذلك لشمولها وإحاطتها بأبرز ركائز النمو الذاتي ومشتركات التواصل الإنساني، وإسهامها في إثراء وغرس وتنمية وتعزيز القيم في المجتمع، بشكل نظري وعملي، مثالي وواقعي؛ فكانت هي: (الرحمة، السلام، العلم، الحكمة، تهذيب النفس، المواطنة)، وأثبتنا لكل قيمة من هذه القيم الأصلية المركزية أبرز ما يتصل بها من القيم الفرعية التي تدور في فلكها، وتوصل إليها، وتشتك معها في الأهمية والعمومية والثبات.

* * *



الفصل الثاني: القيم الكبرى في الإسلام



منظومة القيم الإسلامية

شغلت القيم الإنسانية حيِّزًا كبيرًا في الشرائع الدينية، واجتمعت الأديانُ على ترسيخ أهميّة التحليّ بنبيل الأخلاق وشريف الشّمائل وجميل الخصال في نفوس المؤمنين بها، فكانت القيم بذلك من أقوى أعمدة الدين وأركانه الكبرى.

ويعدُّ القرآن الكريم - كونه خاتم الكتب السماوية - ينبوع قيم؛ ونجده متجسّدًا في خُلُق النبي ﷺ، الذي «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»⁽¹⁾، وهي إشارة واضحة إلى أنّ القرآن الكريم يضمُّ بين دفتيه نظامًا خُلُقيًا جامعًا ومتكاملاً، عمليًا واقعيًا، دلّت على أسسه وأصوله آياتٌ عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، قال ابن مسعود: هذه أجمعُ آيةٍ في القرآن للخير والشر⁽²⁾، وقال بعض المفسرين: "ما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ممّا يجب أن يُترك أو يُؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية"⁽³⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 24601، 148/41.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 3358، 388/2، وصححه، ووافقه الذهبي.

(3) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 95/3.



- القرآن الكريم ينبوع القيم ودستور الأخلاق:

إنّ متأمل القرآن الكريم ليجده منبع القيم، ودستور الأخلاق والفضائل، ونبراس كلّ من أراد أن يسمو بنفسه ويرقيها بالخصال الرفيعة؛ وذلك لأنّه حتّى على التحلي بالأخلاق الفاضلة انطلاقاً من أمرين:

- أولهما: بيان المثال المقتدى به الواجب اتّباعه.

- ثانيهما: الثناء على بعض الصّفات الحميدة، والأفعال السديدة التي تمثّل الخلق الحكيم الواجب تمثّله.

ومن الآيات التي تبين القدوة القيّمية الخُلقيّة قولُ الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وقوله سبحانه في موضع آخر واصفاً محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

ولكي تكتمل صورة القيم والأخلاق بيّن القرآن الكريم الإجمالَ الوارد في هذه الآيات، فكانَ سائلاً يسأل: وما هذه القيم والأخلاق التي اتّصف بها الرّسول الكريم ﷺ؟ فأجاب الله عن ذلك في جملة من الآيات، كأمره تعالى بالعدل والإحسان في الآية المتقدّمة، وكأمره بالصدق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وكأمره بالعدل في الشهادة ولو في حق النفس والوالدين والأقربين في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135].



- القيم والأخلاق في الهدي النبوي:

ثم جاءت النصوص النبوية مؤكدة فضل القيم، حاصرة غاية الرسالة في إتمام مكارم الأخلاق؛ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»⁽¹⁾، وبين ﷺ أن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ**»⁽²⁾، وقال ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»⁽³⁾، وجعل ﷺ حسن الخلق معياراً للخيرية وكمال الإيمان؛ كما في قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»⁽⁴⁾، وقوله ﷺ: «**إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلَطْفَهُمْ بِأَهْلِهِ**»⁽⁵⁾.

وعادة النبي ﷺ أنه لا يكتفي بالتنظير للمسائل، بل يتمثلها في سلوكه، فقد كان ﷺ حسن الأخلاق مع أهله، وصحبه، وعشيرته، وخدمه، ومع الناس أجمعين، يقول أنس: «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ**»⁽⁶⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8952، 512/14، البخاري، الأدب المفرد، رقم الحديث: 273، ص 104، والحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 4221، 670/2، وصححه، ووافقه الذهبي.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2003، 363/4.

(3) أبوداود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4798، 176/7.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3366، 1305/3.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2612، 9/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 24204، 242/40.

(6) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5691، 2245/5.



ومن القصص الدالة على عظمة أخلاقه ﷺ حديث أنس بن مالك أنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فادركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة؛ حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمره بعتاء»⁽¹⁾.

فإذا كان نبي الإسلام ﷺ كامل الأخلاق؛ فإن جميع تعاليم دينه تقصد إلى تعزيز القيم وإتمام مكارم الأخلاق، وتنتهي عن كل ما يناقض ذلك، وإن كل اعوجاج سلوكي يورث الضغائن في النفوس، والحد في القلوب، ويوقظ الفتن، ويوقع في التطرف، ويهدم التسامح والسلام الذي دعا إليه الإسلام؛ فليس من الإسلام في شيء ولو أدخل عليه من ألف باب وباب، ولو نسب إليه بألف تأويل وتأويل، ولن يعدو أن يكون انحرافاً أخلاقياً وقيميّاً انعكس تطرفاً فكريّاً وسلوكيّاً، وفي ذلك يقول معالي الشّيخ عبد الله بن بيّه: "أكثر من انتقل إلى التّطرف يكون قادماً من أفق الانحراف الأخلاقي"⁽²⁾.

إنّه من الواجب أن تكون القيم والأخلاق ميزاناً نقيس به أعمالنا وأقوالنا، فكلّ ما وافقها فذلك الخير العميم الذي نعصُّ عليه بالتّواجد، وما خالفها فذلك الشرّ الذي يُدفع ويحذر ويصحّح.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 146/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

1057، 730/2.

(2) ابن بيّه، الموقع الرسمي، [الجزور المعرفية والفكرية للتطرف](#).



- القيم المركزية في القرآن الكريم:

لقد أسس القرآن الكريم جملةً من القيم المركزية ذات الطابع الإنساني، أرسى بها دعائم منظومة قيمية كبرى، تتسم بالثبات والدوام؛ من شأن الالتزام بها والعمل بمقتضياتها أن تسهم في حماية المجتمعات من الآفات النفسية والاجتماعية، وذلك لشمولها وإحاطتها بجميع العلاقات الإنسانية وميادينها، وهي: (الرحمة، السلام، العلم، الحكمة، تهذيب النفس، المواطنة)، وتحت كلٍ منها قيم فرعية، تدور في فلكها، وتنتسب إليها انتساب الفروع إلى أصولها، وترتبط بها ارتباط الجزئيات بكتلياتها، نعرضها مع فروعها في هذا الكتاب على النحو الآتي:

الرحمة	السلام	العلم	الحكمة	تهذيب النفس	المواطنة
الإحسان	الكرامة الإنسانية	الاجتهاد والتفكير والتفكير	التعقل والمنطق	الإيمان	الوطن
الرفق	الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش	الصدق	الصبر والشكر	العبادة	إرث زايد
العطاء	التواصل والتعارف والاحترام	الأمانة العلمية	الإيجابية والأمل	القدوة	الانتماء والولاء
الرفقة والعطف والتعاون والتضامن	العدل والاعتدال		الجمال	الحب	المسؤولية



- المنهجية المتبعة للتعريف بالقيم:

وللتعريف بهذه القيم التزمنا منهجية شاملة واضحة، متمثلة في مقدمة تمهيدية مقتضبة، يتلوها التعريف بالقيمة في اللغة؛ ببيان أهم المعاني المتصلة بها قيمةً، دون المعاني اللغوية الأخرى التي تنأى بالقارئ وتثقل الكتاب ولا تثرى سياقَه، ثم التعريف الاصطلاحي، والذي ينطلق غالباً من صلب الدلالة اللغوية للمصطلح؛ مع ذكر أهم التعريفات الاصطلاحية المنقولة عن أهل العلم السابقين والمعاصرين.

ثم يكون الوقوف على الأهمية التي تتفرد بها القيمة المدروسة على مستوى الفرد والمجتمع، والدين والدنيا والآخرة، وإن كان للقيمة أركان وأنواع وأقسام بينها، وكذلك المنافع والثمار المترتبة على تمثّل القيمة، ومضار العمل بما يناقضها، مع بيان طرق الاكتساب ومسارات التعزيز، مع التركيز على التنزيلات السلوكية لها؛ أو ما يطلق عليه "تجسيد القيم".

وقد حاولنا ضبط دلالة توازن القيمة ببيان ضوابطها ومضاداتها وما ليس منها وما لا يقدر فيها؛ للتمييز بين السلوكيات المعبرة عنها، والمنسجمة معها، واللازمة لها، والأخرى التي تمثّل نقيضاً أو تطرّفاً لها؛ مع تشابههما في بعض الوجوه.

وكان المنطلق في كل ذلك من قواعد راسخة، ورؤى تتسم بالنقاء والدقة، فاعتمدنا الخارطة القرآنية للقيمة مرجعاً، بإيراد أهم الآيات المشتملة على ذكر القيمة لفظاً أو معنى، مع بيان الشاهد أو شرح موجز له إن لزم، ثم الخارطة النبوية - صور القيمة في الهدي النبوي -، بذكر الأحاديث ومرويات السيرة النبوية لتكون نماذج عملية يمكن الاقتداء بها للتحلي بالقيمة في السلوك.



كما أعطينا الخارطة الفلسفية مساحتها، وأثبتنا أهم ما وقع تحت أيدينا من أقوال الفلاسفة والحكماء الداعمة للقيمة، ومثلها الأقوال الماثورة والأشعار المختارة لفحول الشعراء، والمواقف المناسبة من تاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا والإسلامية خصوصًا، وصولًا إلى البعد الوطني والعالمي المعاصر، الذي يمثل صورةً واقعيةً معاصرة، ويبين المظاهر العملية للقيمة في إرث زايد والسنع الإماراتي والمبادرات والإنجازات الوطنية.

ثم ختمنا البحث بذكر أهم ما مرَّ فيه إبرازًا لأهميته وتوكيدًا عليه، فإن كانت القيمة مركزية وأصلية أتبعناها بأهم خمس قيم فرعية متعلقة بها، والتزمنا في التعريف بها ما التزمناه في القيم المركزية الكبرى.

آملين أن يكون ذلك وافيًا في التعريف والبيان، مشتملاً على ما يضمن تحويل هذه القيم إلى قناعات شخصية راسخة، وإيمانٍ ذاتي يكون موجهاً عملياً للفرد والمجتمع؛ بحيث يبني عليه قراراته واختياراته ومواقفه بما ييسر التواصل الإنساني، ويعزز التعايش السلمي، ويسهم في استدامة العمران والإنسان وازدهار الأوطان.

* * *



القيم المركزية الكبرى في الإسلام

القيمة المركزية الأولى: (الرحمة)

- الرحمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الذي أودع البسملة ذكرَ رحمته مؤكِّداً، وافتتح بها القرآن على الإجمال، وافتتح بها سُورَه على التفصيل، ويُفتَح بها كلُّ أمرٍ ذي بال، وهي عند ابتداء كلِّ عمل مستحبة⁽¹⁾، تذكيراً بها وتوكيداً لها ووصية بالتزامها في كل حال، ولذلك جاءت في هذا الكتاب أول القيم المركزية؛ لافتقار كلِّ قيمة إلى وجهٍ من وجوه الرحمة ومعنى من معانيها، ومن هنا كان الفلاسفة يُعلون شأنها، فكان "جالينوس" يقدم في الأخلاق ثلاث قوى: الرحمة، والحياء، والسخاء⁽²⁾.

إن الرحمة كلمة صغيرة، ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في اسمها والشمس في حقيقتها، ولو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم، وإذا وُجد في الإنسان القلب الرحيم؛ وَجَد المجتمع ضالته من السعادة والهناء⁽³⁾.

والرحمة من أفعال القلوب ابتداءً، ومن معالي الأخلاق وكمالات السلوك انتهاءً، فإذا كانت الرحمة من الناس فهي فعل وانفعال، وخُلُقٌ ينبعث من شعور

(1) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 230/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 15/4.

(3) ينظر: مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، 100/1.



الإنسان بما يقاسيه غيره من هموم وآلام وأحزان، فيحمله ذلك على الوقوف إلى جانبه، وإسداء المعروف إليه، فتدل ثمرتها على سلامة الصدر وصفاء القلب ونقاء السريرة، ويتجلى أثرها بين الناس في الشفقة والمحبة والعطف، والرأفة والرقّة واللطف، والمبادرة إلى قضاء الحوائج، والمسارة إلى إنماء كل خير وبرّ لهم، كما تظهر آثارها في علاقات اجتماعية متماسكة، ومجتمعات إنسانية متلاحمة، وعالم تسوده المحبة والتعاون والسلام.

وإذا كانت الرحمة من الله سبحانه وتعالى فهي فعل لا انفعال، وتعني مطلق الإحسان إلى المرحومين، والتسامح واللطف والعفو من ذي الرحمة، الرحمن الرحيم، أرحم الراحمين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما سبحانه.

تعريف الرحمة:

أولاً- في اللغة:

تأتي الرحمة في اللغة لمعانٍ عدة، أهمها:

- أ- الرأفة والعطف والرقّة: "الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه؛ إذا رَقَّ له وتعطف عليه"⁽¹⁾، "وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً"⁽²⁾.
- ب- الإحسان والتفضّل: فالرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، ومنه: "رحم الله فلاناً"، أي: أحسن إليه، وتفضل عليه، وعلى هذا روي أن

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/498 (رحم). بتصرف يسير.

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 5/1929، (رحم).



الرحمة من الله إنعام وإفْضال⁽¹⁾، وقد سَمى الله تعالى المطر رحمة فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]؛ لأنه إفضال من الله وإنعام⁽²⁾.

ت- القرابة: "فالرحم: علاقة القرابة، ثمَّ سَمَّيت رحم الأنثى رحمًا من هذا؛ لأنَّ منها يكون ما يرحم ويرقَّ له من ولدٍ"⁽³⁾، "ومنه استعير الرِّحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة"⁽⁴⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عرِّفت الرحمة بتعاريف عدَّة؛ من أهمها:

- أنها: "خلق مركَّب من الودِّ والجزع، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُجم، وهذه الحال مستحسنة ما لم تخرج بصاحبها عن العدل، ولم تنته به إلى الجور"⁽⁵⁾.

- وقيل: "الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقة المجردة، وتارةً في الإحسان المجرد عن الرِّقة، نحو: "رحم الله فلانًا". وإذا وصف به البارى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرِّقة، وعلى هذا روي أنَّ الرحمة من الله إنعامٌ وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف"⁽⁶⁾.

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).

(2) الرازي، التفسير الكبير، 93/4.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 498/2، (رحم).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).

(5) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص 24.

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).



- وقيل: "هي إرادة إيصال الخير"⁽¹⁾.

- وقيل: "هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"⁽²⁾.

ويظهر مما سبق: أن الرحمة خلق إنساني يجمع بين الودّ والجزع، نابع من محبة وإرادة خير للغير، محمولٌ على خوف أن يلحق به الضرر، تكسوه رقة ورأفة ولطف، متمثل أثره في الإحسان إليه والحرص عليه والحفظ له.

أهمية الرحمة:

الرحمة قيمة من القيم الإنسانية الرّاقية، وخلقٌ عظيمٌ من الأخلاق السّامية العالية، اتصف بها الخالق سبحانه، وأرسل بها رسله وأنبياءه، وأودع معانيها ومضامينها كتبه ورسالاته، وركّزها سبحانه في نفوس خلقه وفطرهم عليها، فكانت سمة من سمات الصّالحين المصلحين، وجعلها سبحانه مرتكزاً يغذي الروابط الإنسانية، ويعزز السلم المجتمعي.

وتجلى أهمية الرحمة في مظاهر عدة، من أهمها:

1) اشتقاق اسمي الله (الرحمن الرحيم) من مادة الرحمة،

واتصافه ﷻ بها:

ثَبَّتَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"، وهما اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أبنية المبالغة، ورحمن أبلغ من رحيم، والرّحمن خاصٌّ لله لا

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 110.

(2) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 471.



يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَلَا يُوصَفُ، وَالرَّحِيمُ يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُقَالُ: رَجُلٌ رَحِيمٌ، وَلَا يُقَالُ: رَجُلٌ رَحِمٌ⁽¹⁾.

"وصفات الإحسان والجود والبرّ والحنان والرّأفة واللّطف أخصُّ باسم الرّحمن، وكثره في الفاتحة إيداناً بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلّقه بمتعلّقاته.

والرّحمة سبب واصلٌ بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رُسُله، وأنزل إليهم كُتُبَه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم"⁽²⁾، فمن رحمته سبحانه إرساله الرسل ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وإنزال المطر ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الروم: 46]، وإرسال الرياح ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، وإنباته الزرع ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50]، وتسخير الكائنات ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: 73]، ورفع البلاء ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الأعراف: 72]، ورفع الحرج في التشريع ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 173]، وقبول التوبة والعفو عن الخطأ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]، ومن رحمته السعادة الزوجية وطيب النسل ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِن عِنْدِنَا﴾ [الأنبياء: 84].

فكفى الرّحمة شرفاً ورفعةً قدّر أنّها صفةٌ من صفات الله عزّ وجلّ، يتضمّنُها اسمان من أسمائه سبحانه، وأن رحمته سبحانه هي الرحمة العظمى،

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/210، (رحم).

(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 3/55.



التي ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، رحمة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3]، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]، الذي ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12]، فتجلَّت بإحسانه وحِفْظه وحلمه وعظيم مغفرته وعفوه، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

وضرب النبي ﷺ مثلاً لِسَعَةِ الرَّحْمَةِ الإلهية، فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً»⁽¹⁾، «فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾.
ورأى رسول الله ﷺ امرأة أخذت صبيًا وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟» قالوا: لا، والله، وهي تقدر على ألا تطرحه! فقال رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدها!»⁽³⁾.
قال أبو هريرة ؓ: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابيُّ وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا! فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا!». يريد رحمة الله⁽⁴⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6104، 2374/5.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5654، 2236/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2108/4، 2752.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5653، 2235/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2109/4، 2754.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5664، 2238/5.



هذه الرحمة العظمى لله تعالى؛ والإنسان يتخلق بأخلاق الله، ويتقرب إلى رحمة الله برحمته عباده، فيعامل الخلق بما يحب أن يعامله به الحق سبحانه.

(2) الرحمة صفة من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أرسل الرحمن الرحيم رسله بالرحمة إلى خلقه، فكانت رحمة بهم قلوبهم، يريدون الخير لهم، ويشفقون عليهم، ومن أمثلة ذلك:

- قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: 28].

- ومن رحمة إبراهيم الخليل عليه السلام بقومه قوله لربه: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 35-36].

- ومن رحمة شعيب قوله لموسى عليهما السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ جَبَدَكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَوْ أَنَّ الرِّجَالَ ظِلَ لَلنُّاسِ﴾ [قصص: 27].

- وقال موسى للخضر عليهما السلام مذكراً بالرحمة: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: 73].

- ومن رحمة عيسى عليه السلام بقومه استجداؤه المغفرة لهم من الله تعالى، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118].



- وخاتم الأنبياء محمد ﷺ هو نبي الرحمة، أرسله ربُّه رحمةً للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فهو «رحمةٌ مُهداة»⁽¹⁾، ومعلِّم الناس الرحمة، وسيأتي تفصيل ذلك قريباً عند الحديث عن الرحمة في الهدي النبوي.

(3) الكتب السماوية دساتير رحمة للإنسانية:

أرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب مفعمة بمضامين الرحمة، قال تعالى عن التوراة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: 154]، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: 154]، وقال ﷺ عن القرآن الكريم: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157].

وإن الدين الإسلامي جاء للرحمة بالبشرية؛ لما لهذه القيمة من أثرٍ في خلق مجتمعٍ آمنٍ ومنسجمٍ ومتماسكٍ، شعاره المحبة والتّوَاد والتّعاون والوئام. وقد رغبت النصوص القرآنية والنبويّة في خُلُق الرّحمة، وحدّرت ونفّرت من ضده؛ فالرحمة قيمة مركزية في القرآن الكريم، وردّ ذكرها في نحو ثلاثمئة وستة وعشرين موضعاً، معظمها لاسم الله الرّحمن والرّحيم، ولامتنانه سبحانه برحمته على عباده، وقد ورد في القرآن الكريم مدحُ خُلُق الرّحمة والدّعوة إليه، وفي القرآن سورة كاملة باسم "الرّحمن"، كما تضمنت تعاليم القرآن الكريم أبلغ معاني الرحمة، وأسعى معالم التراحم بين الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 100، 91/1، وصححه، ووافقه الذهبي.



يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿[العنكبوت: 51]، وجمع الفيروزآبادي معاني الرَّحمة التي وردت في القرآن الكريم، فوجدها عشرين وجهًا⁽¹⁾.

(4) الرحمة قيمة مركزية في الهدي النبوي:

إن الحديث عن الرَّحمة يحتم البحث في معناها وإبرازَ نماذج منها في حياة نبينا وسيدنا محمد ﷺ للاقتداء والتأسي بذلك؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقد جاءت النصوص في الهدي النبوي الشريف تؤكد أهمية الرَّحمة، وتجسدها عمليًا في مجالات شتى، فالنبي ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكان ﷺ رحمةً للصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمخالف والموافق، لمن آمن به، ومن لم يؤمن به، ومن رحمته ﷺ بمن لم يؤمن به حرصه على إيمانهم وسعادتهم؛ حتى قال له الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3]، ولما جاءه ملك الجبال ليطبّق عليهم الجبال بعد أن كذّبوه وعدّّبوه؛ لم يرضَ النبي ﷺ ذلك، وقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئًا»⁽²⁾.

(1) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 56/3 - 58.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3059، 1180/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

1795، 1420/3.



وروي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشجَّ وجهه يوم أُحُد شقَّ ذلك على أصحابه شقًّا شديدًا وقالوا: لو دعوت عليهم ⁽¹⁾! فقال: «إني لم أُبعث لعائنًا، وإنما بُعثتُ رحمةً» ⁽²⁾.

وضربه قومه فأدموه، فكان يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ⁽³⁾. "انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحُسن الخُلُق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم؛ إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: «اغفر» أو: «اهدٍ»، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: «لقومي»، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: «فإنهم لا يعلمون» ⁽⁴⁾.

ومن الأمثلة الدالة على عِظم رحمته ﷺ - كذلك - ما فعله مع قريش الذين آذوه واستهزؤوا به، وأخرجوه من دياره، هو وأصحابه، ثم قاتلوه، وحرَّضوا عليه غيرهم؛ حتى تمالَّأ عليه جمعُهم، فلم يزد لما أمكنه الله منهم على أن عفا وصفح، فقال: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» ⁽⁵⁾.

هذه رحمته بمن خالفه ولم يؤمن به، وقد تجلَّت رحمته ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه وتصرفاته وسائر أحواله، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس،

(1) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 221/1.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2599، 4/2006.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3290، 3/1282، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1792، 3/1417.

(4) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 221/1.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/412.



إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مُّهِدَاةٌ»⁽¹⁾، «وإنما بعثني رحمةً للعالمين»⁽²⁾، فجعل عليه الصلاة والسلام يعامل الناس بالرحمة، ويرسخ قيمتها فيهم، ويبثها في كافة أركان حياتهم؛ حتى وصفه الواصفون بقولهم: «كَانَ رَحِيمًا رَقِيقًا»⁽³⁾، وفي رواية: «كَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا»⁽⁴⁾.

وامتنَّ الله عليه بأن جبله على الرَّحمة، ومحبَّة الرِّفق، وبأن جنَّبه الغلظة والفظاظة؛ فقال تعالى مخاطبًا إياه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

مجالات الرَّحمة:

تتنوَّع مجالات الرحمة، وتتسع دوائرها، بدءًا من الفرد، مرورًا بالأسرة، فالمجتمع، فالوطن، انتهاء بجميع المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مِنَ فِي السَّمَاءِ»⁽⁵⁾.

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 100، 91/1، وصححه، ووافقه الذهبي.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4659، 53/7، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 110/39، 23706.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 674، 465/1.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 602، 226/1.

(5) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 298/7، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1924، 323/4.



وفيما يأتي بيان لأهم مجالات الرحمة:

أولاً- الرحمة الذاتية:

إن أعظم مجالات الرحمة وأولاها: رحمة الإنسان ذاته، قال بعض الحكماء: "أرحم نفسك قبل أن تسترحم غيرك؛ فإنها إذا رحمتها أكرمتك"⁽¹⁾.

وتتمثل الرحمة الذاتية في:

أ- الرفق بالذات، والاهتمام بالصحة، والعناية بالتغذية، وإعطاء النفس حقها من الراحة، وتجنُّبها الضغوط، والتوازن بين المتطلبات، ومقتضيات المسؤوليات والأعمال، وفي الحديث: قال سلمان لأبي الدرداء عليه السلام: "إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ!" فقال النبي صلى الله عليه وآله: «صَدَقَ سلمان»⁽²⁾. ولئن كانت الرحمة متمثلة في الشفقة على خلق الله؛ فإن نفس الإنسان هي أولى بالشفقة والرحمة عليها من غيرها، بل فائدة شفقتة على غيره راجعةٌ إليها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ لَهُمْ

أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]⁽³⁾.

ب- الحرص على مداواتها، وحمايتها، وسلامتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا نتداوى؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له

(1) التوحيدى، المقابسات، ص255.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1968، 38/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 608/4، 2413.

(3) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، 42/6.



شفاء»⁽¹⁾. وفي حديث آخر قال ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذَلَّ نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق»⁽²⁾.

ت- تزكية النفس بالتقوى والعمل الصالح، والعلم النافع، وتعزيز الثقة فيها، والحرص على نفعها، وتنميتها وتطوير مهاراتها وتهذيبها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، وقال ﷺ: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»⁽³⁾.

ثانيًا- الرحمة بالناس:

وتتمثل في الرحمة العائلية، والرحمة المجتمعية، والرحمة العالمية، والرحمة المستدامة، وهذا بيانها:

(1) الرحمة العائلية:

وهي الرحمة التي تكون بين أفراد العائلة الواحدة، من آباء وأمهات، وأزواج وزوجات، وأبناء وبنات، وإخوة وأخوات، وسائر الأقارب والأرحام، فمن الرحمة ما يكون:

أ- بالعيال: وتتمثل في العطف عليهم، واللطف معهم، واحتوائهم، ومراعاة أحوالهم، قال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا»⁽⁴⁾، وأثنى النبي ﷺ على رحمة أمِّ بَنانها، ففي الحديث أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها تسأل ومعهما

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3855، 5/6، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2038، 383/4.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2254، 523/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4016، 148/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23444، 435/38.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2031، 47/4.



صبيّان، فأعطتها عائشة ؓ ثلاث تمرات، فأعطت كلّ صبيّ تمرّة تمرّة، وأمّسكت لنفسها تمرّة، فأكل الصبيّان التمرتين، فعمدت إلى التمرة فشقّها نصفين؛ فأعطت كلّ صبيّ لها نصف تمرّة، فجاء النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «وما يُعجبُك منها؟! لقد رحّمها الله برحمتهما صبيّها»⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك ؓ قال: «ما رأيتُ أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم - ولده - مسترضعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظنّره قينًا - [وهو زوج مرضعته، كان حدّادًا] -، فيأخذه ﷺ فيقبّله، ثم يرجع»⁽²⁾.

وفي الحديث أن ابنه للنبي ﷺ أرسلت إليه: إن ابنًا لي قُبض فائتنا...، فقام النبي ﷺ، فزُفِع الصبيُّ في حجر النبي ﷺ ونفسه تقعقع، ففاضت عينا النبي ﷺ، فقال له سعد ؓ: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرُحماء»⁽³⁾.

وقبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إنّ لي عشرةً من الولد ما قبّلْتُ منهم أحدًا! فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمَ»⁽⁴⁾. قال العلماء: "هذا عامٌ يتناول

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 2485، 196/4.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2316، 1808/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5655، 117/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 635/2، 923.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5651، 2235/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 77/7، 2318.



رحمة الأطفال وغيرهم" ⁽¹⁾، و"فيه الحِص على استعمال الرحمة: لجميع الخلق، ويدخل في الرحمة: التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الجمل، وترك التعدي بالضرب" ⁽²⁾.

ب- وبالوالدين: ببرهما، والإحسان إليهما، وقضاء حوائجهما، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، أي: أمر وألزم وأوجب، وقيل: أوصى ⁽³⁾، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24].

ويلحق بذلك رحمة فطرة الوالديّة، وتقدير روابط الأبوة والأمومة التي جُبل عليها الوالدان؛ فيرحم الوالدان برحمة ولدهما، وبتقدير الرحمة المستودعة بينهما؛ بأن ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: 233]، وقال ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فاتجوّز في صلاتي؛ كراهية أن أشقّ على أمّه» ⁽⁴⁾.

ت- وبين الأزواج: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، فالحياة الزوجية قائمة على التراحم بين الزوجين؛ رعاية ومراعاة، وبذلاً واهتماماً، وتقديرًا وإعانة.

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 77/15.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 440/10.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 237/10.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 675، 250/1.



وفي الحديث: أتى النبي ﷺ على أزواجه وسواق يسوق بهنَّ يقال له: أنجشة، فقال: «ويحك يا أنجشة، رويدًا سوقك بالقوارير!»⁽¹⁾.

ث- وبين الأرحام: فالرَّحِم - علاقة القرابة - مشتقة من الرحمة كما تقدم، والأصل في الأقرباء أن يرحم بعضهم بعضًا، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ومعناه: اتقوا الله الذي تعاطفون به والأرحام، أو: واتقوا الله الذي إذا سألتهم بينكم قال السائل للمسؤول: أسألك بالله وبالرحم، أو أن المعنى: واتقوا الله في الأرحام فصلوها⁽²⁾.

(2) الرحمة المجتمعية:

وتمتد الرحم وتتسع لتغشي الرحمة كلَّ صلة بين الخلق، فالإنسانية رحم، والوطن رحم، والهيمُّ بالمصلحة العامة رحم بين أهله، والعلم بين أهله رحم، والإيمان كذلك رحم... هذه الرحمة التي فاضت بها المواقف النبوية غُرست في نفوس الصَّحْب رضي الله عنهم قولاً وفعلاً؛ حتى شهد لهم القرآن بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 2281/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1811/4، 2323.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 344/6 - 346.



وتتمثل الرحمة المجتمعية في التراحم بين أفراد المجتمع الواحد، والوطن الواحد، وتمثل بنود وثيقة المدينة المنورة⁽¹⁾ نموذجًا للتأسيس النظري والعملي لهذه الرحمة؛ فقد عاش أبناء وطن المدينة - على اختلاف معتقداتهم وأعرافهم - في تواجدٍ وتراحم؛ يتساندون، ويتساعدون، ويتواصلون، ويتعاملون كل أنواع المعاملات بينهم.

ومن مظاهر الرحمة المجتمعية:

أ- الرحمة بالكبار والصغار والمرضى: ورحمتهم تكون بمراعاة ضعفهم، وبخدمتهم، والتخفيف عنهم، فقد أوصى النبي ﷺ: «... فمن أَمَّ قَوْمًا فليُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمُ ذَا الْحَاجَةِ»⁽²⁾. وفي الحديث: «ليس منا من لم يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَيَرْحَمَ صَغِيرِنَا»⁽³⁾.

ب- الرحمة بالعمال: وذلك بالرفق بهم، والتخفيف عنهم، ورعاية كرامتهم، قال ﷺ في حقهم: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»⁽⁴⁾.

ت- الرحمة بين زملاء العمل: وتتجلى باحترام الزميل لزميله، وإنصافه، واللطف في معاملته، والتغاضي عن هفواته، والسعي في تطوير مهاراته، وتنمية

(1) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 31/3-39.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 468، 43/2.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 6935، 11/527.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5703، 5/2248، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

1661، 5/92.



قدراته، وإعانتته والتخفيف من أعبائه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»⁽¹⁾. وروي: «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أعظمهما أجراً أنفعهما لصاحبه»⁽²⁾، وفي لفظ: «أرفقهما بصاحبه»⁽³⁾.

ث- الرحمة بأصحاب الهمم⁽⁴⁾: وتتمثل باستنهاض هممهم، واستثمار جوانب تميزهم، وتسخير كافة الإمكانيات والوسائل لدمجهم، وإعانتهم على تجاوز ما يعيقهم، مع مراعاة خصوصيتهم ومشاعرهم، وجبر خواطرهم، ورفع المشقة والحرَج عنهم، والتيسير عليهم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ...» وذكر منها: «وَتُسْمَعُ الْأَصَمُّ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُدُلُّ الْمُسْتَدَلُّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعِيكَ مَعَ الضَّعِيفِ؛ فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»⁽⁵⁾.

ج- الرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ﴾ [الضحى: 9-10]، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»⁽⁶⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2442، 128/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 18/8، 2580.

(2) ابن نصر، فوائد ابن نصر عن مشايخه، رقم الحديث: 86، ص 91.

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، 175/2.

(4) في عام 2016 قدم صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي (رعاه الله) مصطلح "أصحاب الهمم" لوصف الأشخاص الذين كانوا يطلق عليهم رسمياً صفة "ذوي الاحتياجات الخاصة".

(5) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 258، 260/1.

(6) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3678، 641/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 9666، 416/15، والحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 211، 131/1، وصححه، ووافقه الذهبي.



(3) الرحمة العالمية:

الرَّحمة قيمة عالمية تشمل جميع الناس، على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، ومختلف أعراقهم وأديانهم، لا تخص أحدًا دون أحد، قال ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ»**، قالوا: يا رسول الله، كُلُّنا يَرْحَمُ! قال: **«لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ، يُرْحَمُ النَّاسُ كَافَّةً»**⁽¹⁾.

هذا، ويُشهد لدولة الإمارات العربية دورها الريادي وسبقها الدائم في تعزيز التراحم وتفعيله عبر المؤسسات الحكومية والجمعيات الخيرية والخدمات الإنسانية والمبادرات الاجتماعية، وتقديم العون بكافة أشكاله للأجئين ومتضرري المجاعات والحروب الأهلية حول العالم؛ يشهد لذلك "الفارس الشهم" الإماراتي، الذي يصل الرحم، ويرحم الضعيف، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، ويحرص على تقديم مساعدات سخية إلى الحكومات والشعوب النامية والمحتاجة، وإغاثة المتضررين من الكوارث، ونجدة الملهوفين والضحايا في مناطق الصراعات والأزمات⁽²⁾.

(4) الرحمة المستدامة:

وهي تلك الرحمة التي تمتد لتشمل الأجيال القادمة، وتتجلى في الحفاظ على حقهم في الموارد البيئية، والمقدَّرات الطبيعية، من خلال الممارسات البيئية

(1) أبو يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي، رقم الحديث: 4258، 191/6، والهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 187/8.

(2) ينظر: مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، ["الفارس الشهم" .. الإمارات "سند" الأشقاء والأصدقاء](#).



المستدامة، كما تظهر هذه الرحمة في ترك إرثٍ علميٍّ وفكريٍّ وقيميٍّ وابداعيٍّ لهم، يمكنهم من الارتقاء، والتغلب على التحديات بكفاءة.

وقريب من هذا المعنى في رحمة الذرية وحفظ مستقبلهم قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]، يقول: أليس يكره أحدكم إذا مات وله أولاد صغار أن يتركهم بغير مال، فيكونوا عيالاً على الناس؟! فلا ينبغي أن يقال لمن حضره الموت: تصدق من مالك، وأعط منه في سبيل الله، وأوص... بما يضرُّ بورثته، فأمر الله سبحانه الذي يسمع الموصي أن يتقي الله ويوفِّقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيعة⁽¹⁾.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: الثلث؟ قال: «فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء؛ خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 447/6.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2591، 1006/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1250/3، 1628.



ثالثاً- الرحمة بالحيوان:

وتتمثل رحمته بالإحسان إليه؛ سواء أكان مما يُنَفَّع به بأكل أو استخدام، أم لم يكن كذلك، وإلا فالكفُّ عن إيذائه وظلمه.

(1) أولاً - رحمته إن كان مما يستخدَم أو يؤكَل:

وتكون بسقيه، وإطعامه، وعدم إجهاده، وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ ببيعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه الهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»⁽¹⁾.

وعن النبي ﷺ قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله إنما سخرها لكم لتبليغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس، وجعل لكم الأرض؛ فعليها فاقضوا حاجاتكم»⁽²⁾.

(2) ثانيًا - المبادرة إلى رحمته وإن لم يُستفَد منه:

قال النبي ﷺ: «بيننا رجلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي! فملاً خفَّه ثم أمسَّكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في الهائم أجراً؟ قال: «في كل كبدٍ رطبة أجر»⁽³⁾. "في هذا الحديث دليل على أن الإساءة إلى الهائم

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2548، 200/4.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2567، 214/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2234، 833/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1761/4، 2244.



والحيوان مما لا يجوز ولا يحل، وأن فاعلها يأثم فيها؛ لأن النص إذا ورد بأن في الإحسان إليهن أجرًا وحسنات، قام الدليل بأن في الإساءة إليهن وزرًا وذنبًا، والله يعصم من يشاء، وهذا ما لا شك فيه ولا مدفع له، وهو أمر لا تنازع بين العلماء فيه⁽¹⁾.

(3) ثالثًا - الكفُّ عن إيذاء الحيوان أو ظلمه:

قال رسول الله ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»⁽²⁾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيهما، فجاءت الحُمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدِهَا؟ رُدُّوا وَلِدَهَا إِلَيْهَا!» ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟» قلنا: نحن، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»⁽³⁾.

ورأى أنس بن مالك فتیانًا نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصَبَّرَ الْهَائِمُ»⁽⁴⁾. "قال العلماء: صبر الهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهذا النهي للتحريم؛ لأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع

(1) ابن عبد البر، التمهيد، 535/13.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3140، 1205/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 35/8، 2619.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2675، 309/4.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5194، 2100/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1549/3، 1956.



لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكِّي ولمنفعته إن لم يكن مذكي" ⁽¹⁾.
وقد: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين الهائم» ⁽²⁾. ما لم يكن ذلك لغرض تعليمها وتدريبها.

ثمرات الرحمة:

الرحمة خير كُلِّها، ما إن تستقر في قلب الإنسان حتى يعمَّ صاحبها فضلها وخيرها في دنياه وآخرته، ويصير مصدراً لرحمة مَن حوله، ومن ثمراتها:

(1) رحمة الله تعالى:

قال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ» ⁽³⁾، وبذلك جعل رحمة الخلق سبيلاً إلى رحمة الخالق، وإلا فالعكس بالعكس، ففي الحديث: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» ⁽⁴⁾، «وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادَهُ إِلَّا الرُّحَمَاءُ» ⁽⁵⁾.

قال الشاعر:

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 108/13.
(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2562، 209/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 210/4، 1708.
(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 298/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924.
(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5651، 2235/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 77/7، 2318.
(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5655، 117/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 635/2، 923.



وَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللَّهِ وَارْزُقْهُمْ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَانُ مَنْ رَحِمَا

(2) محبة الناس:

فرحمة الناس والشفقة عليهم والحرص على مصلحتهم تستخرج محبتهم وتستبقي مودّتهم، ويكون الخير منهم صدق لمحبة الخير لهم. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، فكان لينه ﷺ للناس ورحمته ورفقه بهم وحسن خلقه معهم جامعاً لقلوبهم مستبقياً محبّتهم ومودّتهم، ولو كان جافياً قاسي القلب لتفرقوا عنه حتى لا يبقى حوله أحد منهم⁽¹⁾.

(3) كمال السعادة:

فَطَر الله تعالى الإنسان على الرحمة، فهي مركوزة في نفسه، وجزء لا يتجزأ من جوهره وطبيعته، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ؛ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً... فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحُمُونَ»⁽²⁾. وقوله ﷺ: «لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»⁽³⁾، أي: لَا تُسَلِّبُ الشَّفَقَةَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ⁽⁴⁾، فحقيقة الرحمة إرادة المنفعة، وإذا ذهبَت إرادتها من قلبٍ شقي بإرادة المكروه لغيره

(1) ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 306/1.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2752، 96/8.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4942، 286/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2036، 50/4.

(4) المباركفوري، تحفة الأحوذى، 42/6.



ذهب عنه الإيمان والإسلام⁽¹⁾. والرحمة تجعل الإنسان ميالاً للخير والتعاون مع الآخرين، والتعاطف معهم، والشفقة عليهم، فإذا استجاب لنداء الرحمة في نفسه غمرته السعادة وكساه الشعور بالرضا الذاتي.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، ومعيته بالرحمة والفضل، وقوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن كمال السَّعادة للإنسان في هذين الأمرين، أي: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله⁽²⁾.

(4) النجاة والمغفرة يوم القيامة:

ودليله الحديث المتقدم عن الذي سقى كلباً «فشكر الله له فغفر له»⁽³⁾. أي: أحبه منه، ورضي فعله، ثم جازاه عليه⁽⁴⁾، وشكر الله يحتمل ثوابه على فعله وجزاؤه عليه، ويحتمل ثناؤه عليه لذلك. وقيل: قبل عمله ذلك، وما تقدم أظهر⁽⁵⁾.

(1) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 422/6.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 290/20.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2234، 833/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1761/4، 2244.

(4) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 343/6.

(5) السابق، 180/7.



سبل تنمية الرحمة وتعزيزها:

ولتعزيز الرحمة وتنميتها في الإنسان طرق متعددة، من أهمها:

(1) الاهتداء بهدي القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب الرحمة، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157]، ﴿وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 77]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ [لقمان: 2-3]، دعت آياته إلى التحلي بالرحمة، وبيّنت أنها الأساس في تعامل الخالق مع خلقه، وفي علاقة الخلق بعضهم ببعض، وقد أورد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم سير الرحماء من الأنبياء والأتقياء، وذكر نماذج من رحمتهم في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم؛ مع أقوامهم وأهلهم وأقربائهم وأرحامهم؛ لنقتدي بهم ونتخلق بأخلاقهم، كما رتب على التراحم ثواباً عظيماً جزاء كبيراً.

ومن هنا كانت تلاوة القرآن الكريم وتدبره، والتأمل في قصصه وعبره، والنظر في ثوابه وجزائه؛ والاهتداء بهديه طريقاً لنيل الرحمة وتحصيلها؛ محفزاً للمؤمن ليكون رحيماً في تعاملاته وجميع تصرفاته، ففي الحديث: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»⁽¹⁾.

(1) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 2074/4.



(2) الاقتداء بهدي النبي الكريم ﷺ:

أرسل الله تعالى النبي ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكانت سيرته مليئة بالأحاديث الحاضرة على التراحم بين الناس، ومفعمة بمواقف الرحمة النبوية في مختلف الأحوال والمواقف والظروف، ومطالعة سيرته ﷺ تدفع المؤمن إلى تمثُل خلق الرحمة مع القريب والبعيد، والقاصي والداني، وجميع الأطياف.

ومن نماذج الرحمة النبوية التي ذكرها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]. وفي الهدي النبوي جملة من الأحاديث تحضُّ على الرَّحمة والتَّخَلُّق بها، من ذلك قوله ﷺ: «وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادَهُ الرَّحْمَاءُ»⁽¹⁾، وقوله ﷺ: «لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»⁽²⁾، ومثُل عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للرحمة بين المؤمنين بحال الجسد الواحد؛ فقال: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ مِثْلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَيِّ»⁽³⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1284، 431/1. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 39/3، 923.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4942، 298/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1923، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8001، 378/13.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 1999/4.



(3) تدريب النفس على الرَّحمة والرفق:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»⁽¹⁾، وفي الحديث ترغيب بالرفق وتحبيب به، وقال ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»⁽²⁾، وفيه أمرٌ بالرحمة والتراحم، وسبيل تحصيل ذلك تدريب النفس على تمثُّل الرحمة، واستحضار معانيها وصورها، فكما أن العلم بالتعلُّم، والحلم بالتحلُّم، «وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً...، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»⁽³⁾، فكل هذه النماذج إنما تدربَّت على تمثُّل قيمةٍ ما والتزام خلقٍ ما حتى اكتسبته، وكذلك الرحمة؛ إنما تكتسب وتنمى - حال إرادتها أو افتقادها وضعفها - بالتدريب والتنقية والترقية الذاتية.

(4) القيام بأعمال البر والإحسان:

فحين شكَا رجل إلى النبي ﷺ قسوة قلبه؛ دلَّه النبي ﷺ على ما يرقق قلبه، ويملؤه رحمة وشفقة، قائلاً له: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِم الْمَسْكِينِ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»⁽⁴⁾. ويلحق بذلك شتى أعمال الخير من زيارة للمريض، وكفالة لليтим، ومواساة للمحروم، وإغاثة للفقير، ومساعدة

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5678، 2242/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1706/4، 2165.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 298/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5743، 2261/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2012/4، 2606.

(4) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 9018، 558/14، وينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 160/8.



للمحتاج...، وغيرها من أعمال البر والإحسان؛ فإن مخالطة الضعفاء والمحتاجين والإسهام في تخفيف معاناتهم؛ يعزز مشاعر الرحمة في قلب الإنسان، ويغمره بالركة واللين والعطف.

5) صحبة الرُحماء:

فالسَّابح يُعَدِّي، و«المرء على دين خليله»⁽¹⁾، و«مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك - أي: يعطيك ويتحفك -، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»⁽²⁾، ومن طيب صُحبة الرُحماء أن تنتقل رحمتهم إلى قلوب أصحابهم وطبائعهم، فالطَّبع لصُّ يسرق الخير والشر كما قيل⁽³⁾، وصحبة الرحماء تقتضي الاقتداء بهم، والاهتداء بوصاياهم، كما قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

6) التواصي بالرحمة:

وتلك من أخص صفات المؤمنين العاملين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ [البلد: 17]، فإن الأمر الإلهي

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 204/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2378، 589/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8028، 398/13، واللفظ له.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5214، 2104/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم 2628، 2026/4.

(3) المقدسي، ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص 153.



للمؤمن لم يقتصر على فعل الرحمة، بل تعداه إلى الحث عليه، ونشره بين الناس وإشاعته، فالمؤمن يحض من حوله على رحمة الخلق، والرفق بهم، والشفقة عليهم، والسعي في حوائجهم، فتتعرز الرحمة في قلوب الأفراد، ويشيع أثرها في المجتمعات، ويعم خيرها العالمين، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾، "يعني: رحمة الناس كلهم"⁽¹⁾. وقيل: "وتواصوا بالبر فيما بينهم، والرحمة لليتيم، والمسكين، والضعيف"⁽²⁾.

7) الدعاء:

فالرحمة رزق، يجعله الله بين الناس، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: 63]، وبين الأزواج، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، وبين المخلوقات، «فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها»⁽³⁾، والله تعالى هو الرحيم الذي يمنُّ على عباده بالرحمة وينعم بها، فإذا امتن برحمته فلا رادَّ لها، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 2]. وقد ذكر الله تعالى دعاء الراسخين في العلم: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، ودعاء الفتية أهل الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: 10]، وكان النبي ﷺ يدعو بين السجدين فيقول: «اللهم اغفر لي وارحمي، واجبرني، واهدني، وارزقني»⁽⁴⁾.

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3435/10.

(2) الواحدي، التفسير الوسيط، 493/4.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2752، 2108/4.

(4) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 850، 138/2، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 284،

76/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 2895، 72/5.



ما لا يعارض الرحمة:

الرحمة قوة داخلية، ورحابة نفسية، تتكامل مع قيم العدل والحزم، فلا تعني - بحال من الأحوال - التهاون أو الضعف، فصاحب القلب الرحيم يجمع في معاملاته بين الحزم واللطف، والجد والعطف، حسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة.

ومن هنا لا تتعارض رحمة المربي والمعلِّم... مع حزمه وضبطه، وعقابه من استحق العقاب رحمةً به وبغيره، وكما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ
فليقسُ أحياناً على من
حازمٌ _____
ي _____⁽¹⁾ رحم

فيكون لينه مع من يربهم ليناً لا تفريط معه لشيء من مصالحهم، ولا مجارة لهم في التساهل فيما لا ينبغي التساهل فيه، ويكون عقابه تهذيباً لا تعذيباً، لا يخرج عن مشكاة الرحمة والرفق، ولا يخالف ضوابط العقوبة التربوية الصحيحة.

كذلك الطبيب؛ قد يُلزم المريض بالدواء - كرهاً - رحمةً به، والقاضي قد يُنزل العقوبة القاسية في ظاهرها رحمةً بالمخطئ وردعاً له ولغيره عن سيئ الأفعال، وقد يتَّخذ المدير أو المسؤول قراراً ظاهره الشدَّة وفي باطنه الرحمة لمن وقع تحت إدارته ومسؤوليته... وهكذا.

كما لا تتعارض رحمة الله مع ما يقع من كوارث طبيعية وزلازل ووفيات وأحداث في حركة الكون والطبيعة، فذلك لا يخرج من طبيعة الكون وحكمة الله وإرادته ورحمته التي وسعت كل شيء، وهي لا تخلو من رحمة الله ولطفه، كما أنها تفتح الباب للتراحم الإنساني والتضامن الاجتماعي.

(1) النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 7/ 291.



خاتمة:

وهكذا؛ فإن الرحمة صفة حسنى من صفات الرحيم ﷺ، وخلق أسى من أخلاق النبي الكريم ﷺ، وقيمة ثابتة في رسالات السماء، وسمة عليا من سمات الصالحين والأنقياء، يتمثلونها مع كافة المخلوقات، في جميع الأزمان، وسائر الأحوال، يستمطرون بها رحمة الرحيم الرحمن، وينالون محبة الناس، وتتحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60].

هذا وإنّ الرّحمة باعتبارها إحدى القيم المركزية الكبرى التي يقوم عليها الدّين؛ تندرج تحتها مجموعة قيم أو مفاهيم تتفرّع عنها، نتناول منها في هذا الكتاب:

- الإحسان.
- الرفق.
- العطاء.
- الرأفة والعطف.
- التعاون والتضامن.

* * *



- الإحسان

الإحسان من متعلقات الرحمة، وقد تقدّم في تعريف قيمة الرحمة أنها رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم⁽¹⁾، فهي انفعال تتمثل بالرفقة والعطف والجزع، يتلوه فعل تتمثل في الإحسان والرفق والعطاء... وكل ذلك هو من القيم الفرعية التي تندرج تحت الرحمة وتتفرع عنها.

وفي الإحسان بذلٌ وعطاءٌ وإنفاقٌ، وقيامٌ بالواجب، فالمحسن يقدّم الخير والنفع لنفسه وللآخرين، ولا يواجهه الإساءة بمثلها، بل يعفو ويصفح، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

والإحسان من صفات الله تعالى الفعلية، ومن صفات رسله وسمات رسالاته، فهو روح الإيمان والإسلام، وشاملٌ جميع الأقوال والأفعال، ويعدّ من صفات الصالحين المصلحين، والعابدين المقربين، ومن يُحبهم الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

تعريف الإحسان:

أولاً- في اللغة:

يعودُ معنى الإحسان في اللغة إلى الجذر "حسن"، ومن أهم معانيه:

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).



1. الوصف الجميل المستحسن: الحاء والسَّين والنُّون أصلٌ واحدٌ، فالْحُسْنُ ضدُّ القُبْحِ⁽¹⁾. وهو نَعْتُ لِمَا حَسُنَ⁽²⁾.
2. الفعل الجميل: فالإِحْسَانُ: ضدُّ الإِسَاءَةِ⁽³⁾، والإِحْسَانُ: الإنعام على الغير، ومنه يقال: أَحْسَنَ إلى فلان⁽⁴⁾، وله، وبه: فَعَلَ مَا هُوَ حَسَنٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]⁽⁵⁾.
3. الإِجَادَةُ والإِتْقَانُ: يقال: أَحْسَنَ الفعل؛ إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملاً حسنًا⁽⁶⁾. وأَحْسَنَ الشَّيْءُ: أَجَادَ صُنْعَهُ وأَتَقَنَهُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: 3]⁽⁷⁾.
4. الإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ: هذا المعنى يستند إلى حديث جبريل الشهير عندما سأل النبي محمدًا ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وحقيقته: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽⁸⁾، وقد "أَرَادَ بِالْإِحْسَانِ الْإِخْلَاصَ؛

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 57/2، (حسن).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 114/13، 117، (حسن).

(3) السابق.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

(5) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 174/1، (حسن).

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

(7) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 174/1، (حسن).

(8) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8،



وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية إخلاص لم يكن محسنًا، ولا كان إيمانه صحيحًا"⁽¹⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

للإحسان في الاصطلاح معانٍ متعددة، وذلك بحسب السياق الذي يرد فيه:

- فإذا وردَ الإحسانُ مطلقًا؛ فهو بمعناه اللغوي الذي هو فعلٌ ما هو حسنٌ، والحسنُ في اللغة: عبارة عن كلِّ مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسن، والحسنَ يقال في الأعيان والأحداث، والحسنُ لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، وأكثر ما يقال "الحسن" في المستحسن بالبصر؛ يقال: رجل حسنٌ، وامرأة حسنة، وأكثر ما جاء في القرآن من "الحسن" فللمُستحسن من جهة البصيرة⁽²⁾.

- أمّا إذا اقترن الإحسان بالفعل؛ فيفيدُ حسن النفس أو الغير، قال الكفوي: "الإحسان: هو فعلٌ ما ينفعُ غيره؛ بحيثُ يصيرُ الغيرُ حسنًا به، كإطعام الجائع، أو يصيرُ الفاعلُ به حسنًا بنفسه، يُقال: أحسن الرجل؛ إذا صار حسنًا أو دخل في شيء حسن"⁽³⁾.

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 387/1، (حسن).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 235، (حسن).

(3) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 60.



- وإذا اقترنَ الإحسان بالعدل؛ أفاد درجةً فوق العدل، ومنه قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، فالإحسان فوق العدل، وذاك
أنَّ العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما
عليه، ويأخذ أقلَّ ممَّا له، فالإحسان زائدٌ على العدل، فتحريُّ العدل واجبٌ،
وتحريُّ الإحسان ندبٌ وتطوُّعٌ، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 178]، ولذلك عظمَ الله تعالى ثوابَ المحسنين، فقال تعالى:
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]⁽¹⁾.

- وإذا اقترنَ الإحسان بالإيمان والإسلام؛ كان المراد به الإخلاص والمراقبةُ
وحُسْنُ الطَّاعَةِ⁽²⁾، وقد فسَّره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريلُ: ما الإحسان؟
فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽³⁾.

الإحسان: فعل ما يحسن، حسًّا أو عقلاً أو شرعاً، فيزيد في حُسن النفس
أو الغير، ومن معانيه: الإلتقان وإنجاز المهام على أكمل وجه.

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 236 - 237، (حسن).

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 117/13، (حسن).

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 36/1.



أهمية الإحسان:

الإحسانُ جامع لجميع أبواب الخير، وتبرز أهميته في أمور، أهمها:

(1) أنه من الصفات الفعلية لله تعالى:

الإحسان صفةٌ اتصفَ الله تعالى بها؛ فهو صاحب الفضل والمنّة على كلّ ما خلق في الكون، وهو الذي يعطي ابتداءً، ويعفو عمّن أساء، ويغفر لمن أذنب، رحمةً منه وفضلاً، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

وإحسان الله تعالى إلى عباده فرع عن رحمته، وقد أمر الله عباده بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، وكتبَ الله تعالى الإحسان على كل شيء، وفي الحديث: «إن الله كتبَ الإحسانَ على كل شيء»⁽¹⁾.

(2) أنه من صفات الأنبياء عليهم السلام:

ففي قصة يوسف عليه السلام، وفي لحظة ابتلائه عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]. وفي آخر قصته قال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ [يوسف: 100]، وكأنه كان عليه السلام يديم استحضار إحسان ربه وفضله، فكان يحفظ هذا الإحسان بالإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]،

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1955، 1548/3.



فكان رده عليه السلام إحساناً شهد له القرآن مرات في سورة يوسف، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]، ولما سأله أصحابه في السجن تعبير الرؤيا قالوا: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، ثم لما صار على الخزان قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56]، ولما آوى إليه أخاه ناشده إخوته: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78]، ثم لما عرفوه ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

وشهد الله لنوح عليه السلام بالإحسان، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿[الصافات: 75-80]، والمعنى: أننا إنما خصصنا نوحاً عليه السلام بتلك التشريفات الرفيعة؛ من جعل الدنيا مملوءة من ذريته، ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين، لأجل أنه كان محسناً⁽¹⁾.

وشهد الله - كذلك - لموسى عليه السلام بالإحسان فقال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: 154]، "والمعنى: آتيناه

(1) الرازي، التفسير الكبير، 340/26.



الكتاب لِأَتَمِّ له كرامتي في الآخرة، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته" (1).

وشهد الله تعالى لأنبيائه عامةً بالإحسان فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 83-86]. قال بعض المحققين: المراد من هذه الهداية -التي في قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ - الثواب العظيم، وهي الهداية إلى طريق الجنة، وذلك لأنه تعالى لما ذكر هذه الهداية قال بعدها: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وذلك يدل على أن تلك الهداية كانت جزاء المحسنين على إحسانهم، وجزاء المحسن على إحسانه لا يكون إلا الثواب (2).

(3) أمر الله بالإحسان في مختلف الكتب السماوية:

أمر الله تعالى بالإحسان في مختلف الكتب السماوية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، ثم قال للمسلمين: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 676/9.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 53/13.



بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[النحل: 90].

مجالات الإحسان:

يأتي الإحسان على درجاتٍ وأنواعٍ متعدّدة، تنضوي كلها تحت المفهوم
السّابق، وتتسع مجالاته لتبدأ من إحسان الإنسان إلى نفسه، ثم يتسع إحسانه
ليشمل جميع الناس، ثم جميع الخلق.

أولاً- الإحسان إلى النفس:

والإحسانُ إلى النفس يكون برحمتها وصونها عما يؤذيها، والحرص على ما
ينفعها وينمّيها ويرقيها، واجتهاد الإنسان في رفع ذكْرِه، واجتنابه ما لا يجمل ولا
يليق، حفظاً لمنزلته وكرامته وسمعته، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7].

ثانياً- الإحسان إلى الناس جميعاً:

وذلك بحسن المعاملة والعشرة والصحبة، وبحسن القول؛ قال تعالى:
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وبحسن الفعل، قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وهذا المستوى من
الإحسان يشمل حتى المخالفين، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
[المائدة: 13].



وقد ذكر القرآن الكريم الإحسان إلى أصنافٍ معينة؛ وذلك لتأكيد الإحسان إليهم، فقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 36]، فحُثَّتِ الآيتان على الإحسان إلى أصنافٍ محدَّدةٍ من الناس، وهم:

1- الوالدان:

ومن الإحسان إليهما:

أ- خدمتهما، وتقديم يد العون لهما في كل ما يحتاجانه، والإنفاق عليهما؛ وقد ذكر القرآن الكريم الإحسان إلى الوالدين في أربعة مواضع، كلها مقرونة بعبادة الله وحده، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، ﴿قُلْ نَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: 151]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23]، وفي موضعٍ خامسٍ قرن شكرهما بشكره سبحانه، فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14]. "ومناسبة اقتران بر الوالدين بإفراد الله بالعبادة؛ من حيث إنه تعالى هو الموجد حقيقة، والوالدان واسطة في



إنشائه - أي: الابن - وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه، فهما ساعيان في مصالحة⁽¹⁾. وفي هذا دليل على أهمية الإحسان إليهما ولزوم برّهما.

ب- طاعتهما بالمعروف، وإحسان صحبتهما: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أَمَك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «ثم أَمَك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «ثم أَمَك»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «ثم أبوك»⁽²⁾.

ت- ترك ما يؤذيهما، وعدم رفع الصوت بحضرتيهما: وقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْغُضُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أي: لا تُسمِعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعلٌ سيء... ولما نهاه عن القول السوء والفعل السوء، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

2- الأقارب والأرحام:

وقد ورد الحثُّ عليها في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [البقرة: 83]، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [النساء: 36]. وعَدَّ القرآنُ الإحسانَ إلى الأقرباء من جملةِ حقوقهم، فهناك خمسة عشر آيةً تؤكدُ على هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط، 26/6.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5971، 2/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2548، 4/1974.



الله ﴿[الأنفال: 75]، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: 36]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90]، وقوله: ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: 26]... وآيات أخرى، وكلما كانت القرابة أدنى؛ كان الإحسان إليها أكد، وأولى القرابة بالإحسان الزوجة والأولاد.

ويتمثل الإحسان إلى الأقارب في صلة الأرحام، والتودد إليهم، والبر بهم، وتحمل إساءتهم، والعفو عن مسيئهم، ومما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

ولقد أعظم الإسلام من حق الرحم وصلتها، ومما يدل على هذا قوله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائد بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك» قال رسول الله ﷺ: «فاقروا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [محمد: 22]، ففي الآية تشديد على من يقطع رحمه، ووعيد له، بقرن فعله بفعل المفسد في الأرض.

وليست صلة الرحم بأن يحسن إليهم إذا أحسنوا إليه وأن يصلهم إذا وصلوه، بل إن صلة الرحم المشروعة هي أن يصلهم حتى ولو قطعوه ويحسن



إلهم حتى ولو منعوه ولم يكافئوه. ومما يدل على هذا قوله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا»⁽¹⁾.

والإنفاق على الأهل والأرحام والأقارب أفضل وأعظم بدرجات من الإنفاق على غيرهم، قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»⁽²⁾.

وحتى عند انتهاء الزوجية لا ينتهي الإحسان، فقال تعالى للرجال: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236]، وقال للنساء وأوليائهن: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

أما الأبناء فقد ضَمِنَ الإحسان إليهم نعيم الآخرة وعَصَمَ من شقائها، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرٍ واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»⁽³⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5991، 6/8.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 995، 2/692.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5995، 7/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

2629، 4/2027.



3- اليتامى:

لا شك أن اليتيم يحتاج إلى إحسانٍ ورعاية خاصة، فهو إنسان ضعيفٌ فقد من يعينه ويسانده، والله تعالى حضَّ على الإحسانِ إلى الأيتام، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ...﴾ [النساء: 36]، وقال أيضًا: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]، أي: فلا تظلمه، فتذهب بحقه، استضعافًا منك له⁽¹⁾.

وجعل النبي ﷺ الإحسانَ إلى اليتيم من علامات الخيرية في البيوت، قال ﷺ: «خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه»⁽²⁾.

كما أن الإحسان إلى اليتيم سببٌ لدخول الجنة وصحبة النبي ﷺ فيها، ففي الحديث: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وقرنَ رسول الله ﷺ بين أصبعيه السبابة والوسطى⁽³⁾.

ومن الإحسان إلى اليتيم: حفظ ماله وعدم الاقتراب منه إلا اقترابًا يتسم بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: 152]، وحذَّر سبحانه وتعالى من ظلم اليتيم وأكل ماله، وجعل

(1) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 488/24.

(2) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3679، 1213/2.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22153، 474/36.



ذلك موجباً للعقوبة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، وذلك لشدة فعلهم.

4- المساكين:

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ [النساء: 36]، جمع مسكين، وهو من يقل كسبه عن الوفاء بحاجته؛ فيشمل الفقير⁽¹⁾، وقد ذكر الله تعالى المساكين في كثير من الآيات، وأمر بالإحسان إليهم وتفقد أحوالهم ومساعدتهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، وقال أيضاً: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: 177].

وكان ﷺ يسأل عن المساكين، ويستفسر عن أحوالهم، ويحث على مساعدتهم ومواساتهم، ومن صنوف إحسانه ﷺ للمساكين أنه كان يعينهم في أمر دنياهم، ففي الحديث أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال ﷺ: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جلس تلبس بعضه، وتبسط بعضه، وقعب تشرّب فيه من الماء، قال: «انتني بهما»، فأتاه بهما، فأخذها رسول الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا أخذها بدرهم، قال رسول الله ﷺ: «من يزيد على درهم؟» - مرتين أو ثلاثاً - قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فانتني به»، فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «أذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 810/2.



عشر يومًا»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء، وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا... الحديث (1).

ومن إحسانه ﷺ لهم أنه كان يعودهم إذا مرضوا، ويُصلي عليهم إذا ماتوا، ففي الحديث أَنَّ مسكينهً مرضت، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بمرضها، وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين، ويسأل عنهم، فقال رسول الله ﷺ: **«إِذَا مَاتَتْ فَأَذِنُونِي»**، فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهَا لَيْلًا، وكرهوا أن يُوقِظُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أَخْبَرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْهَا، فقال: **«أَلَمْ أُرْكُمْ أَن تُوذَنُونِي بِهَا؟!»**، قالوا: يا رسول الله، كرهنا أن نوقِظَكَ لَيْلًا! فخرج رسول الله ﷺ حتى صفَّ بالناس على قبرها، وكبر أربع تكبيراتٍ (2).

وأخبر النبي ﷺ بأنَّ المساكين يمتازون عن غيرهم يوم القيامة بأنهم أكثر أهل الجنة، قال ﷺ: **«قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ»** (3)، وهذا الحديث فيه إحسانٌ معنوي للمساكين، وجبرٌ لخواطرهم.

5- الجيران:

أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار وعدم إيذائه، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، أي: أحسنوا إلى الجار القريب نسبًا،

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1641، 81/3، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 740/2، 2198.

(2) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1907، 40/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5196، 30/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2096/4، 2736.



والجار البعيد، ومعنى، الجُنُب، في هذا الموضع: الغريبُ البعيد، مسلماً كان أو غير مسلم؛ لأنَّ الجار ذي القربى هو الجار ذو القرابة والرحم، والواجبُ أن يكون الجارُ ذو الجنابة الجارَ البعيد؛ ليكون ذلك وصيةً بجميع أصناف الجيران قريهم وبعيدهم⁽¹⁾، واسمُ الجارِ عامٌّ؛ يشمَلُ المسلمَ وغير المسلم والعابِدَ والفاسقَ والصديقَ والعدُوَّ والغريبَ والبلديَّ والنافعَ والضارَّ والقريبَ والأجنبيَّ والأقربَ دارًا والأبعدَ، وله مراتبٌ بعضها أعلى من بعضٍ⁽²⁾.

وقد عدَّ النبي ﷺ الإحسانَ إلى الجار من علامات الإيمان، فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ...»⁽³⁾، وقال ﷺ أيضًا: «وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»⁽⁴⁾. "فحفظُ الجار من كمالِ الإيمان، ويحصلُ امتثالُ الوصيةِ به بإيصالِ ضروبِ الإحسانِ إليه بحسبِ الطاقة؛ كالهدية، والسلام، وطلاقةِ الوجهِ عند لقائه، وتفقُّدِ حاله، ومعاونته فيما يحتاجُ إليه إلى غير ذلك، وكفِّ أسبابِ الأذى عنه على اختلافِ أنواعه؛ حِسِيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً"⁽⁵⁾.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 339/8.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 441/10.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6019، 11/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 48، 69/1.

(4) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4217، 1410/2.

(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 442/10.



كما حث النبي ﷺ على مشاركة الجار بالطعام، وهذا أحد ضروب الإحسان بين الجيران، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذرٍّ، إذا طبخت مرقَةً فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»⁽¹⁾.

وكان جبريل عليه السلام يوصي النبي ﷺ بالإحسان إلى الجار وإكرامه، حتى ظنَّ ﷺ أنه سيورثه، كما قال: «ما زال جبريلُ يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورثه»⁽²⁾.

6- العائلة والأصدقاء:

في قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: 36]، روي في تفسيرها أنه الذي معك في منزلك؛ امرأتك وولدك، أو: الجليس في الحضر، والرفيق في السفر، أو: الرفيق الصالح⁽³⁾، وقيل: "وهو الذي صحبتك بأن حصل بجنبك؛ إما رفيقًا في سفر، وإما جاريًا ملاصقًا، وإما شريكًا في تعلُّم أو حرفة، وإما قاعدًا إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك، من أدنى صحبة التَّأَمَّت بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحقَّ ولا تنساه، وتجعله ذريعة إلى الإحسان"⁽⁴⁾.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6015، 10/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

(3) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 14/7.

(4) الرازي، التفسير الكبير، 77/10.



7- الضيف والمسافر:

في قوله تعالى: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: 36]، وهو المسافر الذي انقطع عن بلده، وقيل: الضيف⁽¹⁾، وقيل: الضيف الفقير، أو الضيف المسافر، ولا بن السبيل حق في الزكاة، وإن كان غنيًا، يعني: إذا كان منقطعًا به⁽²⁾، والوصاية به لأنه ضعيف الحيلة، قليل المعين؛ إذ لا يهتدي إلى أحوال قوم غير قومه، وبلد غير بلده⁽³⁾.

ثم بعد الوصية بالإحسان عامة، وتخصيص هذه الأصناف بالذكر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36]، وهذا تعليل للأمر بالإحسان إلى من ذكروا؛ كأنه قيل: أحسنوا إلى هؤلاء ولا تتغالوا عليهم؛ لأن الله لا يحب المختال، وهو المتكبر المعجب بنفسه، المتعالي على غيره، والفخور: الذي يزعم لنفسه الفضل على من عداه، المتباهي بحسب ما قدمه من معونة وإحسان⁽⁴⁾.

ثالثًا- الإحسان إلى البيئة:

وهذا المستوى يشمل الحياة بكل ما فيها من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ

(1) السابق.

(2) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 950/3.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 51/5.

(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 811/2 - 813.



الإحسانَ على كلِّ شيءٍ»⁽¹⁾. وقال: «في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»⁽²⁾، وفيه دليل على أنه لا يجوز قتل شيء من الحيوان، إلا ما أضرَّ بالإنسان في مال أو نفس، وأما ما انتفع به الإنسان من كل ذي كبد رطبة فلا يجوز قتله؛ لأنه كما يؤجر المرء في الإحسان إليه، كذلك يؤزر في الإساءة إليه، والله أعلم⁽³⁾.

ثمرات الإحسان:

من ثمرات الإحسان ونتائجه:

1) محبة الله تعالى، ورحمته، وهدايته، ومعيته:

- أ- أما محبته تعالى للمحسين فدلِيلها قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وهذه الآية تكررَت ثلاث مرات في القرآن الكريم⁽⁴⁾.
- ب- وأما رحمة الله تعالى: فلقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].
- ت- وأما هداية الله تعالى: فلقوله: ﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: 1 - 3].

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1955، 1548/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 111/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1761/4، 2244.

(3) ابن عبد البر، التمهيد، 128/9.

(4) في آل عمران، الآية: 134، والآية: 148، وفي المائدة، الآية: 93.



ث - وأما معية الله تعالى: فلقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، والمقصود من معيته تعالى هنا أنه - سبحانه - يعينهم ويحفظهم، فهي معية رعاية وحفظ⁽¹⁾، ومَنْ كان الله معه ما ضرَّه غيره.

(2) محبة الناس، وإصلاح ما قد يقع بينهم:

فالمحسنُ يكتسب محبة الناس له؛ لأنَّ القلوبَ مبطورةٌ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، فالنَّاسُ يلتفُّون حولَ المحسِنينَ، ويُدافعونَ عنهم. قال الشَّاعر:

أحسِنُ إلى النَّاسِ تَسْعِيدُ قُلُوبِهِمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وإنَّ أَسَاءَ مُسِيءٍ فليكنْ لك في عُروضِ زَلَّتْهُ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ⁽²⁾

والإحسان وسيلةٌ لإزالة ما يمكن أن يقع في النفوس من الحسد والغل، وسوء الفهم والظنّ ونحو ذلك؛ لأنَّ الدَّفْعَ بالحسنة - وهي إحدى صور الإحسان - يقضي على العداوات بين النَّاسِ ويبذلها صداقة حميمة ومودَّة، وتنطفئ بذلك نارُ الفتَنِ وأسباب الصِّراعات، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، وبذلك يكون الإحسان وقايةً للمجتمع من الآفات الاجتماعية، ويحميه من الخراب والهلاك؛ فهو يجعل المجتمع متماسكاً مترابطاً، لأنَّه يؤدِّي إلى توثيق الرِّوابط وتوفير التَّعاون.

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 708/5.

(2) ديوان أبي الفتح البستي، ص6.



(3) زيادة الأجر والثواب:

المَحْسِنُ يَحْسِنُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]، وَقَالَ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: 120]... إلى غير ذلك من الآيات ظاهرة الدلالة بزيادة الأجر والثواب للمحسنين.

(4) البشرى بالخير:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: 12]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37]، فَبَشَّرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَالْمُحْسِنُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ الْحَسَنَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيَتَمَسَّكُ بِهِ؛ فَيَصِيرُ مُحْسِنًا إِلَى نَفْسِهِ بِتَوْفِيرِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

(5) الإحسان في الدنيا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، قَالَ السُّدِّي: الْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ⁽²⁾، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30]، فَبَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْمُحْسِنَ يَنَالُ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ إِحْسَانًا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 227/23.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 179/20.



(6) الفوز بالجنة:

فهي الحُسنى جزاء المحسنين عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]، وقال تعالى: ﴿فَأَنشَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 85].

(7) العصمة من العذاب في الآخرة:

لقوله ﷺ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾. فالإحسان إلى البنات خاصة يعصم صاحبه من العذاب يوم القيامة، ومعنى: «أَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ» أي: صانِهِنَّ وقام بما يصلحهنَّ، ونظر في أصلح الأحوال لهنَّ، فمن فعل ذلك، وقصد به وجه الله تعالى، عافاه الله تعالى من النار، وباعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار⁽²⁾.

طرق وآليات اكتساب الإحسان وتعزيزه:

مَنْ أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ وَرَغِبَ بِنِيلِ ثَمَرَاتِهِ فَسَبِيلُهُ الْإِلْتِمَامُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي بَيَّنَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، أَوْ ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَكَلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ كَانَ نَصِيبُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ أَكْبَرَ، وَمِنْهَا:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5995، 7/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2027/4، 2629.

(2) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 636/6.



1) الاهتداء بهدي القرآن الكريم:

ورد الإحسانُ في القرآن الكريم بسياقاتٍ متعددة؛ فوردت كلمة "المحسنين" ثلاثين مرةً، ووردت كلمة "أَحْسَنَ - بأحسن - فأحسن - وأحسن" ثلاثاً وأربعين مرةً، كما وردت بصيغة الماضي "أَحْسَنُوا" ستّ مراتٍ، وأمر الله عز وجلّ بالإحسان بصيغة: "أَحْسِنْ" مرةً واحدةً، وبصيغة "أَحْسِنُوا" مرةً واحدةً أيضاً، وقال موسى ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: 145]، وقال لقومه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، وبشر ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

وذكر القرآن الكريم صفات المحسنين في مواطن عدة، منها:

- بذل الصدقات:

ففي الإنفاق طاعةٌ لله تعالى، وتزكيةٌ للنفسِ ببذل ما تحبُّ، وفيه مساندةٌ ومساعدةٌ للآخرين المحتاجين، وقد اقترن الإنفاق بالإحسان بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

- التزام التقوى:

وهي فعلُ المأمورات وترك المنهيات، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93].



- كظم الغيظ والصفح والعفو عن الناس:

ويكون في عدم مواجهة الإساءة بالإساءة، وهذا يتطلب تهذيب النفس وتدريبها على كظم الغيظ وتمثل العفو، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

- الإحسان للنفس، وللغير:

ومن صفات المحسنين التي ذكرها القرآن الكريم أنهم كانوا يحسنون في الدنيا إلى أنفسهم، وذلك بالتزام هدي ربهم من قيام الليل والاستغفار بالأسحار، وكانوا محسنين إلى غيرهم ببذل المال والصدقات كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 15 - 19].

- حسن الصحبة:

وأهمها ما سبق بيانه في قوله تعالى: ﴿وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...﴾ [البقرة: 83]، الآية.



- السماحة في طلب الحق، والإحسان في أدائه:

لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 178]، وقوله: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحْ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 229]، وقوله: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236].

- القول الحسن:

أمر الله تعالى بحُسن القول في مواضع عدّة من القرآن الكريم، وبين أن القول الحسن يفتح أبواب الإحسان، ويغلق مداخل الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53]، وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

- المبادرة للتحية:

لما تحمله من معاني السلام والمبادرة بالإحسان، ويكون الرد بأحسن منها، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86].

- الصبر:

وهو نوعٌ من الإحسان، لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115]، وقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172].



(2) إتقان العمل، وتطوير الذات:

من معاني الإحسان الإجادَةُ والإتقان كما تقدّم في التعريف، فالمحسن يحرصُ على تحري الصواب في أموره كلها، ويطالب نفسه بأن يكون أكثرَ إتقانًا في عمله وأكثرَ إحسانًا في تعاملاته وعباداته، وهذا الإتقان واحد من معايير التميّز، قال بعض الحكماء: "لا يَكُنْ هُمُّ أَحَدِكُمْ في كثرةِ العملِ، ولكن ليَكُنْ هُمُّهُ في إحكامه وتحسينه"⁽¹⁾.

وكان النبي ﷺ حريصًا على زرع فكرة إتقان العمل في نفوس أصحابه، فعن عاصم بن كليب عن أبيه أنه شهدَ مع أبيه جنازةَ شهيدَها رسولُ الله ﷺ، وهو غلامٌ يعقلُ ويفهم، فانتَهَى بالجنازةِ إلى القبر، ولم يُمكنْ لها، فجعل رسولُ الله ﷺ يقول: «سَوُّوا لَحْدَ هَذَا» حتى ظنَّ الناسُ أنه سُنَّةٌ، فالتَفَتَ إليهم، فقال: «أَمَّا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ»⁽²⁾.

ولا شك أن الإنسان يحتاج إلى تطوير ذاته ورفع كفاءته وزيادة خبراته وتنمية مهاراته حتى تصل به إلى درجة الإتقان والإحسان، فيرقى بنفسه ويحسِنُها، ولا يمرُّ عليه الزمن وهو ثابتٌ في مكانه، فقد ورد في الأثر: «مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ»⁽³⁾.

(1) من قول وهيب، ينظر: أبو نُعَيْم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 153/8.

(2) البيهقي، شُعَبُ الإِيْمَان، رقم الحديث: 4932، 235/7.

(3) أبو نُعَيْم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 35/8.



(3) تمثل القيم الإنسانية والاجتماعية التي ترسخ الإحسان وتثبتته:

ومن آليات اكتساب الإحسان أن يتمثل الإنسان القيم الإنسانية والاجتماعية الحميدة، حتى وإن وجد بعض الناس لا يتمثلها، بل حتى لو لاقى منهم نقيضها، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: 96]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34].

قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة؛ تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا»⁽¹⁾.

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أسأؤوا فاجتنب إساءتهم"⁽²⁾.

(4) الرقابة الذاتية:

فاستحضر هذا المعنى، واستشعار معية الله تعالى واطلاعه على السر والعلن كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]؛ يُعين الإنسان على الإحسان في كل شيء؛ وهذا من معاني الإحسان كما سبق: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽³⁾.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث 2075، 538/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 695، 141/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 36/1.



خاتمة:

يظهرُ جلياً مما تقدّم كثرةُ النصوص القرآنية والنبوية التي تدعو إلى الإحسان، وتأمّرُ به، وترفع شأن أهله، وليس ذلك باستقصاء لما ورد، وإنما غيض من فيض ونزر قليل من كثير.

وتشتد الحاجة اليوم إلى الإحسان في العالم؛ حتى صار التوجه العالمي فيه إلى رعاية الحقوق، وإقامة العدل، ودعم المبادرات وعقد الاتفاقيات التي تقوم على ترسيخ العدل، وفتح الآفاق للإحسان، كحقوق الإنسان عامة، وحقوق الطفل والمرأة خاصة، وحتى حقوق الحيوان والبيئة... كل ذلك لترسيخ هذا المعنى وإسعاد الناس بإحسان بعضهم إلى بعض، ويبقى صاحبُ الإحسان أسعدَ الناس بإحسانه؛ في الدنيا والآخرة.

* * *



- الرفق

الرفق وجه من وجوه الرحمة، وفعل يعبر عنها، وثمره من ثمراتها، وفرع من فروعها، هذا الارتباط الوثيق بين الرحمة والرفق يظهر في وصيته تعالى بالوالدين: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ يريد الرفق⁽¹⁾، و"مِنْ" في قوله: ﴿مِنْ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، لبيان الجنس، أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس⁽²⁾.

والرفق دليل على كمال عقل الإنسان، وقوة التحكم وعافية النفس، فيه سلامة العرض، ونقاء الصدر، وراحة البال، وهو وسيلة التواصل والتواد، ولين الجانب، ولطف الفعل، وأخذ للأمور بأحسن وجوها وأيسر مسالكها.

والرفق خلق عظيم يحبه الله تعالى، ويعطي عليه ما لا يعطي على غيره، وهو من صفات الله تعالى، وأخلاق نبيه الكريم ﷺ، وسمة من سمات الحكماء والعقلاء.

تعريف الرفق:

أولاً- في اللغة:

استعمل الرفق في اللغة لمعانٍ، أهمها:

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 284/13.

(2) السابق، 244/10.



1- التوافق والمقاربة: "الراء والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُوافَقَةٍ ومُقارِبَةٍ بلا عُنْفٍ، فالرَّفْقُ خِلافُ العُنْفِ... هذا هُوَ الأَصْلُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ يَدْعُو إِلَى رَاحَةٍ وَمُوافَقَةٍ"⁽¹⁾.

2- اللطف واللين والسهولة: يقال: رَفَّقَ بالأمر وله وعليه، لَطَفَ، وهو به رفيق لطيف، والرفق: لين الجانب ولطافة الفعل⁽²⁾، يقال: الله رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، ومنه الحديث «ما كان الرفقُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ» أي: اللُطْفُ⁽³⁾. وماء رفق ومرتع رفق، أي: سهل المطلب⁽⁴⁾.

3- النفع: ويقال: رفقتُ به، وأَرْفَقْتُهُ، أي: نَفَعْتُهُ، والمَرْفَقُ من الأمر هو ما ارتفعت به وانتفعت به⁽⁵⁾.

4- التعقُّل: فالرفيق: ضدُّ الأُخْرَقِ، ومنه قول الشاعر:

ورافِقِ الرِّفْقَ في كُلِّ الأُمُورِ فلم يندمُ رفيقٌ ولم يذمُّهُ إنسانٌ
ولا يغرِّنكَ حظُّ جرَّه خرقٌ فالخرقُ هدمٌ ورفقُ المرءِ بُنيانٌ⁽⁶⁾

وفي الحديث قابلَ عليه الصلاة والسلام الرفقَ بالخرقِ، فقال ﷺ: «لا يكون الخرق في شيء إلَّا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق»⁽¹⁾، وفي لفظ مسلم:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 418/2، (رفق)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق)، وابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 246/2.

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1483/4، (رفق).

(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق).

(6) أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي.



«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»⁽²⁾، أي: عابه، وكان له شيئاً؛ لأن التهور ليس من محاسن الأخلاق، وهو من مذايِبها⁽³⁾، ولأن الخرق والاستعجال والعنف مفسدٌ للأعمال، وموجبٌ لسوء الأحداث، ومفوتٌ مصالح الدنيا، وقد يفضي إلى تفويت ثواب الآخرة⁽⁴⁾.

5- التؤدة والتروّي: ومنه يقال: رَفَقَتِ الناقة؛ بأن تشدَّ عضدها لتُخَبِّلَ عن أن تُسرِعَ⁽⁵⁾، وقال ابن الأعرابي: رَفَقَ: انتَظَرَ، ورفق إذا كان رفيقاً بالعمل⁽⁶⁾، ومنه قول الشاعر:

خَذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّئِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تُؤْتَى الْأُمُورُ بِهِ يَصِيبُ ذُو الرِّفْقِ، أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ⁽⁷⁾

6- الاجتماع والمصاحبة: والرَّفْقَةُ: الجماعةُ تُرافقُهُمْ في سفرِكَ، واشتقاقه من الباب، للموافقة⁽⁸⁾. والرَّفْقَةُ بالكسر مثله، والجمع رِفَاقٌ،

(1) البخاري، الأدب المفرد، رقم الحديث: 466، ص 165، والبزار، مسند البزار، رقم الحديث: 7002، 359/13.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2594، 4/2004.

(3) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 8/64.

(4) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 6/578.

(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 4/1482، (رفق).

(6) ابن منظور، لسان العرب، 10/118، (رفق).

(7) التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 5/582.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/418، (رفق).



وَالرَّفِيقُ: المُرَافِقُ، والجمع الرُّفَقَاءُ⁽¹⁾، ورفيقة الرجل: امرأته، ورفيق المرأة زوجها⁽²⁾. قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج معنى الرفق في الاصطلاح عن المعنى اللغوي المتقدم، والرفقُ: "هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ"⁽³⁾. و"الرفقُ واللفظُ: المبالغة في البرِّ على أحسن وجوهه، والرفقُ في كلِّ أمرٍ أخذه بِأَحْسَنِ وجوهه وأقربها، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ"⁽⁴⁾.

وبالمجمل: يشير مفهوم الرفق إلى التعامل بلطف وعطف ورحمة وسهولة ولين مع الآخرين، ويعكس سلوكًا يقوم على التفهُّم والتعقُّل والتؤدَّة، ويؤدي إلى التوافق والتقارب وتقديم النفع، ويسرِّ اجتماع القلوب وترافقها، ويجنِّب القسوة أو العنف في التفاعلات مع الناس والمحيط.

أهمية الرفق:

الرفقُ سلوكٌ كريم في القول والعمل، واعتدالٌ وتوافق، واختيارٌ للأسهل والألطف، والرفقُ في الأمور كلها يؤدي إلى الصلح، ويعطي أفضل النتائج، بخلاف العُنْف الذي من شأنه الفساد وإعطاء أسوأ النتائج، فمن أعطي الرفق فقد أعطي خيرًا كثيرًا، ومن حُرِمَ منه فَقَدَ خيرًا كثيرًا.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 121/10، (رفق).

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، 449/10، وينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 246/2.

(4) القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 296/1.



وتبرز أهمية الرفق في أمور عدّة، منها:

(1) الله تعالى رفيق، يحب الرفق ويعين عليه:

بحسب الرفق شرفاً أنه من صفات الله تعالى الفعلية، وأنه تعالى يحب الرفق، فالله ﷻ رؤوفٌ بعباده، كريم في عفوه، رفيقٌ في أمره ونهيّه، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، "والرفقُ في صفات الله تعالى وأسمائه؛ بِمَعْنَى: اللَّطِيفُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ"⁽¹⁾.

وهذه الصفة الإلهية هي ما ذكره رسول الله ﷺ ودعا به عند نزعه، فروت عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ، وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسندٌ إليها ظهره يقول: «اللهم اغفر لي، وارحمي، وألحقي بالرفيق الأعلى»⁽²⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ»، فيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق⁽³⁾، والمعنى: أَنَّهُ لَيْسَ بِعَجُولٍ؛ وَإِنَّمَا يَعَجَلُ مَنْ يَخَافُ الْقُوَّةَ، فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ فِي مُلْكِهِ وَقَبْضَتِهِ فَلَيْسَ يَعَجَلُ فِيهَا⁽⁴⁾، «يَحِبُّ الرَّفْقَ»، أي: يأمر به، ويحضُّ عليه؛ لِأَنَّ حَبَّ اللَّهِ لِلطَّاعَةِ شَرْعُهُ لَهَا، وَتَرْغِيبُهُ فِيهَا⁽⁵⁾، «وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»⁽⁶⁾.

(1) السابق.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4176، 4/1614.

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 145/16.

(4) ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص 332.

(5) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 577/6.

(6) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2593، 4/2003.



وروي: «إن الله تبارك وتعالى رفيقٌ، يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف»⁽¹⁾. فالرفق محمودٌ في كلِّ شيء، ما كان في شيءٍ قطُّ إلا زانه، كذلك جاء عن الحكماء⁽²⁾.

ومن رفيقه سبحانه:

- أنه تعالى "رفيق" في أفعاله وتكليفه، خلق مخلوقاته بالتدرّج ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود: 7]، وذلك بحسب حكمته ورفقه؛ مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة. وأنزل أوامره ونواهيهِ - كذلك - شيئاً بعد شيء، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]؛ وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدرّج⁽³⁾.

- وأنه لا يأخذُ عباده بالتكاليف الشاقّة، ولا يحملهم ما لا يطيقون، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وأنه أقام دينه على قواعد تنبّه لها أهلُ العلم؛ تدور في فلك الرفق، منها: رفع الحرج، والتدرّج في التكليف، وجعل الأصل في الأشياء الإباحة...⁽⁴⁾.

- وأنه أنزل كتابه كما قال ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾، نزل مفرّقاً منجّماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى

(1) مالك، موطأ مالك - رواية يحيى، رقم الحديث: 38، 979/2، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 7477، 95/8، وينظر: ابن عبد البر، التمهيد، 46/16، والهيثي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 213/3.
(2) ابن عبد البر، التمهيد، 46/16.
(3) الرازي، التفسير الكبير، 175/28.
(4) ينظر: ابن عابدين، رد المحتار، 105/1.



النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴿١٠٦﴾، أي: على مهل، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]، شيئاً بعد شيء، وفي ذلك تيسير لفهمه واستظهاره، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

- ومن رفقه أنه ينزل المطر خفيفاً فتجري منه الأنهار، وتشرق الشمس تدرجاً إلى رابعة النهار، ويسوق الرزق لعباده تبعاً بأقدار، ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: 61].

- ومن رفقه حلمه على المسيء، فلا يعجل بعقوبة المسيء المخطئ، بل يُمهِّل؛ ليتوب من سبقت له السعادة⁽¹⁾، ويذكره باللطف والرفق على طول الزمن، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62]، وإن تأخير الوعيد أثرٌ من آثار رحمة الله؛ لأن أزمناً التأخير أزمناً إمهال للناس؛ فهم فيها بنعمة، لأن الله ذو فضل على الناس كلهم⁽²⁾.

- وأنه يرافق عباده بعلمه ومعيته، برفقه ولطفه، دون إزعاجهم برقابته وإحاطته، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

(1) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 577/6.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/20.



(2) النبي ﷺ رفيق، يأمر بالرفق ويحث عليه:

كان النبي ﷺ رفيقاً لبيّنًا، وكان أبعد الناس عن الفظاظة والغلظة، قال تعالى في وصفه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

وقد أمره الله تعالى بالرفق واللين، فقال تعالى: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، أي: ارفق بهم، وألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم، وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه، ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسان أتباعه⁽¹⁾، وهكذا كان ﷺ مع المؤمنين طوال حياته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، فكان ﷺ مثالاً يحتذى في الرفق واللين، ومعاملة الناس بالطف الأساليب.

والقارئ لسيرته ﷺ يجد ذلك واضحًا في مواقف كثيرة؛ منها أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا مُعسرين»⁽²⁾.

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذة شديدة؛ حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشيةُ البُردِ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 57/10.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6128، 30/8.



من شدة جَبَذَتِهِ، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مالِ الله الذي عندك! فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بَعْطاء»⁽¹⁾. هذا الحديث "فيه احتمالُ الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء مَنْ يتألفُ قلبه، والعفو عن المسيء، وفيه كمالُ خلقِ رسولِ الله ﷺ وحِلْمُه وصفحُه الجميل⁽²⁾، وهذا دليلٌ على كمالِ رفقه ﷺ ورحمته بالجاهلين.

وعن مالك بن الحُوَيْرث ﷺ أنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفرٍ من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رقيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم، وعَلِّمُوهم، وصلُّوا، فإذا حضرتِ الصلاةُ فليؤدِّنْ لَكُمْ أحدُكُمْ، وليؤمَّكُمْ أكبرُكُمْ»⁽³⁾.

وكان ﷺ يحثُّ على الرفق، ويأمرُ به، فعن عائشة ؓ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لها: «يا عائشةُ، ارفُقي، فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بِأهلِ بيتٍ خيراً؛ دلَّهم على بابِ الرفقِ»⁽⁴⁾، وفي حديث آخر أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مهلاً يا عائشةُ! عليكِ بالرفقِ، وإيَّاكِ والعُنفَ، أو الفُحشَ»⁽⁵⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 146/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1057، 730/2.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 147/7.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 628، 128/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 674، 465/1.

(4) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 24734، 255/41.

(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6401، 85/8.



مجالات الرفق:

للفرق أنواعٌ وصورٌ ومجالات متعددة، يدخل فيها ما سبق ذكره في مجالات الرحمة والإحسان، ومن أهمّها في باب الرفق خاصّة:

أولاً- الرفق بالنفس:

بحيثُ لا يَحْمِلُ الإنسانُ نفسه ما لا تطيقُ، فالإسلامُ دينٌ يُسرُّ وسهولةً، ومَن فهمَ الإسلامَ فهمًا سليمًا اتَّبَعَهُ برفق دون تكلفٍ، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7].

وقال رسول الله ﷺ: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «إن الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»⁽²⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ الحولاء بنتَ ثُوَيْبٍ مرَّت بها وعندها رسولُ الله ﷺ، فقالت: هذه الحولاءُ بنتُ ثُوَيْبٍ، وزعموا أنَّها لا تنامُ اللَّيْلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تنامُ اللَّيْلَ؟! خذوا من العَمَلِ ما تطيقون، فوالله لا يسأمُ اللهُ حتَّى تسأموا»⁽³⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6465، 98/8.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 39، 16/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1151، 54/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 542/1، 785.



وروي: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُتَنَبِّتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»⁽¹⁾، فلا ينبغي للإنسان أن يحملَ على بدنه ما لا يُطيق؛ فإنَّ البدنَ كالراحلة، إن لم يُرفَقْ بها، لم تصلْ بالراكب⁽²⁾، ويُروى أنَّ رجلاً رأى أبا ذرٍّ رضي الله عنه وهو يتبوأُ مكاناً، فقال له: ما تريدُ يا أبا ذرٍّ؟ فقال: "أطلبُ موضعاً أنامُ فيه، نفسي هذه مطيَّتي، إن لم أرفُقْ بها لم تُبَلِّغني"⁽³⁾.

ثانيًا- الرفق بالناس:

فالمسلمُ لا يعاملُ الناسَ بشدةٍ وغلظةٍ وعنف، بل بلينِ الجانبِ، والسَّماحةِ واللَّطفِ، وقد وصفَ الله المؤمنين بقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، أي: رقيقةٌ قلوبُ بعضهم لبعض، لئِنَّ أنفُسَهُم لهم، هَيِّئَةً عليهم⁽⁴⁾، وعن قتادة أنه قال: "ألقى الله في قلوبهم الرحمةَ بعضهم لبعض"⁽⁵⁾.

ومن رفق الناس فيما بينهم:

- الرفق في التعليم:

المعلِّمُ الناصح يرفُقُ بالمتعلمين، ولا يَشُقُّ عليهم، ولا يُنْقِرَهُم بالغلظة والعُنْفِ، بل يعلمهم ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، أي:

(1) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 4743، 27/3.

(2) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 458.

(3) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 1/165.

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 22/261.

(5) السابق.



بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ الرَّقِيقِ مِنْ غَيْرِ تَغْلِيظٍ وَلَا تَغْنِيفٍ⁽¹⁾، فَمَنْ وَعَظَ بِبَشَرٍ وَتَبَسَّمٍ وَلِيِّنَ
وَكُنَّهَ مَشِيرٌ بِرَأْيٍ وَمَخْبِرٌ عَنِ الْغَيْرِ؛ فَذَلِكَ أَبْلَغُ وَأَنْجَعُ...، وَكَانَ ﷺ لَا يُوَاجِهُ
بِالْمَوْعِظَةِ، لَكِنْ كَانَ يَقُولُ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا"، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلَى الرَّفِيقِ، وَأَمَرَ بِالتَّيْسِيرِ، وَنَهَى عَنِ التَّنْفِيرِ⁽²⁾.

- الرفق بالصغار:

فَعَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مَخْصَنٍ أَنَّهَا أَتَتْ بَابِنَ لَهَا صَغِيرٍ، لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ
فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ⁽³⁾. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ "النَّدْبُ إِلَى حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ وَاللَّيِّنِ
وَالْتَوَاضِعِ وَالرَّفَقِ بِالصَّغَارِ وَغَيْرِهِمْ"⁽⁴⁾. "وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ الرَّفَقُ بِالْأَطْفَالِ وَالصَّبَرُ
عَلَى مَا يَحْدُثُ مِنْهُمْ، وَعَدَمُ مَوَازَنَتِهِمْ؛ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِمْ"⁽⁵⁾.

- الرِّفْقُ بِالْعَامِلِ:

وَمِنَ الرَّفَقِ بِهِ أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْهِ، وَلَا يَكْلِفُهُ مِنَ الْعَمَلِ فَوْقَ طَاقَتِهِ، فَقَدْ جَاءَ
فِي الْحَدِيثِ: «وَلَا يَكْلَفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ»⁽⁶⁾، وَقَالَ ﷺ فِي حَقِّهِمْ: «هُمْ
إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ،

(1) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، 103/3.

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 383/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 223، 54/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 238/1، 287.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 195/3.

(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 434/10.

(6) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1662، 1284/3.



فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنِّهِ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

- الرَّفْقُ فِي طَلَبِ الْحُقُوقِ وَدَفْعِهَا:

ففي الحديث: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خَصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيْنَ الْمَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ⁽²⁾. "وفي هذا الحديث الحَضُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالْغَرِيمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِالْوَضْعِ عَنْهُ، وَالزَّجْرُ عَنِ الْحَلْفِ عَلَى تَرْكِ فِعْلِ الْخَيْرِ"⁽³⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»⁽⁴⁾. و"الرِّفْقُ فِي الطَّلَبِ وَالِدَّفْعِ مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْيَرِّ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ"⁽⁵⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6050، 16/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1282/3، 1661.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2705، 187/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1191/3، 1557.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، 308/5.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2076، 57/3.

(5) العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، ص 170.



ثالثاً- الرفق بالحيوان:

ومما روي في ذلك أن عائشة رضي الله عنها ركبت بعيراً، فكانت فيه صعوبة، فجعلت تُرَدِّدُه - أي: تُزعجه، تمنعه وتدفعه بشدة وعنْف، وفي رواية البيهقي: أنها كانت على جمل فجعلت تضربه ⁽¹⁾ -، فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق» ⁽²⁾.

ومن الرفق بالحيوان: أن يدفع الإنسان عنه الأذى؛ كالعطش والجوع والمرَض، ولا يحمل عليه الأحمال الثقيلة، ويحسن إليه سواء أكان مما ينتفع به بأكل أو استخدام، أم لم يكن كذلك، وإلا فالكف عن إيذائه وظلمه وتعذيبه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه مر بغلام رابط دجاجة يرميها، فمشى إليها ابن عمر حتى حلها، ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال: ازرعوا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي ﷺ نهى أن تُصَبَّرَ بهيمةٌ أو غيرها للقتل ⁽³⁾. وفي رواية: أنه ﷺ مرَّ بفَتِيانٍ من قريش قد نَصَبُوا طييراً، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئةٍ من نَبْلِهِمْ، فلما رأوا ابنَ عمر تفرَّقوا، فقال: "مَنْ فَعَلَ هذا؟ إِنَّ رسولَ الله ﷺ لعَنَ مَنْ اتخذَ شيئاً فيه الروحُ غرضاً" ⁽⁴⁾.

(1) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 20796، 325/10، وشعب الإيمان، رقم الحديث: 10553، 411/13.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2594، 2004/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5195، 2100/5.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1958، 1550/3.



ثمرات الرفق:

(1) الرَّفْقُ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَمَنْ أُعْطِيَ الرَّفْقَ أُعْطِيَ الْخَيْرَ:

الرفق زينة كلِّ قولٍ وفعلٍ وحال، لا يكون في شيء إلا زينه وحبَّبه إلى النفوس والأبصار، ولا يُنزع من شيء إلا شانه ونفَّر منه القلوب والأرواح، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير، ففي الحديث: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ؛ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»⁽¹⁾. وقد "دلَّ الحديثُ أن الرفق خيرٌ كله، ودليل على فضله؛ لأنه سبب كل خير، وجالب كل نفع، بضد الخوف والعنف"⁽²⁾، وإن "الرَّفَقَ محمودٌ، ويضادُّه العنفُ والجِدَّةُ، والعُنْفُ نتيجة الغضب والفظاظة، والرَّفَقُ واللِّين نتيجة حسن الخلق والسَّلامة...؛ ولأجل هذا أثنى رسولُ الله ﷺ على الرَّفْقِ وبالغَ فيه"⁽³⁾.

(2) الرفق من أسباب المعونة الإلهية:

لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»⁽⁴⁾، وفي رواية: «ويعين عليه ما لا يعين على العنف»⁽⁵⁾، والمعنى: أنه يتأتَّى بالرفق من الأعراض ويسهِّل من المطالب به ما لا يتأتَّى بغيره⁽⁶⁾، أو أن معناه: إن

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2013، 367/4.

(2) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 64/8.

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، 186/3.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2593، 2003/4.

(5) مالك، موطأ مالك - رواية يحيى، رقم الحديث: 38، 979/2، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث:

7477، 95/8، وينظر: ابن عبد البر، التمهيد، 46/16، والهيثي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 213/3.

(6) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 64/8.



الله تعالى يعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل، وفي الآخرة من الثواب الجزيل؛ ما لا يعطي على العنف الجائز، وبيان هذا بأن يكون أمرًا ما من الأمور سَوْغ الشرع أن يُتوصَّل إليه بالرِّفق وبالعنف، فسلوك طريق الرفق أولى؛ لما يحصل عليه من الثناء على فاعله بحسن الخلق، ولما يترتب عليه من حسن الأعمال، وكمال منفعتها⁽¹⁾.

(3) الرفق من أسباب دخول الجنة:

قال ﷺ: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُّقْسِطٌ مُّتَصَدِّقٌ مَوْفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»⁽²⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»⁽³⁾، ومعنى "هين": سهل، وهو ذو السكينة والوقار والسهولة⁽⁴⁾، و"سهل": أي: في قضاء حوائج الناس وتمشية أمورهم وإعانتهم⁽⁵⁾.

(1) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 578/6.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2865، 2197/4.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2488، 654/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 3938، 52/7، 53.

(4) الطيبي، شرح المشكاة، 3237/10.

(5) ابن الملك، شرح المصابيح، 345/5.



ما يعين على الرفق وينمّيه:

هناك طرق ووسائل تعين في اكتساب صفة الرفق وتعزيزها، من ذلك:

- (1) العلم بالفوائد الدنيوية والأخروية المترتبة على الرفق، وسبق بيان بعضها في هذا الباب.
- (2) مطالعة سيرة النبي ﷺ ومواقفه التي تبرز رفقه ﷺ، والاقتداء به ﷺ، وتمثل أخلاقه.
- (3) تدريب النفس على التحلي بالرفق والسهولة ولين الجانب، والمبادرة إلى أعمال الخير التي تلين القلب، وتهذب النفس؛ كإطعام المساكين، وملاطفة الأيتام، وقضاء حوائج الناس.
- (4) صحبة الرفقاء والعقلاء الألباء والكبراء، أصحاب الرأي الحكيم، والسلوك القويم.
- (5) الدعاء والطلب من الله تعالى أن يرزق الرفق واللين.

ما لا يعارض الرفق:

من معاني الرفق: اللطف واللين والسهولة، لكن ذلك لا ينافي الحزم، ولا يبرر التساهل، فاللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حقٍّ من حقوق الله أو حقوق العباد، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز؛ لأن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الاعتدال؛ فلهذا السر مدح الله الوسط فقال:



﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]⁽¹⁾. ومن معاني الوسط: الأخذ بأفضل الأمور وأعلاها، كما سيأتي في قيمة الاعتدال.

ولا ينافي الرفق - كذلك - المبادرة والمصارعة في الخير، فلا يفوت الرفيق الفرص إذا ما سنحت، ولا يهملها، بل يقبل عليها بكلِّيته، ويعطيها حقَّها من الاهتمام والالتفات والإقبال، دون تراخٍ ولا تهاون بحجة الرفق والتروّي.

خاتمة:

مما سبق تظهر منزلة الرفق في الدين والدنيا، وضرورته قيمةً مرعيةً في حياة الناس وتعاملاتهم، وأن الرفق خيرٌ كُلُّه، وكل ما ليس من الرفق فليس من الدين، ولو ألصق به بألف تأويل وتأويل.

وتظهر كذلك أهمية الرفق وضرورته في سلامة الإنسان وسعادته في دينه ودنياه، وقد روي في بعض الآثار: «لو أن الرفق خلق يُرى؛ لما رئي من خلق الله تعالى خلقٌ أحسن منه»⁽²⁾.

* * *

(1) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 408/9.

(2) أبو حنيفة النعمان، مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي، رقم الحديث: 7.



- العطاء

سبق أن الرحمة في بعض معانيها اللغوية تفيدُ الإنعام والإفضال⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ [فصلت: 50]؛ سعى النعمة رحمة؛ إذ هي من آثار رحمة الله⁽²⁾.

وسبق كذلك أن من معاني الإحسان: الإنعام على الغير⁽³⁾، ومن معاني الرفق: النَّفْع⁽⁴⁾، وكل ذلك يتمثل بالعطاء الذي يُعدّ فرعاً من فروع الرحمة، ومثيلاً لما زامله من الفروع الأخرى؛ كالإحسان والرفق والرأفة والعطف والتعاون والتضامن.

والعطاء أثرٌ من آثار رحمة الخالق سبحانه، ومظهرٌ من مظاهر التراحم بين الخلق، وثمرَةٌ من ثمرات شفقة القلوب المؤمنة، وقد حضَّ الإسلامُ على كلّ ما من شأنه أن ينمي هذه القيمة في نفوس البشر، تقديرًا لأهميّتها في تزكية النَّفْس، وفي توثيق روابط الأخوة الإنسانية.

والعطاء سلوكٌ إيجابيٌّ ينمُّ عن الأخلاق، ودليلٌ على رجاحة العقل والقدرة على التحكم بالنَّفْس، وهو عنصر من عناصر علوِّ الهمة، وصفاء الفطرة، وسموّ الطبع، وارتقاء الإنسانية؛ لما ينشأ عنه من مدِّ يدِ العون للمحتاج، وسدِّ كربته، وابتغاء الثَّواب والأجر في الدُّنيا والآخرة.

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص347، (رحم).

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 315/9.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).



تعريف العطاء:

أولاً- في اللغة:

يفيد العطاء في اللغة معاني عدة، أهمها:

- **المناولة والتناول:** العطو: تناول، وتعاطى الشيء: تناوله، والعطاء: نول للرجل السمح، والعطاء والعطية: اسم لما يعطى، والجمع عطايا وأعطية، والإعطاء والمُعاطاة: ⁽¹⁾ المناولة ⁽¹⁾، ورجل معطاء: كثير الإعطاء ⁽²⁾، والإعطاء: الإنالة، واختصَّ بالصِّلة، قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39]⁽³⁾، ولا يكون الإعطاء إلا بمحض التفضل ⁽⁴⁾.

- **اليُسروالسهولة:** يقال: أعطى البعير إذا انقاد ولم يَسْتَصعب، وأصله: أن يُعطي رأسه فلا يتأبى ⁽⁵⁾، وقوس معطية وعطوى: لينة مواتية سهلة؛ ليست بممتنعة على من يمد وترها، وتعطف، فلا تَنكسر ⁽⁶⁾.

- **الجرأة في خوض المعالي:** والتعاطي: التناول والجرأة على الشيء، من عطا الشيء يعطوه إذا أخذه وتناوله، يقال: فلان يتعاطى معالي الأمور ورفيعها،

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 15/68-69، (عطا).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 6/2430، (عطا).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص572، (عطا).

(4) الرازي، التفسير الكبير، 32/312. وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 39/63.

(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص573، (عطا).

(6) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 6/2430، (عطا)، وابن منظور، لسان العرب، 15/70، (عطا).



هو يتعاطى الرفعة، وفلان يتعاطى كذا، أي: يخوضُ فيه⁽¹⁾، وتعاطينا فَعَطَوْتُهُ، أي: صرَعْتُهُ وغلِبْتُهُ⁽²⁾.

- الرِّعاية والخدمة: ومنه: عا طى الصبي أهله: عمل لهم وناولهم ما أرادوا، ويقال: عطيتُهُ وعاطيتُهُ، أي: تولَّيتُ خدمته وقمتُ بأمره⁽³⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن أن يُعرَّف العطاء على ضوء المعنى اللغوي بأنه ما يعطى هبةً، فضلاً وإحساناً وصلَةً، ويكون عن يُسرٍ وسُهولة نفس، أو خدمة ورعاية بلين ورحمة وعطف، وهو من معالي الأخلاق وأسمى القيم.

ويكون من خلال تقديم شيء ما إلى الآخرين دون توقُّع الحصول على شيء في المقابل، ويمكن أن يكون هذا العطاء ماديًّا؛ كتقديم المال أو الأشياء المادية، أو معنويًّا، كتقديم الدعم، الوقت، المعرفة، العاطفة... ونحو ذلك.

أهمية العطاء:

وتبرز أهمية العطاء في نقاط كثيرة، من أهمها أن العطاء:

(1) صفة من صفات الله تعالى:

فمن أسمائه سبحانه: المعطي، الكريم، المنان، الوهاب، الرزاق...، وكلها تدل على العطاء، قال رسول الله ﷺ: «واللهُ المعطي وأنا القاسم»⁽¹⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 70/15، (عطا).

(2) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 64/39، (عطو).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 70/15، (عطا).



وكثيراً ما ذكر القرآن الكريم عطاءات الله تعالى: ومنه قوله: ﴿إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، وقوله: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20]، والعطاء هنا مصدر بمعنى
المعطى⁽²⁾، والإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل، بل
بمحض التفضل⁽³⁾.

وقد أعطى الله نبيّه سليمان عليه السلام من الملك والعطايا ما لم يعطه
أحدًا من بعده، قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝ وَآخَرِينَ
مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ [ص: 35 - 38]، ثم قال له سبحانه وتعالى بعد هذه
الأعطيات: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39].

2) صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام:

ذكر القرآن الكريم من صفة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ
حَنِيزٍ﴾ [هود: 69]، وفي موضع آخر قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ
الْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝ فَرَاغَ
إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: 24-26].

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3116، 85/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 719/2، 1037.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 267/23.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 165/5.



[27]، وصفهم بالمكرمين إما لكونهم عبادًا مكرمين كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] وإما لإكرام إبراهيم عليه السلام إياهم، أكرمهم ببشاشة الوجه أولاً، وبالإجلاس في أحسن المواضع والطفها ثانيًا، وتعجيل القرى ثالثًا، وبعد التكليف للضيف بالأكل والجلوس⁽¹⁾، وقيل: أكرمهم بأنه خَدَمَهُمْ، صلوات الله عليه وعليهم⁽²⁾.

وكان إبراهيم عليه السلام كريمًا غاية الكرم، وكان يكنى "أبا الضيفان"، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد⁽³⁾، ولا عَجَبَ فقد جاد بنفسه لربه الأكرم... والجود بالنفس أقصى غاية الجود⁽⁴⁾.

وعن عطاء قال: "كان إبراهيم عليه السلام خليل الله إذا أراد أن يتغدى طلب من يتغدى معه ميلًا في ميل. وأحبُّ الطعام إلى الله عز وجل ما كثرت فيه الأيدي"⁽⁵⁾.

وامتنَّ الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بالعطاء، فقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وذكر له بعض أوجه العطاء، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ثم أمره بشكر هذا العطاء شكرًا من جنسه، فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 5-11].

(1) الرازي، التفسير الكبير، 174/28.

(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 54/5.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 35/10.

(4) الواحدي، التفسير الوسيط، 555/5.

(5) البيهقي، شعب الإيمان، 138/12.



وكان عطاؤه ﷺ يشمل الإنسان المحتاج بغضّ النظر عن دينه أو جنسه أو عرقه، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 272].

ولم يكن هذا الخلق طارئاً عليه ﷺ؛ إذ بينت أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها اتّصافه وتحليّيه ﷺ بهذه الخصلة من قبل بعثته، لما قالت له عندما جاءها خائفاً ترتعد فرائضه بعد تلقّيه الوحي في غار حراء: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»⁽¹⁾.

وقد «كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجود ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريل، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدارسه القرآن، فلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ من الرِّيحِ المرسلَةِ»⁽²⁾.

وفي سيرته ﷺ مواقف كثيرةٌ تدلُّ على سعةِ كرمه وجوده، منها:

أنَّ النبي ﷺ أتى بمالٍ من البحرين، فقال: «انْزُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة، ولم يلتفت إليه،

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 7/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 160، 139/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6، 8/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2308، 1803/4.



فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه... فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهمٌ⁽¹⁾.

وإنَّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم، ثمَّ سألوه، فأعطاهم، ثمَّ سألوه، فأعطاهم حتَّى نفد ما عنده، فقال: «ما يكونُ عندي من خيرٍ فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»⁽²⁾.

وفي الحديث: «ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومهِ، فقال: يا قومِ أسلموا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»⁽³⁾.

وهذا يدلُّ في مجمله على معاني الكرم والجود، والعطاء والإيثار عند النبي ﷺ، وهذا دليلٌ واضحٌ على أن النَّبيَّ ﷺ قد بلغ مرتبة الكمال الإنساني في العطاء والإيثار؛ إذ كان يعطي عطاءً من لا يحسبُ حساباً للفقير ولا يخشاه؛ ثقةً منه بعطاء ربه تعالى.

(3) قيمه ثابتة في القرآن الكريم:

ذكر العطاء في القرآن الكريم أربعة عشرة مرة؛ عشرة منها تناولت الحديث عن العطاء الإيجابي، وأربعة في معانٍ أخرى سلبية؛ كقلة العطاء، والاستعطاء، والعطاء كرهاً.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 421، 91/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1469، 122/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 729/2، 1053.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2312، 1806/4.



ومما ذكر القرآن الكريم في العطاء:

- أن عطاء الله تعالى يشمل خلقه جميعاً: ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 49-50].

- أن الله تعالى يعطي عباده عطاءات الدنيا والآخرة تفضلاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۖ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۖ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 18-20]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَآتَاكُم مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلُولٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 32-34].

- أن الله تعالى يعطي عبده ما سأل: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيَاطِينِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ۖ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 35-39]، ﴿وَآتَاكُم مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34].

- أن الجنة هي عطاء من عطاءات الله للمؤمنين في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾ [هود: 108]، وقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ



حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۖ إِنَّ جَزَاءَ مَنْ رَزَقَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ [النبا: 31-36].

(4) علامة من علامات الخير:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ بالنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع، أنضيت راحلتي، فأسهرت ليلي، وأظلماتُ نهاري، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني؟ فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟» فقال أنا زيد الخيل، فقال: «بل أنت زيد الخير، فاسأل، فربَّ معضلة قد سُئل عنها!» قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد؟ فقال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت؟» قال أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملتُ به أيقنتُ بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننتُ إليه. فقال النبي ﷺ: «هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد»⁽¹⁾. الحديث.

(5) حق إنساني وواجب ديني:

العطاء خلقُ إنساني يشمل البشرية كافةً، وقيمةٌ دينيةٌ أمر الله تعالى بها ونبيه الكريم ﷺ، ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجعلَ يصرفُ بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن كان معه فضلٌ ظهر؛ فليعُدْ به على مَنْ لا

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 376/1.



ظهِرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ؛ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ⁽¹⁾.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً، اسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا أَحَبُّ أَنْ أُحْدَا لِي ذَهَبًا؛ يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثًا، عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا أَرْصَدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وَأَرَانَا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْأَكْثَرُونَ هُمْ الْأَقْلُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا»⁽²⁾. "كناية عن التَّصَدُّقِ العام في جميع جهات الخير"⁽³⁾، و"فيه الحثُّ على الصَّدَقَةِ في وجوه الخير"⁽⁴⁾.

(6) دليل على الصدق والتقوى:

ومن وجوه الاستحسان الواردة في العطاء أنه صفة للمؤمنين الصادقين المتقين، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ وشهد لمن فعل ذلك بالصدق والتقوى، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1728، 1354/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6268، 60/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 94، 687/2.

(3) المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 293/6.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 73/7.



الْمُتَّقُونَ [البقرة: 177]، والعطاء دليلٌ على حسن الظن بالله، وبرهان على الإيمان بجزائه، كما قال ﷺ: «**والصدقةُ برهانٌ**»⁽¹⁾.

والعطاء انعكاسٌ للطاعة على السلوك، وجبر لنقصها، فهناك التفاتةٌ دقيقة في آيات الصيام؛ إذ نقرأ بين ثناياها قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: 184]، فقد شُرعت الصدقةُ نائباً عن الصيام لغير المستطيع؛ كالشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم، والمريض، والمسافر رخص الله له الفطر، وأوجب عليه الفدية أن يُطعم عن كل يومٍ مسكيناً، وجعل الصدقة نائباً عن الصيام وخلفاً له؛ لأنَّ الصدقة تجبرُ هذا النقص الواقع في الصيام.

وفي آخر الشهر الكريم فرض الله - كذلك - صدقةَ الفطر، أو زكاة الفطر، وأخبر النبي ﷺ أن زكاةَ الفطر طهرةٌ للصائم، فقد (فرض رسول الله ﷺ زكاةَ الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين)⁽²⁾، وكأن صدقةَ الفطر جابرةٌ للنقص الذي قد طرأ على الصيام في رمضان، ومعالجة له.

مجالات العطاء:

تتعدد مجالات العطاء وتتنوع أشكاله لتشمل العطاء المادي، والعطاء المعنوي، ومن ذلك:

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 223، 203/1.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1609، 111/2، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 585/1، 1827.



(1) العطاء من المال:

ويدخل فيه كل ما يُنتَفَع به من الأمور المادية، وكل ما يدخل في ملك الإنسان من المال والممتلكات والطعام والشراب...، ويكون للأقرب فالأقرب، فيبدأ بـ:

- النفس:

فلا يبخل الإنسان على نفسه، في طعامها وشرابها وكسائها ودوائها وتنميتها...، جاء في الحديث أَنَّ النبي ﷺ أمر بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عِندي دينارٌ، فقال: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ»⁽¹⁾.

والله سبحانه يُحِبُّ أَنْ يُرَى أثرُ نعمته على عبده، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172]، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: 32]، ويقول: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: 141]، ويذمّ مَنْ يكتُم النعمة بخلاً: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 37]، فالبخيل جحود لنعمة الله عليه، لا تظهر عليه ولا تبين في مأكَل ولا في ملبس، ولا في إعطاء ولا بذل...

وجاء في الحديث: عن أبي الأحوص الجشعي، عن أبيه قال: رآني النبي ﷺ وعلي أظمار - أي: ثياب دُونَ -، فقال: «هل لَكَ من مالٍ؟». قال: قلت: نعم. قال:

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1691، 117/3، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2535، 62/5.



«من أي المال؟» قال: قلت: قد آتاني الله عز وجل من الشاء والإبل، قال: «فلتُرْ
نعمة الله وكرامته عليك!»⁽¹⁾.

- الأهل:

وأولى الناس بالإنفاق والعطاء بعد نفس الإنسان أهله وَمَنْ تَجِبُ عليه
نفقهم، فعن طارق المحاربي عليه السلام قال: قدمنا المدينة؛ فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ
على المنبر يخطبُ الناسَ وهو يقول: «يَدُ الْمُعْطِي العُلْيَا، وابدأ بِمَنْ تعول: أَمَّكَ
وأباك، وأختك وأخاك، ثُمَّ أدناكَ أدناكَ»⁽²⁾.

وفي الحديث الذي سبق آنفًا، قال: أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا
رسول الله، عندي دينار، فقال: «تَصَدَّقْ به على نَفْسِكَ»، قال: عندي آخر،
قال: «تَصَدَّقْ به على وَلَدِكَ»، قال: عندي آخر، قال: «تَصَدَّقْ به على
زَوْجَتِكَ»⁽³⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رقبة،
ودينارٌ تصدقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي
أنفقته على أهلك»⁽⁴⁾. وفي هذا الحديث فوائد، منها: الابتداء في النِّفْقَة
بالمذكور على هذا التَّرتيب، ومنها: أَنَّ الحقوق والفضائل إذا تزاхمت؛ قُدِّمَ

(1) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 19742، 608/19،

(2) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2532، 61/5.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1691، 118/3، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث:
2535، 62/5.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 995، 692/2.



الأؤكد فالأؤكد، ومنها: أَنَّ الأفضل في صدقة التَّطَوُّع أن يَنَوِّعَهَا في جِهَات الخير ووجوه البرِّ بحسب المصلحة، ولا ينحصر في جهةٍ بعينها⁽¹⁾.

- الأرحام:

ثم أرحامُ الإنسان، وأولاهم بالإنفاق والعطاء الوالدان، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215]، قَدَّمَ سبحانه الوالدَيْن والأقربين على اليتامى والمساكين في الإنفاق، وضاعف أجرها؛ لقول ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحْمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»⁽²⁾.

وورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فبَدَرْتَهُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَبَدَرَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: «يَا عَقْبَةُ، أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»⁽³⁾.

- الجيران:

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِكْرَامِ الْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ إِكْرَامَ الْجَارِ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْإِيمَانِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»⁽⁴⁾، وَفِي رَوَايَةٍ: «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»⁽⁵⁾، وَقَالَ ﷺ أَيْضًا: «وَأَحْسِنْ جَوَارِ

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 84/4.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 658، 39/2، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2582،

92/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 1844، 51/3.

(3) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7285، 178/4.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6019، 11/8.

(5) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 47، 50/1.



مَنْ جاورَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»⁽¹⁾. بل إِنَّ جبريلَ عليه السلام كان يُوصي النبي ﷺ بالإحسان إلى الجار وإكرامه، حتى ظنَّ ﷺ أنه سيورثه، قال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريلُ يوصيني بالجار؛ حتى ظننتُ أنه سيورثه»⁽²⁾.

ومن الإحسان إليه إهداء الطعام إليه، فقد كان النبي ﷺ يقول: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»⁽³⁾.

وإن اشتَمَّ الجارُ رائحةَ الطعام فاشتَهاهُ، ولم يذُقْهُ؛ فإن ذلك في ميزان الشرع من الإيذاء، وفي الحديث: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مِرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا؛ وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»⁽⁴⁾، دفعًا لأذى اشتَهاهم الطعام من ريحه، واجتهادًا في بذل المعروف لهم.

وكلما ازداد القُرب عَظُمَ الحق: فعن عائشة ؓ قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيِّهما أُهدي؟ قال: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بِأَبٍ»⁽⁵⁾.

وَإِكْرَامُ الْجَارِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ، وَإِذَاؤُهُ يَحْرِمُ مِنْهَا: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَأَقَّهِ»⁽⁶⁾، وقال رجل: يا رسول الله، إن فلانةً يُذَكِّرُ من كثرةِ صلاتها، وصيامها، وصدقها، غير أنَّها تؤذي جيرانها بلسانها، قال:

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4217، 1410/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6015، 10/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2566، 153/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1030، 93/3.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2259، 88/3.

(6) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 49، 49/1.



«هي في النَّار»، قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قِلَّة صيامها، وصَدقتها، وصلاتها، وإنها تَصَدَّق بالأثوار من الأقط [يعني: باللبن الجامد القاسي]، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في الجنة»⁽¹⁾.

- الضعفاء في المجتمع:

وقد ذكر الله تعالى المساكين في كثير من الآيات، وأمر بالإحسان إليهم وتفقد أحوالهم ومساعدتهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، وقال أيضًا: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: 177]، وكثيرًا ما ذكر الله تعالى الإحسان بالعطاء للضعفاء في المجتمع بعد الوالدين والأقربين، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215].

وكان ﷺ يسأل عن الفقراء والمساكين، ويستفسر عن أحوالهم، ويحث على مساعدتهم ومواساتهم، وكان يرفع رتبة الساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما إلى رتبة قائم الليل صائم النهار⁽²⁾.

- الناس جميعًا:

فالعطاء العام يعزِّز عند الإنسان الشعور بالانتماء للجماعة، وأنه جزءٌ منها، وليس فردًا عزَّلتَه عن الناس مصالحة الشخصية، وأنه جزء من الحل في

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 9675، 426/15.

(2) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5353، 62/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2982، 2286/4، والنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 112/18.



مجتمعه، وسبب لقضاء حاجة بني جنسه، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 36]، وهذه الآية شملت معظم الناس المحيطين بالإنسان أو كلهم، وأمر الله تعالى بالإحسان إليهم جميعاً، ومن أعظم وجوه الإحسان العطاء بكل أنواعه.

- المخلوقات:

ثم إن العطاء ليس خاصاً بالإنسان وحسب، بل يتعداه إلى غيره من مخلوقات الله تعالى، قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ؛ إلا كان له به صدقة»⁽¹⁾.

وتقدم حديث: «بيننا رجلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطشُ، فنزل بئراً، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلبٍ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغَ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفّه، ثم أمسكهُ بفيه، ثم رقي، فسقى الكلبَ، فشكر الله له، فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»⁽²⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2320، 103/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1553، 28/5.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 111/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1761/4، 2244.



(2) العطاء من العلم:

والعلم يزكو بالإنفاق، وأهل العلم الحقيقيون حريصون على أن يفيدوا غيرهم بما أعطاهم الله من العلم والمعرفة والحكمة، ورد عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال: "يا كميل، العلم خيرٌ من المال؛ لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، يا كميل، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة"⁽¹⁾.

وروي: "تعجلوا بركة العلم، ليفد بعضكم بعضاً، فإنكم لعلكم لا تبلغون ما تؤملون"⁽²⁾. وقيل: "من بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا ينتفع به، أو تذهب كتبه"⁽³⁾.

(3) العطاء من الرأي:

ويتمثل بالنصح والتوجيه لنيل خير، أو تحذير من شر، أو حل إشكال، أو قضاء حاجة...، قال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»⁽⁴⁾. و"النصيحة" كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ويُقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن المعنى"⁽⁵⁾.

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 79/1.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 370/6. عن سفيان الثوري.

(3) النووي، المجموع، 40/1. من قول الثوري كذلك.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 55، 53/1.

(5) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 37/2.



(4) العطاء من الجاه:

فكم من المشاريع التي تحتاج إلى ثقةٍ مأمون يسعى بجاهه ومنزلته بين من يعرف لتشييدها واحتضانها ودعمها؛ ليكون نواة للتكافل الاجتماعي، وهذا نوع من العطاء الذي لا يستطيعه عامة الناس، إنما له أهله في كل مجال من المجالات.

(5) العطاء من النفس (الذاتي):

ومنه: العطاء المعنوي، وهذا العطاء الذاتي المعنوي - على يسره وسهولته - يُعدّ أكثر أهمية لفئات كثيرة من الناس، ويتمثل بإغداق الحب، والتقدير، والاحترام، والابتسامة وطلاقة الوجه، ولين الجانب، وطيب الكلام، والسماحة في التعامل، والعطف والحنان على من حوله، والاهتمام بهم، والإصغاء لما يشغلهم، وإدخال السرور عليهم، ونشر السلام والمحبة في محيطهم... وكل ذلك يعدّ في الإسلام شكلاً من أشكال الصدقة.

ومن ذلك - أيضاً - العطاء البدني والخدمي، من القوة والجهد، من خلال الأعمال التطوعية وتقديم المعونة والمساعدة والخدمات الاجتماعية؛ فمن لم يستطع أن يجود بماله جاد بقوته، بوقته، بخدماته...، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدل بين الاثنين صدقةً، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقةً،



والكلمة الطَّيِّبَةُ صدقةٌ، وكلُّ خطوةٍ تمشيها إلى الصَّلَاةِ صدقةٌ، وتُمِيطُ الأذى عن الطَّرِيقِ صدقةٌ»⁽¹⁾.

ثمرات العطاء:

تتعدد ثمرات العطاء وتتنوع لتعمَّ الفرد والمجتمع، وتشمل الحاضر والمستقبل، في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

1) العطاء الإنساني بابٌ للعطاء الإلهي في الدنيا والآخرة:

عطاء الإنسان لغيره بابٌ لعطاء الله تعالى له، وسببٌ لإنفاق الله تعالى عليه، فالجزء من جنس العمل، قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك»⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، فقد ضرب الله تعالى هذا المثل للمنفق ابتغاء وجهه، بيانا لتضعيف ثوابه، وتكثير حسناته إلى أضعاف كثيرة.

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»⁽³⁾، وقال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2989، 56/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1009، 83/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1442، 115/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1010، 83/3.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4684، 73/6، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 993، 77/3.



كُرب يوم القيامة، ومن يسر على مُعسرٍ سر الله عليه في الدُّنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»⁽¹⁾.

(2) العطاء سبب للتراحم المجتمعي وصورة من صورته:

العطاء سبب للتراحم المجتمعي، ومظهر من مظاهر التعاون والتكافل المجتمعي، وقاعدة من قواعد البناء والتنمية لمجتمع متماسك، يدعم الثقة والحب والترابط بين أفرادهِ، ويعزز تماسكه ويحافظ على عافيته - وقاية وعلاجاً - من الأمراض المجتمعية التي تنتشر بسبب الأثرة والفقر والأنانية والاحتكار... ونحوها، ومن أمثلته ما كان يفعله الأشعريون في أيام القحط والجفاف والمجاعات، يجمعون ما عندهم، ثم يقتسمونه بينهم بالسوية، فأتى النبي ﷺ على فعلهم هذا، قائلاً: «فَهُمْ مِيّ، وَأَنَا مِنْهُمْ»⁽²⁾.

ومن المعاني الشاهدة على ذلك أيضاً قوله ﷺ: «تهادوا، فإن الهدية تذهب وَحَرَّ الصَّدْر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شِقَّ فِرْسَن شاة»⁽³⁾، و"حر الصدر" غله وغشه وحقده؛ وذلك لأن القلب مشحون بمحبة المال والمنافع؛ فإذا وصله شيء منها فرح به وذهب من غمه بقدر ما دخل عليه من فرحه⁽⁴⁾.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2486، 3/ 138، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2500، 4/ 1944.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2130، 4/ 9، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 7591، 33/ 13.

(4) المناوي، فيض القدير، 3/ 272.



وهذا الأثر الذي يكون للهدية والعطاء لا يختص به المعطي، بل يكون عند المعطي والآخذ على السواء؛ لما ذكر الله من تزكية النفس بالعطاء، قال: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18]، ويأتي الحديث عنه في قيمة تهذيب النفس.

(3) العطاء طريق إلى قلوب الناس ونيل محبتهم:

فالعطاء جسرٌ إلى قلوب الناس، والمعطي قريب من الله، قريب من الناس، يذهب العطاء، ويبقى فضل صاحبه محفوظاً، ورُوي عن علي مرفوعاً: «الكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحْمِ»⁽¹⁾، والإنسان أسير الإحسان، وفيه قول الشاعر:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فطالما اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ⁽²⁾

(4) العطاء سبب للحفظ ونيل الخير:

وأول هذا الخير هو ارتفاع مستوى الرضا الذاتي عند المعطي نفسه، فعطاؤه شاهد له أمام نفسه أنه من أهل الفضائل الإنسانية التي تشهد على انتصاره على الأهواء وتجرده من الأنانية، وتفضيله البذل على الاحتكار، وأن المال لديه وسيلة لا هدفاً. فيحفظه العطاء في عاجل أمره وأجله، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)⁽³⁾.

(1) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 8618، 180/11.

(2) ديوان أبي الفتح البستي، ص 6.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 8014، 261/8.



ومن أشهر من عرف عند العرب بالجدود والكرم حاتم الطائي؛ الذي كان مضرب المثل في ذلك، وأبقى عطاؤه وكرمه ذكره في كتب التاريخ والسير والأخلاق.

(5) العطاء يستر عيوب النفس ويحفظ السمعة:

ومن بركة العطاء أنه يحفظ النفس من الجنوح الخطير في الأنانية وحب الأثرة والتملك، فيحفظ بذلك سمعة صاحبه وصورته بين الناس؛ إذ يغطي كرمه كثيراً من عيوبه، كما قال الشافعي:

وإن كثرت عيوبك في البرايا وسرّك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكلُّ عيبٍ يغطيه كما قيل السخاء⁽¹⁾

(6) العطاء طريق إلى بلوغ درجات البر والإحسان:

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]. والمعنى: "لن تنالوا، أيها المؤمنون، جنة ربكم حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم، من نفيس أموالكم"⁽²⁾.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه يبرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلي يبرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها

(1) ديوان الإمام الشافعي، ص 10.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 587/6.



وذُخِرْهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ⁽¹⁾.

(7) العطاء طريق إلى الجنة:

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 5 - 7]. وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ فَوْقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12-8] الآيات.

سبل تعزيز العطاء وتنميته:

تتنوع طرق اكتساب العطاء وآلياته، ومسارات تعزيزه وتمكينه، ومن أبرزها:

(1) تهذيب النفس وتزكيتها:

بين العطاء والتزكية تأثير متبادل، فالعطاء يحتاج إلى نفس زكية قادرة على تمثله، والنفس تزكو وتسمو بالعطاء والجود الذي يطرئها من رذائل الشح

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1461، 119/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 79/3، 998.



والأنانية والأثرة، وكلما ازداد الإنسان عطاء ازداد زكاء، وكلما ازداد زكاء ازداد عطاءً.

وأهمُّ ما تطهَّر منه النفسُ في هذا: البخل، فإذا كان العطاء خلقاً محموداً، فإنَّ البخل خلق مذموم، ينبغي أن يتَّقَى ويُحذَر؛ إذ هو مرتَّعٌ وخيمٌ سيِّئُ العواقب؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ [مُحَمَّد: 38]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وعلاوة على هذا، فإنَّ البخل من مكاييد الشَّيطان ووسوسته؛ قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268]، ومعنى الفحشاء في هذه الآية هو البخل ومنع الزكاة كما قال المفسِّرون ⁽¹⁾.

والبخل طريقٌ يودي بصاحبه إلى كلِّ شر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿١﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٢﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٣﴾﴾ [الليل: 8 - 10]، وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180].

(2) التزام التقوى:

قرن الله تعالى العطاء بالتقوى، ووعد المعطي المتقي بالجنة في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أي: فأما من أعطى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله، واتقى الله واجتنب

(1) ينظر: الجلال المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، ص 60.



مُحَارَمَه، ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: وصدق بالخَلْفِ من الله على إعطائه ما أعطى من ماله، ﴿فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 5-7]، أي: فسنيئته للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليوجب له به في الآخرة الجنة⁽¹⁾.

(3) صحبة أهل العطاء:

الصديق والصاحب يؤثر في صاحبه سلبيًا أو إيجابيًا؛ لذلك قال ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخَالِلُ»⁽²⁾، فَمَنْ صاحب أهل العطاء والخير كان على دينهم ونهجهم، ومن صاحب أهل البخل والشح أصابه ما أصابهم، قال ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَادِ، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽³⁾.

ووصف الله تعالى البخلاء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الحديد: 24]، فالبخيل لا يكتفي بالبخل لنفسه، بل يأمر به ويعلمه لمن حوله، حتى يدركه الندم في الآخرة، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27 - 29].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 460/24 - 466.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 204/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 187/4، 2378.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2101، 63/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 37/8، 2628.



(4) التربية على العطاء:

فمشاركة الأبناء في إيصال الصدقات والمعونات لمستحقيها، ودعم رصيدهم الإيماني، وبيان قدر الدنيا لترك التعلق بأشياءها، وتوثيق ارتباطهم بالقيم والأخلاق بدل الارتباط بالأشياء والمعاني الزائفة، كل ذلك يعين في تربية جيل معطاء، يمتلك مقومات التماسك والتلاحم والنمو.

والأطفال يتعلمون بالقدوة؛ فإن كان الآباء قدوات حسنة لأبنائهم؛ علموهم القيم الراقية بسلوكهم وتصرفاتهم قبل ألسنتهم، ف رؤية الطفل لأبيه أو أمه وهو يعطي ويتصدق تعلّمه قيمة العطاء أكثر من الأمر والنهي، وإعطاء الطفل المال بيده ليتصدق به؛ أصدق تعليمًا من مجرد الكلام.

(5) حملات الخير والعطاء

إن الحملات الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية، والتي تحت على العطاء والكرم في المناسبات كالأعياد ونحوها، والتكافل والتعاون في النوازل وفي أوقات العسر، وما ينظم على الدوام من عمليات كفالة اليتيم ورعاية المسكين ومداواة المرضى وتزويج الشباب... كلها نشاطات مجتمعية تدرب على قيمة العطاء وترسخه في المجتمعات.

هذا، وإن ما تضمّه دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم من مؤسسات خيرية وخدمات إنسانية ومبادرات مجتمعية؛ كمؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ومؤسسات الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وسقيا الإمارات،



ومنصة التطوع، وجمعيات دبي، والشارقة، وعجمان، ورأس الخيمة، والفجيرة... الخيرية؛ كل ذلك يشهد بهذا العطاء وهذه الرحمة التي اتسعت رحمتها وامتد أثرها محلياً وإقليمياً وعالمياً، بعد أن رسخت جذورها في تاريخ الإمارات، وثبت أصلها في نفس الشيخ المؤسس زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، الذي "سجل بأحرف من نور على صفحات تاريخ البشرية الإنساني اسم الإمارات رائدة العمل الخيري ومجالاته المختلفة، وحمل على عاتقه مسؤولية نشر السلام والتعايش بين الشعوب، وإعلاء القيم والمبادئ الداعية لحب الخير"⁽¹⁾.

كان الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه أنموذجاً فذاً فريداً في البذل والعطاء، وكانت له أقوالٌ وحكمٌ ومواقف خالدة في التمسك بهذه القيمة، منها قوله طيب الله ثراه: "إنني على استعداد لأن أعطي أكثر مما أعطيت، أعطي لأحافظ على مكاسب المواطنين في الاتحاد، أعطي لأحافظ على الوطن الذي كبر ونما، أعطي لأحافظ على الكيان الاتحادي من أجل هذا الجيل والأجيال القادمة" وسأعطي كل ما أملك وكل ما أقدر عليه من أجل هذه الأرض وهذا الشعب، لا شيء عندي غال بالنسبة للوطن والمواطن، وسأكافح من أجل هذا"⁽²⁾.

(1) من قول سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان في تصريح بمناسبة يوم زايد للعمل الإنساني، بعنوان: "إرث زايد الإنساني سيظل نبأً يضيء دروب الخير والعطاء من أجل إسعاد البشرية"، منشور في وكالة أنباء الإمارات، بتاريخ 19 أبريل 2022م.

(2) ينظر: [زايد...روح خالدة في ذاكرة ووجدان الوطن والمواطنين](#)، وكالة أنباء الإمارات وام.



ولا تزال دولة الإمارات العربيّة المتّحدة سائرةً على هذا النهج، وقد حفظ لها العالم مختلف مبادراتها في الالتزام بذلك، لا سيّما في أوقات الطّوارئ والأزمات، وقد تقدم ذكر بعضها في قيمة الرحمة.

ضوابط قيمة العطاء:

العطاء قيمة قد فُتحت لها الأبواب في النصوص الدينية والمساحات الإنسانية، لكن العطاء مضبوط بضوابط دينية وعقلية، منها:

(1) ألا يؤدّي العطاء إلى الإضرار بصاحبه:

فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، فإذا أنفق الإنسان من ماله؛ نهج هذا النهج في إنفاقه، من غير إفراط ولا تفريط، بل باعتدال وتوسط، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

يُحمّل ما سبق على الإنفاق على النفس والأهل والضيّف، وقد يحمّل كذلك على صدقة التطوع -أما الصدقة الواجبة (زكاة المال، زكاة الفطر، النذر...) فلا سرف فيها؛ لأنها معلومة القدر- إذا زادت صدقة التطوع عن حدّها، فأفقرت صاحبها، وأحوجته للناس، أو سبّبت تقصيرًا في حق من يجب عليه نفقتهم، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]، أي: ولا تعطوا كله، قيل: الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض



عليه إلى زيادة تجحف به⁽¹⁾. فمن لم يملك إلا مئة دينار مثلاً، ومعه عياله وأولاده، ولا معيشة لهم سواه، فأنفق الجميع في وليمة مثلاً، فهو مسرف، وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله⁽²⁾.

وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه، ولو أنه سبحانه طالبهم بإنفاق المال كله لبخلوا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۚ إِنَّ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد: 36، 37]، يعني أن الله تعالى قد علم أنه لو كلفكم ما لا تطيقون من الإنفاق؛ لكان ذلك داعياً إلى أن تبخلوا بأموالكم وتمنعوها⁽³⁾.

(2) ألا ينبني على العطاء لأناس؛ حرمان آخرين من حقوقهم:

- لا ينبغي للعطاء المحمود أن يكون سبباً للتقصير في أداء حقوق الآخرين، فإعاري المعطي الأولويات، ولا يضر بعطائه المندوب عطاءه الواجب، ولا يقصّر في فرض العين بسبب فرض الكفاية.

- ولا يجوز للإنسان أن يكتسب المال بطرق مؤذية أو غير مشروعة؛ ليعطيه لآخرين، فالله تعالى طيبٌ، ولا يقبل إلا طيباً، قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَهُ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

(1) ينظر: الماوردي، النكت والعيون، 178/2.

(2) السابق، 179/2.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 231/21.



[المؤمنون: 51]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]»⁽¹⁾.

- كما ينبغي للآباء أن يراعوا مسألة العدل بين الأولاد في العطايا والهبات، فقد نهى الشرع عن التفضيل بينهم؛ لأن ذلك قد يورث العداوة والبغضاء فيما بينهم، وفيما بينهم وبين أبيهم أيضاً. فالأصل أن يعدل الإنسان بين أولاده ذكورهم وإناثهم، لكن إذا اختلفت أحوال الأولاد، فاقتضى حال بعضهم أن يُفضِّلَه لحاجته، فلا حرج في ذلك، أما التفضيل لمجرد المحابة، من دون سبب مقبول، فغير جائز شرعاً، وقد جاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحَةَ: لا أرضى حتى تُشهِدَ رسولُ الله ﷺ، فأنطلقَ أبي إلى النبي ﷺ ليُشهِدَهُ على صدَّقتي، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أفعلتَ هذا بولدك كلِّهم؟» قال: لا، قال: «أتقوا الله وأعدلوا في أولادِكُم» فرجعَ أبي فردَّ تلك الصدقة⁽²⁾.

(3) العطاء الإلهي ابتدائي وجزائي:

الأصل أن عطاء الله تعالى ابتدائي، ثم بالشكر يدوم وينمو، وبنكران العطاء وكفرانه يذهب، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وشكر العطاء الإلهي يكون بالشكر والعطاء: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1015، 85/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2587، 158/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 65/5، 1623.



لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: 1-2]، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: 75-76].

ويكون - كذلك - بالشكر والإيمان: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22].

والشكر من لوازم العطاء؛ وشكر نعمة الله سبحانه وتعالى سبب لاستقرارها وثبوتها وزيادتها؛ لذلك يجب على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه سواء كانت دينية أو دنيوية، وأن يحسن استخدامها في مرضاته، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

ومن شكر نعمة الله تعالى نسبتها إليه سبحانه؛ أما نسبتها لغيره تعالى فهو نوع من كفرانها، قال ﷺ: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»⁽¹⁾.

والشكور من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34]، والشكر سنة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وأثنى الله على إبراهيم عليه

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 71، 59/1.



السلام بالشكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120، 121].

وكان ﷺ يهتمُ بشكرِ النعمة، وكان يدعو ويطلب من الله تعالى أن يُعينه على الشكر، فكان يقول بعد كل صلاة: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»⁽¹⁾.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالشكر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]. فالواجبُ على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه وآلائه، وألا يقتصر الشكر على اللسان وحسب، بل بالقلب واللسان والجوارح؛ لأنه سبحانه أهلٌ للحمد والثناء، ونعمه كثيرة وعظيمة.

وحتى العطاء البشري؛ جزاؤه شكرٌ وعرفان، وإن كان أصحاب العطاء لا يطلبون الشكر، ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 9]، لكن شكرهم واجب لمن نال عطاءهم، قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»⁽²⁾.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1522، 630/2، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1303، 53/3.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4811، 188/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 505/3، 1955.



(4) العطاء مندوب، والتسول مذموم:

العطاء والإحسانُ إلى الناس لا شكَّ أنه مندوبٌ محمود، ولكنَّ الاستعطاء بطلبِ المال والعطايا من الناس من دون حاجةٍ ملحةٍ غير مستحبٍّ، بل مذمومٌ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَاتَّكْفِلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسألُ أحدًا شيئاً⁽¹⁾.

وإن كان للإنسان ما يُغنيه، فسؤالُ الناسِ وطلبُ الاستكثار منهم حرامٌ في حقِّه، قال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يَغْنِيهِ؛ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُمُوشٌ، أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ فِي وَجْهِهِ»⁽²⁾.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألتُه، فأعطاني، ثم سألتُه، فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خَصِيرةٌ حلوةٌ، فمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»⁽³⁾.

وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يعطي عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطاء، فيقول له عمر: أعطه، يا رسول الله، أفقرَ إليه مِنِّي، فقال له رسول الله ﷺ: «خُذْهُ فْتَمَوِّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1643، 83/3.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1626، 68/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 650، 33/2.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1472، 123/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1035، 94/3.



غير مُشرفٍ ولا سائلٍ فخذه، وما لا، فلا تُتبعه نفسك»، قال سالمٌ: فمن أجل ذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يردّ شيئاً أعطيه ⁽¹⁾.

ومن صفات المنافقين التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم أنهم إذا لم يُعطوا من الصدقات يغضبون ويسخطون، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: 58] ⁽²⁾.

فالواجبُ على الإنسان أن يتعَفَّفَ عن الطلب والمسألة، قال عليه السلام: «المسألة لا تحلُّ إلا لثلاثة: لذي فقر مُدَقِّعٍ، أولذي غُرم مُفْطَعٍ، أولذي دم مُوجِعٍ» ⁽³⁾، ومن هنا تعمل المؤسسات الإنسانية الرسمية على التحقق من حال السائل قبل العطاء، وهذا واجب؛ حتى لا يكون العطاء لغير مستحقه.

خاتمة:

العطاء من صفات الله تعالى، ومن صفات أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أنه من أخلاق المؤمنين الصادقين الواثقين من عطاء ربهم، يجودون بأموالهم وعلومهم وجاههم وسخاء أنفسهم، فيكونون شعلة للمحبة والألفة تضيء بين الناس، ويفتح الله بهم أبواب الرحمة والخير، ويخلص المجتمع بعطائهم من مشاعر البغض والكراهية والحسد وأشباهها، وفائدته

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1045، 98/3.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 301/14.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1641، 81/3، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث:

316/3، 2198.



تعود إلى مَنْ تَخَلَّقَ به أولاً، وإلى كل المجتمع ثانياً، وفي الآخرة يبلغ العطاء بأصحابه أرفع الدرجات في أعالي الجنّات.

* * *



- الرأفة والعطف

الرأفةُ والعطفُ قيمتان تتفرعان عن الرحمة؛ وصفتان تندرجان تحتها وتحملان في طياتهما معانيهما، فالرأفة في الأصل رِقَّةُ الرحمة⁽¹⁾، والتعطفُ إنما يكون بالرحمة⁽²⁾، و الرحمة رِقَّةُ القلب وعطفه⁽³⁾.

ووصف الله تعالى نفسه بالرأفة والرحمة جميعاً، ووصفَ بهما نبيَّه الكريم ﷺ، وصالح عباده المؤمنين، وجعل الرأفة والعطف والرحمة فطرة مركوزة في الخلائق أجمعين.

وقد أراد الإسلام لكل إنسان أن ينمي في نفسه هذه القيمة، ويتخلق بهذا الخُلُق، ليكون الناس متحابين متآلفين متباذلين، يحنو بعضهم على بعض، ويرأفون ويعطفون بعضهم على بعض؛ لأن غياب قيمة الرأفة والرحمة عن المجتمع؛ يحوّل أبناءه إلى قساة متدابرين، تتسم علاقاتهم بالأنانية والغلظة والفظاظة، فلا يرأف أحدٌ بأحد، ولا يرحم أحدٌ أحداً.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 595/3.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 351/4، (عطف).

(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص251.



تعريف الرأفة والعطف:

أ. تعريف الرأفة:

أولاً- في اللغة:

"الرأفة" مصدر الفعل "رَأَفَ"⁽¹⁾، وللعرب في الرأفة لغتان: "الرأفة" بتسكين الهمزة، و"الرأفة" بمدِّها، وكأنَّ الرأفة المرَّة الواحدة، والرأفة المصدر⁽²⁾.

وتأتي على معانٍ، أهمها:

1- الرِّقَّةُ والرَّحمة: "الرأفةُ الرَّحمةُ"⁽³⁾، وفي اللغة: "الراءُ والهمزةُ والفاءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على رِقَّةٍ ورحمةٍ، وهي الرأفة"⁽⁴⁾.

2- الرحمة الشديدة: فالرأفةُ رحمةٌ قويةٌ⁽⁵⁾، بل هي أشدُّ الرحمة⁽⁶⁾، و"الرؤوف: المبالغُ في الرأفة والشفقة"⁽⁷⁾، وعليه؛ فالرأفة أكثر من الرَّحمة، وأقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم⁽⁸⁾.

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 838/2، (رَأَفَ).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 144/17.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 373، (رَأَفَ).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 471/2، (رَأَفَ)، وينظر: الفراهيدي، كتاب العين، 282/8، (رَأَفَ).

(5) من قول أبي عمرو بن العلاء، ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/2.

(6) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1362/44، (رَأَفَ)، وينظر: الرازي، مختار الصحاح،

ص 115، (رَأَفَ)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رَأَفَ).

(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 302/8.

(8) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 246.



3- العطف واللطف والإحسان: فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عز وجل الرَّؤُوفُ، ومعناه: الرحيمُ بِعِبَادِهِ، الْعَطُوفُ عَلَيَّهِمْ⁽¹⁾، ورأفة الله بعبده تتضمن اللطف به والإحسان إليه بجميع أنواع الإحسان⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للرأفة عن المعنى اللغوي⁽³⁾، فالرأفة "مبالغة في رحمة مخصصة؛ هي رفع المكروه وإزالة الضرر"⁽⁴⁾. والرحمة والرأفة كلمتان مترادفتان؛ إلا أن الرأفة مطلق الرحمة⁽⁵⁾ وأخصُّ منها وأرقُّ، تحمل في طبيعتها معنى الإحساس بالآخر، والرغبة في تخفيف آلامه أو مساعدته، تسببها رقةٌ تنشأ عند حدوث ضررٍ بالمرؤوفِ به، والرحمة: رقةٌ تقتضي الإحسان للمرحوم، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلق⁽⁶⁾؛ ولا تكاد تقع الرأفة في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة⁽⁷⁾، بمعنى: أن الراحم قد يرضى للمرحوم ما يكرهه؛ وذلك رحمةً به، كالذي يقع من حزم المربي وصرامة المعلم وإيلاء الطبيب المعالج، وكل منهم رحيم، أما الرؤوف؛ فتمنعه رأفته من إيقاع ما يكره بمن يرأف به إشفاقاً عليه.

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 359/2.

(3) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف).

(4) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 471.

(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 322/23، (رأف).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 73/11.

(7) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).



فالفرق بين الرأفة والرحمة: أنَّ الرأفة أبلغ من الرحمة، فهي مبالغة في رحمة خاصّة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأما الرحمة فإنها اسمٌ جامعٌ يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإِنعام⁽¹⁾.

ب. تعريف العطف:

أولاً- في اللغة:

يدور العطف في اللغة حول معانٍ عدّة، أهمُّها:

- 1- الميل والانحناء: فالعين والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على انثناءٍ وعياجٍ، يقال: عطفت الشيء؛ إذا أملتَه، وانعطف؛ إذا انعاج، ويقال للجانبين: العطفان؛ سُمِّيَا بذلك لأنَّ الإنسان يميل عليهما⁽²⁾، وعطفتُ العود فانعطف، أي: حنيتَه فانحنى، وعطفتُ الوسادة؛ ثَنَيْتُهَا⁽³⁾، ومنعطف الوادي: منعرجه ومنحناه⁽⁴⁾، ومنه يؤخذ حنوُّ المرأة على وَلَدِهَا وميلُها نحوه وحنانها عليه، فيقال: امرأةٌ عَطُوف، ورجلٌ عَطُوفٌ كذلك⁽⁵⁾، يقابله: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ [الحج: 9]، أي: لاوي عُنُقَه، إذا أَعْرَضَ وجفا⁽⁶⁾.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 93/4، وينظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 471، والعسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 246.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 351/4، (عطف).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1405/4، (عطف).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 250/9، (عطف).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، 106/2.

(6) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 17/2.



2- الرِّقَّة واللُّطْف: ومنه: تعَطَّفَ على رَحِمه، أي: رَقَّ لها، والعاطفة: الرَّحْم، صفةٌ غالبية⁽¹⁾، والله يعطف على عباده بالطفاه⁽²⁾.

3- الشَّفَقَة: يقال: تعَطَّفَ عليه: أشفق، واستعطفه فعطف، وتعاطفوا، أي: عطف بعضهم على بعض⁽³⁾.

4- الصلة والبر: يقال: تعَطَّفَ على ذي رحم، أي: وصله وبرَّه، والعَطَافُ: الرَّجُل العطيف على غيره بفضله، الحسنُ الخُلُق، البارُّ اللَّيِّنُ الجَانِب⁽⁴⁾.

5- الإعانة والتقوية: وهو مستلٌّ من المعنى السابق، يقال: عَطَفْتُ الشيءَ أعطفه عَطْفًا، إِذَا ثَنَيْتَهُ وَرَدَدْتَهُ عَنْ جِهَتِهِ⁽⁵⁾، وعطفُ الشيء وتثنية أحد طرفيه على الآخر يقوِّيه ويدعمه، وكذلك هو العطف والتعاطف بين الناس، يراد به إعانة بعضهم بعضًا؛ كما يعطف الثوب عليه ليقوِّيه⁽⁶⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن أن يؤخذَ معنى العطف في الاصطلاح من مجموع المعاني اللغوية المتقدمة، ليعرَّف أنه: حنوٌّ ورحمةٌ ورقَّةٌ وشفقةٌ وحنان على الغير؛ نتيجة شعور الإنسان العاطف بالمعطوف عليه وتقدير أحواله، مما يستدعي اللُّطف والبر به، والإعانة والتقوية والصلة له.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف).

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

(4) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 17/2، وابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، 914/2.

(6) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 439/10.



أهمية الرأفة والعطف:

للرأفة والعطف أهمية كبيرة في القيم الإنسانية، والثقافة الإسلامية، وتبرز في نقاطٍ عدة:

(1) الرؤوف اسمٌ من أسماء الله الحُسنى، والرأفة صفةٌ من صفاته الفضلى:

فهو سبحانه الرؤوف الرحيم بعباده، العَطوف عليهم بالطفاه⁽¹⁾، وقد وصف الله تعالى نفسه بالرأفة والرحمة مقتربين في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، أي: إن الله بجميع عبادِه ذو رأفةٍ. والرأفة على معاني الرحمة، وهي عامةٌ لجميع الخلق في الدنيا⁽²⁾، وفي الآية تقديم لذكر الرأفة وتأخير لذكر الرحمة تأكيداً للمعنى⁽³⁾، فالرأفة أبلغ من الرحمة - كما تقدم -.

وقال سبحانه في موضعين آخرين: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207] - آل عمران: 30]، أي: رحيم بهم⁽⁴⁾، والتعريف في "العباد" للاستغراق؛ لأن رأفة الله شاملة لكل الناس⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 654/2.

(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 246.

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 324/5، والرازي، التفسير الكبير، 196/8.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 224/3.



وفي هذا المعنى قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رُؤُوفًا⁽¹⁾

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى في يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۖ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: 12-13]، أي: رحمةً من عندنا؛ رحمَ الله بها زكريا، وتعطفًا من عندنا عليه فعلنا ذلك، يقال: تحنَّ فلان على فلان؛ إذا وصف بالتعطف عليه والرفقة به والرحمة له⁽²⁾.

ومن رأفة الله وعطفه على أهل البلاء أن يزيدهم سبحانه من رأفته ورحمته وعطفه ما صبروا واسترجعوا، فقد بشر ﴿الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، وقد جمع في البشارة بين الصلاة - وهي هنا بمعنى الرأفة - وبين الرحمة - وهي شاملة للرأفة - للمبالغة⁽³⁾.

(2) الرأفة والعطف من صفات نبينا الكريم ﷺ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَأْمَنَ الْخَلْقِ وَمَفْرَعَهُمْ، لَهُ عَظْفُ الْآبَاءِ، وَشَفَقَةُ الْأُمَّهَاتِ، وَرَحْمَةُ الْوَالِدَاتِ، وَشَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ أَعْظَمَ شَهَادَةٍ⁽⁴⁾، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(1) ابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 475/15 - 479.

(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 237/1.

(4) الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، 120/1.



رَوْفٌ رَحِيمٌ [التوبة: 128]، قال عمر رضي الله عنه: كذلك كان رسول الله ﷺ ⁽¹⁾. فوصفه الله تعالى في سياق الرأفة بما وصفَ - سبحانه - نفسه، وقد قيل: لم يَجْمَعِ اللهُ اسْمَيْنِ من أسمائه لأحدٍ غير رسول الله ﷺ ⁽²⁾؛ لأن النبي الكريم ﷺ ملئ رأفةً ورَحْمَةً وعطفًا، فكانت الرأفةُ والرحمةُ والعطفُ صفات ثابتة في صفاته ﷺ، ونعمة امتنَّ بها - سبحانه - عليه ﷺ، فقال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، وتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد، وبرأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك؛ لنت لأتباعك وأصحابك، فسَهَلْتُ لهم خلائقك، وحَسُنْتُ لهم أخلاقك ⁽³⁾.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فَأَمِنُوا بِنَبِيِّ مُرْسَلٍ لَكُمْ ذِي خَاتَمٍ، صَاغَهُ الرَّحْمَنُ، مَخْتُومٌ
رَأْفٍ رَحِيمٍ بِأَهْلِ الْبَيْرِ يَرْحَمُهُمْ مُقَرَّبٍ عِنْدَ ذِي الْكُرْسِيِّ مَرْحُومٌ ⁽⁴⁾

والرأف: الرجل الرحيم، كالرؤف، والرؤوف، وهما لغتان ⁽⁵⁾.

والقارئ لسيرة النبي ﷺ يجدها مليئةً بالمواقف التي تبرز فيها رأفته ﷺ بمن حوله، وعطفه عليهم، ولينه معهم، زاخرةً بشواهدٍ تخلقه ﷺ بتلك الأخلاق مع الصَّغير والكبير وعامة النَّاسِ، فقد كان عليه الصَّلَاة والسَّلَام متواضعًا، رحيماً رؤوفاً، مشفقاً عطوفاً.

(1) سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، 302/5، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 588/14.

(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 719/1.

(3) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 186/6.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 322/23، (رأف).



ومن هذه المواقف - على سبيل المثال - رأفته وعطفه ﷺ:

- على نسائه وأهل بيته:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ أحنى عليّ، فقال: «إنكنّ لأهمّ ما أتركُ إلى وراء ظهري، والله لا يعطفُ عليكنّ إلا الصابرون أو الصادقون»⁽¹⁾.

وسُئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله»⁽²⁾، «كان ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته ما يعمل أحدكم في بيته»⁽³⁾.

وسُئلت رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: «ألين الناس، وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم؛ إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً»⁽⁴⁾. وهذه المبادرة لخدمة الأهل، وإعفائهم من الخدمات الشخصية، ولين الجانب، وحُسن العشرة... ما هو إلا لعطفٍ ولطفٍ ورفق ورأفة ملئ بها قلبه ﷺ لأهله وذويه، فانعكست على أقواله وأفعاله وأحواله.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 24893، 382/41، واللفظ له، والبراز، البحر الزخار، رقم الحديث: 1043، 253/3، بنحوه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 644، 239/1.

(3) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 7327، 733/7.

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 314/1، وابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، رقم الحديث: 1750، 1008/3، وأخرجه مختصراً برقم: 1001، 434/2، وابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، رقم الحديث: 397، ص120.



- على أولاده وأولادهم:

ومن أمثلته: ما روت عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قُبِض فيه، قال لفاطمة: «يا بِنْتِي، احني عليَّ!»، فأحنّت عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت... الحديث ⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا نُصَلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله العِشاء، فإذا سجَدَ وثَبَّ الحسنُ والحُسَيْنُ على ظَهْرِهِ، فإذا رَفَعَ رأسَهُ، أَخَذَهُمَا بيَدِهِ من خَلْفِهِ أَخْذًا رَفِيقًا، فيَضَعُهُمَا على الأرض، فإذا عادَ عادًا، حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، أَقْعَدَهُمَا على فَخْذَيْهِ، قال: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أَرُدُّهُمَا، فَبَرَقَتْ بَرَقَةً، فقال لهُمَا: «الْحَقَّ بِأَمْكُمَا» ⁽²⁾. وفي حديث أبي بكرة بنحوه، قال: فيَرْفَعُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله رَفْعًا رَفِيقًا؛ لِنَلَّا يُصْرَع، قال: فَعَلَ ذَلِكَ غيرَ مرَّةٍ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، رأيناكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا ما رأيناكَ صَنَعْتَهُ، قال: «إِنَّهُ رِيحَانِي مِنَ الدُّنْيَا» ⁽³⁾. وفي رواية: فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيَّهِمَا يباعداهُمَا وَيُنَحِّيَانِهِمَا عن ذَلِكَ، فقال صلى الله عليه وآله: «دَعُوهُمَا، بَأبي هُما وأُمِّي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبِّ هَذَيْنِ» ⁽⁴⁾.

وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه أنه قال: كَانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيَّهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَيَنْزِلُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الْمَنَبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا

(1) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 1031، 417/22.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 10659، 386/16.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2704، 186/3، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 20516، 148/34، واللفظ له.

(4) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3307، 215/4، والبيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 3424، 373/2.



أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن: 15]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن شداد رضي الله عنه، عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهرائي صلاته سجدةً أطلأها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ، وهو ساجد فرجعت إلى سُجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهرائي صلاتك سجدةً أطلأها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يُوحى إليك، قال: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»⁽²⁾.

وكان رسول الله ﷺ يُصلي وهو حاملٌ أمانة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها⁽³⁾.

هذه الأحاديث بمجموعها تبين عطفه ﷺ على أولاده، وقربه منهم، ولينه معهم، ورفقه ورأفته بهم.

ومن رأفته ﷺ وعطفه ورحمته - أيضاً - أنه كان يمرّ بالأطفال فيسلم عليهم⁽¹⁾، ويرأف لحال صغيرهم فيقول: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أَرِيدُ

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1109، 290/1، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3774، 658/5، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1413، 108/3.

(2) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1141، 229/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 27647، 613/45.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 516، 109/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 385/1، 543.



إِطَالَتَهَا، فَاسْمَعْ بَكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَّجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ
من بكائه»⁽²⁾.

- على الناس جميعاً:

ومن شفقتَه ﷺ ورأفته أنه كان يحب العفو من المظلوم عن الظالم،
ويحب التجاوز عن المخطئ، ويكره الانتصار والانتقام للنفس والخصومة لها،
ويحب الستر على الناس، ويلتمس لهم العذر، ويفرق بهم ويرأف بحالهم،
ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما...، وصفه ابن عباس
ﷺ فقال: «كَانَ ﷺ أَلَيْنَ النَّاسِ جَنَاحًا، وَأَطْيَمَهُمْ خَبْرًا»⁽³⁾.

ومن ذلك ما أخبر به كعب بن مالك ﷺ: أنه تقاضى ابنَ أبي حدرد دينًا له
عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول
الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشفَ سِجْفَ حجرته،
ونادى: «يا كعب بن مالك، يا كعب!». قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن:
ضع الشطر من دينك! قال كعب: قد فعلتُ يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ:
«قم فاقضه!»⁽⁴⁾.

وروت عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى مخيلة - يعني الغيم
- تلوّن وجهه، وتغير، ودخل، وخرج، وأقبل، وأدبر، فإذا مطرت سُري

(1) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5893، 2306/5.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 709، 143/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:
343/1، 470.

(3) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 4165، 652/2.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 459، 179/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:
1558، 1192/3.



عنه⁽¹⁾. والمعنى أن رسول الله ﷺ كان يعتريه الخوف والهَمُّ إذا برقت السماء أو رعدت؛ مخافة أن يكون ذلك مقدمة لخطرٍ يحيق بالناس؛ فكثيراً ما يصحب هذه الحالة عواصف جائحة وصواعق مهلكة، فإذا أمطرت السماء اطمأن، وذهب ما به من الخوف⁽²⁾.

- على المذنبين ورحمته ﷺ بهم:

فكان يستغفر لمن جاءه مذنباً مخطئاً، إشفافاً عليه من جريرة عمله ووزر خطيئته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64].

(3) الرأفة والعطف من صفات المؤمنين الصادقين:

الرأفة والعطف سمة المجتمع المتراحم عامة، وخلق المؤمنين الصادقين خاصة، قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽³⁾، والذي يظهر أن ما ورد في الحديث من التراحم والتوَادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى، لكن بينها فرقٌ لطيفٌ؛ فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً، وأما التوَادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة؛ كالتزاور

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3891، 1280/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 26037، 163/43.

(2) الشافعي، مسند الإمام الشافعي، رقم الحديث: 500، 173/1.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 1999/4.



والتهادي، وأما التعاطف؛ فالمرادُ به إعانتهُ بعضهم بعضًا كما يعطفُ الثوبُ عليه لِيُقَوَّيَه⁽¹⁾.

وتقدمت شهادة النبي ﷺ بصدق إيمان من عطف على أهله ﷺ من بعده؛ إذ قال لعائشة رضي الله عنها: «والله لا يعطفُ عليكَنَّ إلا الصابرون أو الصادقون»⁽²⁾.

وقد ذكر الله تعالى أنه جعل في قلوب أتباع السيد المسيح عليه السلام رافةً ورحمة، فقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 27].

(4) العطف فِطرة في سائر المخلوقات:

فطر الله تعالى مخلوقاته على العطف حتى تستمر الحياة، فأنزل عليهم من رحمته ما جعلهم يتعاطفون بينهم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ - يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلَّ رَحْمَةٍ طَبَاقٍ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعُطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»⁽³⁾.

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 439/10.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 24893، 382/41، واللفظ له، والبخاري، البحر الزخار،

رقم الحديث: 1043، 253/3، بنحوه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2753، 96/8.



فهذه الرحمة من الله تفرّعت في قلب الإنسان رقةً ورأفةً وحنوّاً يجده في نفسه عند مشاهدة مبتلى، أو ضعيف، أو صغير، يحمله على الإحسان إليه، والعطف عليه، واللفظ به، والرفق له، والسعي في كشف ما به. وتفرّعت في الحيوان كلّ غريزة خيّرة؛ فيها تعطف الحيوانات على نوعها، وأولادها، فتحنو عليها، وتلطف بها في حال ضعفها وصغرها. وحكمة ذلك تسخير القوي للضعيف، والكبير للصغير حتى ينحفظ نوعه، وتتم مصلحته، وذلك تدير اللطيف الخبير⁽¹⁾.

(1) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 6/108.



من صور الرأفة والعطف:

للرأفة صور كثيرة وأنواع مختلفة، ومن أهمها:

1. أن يرأف الإنسان بنفسه، فلا يحملها فوق طاقتها، ويفرق بها، ويحفظها من المهالك وأسبابها؛ فهي أولى الخلق طُراً بالرأفة والعطف.
 2. وأن يرأف بأهله وذويه وخاصته، ومن كان تحت رعايته أو مسؤوليته، فالرأفة بهم أولى، والعطف عليهم أكد.
 3. وأن يرأف بالناس جميعاً، ويخص بالعطف ضعيفهم، وصغيرهم، ومبتلاهم.
 4. وتتسع دائرة الرأفة والعطف لتشمل سائر المخلوقات، فيؤدي الإنسان واجبه في رعاية البيئة وحمايتها وحفظها.
- وقد تقدم بيان ذلك فيما تقدم من مجالات قيمة الرحمة وصور الإحسان والرفق، وهي تتداخل مع الرأفة والعطف تداخل الأصول وفروعها.

طرق وآليات اكتساب الرأفة والعطف:

(1) التأسي بأسماء الله الحسنى، ومنها الرؤوف:

المؤمن يسعى دائماً لأن يقتدي بأسماء الله الحسنى ويتخلق بأخلاقه العليا ويتمثل صفاته الفضلى، ومنها الرأفة بالناس جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، ﴿وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].



(2) الاقتداء بهدي النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21]، ومن صفته ﷺ أنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. ومن لوازم هذا الاقتداء أن يطلع الإنسان على ما جاء في سيرة النبي ﷺ وحديثه، وأهم مواقفه التي تبرز فيها قيمة الرأفة.

(3) صحبة أهل الرأفة والعطف:

فالساحب يُعدي في الخير والشر؛ لذلك قال ﷺ: «الرجلُ على دينِ خليله، فليَنظُرْ أَحَدُكُمْ مَن يُخَالِلُ»⁽¹⁾.

(4) مخالطة الضعفاء والمحتاجين، والإسهام في تخفيف معاناتهم:

فذلك يتيح للإنسان أن يعاين أحوالهم، ويطلع على معاناتهم، فيعزِّز ذلك مشاعر العطف والرأفة في قلبه، ويغمِّره بالرفقة واللين والعطف، الذي ينعكس محبةً وعطاءً وبذلاً للخير وإحساناً للغير.

(5) تدريب النفس على الرأفة والعطف:

بتمثُّل قيمة الرأفة والرحمة والعطف، والتزام التواضع والرفق واللطف، فكما أنَّ العلم بالتعلُّم، والحلم بالتحلُّم، فكذلك هي الرحمة والرأفة والتعاطف، يتكلَّفها الإنسان زمناً، ثم تصير له سجيَّة وطبعاً.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 204/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 187/4، 2378.



(6) حفظ القلب:

ورعاية سلامته، وتعاهده وتنظيفه مما قد يشوبه من الأمراض ويعتريه من الآفات؛ كالقسوة والحسد والحقد والكراهية...، وكل ما من شأنه أن يحول دون تمكّن العطف والرأفة والرحمة في القلب والسلوك، ويمنع تعزيز العلاقات الإنسانية، أو يضعف روابط المودة والتراحم والتعاطف فيها؛ فهذه الصفات السلبية مضادةٌ للرأفة والعطف، مُنافية لما يستلزمهما من الحُنُوِّ والحَنَانِ والرحمة بخلق الله، ولا يتّصفُ بها أحدٌ إلا قسا قلبه، وساءت سيرته، وذُمت سيرته، وفسدت عاقبته! والسعيد من حفظ قلبه.

(7) الذِّكْر والدعاء:

فالله تعالى هو الرؤوف الرحيم، ذكره يَلِينُ القلوب، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2]، والقلوب بيد الله؛ يقلبها كيف يشاء، وهو الذي يَمُنُّ على عباده بالرأفة والرحمة، فيطلب الإنسان من ربه أن يودع فيه العطف والرأفة والرحمة.

خاتمة:

من خلال النصوص القرآنية والنبوية الكثيرة التي تحثُّ على الرأفة والعطف وتدعو إليهما وإلى التخلّق بهما؛ يظهر أن ديننا الحنيف ندبنا إلى أن يكون لنا من الرأفة والرحمة والعطف أوفر نصيب؛ فيتمثل ذلك سلامةً في القلب وجمالاً في الطبع وإحساناً في القول والعمل، وينعكس رأفة بالجاهل فنعلّمه، والفقير فنواسيه، والصغير فنرؤف به، والكبير فنوقره، والحيوانات



فنعطفَ عليها، ومن كثُرت منه الشَّفَقَةُ والرَّافَةُ والعطف على خلق الله؛ أدخله
الله في واسع رحمته، وغشيه بإحسانه ورأفته.

* * *



- التعاون والتضامن

مقدمة:

التعاون والتضامن مظهر من مظاهر التراحم الاجتماعي، وصورة من صور التحضر الإنساني، وقيمة ضرورية من قيم الحياة، تتجسد في المساعدة والمؤازرة والشعور بالغير والاجتماع على عمل الخير، لذلك جاءت كثير من الآيات والأحاديث تدعو إليه، وتحثُّ عليه، وتبرز حرص ديننا الإسلامي على تكوين مجتمع متحابٍّ ومتراپط برباط الألفة والمحبة؛ يتمثل أفرادُه قيم التَّعاون والتضامن والتعاُضد والتساعد والتساند، ليعمَّ الخيرُ الجميع، أفرادًا ومجتمعات.

تعريف التعاون لغة واصطلاحًا:

أولًا- في اللغة:

"التعاونُ" مصدر الفعل "تَعَاوَنَ"، ويعودُ إلى الجذر "عَوَنَ"، الذي يأتي

بمعنى:

- الدَّعم والمساندة: ومنه: "العَوْنُ" وهو الظهيرُ على الأمر، والجمع "أعوانٌ"، وتعاونًا، أي: أعان بعضنا بعضًا، ورجلٌ مِعْوَان: حَسَنُ المعونة، أو كثيرُ المعونة للنَّاس، والمعونة: الإعانة، ويقال: استعنتُ بفلانٍ فأعاني وعاوني،



والنحويون يسمون الباء "حرف الاستعانة"، وذلك أنك إذا قلت: كتبت بالقلم، وقطعت بالمديّة، فكأنك قلت: استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال⁽¹⁾.

- القوة والتماسك: ومنه يقال: امرأة متعاونة؛ إذا اعتدل خلقها، و"العَوَانُ" النصف في سبّها من كل شيء، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ﴾ [البقرة: 68]، أي: في النصف من سبّها، بين الفارض، وهي المسنة، وبين البكر، وهي الصغيرة، والعوانة من النخل: الباسقة⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للتعاون عمّا تقرّر له في اللغة، فالتعاون هو: عمل مشترك بين شخصين أو أكثر، أو بين فريق أو فئات أو مؤسسات أو دول...، من أجل المساعدة في تحقيق هدف مشترك أو مصلحة متبادلة. هذا العمل يتضمن تقاسم الموارد، والمعرفة، والخبرات، والمشاركة في الجهود؛ للوصول إلى نتائج أفضل مما يمكن تحقيقه بشكل فردي.

تعريف التضامن لغة واصطلاحًا:

أولًا- في اللغة:

يعود التضامن إلى الجذر اللغوي "ضَمَنَ"، الذي يأتي بعدّة معانٍ، منها:

(1) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2168/6، 2169، (عون)، وابن منظور،

لسان العرب، 298/13، 299، (عون).

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 298/13، (عون).



1- الاحتواء والاشتمال: "الضَّاد والميم والنون أصلٌ صحيحٌ، وهو جعل الشيء في شيءٍ يحويه، من ذلك قولهم: ضَمَّنْتُ الشَّيءَ؛ إذا جعلته في وعائه"⁽¹⁾، وكلُّ شيءٍ جعلته وعاءً لشيءٍ فقد ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ"⁽²⁾، ومعنى: فهَمْتُ ما تَضَمَّنَتْهُ الكتابُ، أي: ما اشتمل عليه وكان في ضِمْنِهِ"⁽³⁾.

2- الكفالة والضمان: ضَمِنَ الشيء إذا تكفل به، وضَمَّنَهُ إِيَّاهُ: كَفَّلَهُ، فهو ضَامِنٌ وضَمِيْنٌ"⁽⁴⁾، والكفالة تُسَمَّى ضَمَانًا لأنَّ الكفيل إذا ضَمِنَ المكفول فكأنَّه قد استوعَبَ ذِمَّتَهُ"⁽⁵⁾.

3- الحفظ والتعهد: ومنه الحديث: «الإمام ضامنٌ»⁽⁶⁾، والمراد بالضَّمان هَاهُنَا الحفظ والرِّعاية؛ لأنَّ الإمام يحفَظُ عَلَى القومِ صلاتَهُمْ"⁽⁷⁾، والضَّامِنَةُ مِنَ النخل: ما كَانَ منها داخِلًا فِي العِمرانِ وحولِ المَدِينَةِ، وَسَمِّيَتْ ضَامِنَةً؛ لأنَّ أربابها قَدْ ضَمَّنُوا عمارَتَهَا وحفَظَهَا"⁽⁸⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَّنَ).

(2) ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 911/2، (ضمن)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،

2156/6، (ضمن)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَّنَ).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2155/6، (ضمن).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2155/6، (ضمن). وابن منظور، لسان العرب،

257/13، (ضَمَّنَ).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَّنَ).

(6) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 517، 143/1، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 207،

404/1، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 7169، 89/12.

(7) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 102/3، وينظر: الزبيدي، تاج العروس، 333/35،

(ضمن).

(8) ابن منظور، لسان العرب، 258/13، (ضمن).



ثانيًا- في الاصطلاح:

لم تتناول المعاجم القديمة مصطلح "التضامن" بالمعنى المتعارف عليه في زماننا، لكن بعض المعاجم المعاصرة عدّت لفظة "التضامن" محدثة، وعرفته بأنه: "التزام القويّ أو الغنيّ معاونة الضّعيف أو الفقير، وتضامنوا: التزم كلٌّ منهم أن يؤدّي عن الآخر ما يقصّر عن أدائه"⁽¹⁾. وهو المؤدّي في اللغة نفسه.

أهمية التعاون والتضامن:

تبرز أهمية التعاون والتضامن في نقاط عدّة، منها ما يأتي:

1) التعاون قيمة ثابتة في الكون والحياة:

فالمتأمل في بناء الكون، وكتلة كواكبه ونجومه ومجرّاته، وحركتها، ومساراتها؛ يجد لكلّ منها دوره في ضبط قوة الجاذبية، وتأثيره المتبادل في المدار الكوني، والذي يحفظ بمجموعه الاستقرار على الأرض، ويحميها من التغيرات المفاجئة أو الاصطدامات المدمّرة.

والمتفكّر في الحياة على الأرض؛ يرى الكائنات الحيّة كالنمل، والنحل، والسّمك، والطير... تتعاون فيما بينها وتتساعد لتأمين غذائها وحفظ بقائها، كما تضطلع بأدوار مهمة في استقرار الحياة على الأرض؛ من خلال تلقيح النباتات، وتحسين التربة، والتنظيم البيئي، والتحكّم في الآفات والمكافحة الحيوية، وضبط النظم البيئية، والتنظيم الغذائي، وضبط دورة العناصر الغذائية...

(1) ينظر: مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 1/544.



﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32]؛ فلو تساوى الناس واستغنوا ولم يحتج بعضهم إلى بعض؛ لتعطّلت مصالحهم ومنافعهم، وتأخرت مجتمعاتهم وتقهرت حضاراتهم، لأجل ذلك كان التعاونُ أحد أهمِّ مقوّمات استقرار المجتمعات وازدهارها وارتقاءها، وقد قيل: "اجتماع السّواعد يبني الوطن، واجتماع القلوب يخفّف المحن".

(2) حثّ الله سبحانه وتعالى الناس على التعاون والتضامن ورضيه لهم:

دلّت نصوصٌ قرآنيةٌ كثيرةٌ على أهمية التعاون والتكامل بين النّاس، وفضل مساعدة بعضهم بعضاً؛ وورد الأمر صريحاً في القرآن الكريم بالتزام هذه القيمة، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، أي: ليُعين بعضكم بعضاً، وهو أمرٌ من الله تعالى لجميع الخلق بالمعاونة على كل أمرٍ فيه خيرٌ وبرٌّ ونفعٌ للبلاد والعباد، وأن يتحاثوا عليه ويعملوا به⁽¹⁾، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وهذا نهْيٌ عن التعاون على كل ما فيه إثمٌ وعدوان.

(3) التعاون قيمة ثابتة في سير الأنبياء السابقين عليهم السلام:

لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة ويطهر موضعها فقال له: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26]؛ أشرك معه ولده إسماعيل ليعينه ويساعده في هذه المهمة العظيمة، فقال تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]، فتعاون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 46/6.



بناء البيت وتطهير موضعه، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

ولما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام برسالته وآياته وكان ذلك تكليفاً شاقاً: سأل موسى ربه أموراً ثمانية، منها قوله عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: 29 - 31]، أي: قوّ به ظهري، وأعني به. يقال منه: قد أزر فلان فلاناً؛ إذا أعانه وشد ظهره، ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 32] الذي أمرتني به، فنتعاون كلانا جميعاً⁽¹⁾، فاستجاب له ربه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35].

وفي قصة ذي القرنين: عرض القوم عليه أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدِّ وأجرًا، قالوا: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴿[الكهف: 94-95]، أي: إن الذي مكّني في عمل ما سألتُموني من السد ووطأه لي وقوّاني عليه؛ خير من ذلك وأكثر وأطيب، ولكن ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: 95]، أي: أعينوني برجال وصناع يحسنون البناء والعمل⁽²⁾، فدلّ ذلك على أنَّ التعاون في المشاريع الكبيرة ضرورة لا يستطيع الناس الاستغناء عنها.

(4) حثَّ النبي ﷺ على التعاون ودعا إلى التضامن:

وممّا يدلُّ على أهمية التعاون والتضامن أنَّ النبي ﷺ دعا إليه في كثير من أقواله، وتمثّله ﷺ في كثير من أفعاله، وأثنى عليه صورةً من صور الرحمة بين

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، 26/3، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 55/16.

(2) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 403/15.



أفراد المجتمع؛ وذلك حين أثنى ﷺ على الأشعرين أنهم كانوا متعاونين متضامنين، فكانوا إذا «قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمَعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسَّوية»، وهذا الحديث شاهد على ما اتسموا به من التعاون والتضامن والإيثار والمواساة والسَّماحة، ولما كان ذلك من أخلاق نبينا ﷺ وأشرف الناس في سائر الأزمان؛ شَرَّفهم النبي ﷺ بإضافتهم إليه وإضافة نفسه إليهم⁽¹⁾، فقال: «فَهُمْ مِيَّ، وأنا منهم»⁽²⁾.

وقد حثَّ النبي ﷺ على التعاون والتضامن في غير حديث، فقال ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»⁽³⁾، وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»⁽⁴⁾، وهذا الحديث ظاهره الإخبار؛ لكن معناه الأمر، وهو حثُّ على التعاون⁽⁵⁾؛ فالتعاون في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق⁽⁶⁾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ

(1) ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 545/7، القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 452/6.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2354، 880/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2500، 1944/4.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2166، 39/4.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 481، 103/1. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2585، 20/8.

(5) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، 405/1.

(6) ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 227/9.



من زاد فليعدُّ به على مَنْ لا زادَ له» قال: فذكرَ من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فَضْل⁽¹⁾، وفي هذا الحديث حثٌّ على التعاون والتآزر والصدقة والجود ومواساة المحتاج والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالحهم، والأمر بذلك والتوجيه إليه⁽²⁾.

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّجَ الله عنه كُربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»⁽³⁾، وفي هذا الحديث - كذلك - حثٌّ على التعاون وحسن التعاشر⁽⁴⁾، وبيانٌ لفضل قضاء حوائج النَّاس أجمعين، ونفعهم بما يفيدهم في معاشهم ومعادهم.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله تعالى؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبَّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا»⁽⁵⁾.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1728، 138/5.

(2) النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، 33/12.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2442، 128/3. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 18/8، 2580.

(4) ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 571/6.

(5) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 13646، 453/12.



وفي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَرَدَتْ صُورٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ التَّعَاوُنِ وَالتَّضَامُنِ،
مِنْهَا: تَعَاوُنُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ
عَمَلٍ تَعَاوَنِيَّ عَامٍّ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ أَلْفَ بَيْنِ الْقُلُوبِ، وَوَجَّهَ نِيَّاتِهَا إِلَى تَحْقِيقِ
النَّفْعِ الْعَامِّ.

ومِنْهَا: تَعَاوُنُ الصَّحَابَةِ فِي كِفَالَةِ "أَهْلِ الصِّفَةِ": إِذْ اتَّخَذَ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ
وَمَسَاكِينَهُمْ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُمْ مَنْزِلٌ يَسْكُنُهُ؛ مَوْضِعًا فِي الْمَسْجِدِ مَظَلَّلًا يَأْوُونَ
إِلَيْهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْينُهُمْ، وَرَبَّمَا دَخَلَ ﷺ بَيْتَهُ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ لِمَنْ
مَعَهُ: «الْحَقُّ أَهْلَ الصِّفَةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ!»⁽¹⁾. وَكَانَ ﷺ «إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا
إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ
فِيهَا»⁽²⁾. وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى إِعَانَتِهِمْ وَالتَّكْفُلِ بِهِمْ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ الصِّفَةِ كَانُوا أَنَاسًا فَقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُزِدْهُمَا بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعَ فْخَامِسَ أَوْ
سَادِسَ»⁽³⁾. فَكَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَأْخُذُونَهُمْ إِلَى بَيْوتِهِمْ، أَوْ يَأْتُونَ إِلَى
الْمَسْجِدِ بِالطَّعَامِ لَهُمْ، (فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدَرِ كَثْرَتِهِ وَقَلَّتِهِ، وَكَانَ
الرَّجُلُ يَأْتِي بِالْقَنُوِّ وَالْقَنُونِ فَيُعَلِّقُهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصِّفَةِ لَيْسَ لَهُمْ
طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى الْقَنُوَّ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ؛ فَيَسْقُطُ مِنَ الْبَسَرِ
وَالْتَمَرِ فَيَأْكُلُ)⁽⁴⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5892، 2305/5.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6087، 2370/5.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 577، 216/1.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2987، 218/5.



(5) التعاون سمة من أبرز سمات المجتمعات والدول المتحضرة:

لا يمكن لدولة أن تتحضر وتزدهر ولا لمجتمع أن ينمو ويستمر؛ ما لم يكن فيه تكافل وتآزر وتعاون وتضامن، بحيث يرحم فيه الغني الفقير، ويحمل فيه القوي الضعيف، ويواسي فيه الواجد المحتاج؛ أما إذا اتسم المجتمع بخلاف ذلك من الفردانية والأنانية والأثرة... فإن ذلك يفسد العلاقات بين أفرادها؛ وينذر بخطر عظيم يهدد تماسكه ولحمته ومستقبله.

وصدق الشاعر إذ يقول:

لولا التعاونُ بين الناسِ ما شَرَفَتْ نفسٌ ولا ازدهرتُ أرضٌ بعُمران

(6) التعاون والتضامن في دولة الإمارات العربية المتحدة:

إن المجتمع الإماراتي يتَّسم بالتعاون والتضامن والمودة والبر والرحمة والكرم والإحسان، هذه السمات هي التي شكلت أهم الأسس التي قامت عليها الدولة الإماراتية، وقد وضع أهل الإمارات قديمًا نظامًا فريدًا في التكافل المجتمعي؛ حيث امتدت مسؤولية الفرد لتشمل الحيّ بأكمله إضافة له ولأسرته. ويؤكد هذا النظام على فكرة التضامن الاجتماعي الذي يتمثل بصور متعددة، منها: المادية، والكلمة الطيبة، والمودة الصادقة، والمشاركة المخلصة، مما كان سببًا لزيادة الترابط بين أفراد المجتمع.

وقد اعتمد نظام التكافل المجتمعي على المبادرات الفردية، مع تحمُّل الحكَّام والشيوخ والموسرين مسؤولياتهم تجاه الناس.



ومن صور التكافل المجتمعي السائدة قديماً: الزكاة، والصدقات، وإسعاف الجائع والمحتاج، والهدية أو الهبة، والضيافة الفزعة، والشوفة، والطرز، والمجالس والبيوت، المطاوعة وشيخ العلم، والمسافر خانة...

وقد انعكس ازدهار الحياة في دولة الإمارات العربية المتحدة في جميع مجالاتها إيجابياً على التكافل المجتمعي والرعاية المجتمعية، وتغير مفهوم التكافل المجتمعي الفردي إلى منهج كامل يكفله الدستور؛ والذي أكدت مواده على أهمية التكافل والرعاية في المجتمع.

فشملت الرعاية المجتمعية في دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من الفئات في المجتمع، منها: الأرامل، والأيتام، والعاجزين وذوي الهمم، وكبار السن... وغيرهم⁽¹⁾، وذلك عن طريق مجموعة من المبادرات المجتمعية التي تجسّد قيم التكاتف ومبادئ التكافل المجتمعي بين أفراد المجتمع، وتقدّم نماذج رائدة وملهمة من التعاون والتضامن، ومن أمثلتها:

- مبادرة "فزعة":

هي مبادرة اجتماعية تهدف إلى تطوير الترابط المجتمعي والحفاظ على روابط فعالة للتضامن داخل مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي إحدى مبادرات صندوق التكافل الاجتماعي، أطلقها الفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان، وتقدم حزمة فريدة من الخدمات للناس بهدف تنويع وتوسيع مجالات التكافل بينهم والارتقاء بها إلى أعلى المستويات⁽²⁾.

(1) ينظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، [الحياة الاجتماعية، التكافل الاجتماعي](#).

(2) ينظر: [موقع فزعة](#).



- صندوق الزواج:

الذي يقدّم منحة مالية لمواطني الدولة من ذوي الإمكانيات المحدودة لإعانتهم على تكاليف الزواج؛ بهدف تعزيز مرتكزات البناء الاجتماعي وتماسك نسيجه والارتقاء به وتفعيله تحقيقاً للاستقرار الأسري في المجتمع وتشجيعاً للزواج؛ بحيث يعود بالخير والاستقرار على كل من يستفيد منه⁽¹⁾. كما ينظم صندوق الزواج الأعراس الجماعية، ويقدم الإرشاد والتوجيه للمواطنين المقبلين على الزواج.

- مبادرة "مديم":

تعد مبادرة "مديم" إحدى مبادرات حكومة أبوظبي التي تحتفي بالاعتدال وبالقيم الموروثة الأصيلة والمتجذرة بين أبناء المجتمع الإماراتي في كافة الممارسات المتعلقة بالزواج والتأسيس لعائلة مستقرة، وتهدف إلى تشجيع الشباب المواطنين على التواضع في ممارسات حفلات الزفاف، ودعوتهم للتفكير بحكمة عند التخطيط لكل ما يتعلق في حياتهم الزوجية المقبلة، بما في ذلك تجهيزات الزواج وغيرها من الأمور المرتبطة بالاستعداد للزواج، لبناء أسر مستقرة وسعيدة؛ بعيداً عن المغالاة والمبالغة في تكاليف الزواج السائدة حالياً، والتي باتت تثقل كاهل العائلات والشباب في السنوات الأخيرة، مما يؤثر على استقرار المجتمع الإماراتي وترابطه! ومن خلال المبادرة يحصل الأشخاص المقبلون على

(1) مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، "صندوق الزواج" يهدف إلى بناء أسرة إماراتية متماسكة ومستقرة، والبوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، [منحة الزواج- زواج المواطنين بالمواطنين](#).



الزواج على التوجيه والإرشاد حول كيفية التأسيس بشكل صحيح لزواجهم، فيما يتم تمكين الأهالي من خلال منحهم تدريبات خاصة تساعد على إدارة شؤونهم المالية بكفاءة، وممارسة أساليب التربية الإيجابية مع أطفالهم، وعلى كيفية المحافظة على ديمومة الزواج وتحقيق الانسجام بين الزوجين طوال حياتهما الزوجية⁽¹⁾.

- برنامج الدعم الاجتماعي:

هو برنامج دعم حكومي يهدف إلى تعزيز جودة حياة الأفراد والأسر الإماراتية من ذوي الدخل المنخفض؛ ويوفر البرنامج مخصصات جديدة لدعم المستحقين تشمل مجموعة من العلاوات، وتصرّف حسب الحالة الاجتماعية⁽²⁾.

- رعاية وتكريم كبار المواطنين:

ممن تجاوزوا الستين عامًا من العمر، وتوفير حزمة واسعة من الخدمات والتسهيلات والخصومات لهم؛ تقديرًا لإسهاماتهم ودورهم الفاعل في بناء المجتمع ونهضته، وعملاً بتعاليم تراث الإمارات الأصيل⁽³⁾.

- رعاية أصحاب الهمم:

بتوفير كافة سبل الرعاية الاجتماعية لهم ولأسرهم، والعمل على تمكينهم ودمجهم في المجتمع، وتوفير الحماية الاجتماعية وتأمين الحياة الكريمة لهم؛ مما يؤهلهم ليكونوا أفرادًا منتجين. وذلك من خلال عدة مبادرات وبرامج

(1) ينظر: [الموقع الإلكتروني لمبادرة مديم](#).

(2) ينظر: موقع وزارة تنمية المجتمع، [خدمات الدعم الاجتماعي](#).

(3) ينظر: موقع وزارة تنمية المجتمع، [خدمات كبار المواطنين](#)، وموقع هيئة تنمية المجتمع، [بطاقة دخر](#).



متخصصة تهدف إلى تمكينهم والاهتمام باحتياجاتهم وتأهيلهم لتخطي كل ما يواجههم من تحديات والوصول بهم إلى أقصى إمكاناتهم⁽¹⁾.

- مجالس الأحياء:

وهي موروثة حضاري، تعمل على زيادة التلاحم المجتمعي بين أفراد المجتمع الذين يجتمعون في هذه المجالس لمناقشة قضاياهم المجتمعية، كما أنها فرصة لحصول التعارف بين أبنائهم الذين يأتون بصحبهم، فيتعلمون من ذوهم العادات والتقاليد الإماراتية والسنع، والتي تشكل هوية الشعب الإماراتي، مما يعزز هذه العادات ويرسخها في نفوس الأجيال، وتطوّر دور المجالس ليشمل استضافة حفلات عقد القران والأعراس التي تقام فيها، وكذلك تقبل العزاء، كما يتم تقديم الخدمات الاجتماعية وغيرها من الخدمات الحكومية الأخرى داخل مجالس الأحياء السكنية، وتقديم الدعم والمساندة لإنجاز هذه الخدمات للإماراتيين من قاطني الأحياء السكنية⁽²⁾.

مجالات التعاون والتضامن:

مجالات التعاون كثيرة، وتكاد لا تُحصَر؛ وذلك لشموله وسعة ميادينه، فالعَوْن قد يكون في مجال المساعدة بالمال، أو بالقوة والجسم، وقد يكون بالجاء والقول، وأحياناً يكون بالعلم والمشورة النافعة، وربما يكون بالشفاعة الحسنة، وما من عملٍ في الحياة إلا ويمكن أن يكون فيه مجالاً من مجالات

(1) ينظر: موقع وزارة تنمية المجتمع، [خدمات أصحاب الهمم](#)، هيئة تنمية المجتمع، [بطاقة سند](#).

(2) ينظر: [موقع صحيفة البيان الإماراتية](#).



التعاون والتعاقد والتضامن. وفيما سبق ذكره من مجالات قيمة الرحمة والقيم الفرعية التابعة لها ما يثري هذه المجالات ويغني عن إعادة بسطها هنا.

من فوائد التعاون والتضامن:

(1) التعاون سبب للرحمة الإلهية:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، والولاية ضد العداوة، والمعنى: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف، وبعضهم أعوان بعض، ثم بعد أن ذكر ما يجري مجرى التفسير والشرح له قال في جزائهم مستعملاً صيغة تفيد التوكيد والمبالغة: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم؛ سيرحمهم الله فيبعدهم من عذابه، ويدخلهم جنته⁽¹⁾.

(2) التعاون سبب للمعونة الإلهية:

ففي الحديث: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»⁽²⁾.
و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]؟
ومن هذه المعونة أن يخفَّ ثقل الأمر على المتعاونين، فما كان ثقیلاً على الفرد كان خفيفاً على المجموع، وفي ذلك يقول الشاعر:
إذا العِيبُ الثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ رِقَابُ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ

(1) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 556/11. الرازي، التفسير الكبير، 101/16، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 203/8.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 71/8.



(3) التعاون ييسر الأعمال الكبيرة ويحقق النتائج العظيمة:

التعاون سبب للقوة والنجاح، وبه تُنجزُ الأعمال الكبيرة بأوقاتٍ قصيرة، فهو أساس التّقدّم والإنتاج والنّجاح والتّفوّق. ودليله ما تقدم من عمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت وتطهيره، وقول ذي القرنين لأهل القرية: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ١٠ أَنُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَنُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ١١ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿[الكهف: 95-97].

يقول أحمد شوقي:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عَلَوِيَّةٌ تَبْنِي الرِّجَالَ وَتُبْدِعُ الْأَشْيَاءَ

(4) التعاون قوة تحمي الأفراد المتعاونين

التعاون والتضامن والتعااض والتساعد سبب للقوة والمنعة والحماية، كما أن التفرّق والأنانية سبب للضعف والتمزّق والوهن! فالإنسان ضعيف بنفسه قويّ بغيره، والتعاون يجعل الفرد يشعر بالقوة، وينزع منه الشعور بالعجز.

قال الشاعر:

كونوا جميعاً يا بنيّ إذا اغتري خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسُرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسُرَتْ أَفْرَادًا



(5) التعاون سببٌ من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

فبالتعاون تُبنى علاقاتُ المحبة والتآلف بين الأفراد والفرق، وتُطهَّرُ النفوسُ من نوازع الأنانيَّة وحُبِّ الدَّات، ويشعرُ كلُّ فردٍ بمكانته في فريق العمل أولاً، وفي المجتمع ثانياً؛ فبالتعاون والتضامن تجتمع الهمم على الأهداف، والجهود على المقاصد، وينتظم المتعاونون في فرق العمل الجماعي، ويتبادلون الموارد ويتقاسمون النتائج ويتشاركون الثمار، فيكون ذلك منشأً للمودة فيما بينهم، وإن التفاف القلوب حول بعضها عند إكمال المشاريع وإنجازها دليل على ذلك وشاهد.

طرق التعزيز والاكتساب:

(1) المبادرة واستحضار الشعور بالمسؤولية:

وذلك ضمن المتاح والمقدور عليه، فلا يبخل الإنسانُ على نفسه بأن يحظى بشيءٍ من فضلِ هذا الخلق العظيم، ولو بأبسط الصور، كالصدقة والبذل لما هو فاضلٌ عن حاجاته، قال ﷺ: «يا بن آدم، إنَّك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرُّك، ولا تُلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»⁽¹⁾.

(2) الاكتفاء من الموارد بقدر الحاجة:

والقناعة بما يليها، والإحسان بما زاد عنها؛ اهتداءً بهدي الحديث المتقدم: «من كان معه فضلٌ ظهر فليعُدْ به على مَنْ لا ظهر له، ومَنْ كان له

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1036، 94/3.



فضلٌ من زاد فليعدُّ به على مَنْ لا زادَ له...»⁽¹⁾، أما السرف والتبذير والتنافس في المظاهر والتسابق في الاقتناء والإنفاق فإنه لا يدع للإنسان بقية يؤدي فيها واجب التعاون والتضامن لمن حوله.

(3) شكر المعونة، والوفاء بها للناس:

فإعانة الناس بعضهم لبعض دين فيما بينهم، يأخذ الإنسان منه ويرد إليه، وإن أغناه الله عن فضل الناس فليس بغني عن إبقاء الخير فيهم وبسط الفضل بينهم.

(4) الدعاء:

قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 153]، والاستعانة: طلب العون⁽²⁾. وفي الحديث: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ»⁽³⁾.

ضبط توازن قيمة التعاون:

التعاون محمود ممدوح ما كان في الخير والبر والإحسان، وتعزيز القيم النبيلة والمظاهر والسلوكات الإيجابية، ومعالجة ما سواها، فقد ذكر القرآن الكريم قسمين من التعاون:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: ويدخل فيه كل خير وبر، فهو مما أمر الله به ورسوله.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1728، 138/5.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 598، (عون).

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1510، 622/2. والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3551، 517/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3830، 6/5.



﴿وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: ويدخل فيه كل ظلم وإثم، وهو الذي حرّمه الله ورسوله.

خاتمة:

نخلصُ مما سبق إلى أنّ التعاون من القيم العظيمة النبيلة والصفات الحميدة الجميلة؛ التي إذا تحلّى بها الأفراد أصبح المجتمع نسيجاً واحداً متكافلاً ومتربطاً، فيه يقضي الناس حاجاتهم، ويتساعدون في تحقيق ما يصبو إليه كلّ منهم.

والإسلام أمر بالتعاون والتراحم والتوَادد، ونهى عن الاختلاف والتفرُّق والتناحر، بل شدد على تركه وخوَّف منه ومن مآلاته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، أي: ولا تختلفوا فتفرّقوا وتختلف قلوبكم فتضعفوا⁽¹⁾.

* * *

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 575/13.



القيمة المركزية الثانية: (السلام)

- السلام

مقدمة:

السلام قيمة إنسانية وإسلامية عظيمة، تتلاقى على مائدتها البشرية جمعاء؛ على اختلاف ألوانها وأعراقها وأديانها ومذاهبها، لتحقيق التعايش الإنساني، والتكامل الحضاري. تتجلى في احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وإقرار المساواة بينهما في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات الاجتماعية والوطنية، دون تمييز عنصريٍّ أو جهويٍّ أو عرقيٍّ أو قبليٍّ أو اجتماعيٍّ، وقبول الآخر وتقدير الاختلاف معه في الثقافة، والفكر، والدين، والعادات، والتقاليد، والأعراف، ونبذ مظاهر العنف، والتمييز، والإقصاء...، والتأسيس لتوافقٍ قائم على الاحترام المتبادل والتعارف والتعايش والتسامح ونبيل المواقف ومحاسن الأخلاق وفضائل الصفات.

والإسلام دين السلام، وهذه قضية مسلمة، فالمتأمل للنصوص القرآنية والهدي النبوي يجدها تعالج قيمة السلام معالجةً موضوعيةً دقيقةً، تشمل مجالات الحياة كلها، وتراعي التغير الحضاريّ لنسق التعايش الإنسانيّ مع مختلف المجتمعات، وتجعلها دعوة عامة للإنسانية جمعاء، مقتضاها الدخول في السلام ونبذ التشدد والعنف والعدوان، يقول الحق سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: 25].



وقد أسس الإسلام لقيمة السلام وما يتصل بها من قيم إنسانية سامية؛ كالتسامح، والتعايش، والاحترام، وقبول الآخر...، ودعا إلى ترسيخها بين الناس، ونبذ كل ما يخالفها من أشكال الكراهية، والعنف، والتفرق، والنزاع، والخصومة، والإقصاء.

تعريف السلام:

أولاً- في اللغة:

يَرِدُ السلام لغةً في معانٍ، من أهمّها:

أ. الصِّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ وَالْعَافِيَةُ: السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْمَيْمُ؛ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ⁽¹⁾، فَالسَّلَامُ فِي الْأَصْلِ: السَّلَامَةُ⁽²⁾، والبراءة من العيوب⁽³⁾ ومن الآفات الظاهرة والباطنة⁽⁴⁾.

ب. الصُّلْحُ وَالْمُسَالَمَةُ: وَالسَّلَامُ: الصُّلْحُ وَالْمُسَالَمَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]⁽⁵⁾.

ج. الرضا والتقبُّل: فمعنى التَّسْلِيمُ: بَذْلُ الرضا بالحكم⁽⁶⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 90/3، (سَلِمَ).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم). وابن منظور، لسان العرب، 291/12، (سلم).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص421.

(5) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص423، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة،

90/3 - 91، (سلم)، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 41/14، والرازي، التفسير الكبير، 500/15.

(6) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم).



د. التَّحِيَّةُ وَتَمَنِّيُ الْخَيْرِ: فَالسَّلَامُ: دُعَاءٌ لِلإِنْسَانِ بِأَنْ يَسْلَمَ مِنْ
الْأَفَاتِ⁽¹⁾.

ثانيًا - في الاصطلاح:

لا يخرج المفهوم الاصطلاحي للسلام - عامةً - عن المعاني اللغوية
السَّابِقة، لِيَتِمَّثَلَ في حالة من الصِّحَّةِ والعافية والسَّلامة والطَّمَأْنِينَةِ في النفس
والقلب والفكر؛ تَنعَكِسَ على القول والعمل، وتترك أثرها صِحَّةً في العلاقات
الإنسانية وسِلْمًا وأمنًا واستقرارًا، وقبولًا لِلآخر مع حُسْنِ الصِّلة به وتَمَنِّيِ الْخَيْرِ
له.

قد يعني مصطلح "السلام" على مستوى العلاقات الدولية والاجتماعية:
غياب النزاع، وتحقيق العدالة والاستقرار الاجتماعي، والرفاهية الاقتصادية
والحرية الأساسية⁽²⁾. فيكون السلام بذلك حالة من الطَّمَأْنِينَةِ في المجتمعات
الإنسانية، ناتجة عن تَبَيُّ أفرادها قِيَمَ التعايش والتسامح، ونبذهم للعنف
والتطرف، وبُعْدِهِم عن الصِّراعات والنزاعات، وضمائمهم الحقوق الطبيعية
والأساسية التي تضمن للفرد الكرامة والمساواة دون تمييز، وتؤدي إلى الاستقرار
والازدهار.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 12/289 - 291، (سلم).

(2) ينظر: موقع لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا - الإسكوا التابع للأمم المتحدة.



أهمية السلام:

أولى الإسلام قيمة السلام أهمية بالغة، وخصها بعناية فائقة، يمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

(1) السَّلام اسمٌ من أسماء الله الحسنى:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: 23]⁽¹⁾، ومعناه: ذو السَّلامة؛ إذ سَلِمَتْ ذاته - سبحانه - من كل عيب، وسَلِمَتْ صفاته من كل نقص، وسَلِمَتْ أفعاله عن العيبية، وسَلِمَ - سبحانه - مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب⁽²⁾.

(2) السلام صفة الأنبياء عليهم السلام:

ومثال ذلك: إبراهيم عليه السلام: ﴿جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: 84]، وقال الله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود: 48]، وعلى الإجمال قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، وهم رسله وأنبيأؤه الكرام عليهم الصلاة والسلام.

(1) ينظر: البيهقي، الأسماء والصفات، 1/100.

(2) ينظر: الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 215، والغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص 69.



(3) القرآن الكريم كتاب السَّلام:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [المائدة: 15-16]، أي: طرق السَّلامة⁽¹⁾.

وقد أورد الله تعالى مادة السَّلام بمشتقاتها في 130 موضعًا من القرآن الكريم، إشارة إلى مركزية السَّلم في العلاقات البشرية في الإسلام، وإنَّ تعدُّد إعمال مفهوم "السَّلام" في القرآن الكريم والهدي النبوي - كذلك - يبيِّن قيمته؛ من حيث كونه بمنزلة التأسيس العملي لمبادئ الإسلام.

وقد جاءت مادة السَّلام لمعانٍ عدة في القرآن الكريم، وذلك على ستة أوجه:

- اسم الله تعالى، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾ [الحشر: 23].
- الخير، قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾ [الزخرف: 89]، أي: قل: خير، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبْتُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: 63]، أي: ردُّوا خيرًا.
- الثناء الحسن: ومنه قوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 109].
- التحية المعروفة (السَّلام عليكم ورحمة الله): قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61].
- السَّلامة من كل شر: قال تعالى: ﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91].

(1) الرازي، التفسير الكبير، 327/11.



● تسليم الشيء إلى صاحبه: قال: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: 46]، أي: قد سُلمت إليكم، فخذوها مهناً⁽¹⁾.

(4) الإسلام دين السَّلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208]، والدخول في السِّلْم بقصد التَّعايش الإنسانيَّ بعيداً عن التَّنَاحر والصَّرَاح الذي لا يحقق مصلحة، ولا يجزُّ منفعة⁽²⁾.

فالسَّلام رسالة الإسلام، والإسلام هو دين التَّعايش الإنسانيَّ الذي ينبني على السِّلْم والسَّلام بين المجتمعات، وهو دين الأخوة الإنسانية والمحبة والتَّسامح، الذي يسعى إلى زرع الطَّمَأْنينة والسَّكينة في الناس، وهو - أيضاً - دين الرِّفعة والكرامة الإنسانيَّة، والتَّعايش الذي أساسه احترام الآخر ومدُّ جسور التَّواصل الحضاريِّ الفعَّال معه.

لقد جاء الإسلام في وقت كان النَّاس يخوضون فيه حروباً طاحنةً، تتضاءل أسبابها وتتطاوَل آمادها، مثالها: حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، وحرب الفجار، ويوم بُعث، ويوم عَيْن أبَاح⁽³⁾، ... فجاء الإسلام برسالة السَّلام التي تُوَسِّس قواعد البناء الحضاريِّ للمجتمعات، وقد انبثَّت روح السَّلام في نصوصه وتشريعاته وزُمِرَ أحكامه؛ سواء منها الأسرية والاجتماعية، والعبادية والتعاملية؛ فتشرَّبَتها الفِطرة السليمة والعقول الراقية والنفوس المسالمة، لما

(1) ينظر: العسكري، الوجوه والنظائر، ص 256-257.

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 423، (سلم).

(3) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ، 527/1-532.



بينها من توافق وانسجام، ففطرة الإنسان تتوافق مع السلام والاطمئنان والسكينة، وتلفظ ما ناقضها من سُبُل؛ كما قال قيس بن زهير:

وَإِنَّ سَبِيلَ الْحَرْبِ وَعَرٌّ مَضَلَّةٌ وَإِنَّ سَبِيلَ السَّلَامِ أَمْنَةٌ سَهْلٌ⁽¹⁾

ويُعدّ مجالُ العلاقة بالآخر المختلف دينيًا وثقافيًا وفكريًا من أهمّ المجالات التي حرصَ الإسلام على بثّ روح السّلام فيها؛ سعيًا إلى بناء علاقات تواصليةٍ وتصالحيّةٍ وإنسانيّةٍ بين المجتمعات، وبلغَ حرصُ الإسلام على لزومٍ منهج السّلم والأمان أن وجّه القرآن الكريم أمرًا ابتدائيًا صريحًا بذلك في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]، فأساس العلاقة في الإسلام مع الآخر تُبنى على المسالمة والأمان؛ لأنّ السّلام شعار الإسلام، فلا تعديّ فيه ولا ظلم، وسواءٌ تعلّق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو البيئَة.

وفي قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47] فسّر سلامه بالأمان، "أي: أمانةٍ مِنِّي لك"⁽²⁾، مع أنّ أباه مخالف له في الدّين، وفسّر - أيضًا - بالمسالمة من أن يلحق به أذى أو مكروه⁽³⁾.

(1) شعر قيس بن زهير، ص 46.

(2) القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، 4549/7.

(3) ينظر: المقدسي، فتح الرّحمن في تفسير القرآن، 256/4.



وبذلك أيضاً فُسِّر (السَّلام) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: 47]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94].

فالسَّلام إذن، مقصدٌ كليٌّ في الإسلام، تُستقرأ معانيه من مجموع النصوص الشرعية ومن الشواهد التاريخية؛ لأن الإسلام أسَّس العلاقة مع غير المسلمين على المهادنة والأمان والتعاون؛ والمبدأ الكليُّ في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] يوضح أمر الشارع للمسلمين بمعاملة غيرهم بالحسنى والعدل؛ ﴿لَا يَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

يؤكد هذا المبدأ أن النبي ﷺ ظلَّ بمكَّة ثلاثَ عشرةَ سنةً يدعو للسَّلم ويحثُّ عليه، ويؤسِّس له بالمواقف العملية، وما مدَّحه لملك الحبشة الذي وقف إلى جانب المسلمين في موقف عظيمٍ إلا تأكيداً لهذه الحقيقة، ثم في المدينة المنورة أسَّس ﷺ لإقامة السَّلم داخلياً وخارجياً من خلال المبادرات والوثائق والمواثيق والعهود والاتفاقات والدعوة للسَّلم بالقول والعمل، وفي صلح الحديبية تمثَّلت هذه المعاني مجتمعةً؛ حين وافق النبي ﷺ على شروط الصَّحاح من أجل الوصول إلى غايةٍ واحدةٍ؛ هي تجنُّب الحرب واستدامة السَّلم، حتَّى قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»⁽¹⁾. وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2581، 974/2.



(5) أفضل الناس أكثرهم سلامًا وأقلهم خصامًا:

سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد»⁽¹⁾. وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى! قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»⁽²⁾.

(6) السلام تحية الإسلام:

التسليم تحية المسلمين، وسبيلهم إلى ترسيخ المحبة فيما بينهم، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم»⁽³⁾.

وتجلى قيمة السَّلام في العلاقات الاجتماعية بوضوح في الهدي النبوي، كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام:

«السَّلام اسمٌ من أسماء الله وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأفشُوهُ بينكم، فإنَّ الرجلَ المسلمَ إذا مرَّ بقومٍ فسَلَّم عليهم، فرَدُّوا عليه؛

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، 1409/2.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2509، 663/4.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2510، 664/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 1412، 29/3.



كان له عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيره إياهم السَّلام، فإن لم يردُّوا عليه ردَّ عليه مَنْ هو خيرٌ منهم وأطيب»⁽¹⁾، وقوله ﷺ كذلك: «حقُّ المُسلم على المُسلم خمسٌ: ردُّ السَّلام، وعيادةُ المريضِ، وإتباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدَّعوة، وتشميتُ العاطِسِ»⁽²⁾.

إنَّ السَّلام ليس مجرد تحيةٍ للمسلمين، بل هو رسالة مفعمة بالمحبة للنَّاس أجمعين، بل ولجميع الكائنات، والإسلام لا يقف عند مجرد الإشادة به، وإنما يجعله جزءاً من العلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين الأفراد والمجتمعات.

7) السَّلام اسمٌ من أسماء الجنة:

قِيلَ لِلجَنَّةِ "دَارُ السَّلامِ" لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ⁽³⁾. فالسَّلامة الحقيقيَّة ليست إلَّا في الجنَّة؛ إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزٌّ بلا ذلٍّ، وصحَّة بلا سقم⁽⁴⁾. وسُمِّيَتْ "دَارُ السَّلامِ" لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَنْقُطُ وَلَا تَفْنَى، وَهِيَ دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَالْأَسْقَامِ⁽⁵⁾، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾ [يونس: 25]، أي: دار السَّلامة؛ فأهلها سالمون فيها من الحرقة ومن الفُرقة، سَلِمُوا من الحرقة فحصلوا على لذة عطائه، وسَلِمُوا من الفُرقة

(1) البخاري، الأدب المفرد، رقم الحديث: 1039، ص579، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 10391، 182/10.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1183، 418/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1704/4، 2162.

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 392/2.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص421.

(5) من قول الزجاج، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 291/12، (سلم).



فوصلوا إلى عزيز لقائه⁽¹⁾، «قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد»⁽²⁾، «لا اختلاف بينهم»⁽³⁾، يقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ [الحجر: 46 - 47]، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47 - 48]، وتحية الله لهم ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: 44]، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: 10]، ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [يونس: 10]، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [الواقعة: 25-26]، ﴿لَهُمْ فِيهَا قَوْلٌ مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 57-58]. وهذا لا يكون لهم بالقول فقط، بل ذلك بالقول والفعل جميعاً⁽⁴⁾.

هذه أبرز المظاهر التي تبين أهمية السلام في الإسلام، وتبقى رسالة السلام هي الرسالة الخالدة التي يتناقلها الحكماء، ويرعاها العقلاء، ويسعى إلى ترسيخها النبلاء، وفي ذلك يقول الوالد المؤسس الشَّيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيَّب الله ثراه: "إننا نسعى إلى السَّلام، ونحترم حقَّ الجوار، ونرعى الصَّديق"، ويقول طيب الله ثراه: "إننا نتطلَّع إلى غد مشرق... شعاره فعل الخير وتحقيق السَّلام".

وعلى هذا النهج يسير اليوم صاحب السَّمَوِّ الشَّيخ مُحَمَّد بن زايد آل نهيان رئيس الدَّولة حفظه الله؛ إذ ما فتى يخلِّد مواقفَ تاريخيَّة مشهودة في تعزيز التعاون والتَّضامن مع الدَّول؛ في سبيل تحقيق السَّلام العالميّ؛ حفظاً

(1) القشيري، لطائف الإشارات، 90/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3254، 119/4.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2834، 2180/4.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص422، (سلم).



للإنسان وصوناً لكرامته، وقد اختاره العالم "رجل السلام والإنسانية"؛ إذ جسد سموه قيم السلام والتسامح بالقول والفعل؛ حتى أصبحت دولة الإمارات منارة تشع بالسلام، وقبلة للباحثين عن السلم والأمن⁽¹⁾.

ويسعى سموه دائماً إلى إحياء قيم الدين الإنسانية النبيلة، وتعزيز روح الأخوة بين بني البشر. وبرؤيته الثاقبة نجح سموه في مد جسور التواصل والسلام مع جميع قيادات وشعوب العالم، ونشر ثقافة التسامح ونزع فتيل عدد من الأزمات، والتصدي لأفكار التطرف والتشدد.

ومنذ إقرار الإمارات عام 2019 "عام التسامح"، تصدر سموه المشهد بمواقفه وأقواله، ومن أبرزها استقباله اثنين من أهم القادة الدينيين في العالم، هما قداسة البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية، وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، وقد تمخض اللقاء العالمي في العاصمة أبوظبي على توقيع "وثيقة الأخوة الإنسانية"؛ لتكون دليلاً على تعزيز ثقافة الاحترام المتبادل وتفعيل الحوار حول التعايش والتآخي بين البشر.

كما أطلق سموه "صندوق زايد العالمي للتعايش" دعمًا لجهود تعزيز ثقافة التعايش السلمي والأخوة الإنسانية بين شعوب العالم.

ومثلما لم يدخر سموه جهداً لنشر قيم التسامح والسلام، تفانى "فارس الإنسانية" في خدمة البشرية جمعاء وتقديم العون للدول الشقيقة والصديقة، سواء بعقد الاتفاقيات التي تحمل بإعلانها معاني السلام والتعايش والتعاون، أو بالمواقف التاريخية التي تصب في مصلحة تعزيز التعاون والتضامن مع الدول

(1) ينظر: مركز الاتحاد للأخبار، [محمد بن زايد... رجل السلام والتعايش والأخوة الإنسانية](#).



العربية الشقيقة، وتدعم الاستقرار الإقليمي وتتصدى لكل التحديات التي تمس أمن المنطقة وفي مقدمتها الإرهاب والفكر المتشدد. أما دولياً فقد كان سموه المبادر الدائم لإيقاف الصراعات بين الدول، والساعي إلى المصالحات بحثاً عن السلام العالمي وسعيًا لحقن الدماء وحفظاً للإنسان وصوناً لكرامته⁽¹⁾.

مجالات السلام ومظاهره:

يرى الناظر في النصوص القرآنية والنبوية وفرة النصوص التي تعزز السلام وتمكّن له في المجتمع، وتحثُّ عليه وتنقّر من أضداده، وتختلف مظاهر السلام باختلاف مجالات الحياة، ولعل أبرزها:

1) سلامة القلب للناس عامّة:

سلامة القلب: خلّوه من الآفات الظاهرة والباطنة⁽²⁾، وتعني تحرر القلب من الحقد والحسد والضغينة والكراهية تجاه الآخرين، مما يساهم في تعزيز العلاقات الإنسانية، وتقوية أواصر المودة والتعاون بين الناس، ونشر الإيجابية والتفاؤل في محيطهم؛ لذا كانت سلامة الصدر سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89].

(1) ينظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، [صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد](#)

[آل نهيان، حفظه الله](#). ووكالة أنباء الإمارات - وام، [محمد بن زايد... مسيرة رئيس وُلد قائداً](#).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 421، (سلم).



وهي من أفضل الأعمال، والمتصف بها من أفضل الناس؛ لما سُئِلَ النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»... الحديث⁽¹⁾.

ومن شدة حرص النبي ﷺ على إشاعة المحبة والوئام، وإدامة المودة والسلام؛ كان يقول لأصحابه: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»⁽²⁾.

ووصف الله تعالى أصحاب النبي ﷺ بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 62، 63]، وعن أنس رضي الله عنه قال: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَطْلُعَ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فطلع رجلٌ من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلّق نعليه في يده الشمال، فلمّا كان الغد، قال النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ ذَلِكَ، فطلع ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فلمّا كان اليوم الثالث، قال النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فطلع ذلك الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فلمّا قام النَّبِيُّ ﷺ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تَوَوِّينِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتُ! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا؛ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ،

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، 1409/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4860، 224/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3896، 710/5.



وكدتُ أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنّي لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرٌ ثمّ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلّا ما رأيته! قال: فلمّا وليت دعاني، فقال: ما هو إلّا ما رأيته؛ غير أنّي لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشّاً، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطق⁽¹⁾.

(2) التعايش وقبول الآخر:

يوم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وضع الوثيقة التي تشهد لهذا المجال من مجالات السلام، وتنبض بأصول التعايش السلمي والتعامل الأخوي الإنساني الضامن للحقوق والحريّات، وفيها: «لِلْمُؤَدِّينَهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَاتَّم، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغ [أي: يهلك] إِلَّا نَفْسَهُ...، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ...، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٍ»⁽²⁾. ويأتي الحديث عنها مفصلاً في قيمة المواطنة.

(3) محبة الخير للناس:

لا يخفى ما بين محبة الخير للناس وتمكين السلام من صلة وارتباط وثيق، إذ تسهم محبة الخير والسعي فيه؛ في بناء مجتمع متراحم متعاطف

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 12697، 124/20.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 503/1.



متناغم متسامح متعاون متماسك، تشد عراه روابط اجتماعية متينة، تحُول بينه وبين النزاعات والصراعات التي تزعزع استقراره، ومن هنا كان السلام بين الناس ومحبة الخير لهم كلاً واحداً، يرتبطان ارتباطاً مطرداً اطراد السبب والنتيجة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ بالنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع، أنضيت راحلتي، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني؟ فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟» فقال أنا زيد الخيل، فقال: «بل أنت زيد الخير، فاسأل، فربَّ معضلة قد سُئل عنها!» قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد؟ فقال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت؟» قال أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملتُ به أيقنتُ بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننتُ إليه. فقال النبي ﷺ: «هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد»⁽¹⁾. الحديث.

وعن ابن بريدة الأسلمي، قال: شتم رجلٌ عبدَ الله بن عباس رضي الله عنه، فقال له ابن عباس: (إنك لتشتمني وفيَّ ثلاثُ خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل؛ فلو ددتُ أن جميعَ الناس يعلمون منها ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين [أي: القاضي] يعدل في حكمه فأفرج به؛ ولعلي لا أقاضي

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 376/1.



إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح؛ وما لي به من سائمة⁽¹⁾؛ أي: من دابة ترعى في المراعي ولا تعلّف.

وفي خبر زيد الخير وابن عباس عليهما السلام مثال على محبة الخير للناس، والفرح به، والسعي إلى إشاعته ونشره.

(4) كَفُ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ:

من مقتضيات محبة الخير للناس ومن أجديات السلام معهم: كف الأذى عنهم والحرص على سلامتهم، وهو خلق من الأخلاق النبوية، وصدقه من الصدقات، وفي الحديث: «**على كل مسلم صدقة**». فقالوا: يا نبي الله، فَمَنْ لَمْ يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فيَنفَع نفسه ويتصدَّق**». قالوا: فإن لَمْ يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**» قالوا: فإن لَمْ يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشرِّ، فإنها له صدقة**»⁽²⁾.

قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثلي ومثل النَّاس كمثل رجلٍ استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمهن فيها، فأنا أخذ بحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تقحمون فيها**»⁽³⁾.

(1) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 10621، 266/10، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 284/9: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1376، 524/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 697/2. 1005.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6118، 2379/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1789/4، 2284.



(5) احتمال الأذى من الناس:

وهذه رتبة أعظم من سابقتها، وصورة تعكس نقاء الفكر وسلامة القلب وجمال الروح، فمن تحققت فيه قيمة السلام تغافل عن هفوات الناس وغض عن أخطائهم، وتمنى لهم الخير والسلام، ورد بالتي هي أحسن، فزاده ذلك سلاماً نفسياً وسلوكياً. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً؛ فإني أحبُّ أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر»، قال ﷺ: وأتى رسول الله ﷺ مالٌ، فقسَّمه، قال: فمررتُ برجلين، وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أرادَ محمدٌ بقسمته وجهَ الله، ولا الدارَ الآخرة! فتثبَّتُ، حتى سمعتُ ما قالاً، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنك قلتَ لنا: «لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً»، وإني مررتُ بفلان وفلان، وهما يقولان كذا وكذا، قال: فاحمرَّ وجه رسول الله ﷺ، وشقَّ عليه، ثم قال: «دعنا منك، فقد أؤذي موسى أكثر من ذلك، ثم صبر!»⁽¹⁾.

ويوم وقَّف عند العقبة في الموسم، فكان يدعو القبائل من العرب إلى الله سبحانه، فما أجابوا ذلك، فحزن رسول الله ﷺ واشتدَّ عليه⁽²⁾، وجاء جبريلُ ومعه ملكُ الجبال، «فقال: يا محمدُ، إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ الله إليك ملكَ الجبال لتأمرَ به بما شئتَ فيهم»، قال ﷺ: «فناداني ملك الجبال، فسَلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن شئتَ أن أطيقَ عليهم

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4860، 224/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:

3896، 710/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 3759، 301/6.

(2) المظْهري، المفاتيح في شرح المصابيح، 170/6.



الأخشبين!» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يشركُ به شيئاً»⁽¹⁾.

ودعا لهم ﷺ: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»⁽²⁾.

6) الردّ بالتي هي أحسن:

إنَّ قصد الإسلام إلى تحقيق السَّلم الاجتماعيّ يتجلّى في الحثِّ على العفو وتليين الخطاب والرفق بالنَّاس، ومعاملتهم بالحسنى، وعدم ردِّ الأذى بمثله، وإعطاء الحقوق لأصحابها؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، أي: قالوا سداً من القول⁽³⁾، قَوْلًا يَتَسَلَّمُونَ فِيهِ، لَيْسَ فِيهِ تَعَدٍّ وَلَا مَأْثَمٌ⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8]، فجميعُ هذه الآيات تصل بالنَّاس إلى تحقيق غاية واحدة، هي حُسْن الردِّ وجودة التواصل ولباقة التعبير، والذي يعزز الاستقرار الإنسانيّ فيتحقق به السَّلم المجتمعيّ.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3231، 115/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1420/3، 1795.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3290، 1282/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1417/3، 1792.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص422.

(4) قول ابن عرفة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 289/12، (سلم).



ثمرات السلام:

إن وضوح مفهوم السلام يجلي ثمراته ويبين فوائده على مستوى الفرد والمجتمع، فهو - في ضوء ما تقدم ذكره - حالة من:

1) الطمأنينة والسلام في النفس والقلب والفكر:

تنعكس على القول والعمل سلامةً وصوابًا، وفي الحديث: «المسلم من سَلِمَ الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أَمَنه الناس على دمائهم وأموالهم»⁽¹⁾. وإن الطمأنينة في المجتمعات الإنسانية ناتجة عن تبَيُّ أفرادها قيم التعايش والتسامح، ونبذهم ما سواها.

2) الصِّحَّة في العلاقات الإنسانية:

تتجسد سِلْمًا وأمنًا واستقرارًا، وقبولًا للآخر مع حُسن الصلة به، وترقى إلى محبة الغير وتميُّ الخير له، وفي الحديث: «أَفْلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»⁽²⁾.

3) غياب النزاع، وتحقيق العدالة والاستقرار الاجتماعي:

وكذا الرفاهية الاقتصادية، وضمان السلامة للناس ومنهم، كما يقول أبو الفتح البستي:

(1) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 4995، 104/8.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2510، 664/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 1412، 29/3.



مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ⁽¹⁾

(4) الاستقرار الذاتي، والمجتمعي، والازدهار الوطني.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126]، فدعاء إبراهيم لمكة بالأمن والتوسعة بما يجلب إليها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص: 57]؛ ذلك لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحي، وتعدُّ العيش فيها⁽²⁾، فتأمين الطريق وتيسير المواصلات وتقريب البلدان ييسر تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق⁽³⁾.

وقريب من هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...﴾ [النحل: 112]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4]. ففي هذه الآيات وأمثالها يظهر الاقتران بين الأمان والسلام والاطمئنان من جهة؛ وبين رغد العيش وسعة الرزق من جهة أخرى، في إشارة مهمة إلى دور السلام والاستقرار في تحقيق الازدهار والتنمية، وتأثيره الإيجابي على النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية.

(1) ديوان أبي الفتح البستي، ص6.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 4/48.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 181/22.



ولعل من أبرز الأمثلة وأوضحها على علاقة السلام بالازدهار الوطني ذلك التوازي بين الريادة في السلام والاستقرار؛ وبين الازدهار والتقدم الذي تشهده دولة الإمارات العربية المتحدة.

ما يؤسس للسلام ويحققه ويعزّزه وينمّيه:

دعا الإسلام البشرية كافة للانضواء تحت راية السلام، قال تعالى: ﴿وَأِنْ جَنَّحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61]، وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208]؛ لما للسلام من أثر على سلامة الأفراد، واستقرار المجتمعات، وازدهار الأوطان والحضارات. وللمساهمة في تحقيق هذه القيمة وتمكينها في المجتمعات وبين الأفراد ثمة سبل هي على النحو الآتي:

1) التوعية الفكرية والثقافية العلمي:

الأفكار منطلق السلوك، والفكر المتشبع بقيم السلام والتسامح والتعايش واحترام التنوع والاختلاف، تصدر عنه تصرفات وسلوكات داعمة للسلام، مرسخة له، ومن هنا تأتي أهمية التوعية الفكرية والثقافية العلمي بالسلام وقيمه، والتي تضطلع بها:

- الأسرة: فللا أسرة دور محوري وأساس في ترسيخ قيم السلام والتسامح والاعتدال في نفوس الأبناء، وتحصينهم ضد الأفكار المتطرفة والسلوكات المنحرفة اجتماعيًا، وذلك من خلال:



أ- التعليم والتوجيه: فبتوجيهات الآباء يحصّل الأطفال مهارات الاستماع والتفاهم، ويتعلمون مبادئ الاحترام المتبادل وقبول الآخر، ويكتسبون طرق حل الخلافات بشكل سلمي.

ب- القدوة الحسنة: فالأبوان هما النموذج الأول الذي يقتدي به الأطفال، ويلاحظون أفعالهم وتصرفاتهم، وهذا ما يبيّن أهمية أن يتمثل الآباء في تصرفاتهم اليومية قيم السلام، ويتحلوا بالصبر والرفق في الأقوال والأفعال، ويتجنبوا العنف والصدام.

ت- الحوار الأسري: إنّ فتح الآباء مع أبنائهم باب الحوار والمناقشة في المواضيع المتصلة بقيمة السلام؛ كالتسامح، والعدالة، والاحترام، وقبول الآخر؛ يسهم في تعميق فهم هذه القيم، وكيفية تطبيقها في الحياة اليومية.

- المؤسسات التعليمية: من مدارس، وجامعات، ومراكز بحثية...، فدورها محوري في بناء عقلية فكرية سليمة ومعتدلة لدى طلابها ومنتسبيها، وضبط المنهجية الصحيحة لفهم النصوص الدينية وتفسيرها، بعيداً عن الوقوع في فخ التأويلات المتشددة أو المنحرفة التي تتعارض مع المقاصد السامية للإسلام. وذلك من خلال:

أ- المناهج التعليمية: المتضمنة سبل ترسيخ ثقافة السلام، والحث على التسامح والاعتدال، ونبذ التشدد المفضي إلى العنف والكرامية، وازدراء الأديان.

ب- الفعاليات الأكاديمية: من ندوات، ومؤتمرات، وأنشطة طلابية؛ من شأنها أن تسهم في نشر الوعي بأهمية قيمة السلام، وتعزيز روحه بين الطلبة والباحثين.



ت- المكتبات الآمنة: التي تمثل مصادر ومراجع علمية موثوقة يعتمد عليها الطلاب في دراستهم وبحوثهم العلمية.

(2) تعزيز معاني الأخوة الإنسانية:

ولعلها الركيزة الأولى في ذلك، فقد خلق الله تعالى الناس جميعاً من نفس آدم عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»⁽¹⁾. وجعلهم إخوة في الإنسانية، قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ»⁽²⁾. وسيأتي حديث مفصل عن قيمة الأخوة الإنسانية، فهي قيمة مستقلة تتفرع عن قيمة السلام.

(3) إشاعة العفو والتسامح:

حثَّ القرآن الكريم على العفو والتسامح في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: 109]. وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40]. وأكد النبي ﷺ على هذا الأمر الإلهي فقال: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»⁽³⁾. ولقد كان التسامح من صفات الأنبياء عليهم السلام؛ يعفون عمَّن ظلمهم، ويسامحون من أساء إليهم، ومن نماذج تسامحهم ما كان من يوسف عليه السلام مع إخوته، فقد قال لهم بعد ما كان منهم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92].

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 438/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 225/6، 3956.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23489، 474/38.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2588، 21/8.



وسياتي حديث مفصل عن العفو والتسامح في "قيمة التسامح والتعايش"، فهي قيمة مستقلة تتفرع عن قيمة السلام.

(4) التعايش وقبول الآخر:

الاختلاف بين الناس آية ربانية، وطبيعة بشرية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]. فالله تعالى لم يشأ أن يجعل كل الناس على نهج واحد وعلى طريقة واحدة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَٰذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118 - 119]، وهذا الاختلاف بينهم يستوجب تعايشهم وتعاونهم؛ بغض النظر عن ألوانهم وأعراقهم وتوجهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم.

(5) إصلاح ذات البين:

فإصلاح ذات البين ركيزة من ركائز السلام وأساسه، والصالح لا يأتي إلا بالخير، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، ففيه تأليف بين القلوب، وتقوية للصلات، وتوثيق للعلاقات، ودفع للخصومات، ودرء للخلافات؛ ولذا دعا الله تعالى إليه وحث عليه، ورتب على فعله والدفع إليه والتمكين له عظيم الأجر، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224]، "أي: إذا حلفتكم على ألا تصلحوا بين الناس، فلا تمضوا يمينكم، ولكن أصلحوا، فذلك



خير لكم من الوفاء باليمين⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]. ولعظيم نفع الإصلاح بين الناس وبالع أثره؛ جعل النبي ﷺ درجته أعلى من بعض العبادات، ففي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»⁽²⁾.

(6) العدل والإنصاف:

وهو الركيزة التي تحفظ الحقوق والواجبات والمسؤوليات، وتؤسس للتعايش بسلام واحترام؛ وإن اختلفت المشاعر واختلفت المصالح، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8].

(7) المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية:

من أهم ما يحقق السلام، ويبث الاستقرار: الجهود الرسمية التي تبذلها الدول، والمبادرات التي تسعى لتنفيذها، والبرامج التي تعمل على إقامتها؛ لما تمثله من قوة ناعمة ذات أثر كبير، ولما تحقّقه من نتائج بارزة، وسمعة دولية واسعة، ولقد كان لدولة الإمارات العربية المتحدة جهود كبيرة في تعزيز السلام من خلال مجموعة من البرامج والمبادرات والمشاريع، من أهمها:

(1) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 139/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4919، 280/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 663/4، 2509.



أ. وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش

المشترك:

وهي وثيقة وقعها قداسة البابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية، وفضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، في أبو ظبي، عام 2019م، برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله)؛ من أجل إحلال السلام العالمي، والعيش المشترك، واكتشاف قيم العدل، والخير، والجمال، والأخوة الإنسانية، ليؤكدوا أهميتها كطوق نجاة للجميع، وليسعوا في نشر هذه القيم بين الناس في كل مكان⁽¹⁾.

ب. بيت العائلة الإبراهيمية:

وهو صرح حضاري مقره في أبو ظبي، يضم مسجدًا، وكنيسةً، وكنيسًا يهوديًا، ومركزًا تعليميًا، ويجسد القيم الإنسانية المشتركة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ويمثل رمزًا فريدًا للتفاهم المتبادل، والتعايش المتناغم، من أجل تحقيق السلام بين مختلف أبناء الديانات، وقد تم افتتاحه عام 2023م⁽²⁾.

ج. البرنامج الوطني للتسامح:

وهو برنامج وطني استراتيجي، اعتمدته مجلس الوزراء في عام 2016م، يهدف إظهار الصورة الحقيقية للاعتدال، واحترام الآخر، ونشر قيم السلام

(1) ينظر: [وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك](#)، لقاء الأخوة الإنسانية، (موقع إلكتروني)، أبو ظبي، 2019/02/04م، [ونبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية](#)، بيت العائلة الإبراهيمية (الموقع الإلكتروني الرسمي).

(2) ينظر: [نبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية](#)، بيت العائلة الإبراهيمية (الموقع الإلكتروني الرسمي).



والتعايش، وضمان التعددية الدينية والفكرية والثقافية؛ التي تتميز بها دولة الإمارات العربية المتحدة، ونبذ أساليب الكراهية، والعنف، والطائفية، والتمييز، والتعصب؛ فكريًا وتعليميًا وسلوكيًا⁽¹⁾.

د. المبادرات الإنسانية الخيرية:

قامت دولة الإمارات بتقنين العمل الخيري والإنساني وحوكمته ضمن مؤسسات حكومية رسمية ومجتمعية مرخصة، يصل عددها إلى نحو (40) مؤسسة، تغطي جميع مناطق الدولة، من أبرزها: (الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ومؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية)⁽²⁾، وتنطلق دولة الإمارات العربية المتحدة في مبادراتها الإنسانية من رؤية شاملة، تأخذ في الاعتبار تحقيق الأمن الإنساني العالمي، دون التفرقة بين الشعوب بحسب الدين أو الجنس أو اللون أو المنطقة الجغرافية⁽³⁾، وتهدف إلى إرساء مبدأ السلام، وإعلاء قيمه. وقد سبق الحديث عن بعضها عند تناول قيمة العطاء.

هذا وأمثاله من المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية يمثل تجسيدًا واقعيًا وعمليًا لرؤية الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله؛

(1) ينظر، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات، 2022/12/26م، [تعزيز قيم التسامح والتعايش](#)، وينظر: تقرير بعنوان: [ممثلو الأديان في "قمة التسامح": الإمارات رائدة التسامح عالميًا والأكثر إيمانًا بالعيش المشترك](#)، جريدة الاتحاد الإماراتية، 2018/11/16م.

(2) ينظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، [المؤسسات الخيرية](#).

(3) ينظر: [الإمارات تتبوأ مكانة متقدمة ضمن منظومة القوى الخيرة عالميًا وتقدم نموذجًا للعطاء الإنساني](#)، مركز الاتحاد للأخبار (موقع إلكتروني)، 2012/12/20م.



إذ يقول: "إننا دولة تسعى إلى السلام، وتحترم حقَّ الجوار، وترعى حقَّ الصديق"⁽¹⁾.

خاتمة:

يظهر مما سبق وفرة النصوص الشرعية والتوجيهات القرآنية والنبوية المؤسّسة للسلام والتسامح في الإسلام، والداعية إلى تطبيقها بين الناس، ونبذ ما يخالفها من أشكال الكراهية والعنف والتفرق والنزاع والخصومة والإقصاء والكره....، وأن السلام والتسامح يقوم على قواعد لا بدّ منها، ويتجلى في مظاهر تفسّره وتحكيه.

ويمكن أن نتناول تحت قيمة السلام المركزية جملةً من القِيَم الفرعيّة التي تندرج تحتها، وهي:

- الكرامة الإنسانية.
- الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش.
- التواصل والتعارف والاحترام.
- العدل والاعتدال.

* * *

(1) البلوشي، محمّد علي، الشخصية القياديّة وقيم التسامح فكر الشيخ زايد (طيّب الله ثراه)، ص



- الكرامة الإنسانية

مقدمة:

اعتنى الإسلام بالإنسان أعظم عناية، واهتمَّ بكرامته أبلغ اهتمام؛ حيث خلقه الله بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر سبحانه ملائكته بالسجود له، وعلمه أسماء الأشياء، وزوّده بالقوة والمواهب ليسود ويسخر ما في الأرض بما ينفع الناس، وليصل إلى أقصى ما قُدِرَ له من كمال مادي وارتقاء روحي.

والكرامة الإنسانية هي أحد أعمدة حصول السلام في المجتمعات؛ لأنها تعمُّ الناس بغضِّ النظر عن أديانهم وأصولهم وأعراقهم؛ ويتجلى هذا في تقديم الإسلام الكرامة الإنسانية بوصفها أولَ مشترك إنساني؛ لأنَّ البشرَ جميعًا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأعراقهم ولغاتهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم كَرَّمَهُم الله عز وجل بنفخةٍ من روحه في أبيهم آدم عليه السلام، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، فالإسلامُ يثبت الكرامة لكل إنسان، ويُشَدِّدُ في التصوُّر الكليِّ للآخر على وحدة النوع والمساواة في الكرامة الإنسانية، والبحث عن تنمية المشتركات، ونبذ معايير التفاضل إلا بالخير والتقوى⁽¹⁾.

(1) ينظر: ابن بيه، "السلم العالي والخوف من الإسلام: قطع الطريق أمام التطرف"، مجلة السلم، العدد الثالث، ص44.



تعريف الكرامة:

أولاً- في اللغة:

التَّكْرِيمُ والإِكْرَامُ بِمَعْنَى، وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْكَرَامَةُ⁽¹⁾، وهي: اسْمٌ يُوضَعُ لِلْإِكْرَامِ⁽²⁾. وتعودُ في اللغة إلى الجذر اللغوي "كرم"، الذي يأتي بمعانٍ متعدّدة، ومن أهمّها:

1- الشَّرَفُ وكِرم الخُلُق: "الكافُ والرَّاءُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ له بابان: أَحَدُهُما شَرَفٌ في الشَّيْءِ في نَفْسِهِ أو شَرَفٌ في خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ"⁽³⁾، وكلُّ شَيْءٍ شَرَفَ في بابِهِ فإنه يوصَفُ بالكِرم، قال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: 26]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77]⁽⁴⁾، والكِريم: الجامعُ لأنواعِ الْخَيْرِ والشَّرَفِ والْفَضَائِلِ⁽⁵⁾.

2- التعظيم والتّزْيِه: "وَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا، وَكَرَّمَهُ تَكْرِيمًا: عَظَّمَهُ وَنَزَّهَهُ، وَالْإِسْمُ مِنْهُمَا الْكَرَامَةُ"⁽⁶⁾.

3- الجود والعطاء: "الكِريم" من أسماء الله تعالى، وهو الجوادُ المعطي الذي لا ينفدُ عطاؤه، وهو الكِريم المطلق سبحانه، والكِريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل⁽¹⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 511/12، (كرم).

(2) السابق، 512/12، (كرم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 171/5، 172، (كرم).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 707، (كرم).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

(6) الزبيدي، تاج العروس، 337/33، (كرم).



4- الصفح: ويأتي الكَرَم بمعنى الصفح، والكريمُ: الصَّفُوحُ⁽²⁾، "والكرمُ في الخُلُقِ يُقالُ هُوَ الصَّفْحُ عَن ذَنْبِ المَذْنِبِ، واللَّهُ تعالى هُوَ الكريمُ الصَّفُوحُ عَن ذُنُوبِ عِبَادِهِ المؤمنينَ"⁽³⁾.

5- ضد اللؤم: والكَرَمُ ضدُّ اللؤم، وقد كَرَّمَ الرجل - بالضم - فهو كَرِيمٌ⁽⁴⁾، والكَرَمُ نَقِيضُ اللؤم، يكونُ في الرجلِ بِنَفْسِهِ، وَيُسْتَعْمَلُ في الخَيْلِ والإِبِلِ والشَجَرِ وَغَيرِهَا⁽⁵⁾.

6- احترام الذات: فالكرامة ضد الذل، ومعنى قولنا: أهدَرَ كرامةَ فلانٍ، أي: أسقطها، أدْلَهُ، وقولنا: أبى الأبطال أن تُهدَرَ كرامة الوطن، أي: أن تسقط⁽⁶⁾.
ثانيًا- في الاصطلاح:

جاء في تعريف الكرامة أنها: "احترامُ المرءِ ذاته، وهو شعورٌ بالشرفِ والقيمةِ الشخصيةِ يجعلُهُ يتأثَّرُ ويتألَّم إذا ما انتقصَ قَدْرُهُ"⁽⁷⁾.
ويمكن أن تُعرَّفَ الكرامةُ الإنسانيةُ بأنها: معاملةُ الإنسانُ على أنه غايةٌ بنفسه، وليس وسيلة أو أداة، وأن يُحترم لأصل إنسانيته، وليس لما يملكه من

(1) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 166/4، (كرم) وابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2020/5، (كرم)، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 512/12، (كرم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 172/5، (كرم).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2019/5، (كرم).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

(6) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2332/3، (هدر). بتصرف.

(7) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1923/3، (كرم).



جاء ومال، أو لما يتمتّع به من صفات جسمية أو عقلية، أو لما يتّصف به من مواهب وعطاءات.

والكرامة حقٌّ طبيعيٌّ لكل إنسان، يقتضي - حسب الأعراف والمواثيق الدّوليّة وحقوق الإنسان - أن يعامل المرء باحترام يصون قيمته وحرمة وشرفه وعرضه، فلا يتعرّض للإهانة والإذلال والاحتقار، وذلك بقطع النّظر عن جنسه، أو عرقه، أو عقيدته، أو انتمائه...⁽¹⁾.

أهمية الكرامة الإنسانية:

يمكن أن تتجلى أهمية الكرامة في نقاط عدة، أهمها:

1) الله تعالى الكريم المكرّم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وقال سبحانه على لسان سليمان عليه السلام: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78]. وفي منح ابن آدم الكرامة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]. في هذه الآية إقرارٌ بشرف خلق بني آدم وتمييزهم عن سائر المخلوقات، ورفعة منزلتهم، فالله تعالى يُخبر عن تشریفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا

(1) ينظر: قوطه، نبيل عبد الفتاح، الحق في الكرامة في منظور القانون الدولي، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، كلية القانون، جامعة بدر، القاهرة.



الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿[التين: 4]، يعني: في أحسن صورةٍ وأعدلها؛ مستجمعًا خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات، وأبدع سبحانه تركيبه ووهبه القوى العقلية التي لم يعطها غيره من أنواع الحيوان؛ ليستعملها في منافع لا تنحصر⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: 15]، أي: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربُّه بالنِّعم والغنى، (فأكْرَمَهُ) بالمال، وأفضل عليه، (وَنَعَّمَهُ) بما أوسع عليه من فضله، فيفرح بذلك ويُسرُّ به، ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة⁽²⁾.

2) الأنبياء والمرسلون أكرم الناس:

أوفر الناس كرامة وأعظم الناس منزلة هم الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40]، وهو محمد ﷺ يتلوهم عليهم⁽³⁾. وفي الحديث: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن يعقوب»⁽⁴⁾؛ لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين⁽⁵⁾.

(1) ينظر: النسفي، التيسير في التفسير، 404/15، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 323/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 365/29.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 518/7.

(3) السابق، 242/23.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3390، 151/4.

(5) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 166/4، 167، (كرم)، وابن منظور، لسان العرب، 514/12، (كرم).



وجاء عن النبي ﷺ في الحديث أنه استقبل القبلة، ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا»⁽¹⁾. وفي الحديث إشارة إلى أنَّ الكرامة تتعارض مع كلِّ أشكال المهانة والإذلال، وهي من القيم المحمودة المطلوبة، وهو ما عبَّرت عنه صيغة الدَّعاء في كلامه ﷺ.

(3) الكرامة الإنسانية من القيم التي قررها القرآن الكريم:

مما يدلُّ على أهمية الكرامة الإنسانية في الإسلام أنَّ القرآن الكريم أشار لمصطلح "الكرامة" في عدَّة آياتٍ من كتاب الله تعالى، وكلُّها تحملُ معنى الكرم والإحسان في المعاملة⁽²⁾، سواء اتصلتْ بالعلاقة بين الله والإنسان، أو بين البشر في معاملاتهم الدنيوية، ويأتي تفصيل ذلك في "مظاهر الكرامة الإنسانية في الإسلام".

(4) أسَّس النبي ﷺ لحفظ كرامة الإنسان:

أسَّس النبي ﷺ أيضاً لحفظ كرامة الإنسان ووحدة أصله، وبنى العلاقات الإنسانية على الرحمة والتراحم، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس، ألا إن ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»⁽³⁾.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3173، 326/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 223، 350/1.

(2) الزَّين، محمد بسام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، 2/995.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23489، 474/38.



وحينما مرّت جنازة يهودي بين يدي رسول الله ﷺ، وقف لها ﷺ تكريماً لإنسانية الإنسان، فقال له بعض أصحابه: إنها جنازة يهودي، فقال النبي الكريم ﷺ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟»⁽¹⁾، فالرسول عليه الصلاة والسلام قدوة في احترام الكرامة الإنسانية.

5) تمتعت الكرامة الإنسانية بمنزلة عليا في الحكمة والشعر والقانون.

هذه الكرامة الإنسانية التي حَفِظَهَا الإسلام وصانَتها الشرائع؛ لم يقف منها مخزون الحكمة والشعر والحضارة الإنسانية إلا بالإشادة والصيانة والحفظ.

يقول عنتر بن شدّاد:

لا تسقني ماء الحياة بِذِلَّةٍ بل فاسقني بالعزّ كاسَ
الحنْظِ _____⁽²⁾

وقال المتنبي:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبَنُودِ⁽³⁾
وجاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 ديسمبر 1948م، تأكيد على أهميّة الكرامة الإنسانية، إذ نصّت المادة الأولى منه على ما

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1312، 85/2، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 961، 661/2.

(2) أحمد قبش، مجمع الأمثال في الشعر العربي، 49/4.

(3) السابق، 64/7.



يلي: "يولد جميعُ الناس أحرارًا ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضًا بروح الإخاء"⁽¹⁾.
وقد تمّ التمهيد لمحورية الكرامة الإنسانية بما جاء في ديباجة إعلان حقوق الإنسان، ذلك أنّ "الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساسُ الحرية والعدل والسلام في العالم"⁽²⁾.

مظاهر الكرامة الإنسانية في الإسلام:

من تجليات كرامة الإنسان في الثقافة الإسلامية ما يأتي:

1) خلق الله تعالى الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه:

وهذا لم يحصل لكائن آخر: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71، 76].

وفي الحديث: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظرون سمعهم الداعي، وتدنونهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول

(1) ينظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، [موقع الأمم المتحدة](#).

(2) السابق.



بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا...»⁽¹⁾ الحديث.

(2) أسجد الله الملائكة للإنسان تكريماً له وتشريعاً:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]. أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة، وإنما كانت السجدة لآدم عليه السلام تعظيماً له وتكريماً وتحية له؛ كالسلام منهم عليه⁽²⁾.

(3) كرّم الله تعالى الإنسان بتعديل القامة وامتدادها:

خص الله تعالى الإنسان من بين سائر المخلوقات بأحسن صورة، وذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، كما قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: 64]، ودكّره بإحسان هذا الخلق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6 - 8]، وتشمل كلمة "التقويم" البنية الخارجية والداخلية معاً، إذ يُعد ما يُواريه الجسد من الأعضاء والأجهزة الداخلية من أهم الأعضاء وأكثرها فعلاً ونشاطاً.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3162، 1215/3، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 193، 180/1.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 427/2.



(4) رسخت تعاليم الإسلام أن الإنسان مخلوق مكرم:

وهذا التكريم يعمُّ -كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]- البشرية قاطبةً من دون تمييز بأيِّ داعٍ من دواعي التمييز التي يعرفها البشر؛ حيث تبين الآية أن كل ابن آدم هو إنسان مكرم. وقد كرم الله الإنسان وفضله وميزه؛ وأعطاه المكانة ووهبه النعم، وأمره بإكرام أخيه الإنسان أيًا كان ظرفه، قال تعالى: ﴿كَأَلَّا بَلَّ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: 17]، أي: هلا أكرمتم اليتيم! ويكون ذلك بالإحسان إليه وكفايته، كما جاء في الحديث: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحَسِّنَ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»⁽¹⁾، وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»⁽²⁾.

(5) تسخيرُ ما في الكون لخدمة الإنسان:

سَخَّرَ اللهُ تعالى للإنسان ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]، وهذا الكون مسخَّر للناس كي يتعرفوا من خلاله على الله، ويدركوا قدرته، ويستثمروا نعمته، حتى يصل الإنسان إلى أعماق الأرض، ويرتفع إلى أجواء الفضاء، وينتفع بكل ما فيهما.

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3679، 1213/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6005، 9/8.



(6) إيمان الإنسان بالله أمر اختياري وليس أمراً مفروضاً:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، وقال أيضاً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، والمعنى: لو شاء أن يكرههم لكان إيمانهم جبراً، ولكنه خيرهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

(7) إلغاء الوساطة بين العبد وربه:

منع الإسلام الإنسان من عبادة ما سوى الله تعالى، وحرّم السجود لغير الله؛ كرامة للإنسان وصيانة له من أن يتعبّد ويتذلّل لغير ربه سبحانه ظناً منه أنه يتزلف إلى الله بعبادة ما سوى الله، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

(8) تخصيص الإنسان بنعمة العقل:

منح الله تعالى الإنسان العقل الناقد المميّز بين الحق والباطل الموصل إلى المعبود، وأمره بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، ليصل به إلى العلم فيرفعه الله به درجات: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].



(9) تخصيص الإنسان بحقوق أصلية لا تميز فيها:

لم يُفرّق الإسلام - مثلاً - في حقّ الحياة أو حق الكرامة بين الناس؛ ولم يميز بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين كبير وصغير...؛ لأنّ هذا الوجود تكريم إلهيٍّ، وليس بسبب توافر خصال مادية، أو تضافر عناصر مكسوبة، وإن كان ثمة تفضيل فإنما هو لفضله بالتقوى: «ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»⁽¹⁾.

من هنا جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الإنسانية جمعاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، أي: لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يسفك بعضهم دماء بعض⁽²⁾. فإنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

طرق اكتساب الكرامة وتعزيزها وتنميتها:

حثّ الإسلام الناس جميعاً إلى الأخلاق الفاضلة التي تُزيّن الإنسانية، وتُعلي شأنها، وتُنسّق بين أفرادها، وتَصون العلاقات الاجتماعية، وتوجّهها إلى الخير والكمال؛ لتصوّر الحياة البشرية في أجمل صورها، وأحسن أحوالها، وتتجنّب الرذيلة، والفساد الخلقي والاجتماعي.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23489، 474/38.

(2) أبو حيان، البحر المحیط في التفسير، 465/1.



وإن المنظومة القيمية بكلياتها وتفصيلها تعزز الكرامة الإنسانية وتنمّيها وتحفظها، ولعل العلاقة بين الكرامة الإنسانية وبعض القيم تكون أكثر وضوحاً من بعضها الآخر، ومن هذه المكارم والمبادئ التي تحفظ الكرامة وتعززها وتنمّيها ما يأتي:

(1) مبدأ المساواة بين الناس:

يتأسس هذا المبدأ على قاعدتين راسختين هما:

أ. وحدة الأصل البشري، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: 11]، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

ب. وشمول الكرامة الإنسانية لكل البشر، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وقوله ﷺ: «... والناسُ بنو آدمَ، وخلقَ اللهُ آدمَ من تُرابٍ»⁽¹⁾.

(2) مبدأ التسامح:

ويتجلى باحترام الآراء المختلفة، والنظر إلى الاختلاف الطبيعي بين البشر على أنه اختلاف إثراء، لا اختلاف إقصاء ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]. وسيأتي حديث مفصّل عن التسامح والتعايش والتفاهم.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3270، 389/5.



(3) مبدأ العدالة:

من خلال معاملة الناس جميعاً بالقسط والمساواة والإحسان، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135]، وسيأتي حديث مفصل كذلك في قيمة "العدل والاعتدال".

(4) مبدأ الرحمة:

لأن رحمة الإنسان لأخيه الإنسان هي أساس التكريم في الإنسانية؛ لقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»⁽¹⁾. وقد تم تفصيل قيمة الرحمة لكونها قيمة أساسية مركزية.

(5) مبدأ البر بالآخرين:

كما في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21]. والمثوى: حقيقته المحل الذي يثوي إليه المرء، أي: يرجع إليه، وهو هنا كناية عن حال الإقامة عندهما؛ لأنَّ المرءَ يُثَوَّى إلى منزل إقامته، فالمعنى: اجعلي إقامته عندك كريمةً، أي: كاملةً في نوعها، أراد أن يجعل الإحسان إليه سبباً في اجتلاب محبته إياهما ونُصحِه لهما فينفعهما، أو يتخذانه ولداً فيبُرُّ بهما، وذلك أشدُّ تقريباً⁽²⁾.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 285/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 6494، 33/11.

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 246/12.



ولا تمييز في البر بالآخرين بين القريب والغريب، سواء كان برَّ صلة أو برَّ معروف، قال تعالى: ﴿لَا يَهَآكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيََارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

6) مبدأ نبذ التعصُّب:

الفطرة السليمة والعقل السوي والفكر النقي يأبى التعصب ويلفظ التطرف والإقصاء، وجميع الدول والهيئات العالمية تنبذ التعصُّب بكافة أشكاله؛ لأنه مُفضٍ لسلوكات منبوذة، كالتطرف والعنف والإقصاء للمخالف أو الإساءة إلى كرامته، وقد صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر تشرين الثاني 1981م إعلان خاص بشأن ضرورة القضاء على جميع أشكال التعصُّب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقدات أو الأفكار. وكانت دولة الإمارات العربية المتحدة سبَّاقة إلى سن قانون يقضي بتجريم التعصب الديني، وهو مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكراهية والتطرف، جاء في الفصل الثاني منه، المادة (4):

يعد مرتكباً لجريمة ازدراء الأديان، كل من أتى أيًا من الأفعال الآتية:

- التطاول على الذات الإلهية، أو الطعن فيها، أو المساس بها.
- الإساءة إلى أي من الأديان أو إحدى شعائرها أو مقدساتها، أو تجريحها أو التطاول عليها أو السخرية منها أو المساس بها، أو



التشويش على إقامة الشعائر أو الاحتفالات الدينية المرخصة أو تعطيلها بالعنف أو التهديد.

- التعدي على أي من الكتب السماوية بالتحريف أو الإتلاف أو التدنيس أو الإساءة بأي شكل من الأشكال.
- التطاول على أحد الأنبياء أو الرسل أو زوجاتهم أو آلهم أو صحابتهم أو السخرية منهم أو المساس بهم أو الإساءة إليهم.
- التخريب أو الإتلاف أو الإساءة أو التدنيس لدور العبادة، وللمقابر، وللقبور أو ملحقاتها أو أي من محتوياتها⁽¹⁾.

(7) مبدأ المشاركة في المبادرات التي تعمل على حفظ كرامة الإنسان وتحفظ حقوقه:

ويشهد لذلك ما قاله النبي الكريم ﷺ عن حلف الفضول: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ»⁽²⁾. وذكروا في سبب ذلك الحلف أشياء مختلفة، محصلها: أن القادم من أهل البلاد كان يقدم مكة، فربما ظلمه بعض أهلها فيشكوه إلى من بها من القبائل فلا يفيد، فاجتمع بعض من كان يكره الظلم ويستقبحه إلى أن عقدوا الحلف، وظهر الإسلام وهم على ذلك⁽³⁾.

(1) ينظر: **نص المرسوم**، المنصة الرسمية لتشريعات حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

(2) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 13080، 596/6.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 4/473.



ثمرات الكرامة الإنسانية:

يترتب على حفظ الكرامة الإنسانية وتمكينها في المجتمعات ما يأتي:

(1) ضمان الحقوق:

وذلك بأن لا يُؤذى إنسانٌ في حضرته، ولا يُهان في غيبته، سواء كان هذا الإيذاء بالفعل، أو بالقول، بالتصريح أو بالتلميح، فكما حرّم الإسلام الإيذاء البدني، حرّم الإساءة اللسانية والمعنوية أيضاً؛ من الهمز، واللمز، والتنازير بالألقاب، والسخرية، والغيبة، والشتم، وسوء الظن بالناس...، مما يسيء للإنسان، ويورث البغضاء والتنافر في المجتمعات.

(2) ازدهار الحضاري والنمو العمراني:

فمتى حُفظت للإنسان كرامته فإن طاقته تجود بما تحفل به من مواهب وطاقات متعددة؛ لأنها تجدُ مناخها الصالح الذي يُتيح لها أن تنمو وتنتج، وإن فقدت هذا المناخ، انكمشت وضمّرت، وفقدت قابلية التحرك المجدي والإنتاج النافع.

(3) تعزيز السلم المجتمعي:

ومن ثمرات حفظ الكرامة الإنسانية تعزيزُ السّلم المجتمعي المؤسّس على التعارف مع الآخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].



4) تشجيع المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية التي تؤكد على مبدأ الكرامة:

ومن ذلك:

- التنصيصُ على "الكرامة الإنسانية" في مختلف الدساتير والقوانين.
- النص على مبدأ احترام كرامة الإنسان في الوثائق الدولية ذات الصلة، كما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948م، في 10 ديسمبر 1948، والذي نصّت مادته الأولى على أن الناس جميعاً ولدوا متساوين في الكرامة الإنسانية.
- تم تصدير وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك بـ: "باسمِ الله الَّذِي خَلَقَ الْبَشَرَ جَمِيعًا مُتَسَاوِينَ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْكَرَامَةِ، وَدَعَاهُمْ لِلْعَيْشِ كَأَخَوَةٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِيُعْمَرُوا الْأَرْضَ، وَيَنْشُرُوا فِيهَا قِيَمَ الْخَيْرِ وَالْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ"⁽¹⁾.
- مبادرات منتدى أبو ظبي للسلم في التنويه بالكرامة الإنسانية منطلقاً لتحقيق السلام، ومن ذلك: تأسيس حلف الفضول الجديد عام 2019 الذي كان أحد أهم البواعث التي أدَّتْ إلى إطلاق منتدى أبو ظبي للسلم، حيث جاء التنصيص فيه على: الإيمان بالمشتركات وبضرورة تفعيلها، وهي تنقسم لنوعين:
- المشتركات باعتبار ديانات العائلة الإبراهيمية، كالإيمان واللفظ والكرامة الإنسانية الشاملة.

(1) ينظر: نص وثيقة عن الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش معاً.



والمشترك الإنساني: القيم الكونية المتعالية عن التأثر باختلاف الزمان
والمكان والإنسان⁽¹⁾.

كما تم التنصيص ضمن المبادئ التي يقوم عليها حلف الفضول الجديد على دعم المعاهدات الدولية، ففيه: نؤيد المعاهدات والمواثيق الدولية التي تعلي من شأن الكرامة الإنسانية والقيم؛ لأنها مصدر للقانون والأعراف الدولية، وتساهم في الأمن العالمي؛ لأنها من أهم وسائل توطيد التعاون السلمي بين الدول، كيفما كانت أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأنها تجسّد مفهوم المواطنة التعاقدية، والتي هي محورية لهذا الميثاق.

وجاء في المادة تحت الفصل الثالث المعنون بالمبادئ: ينبي حلف الفضول الجديد على ما يلي:

1- مبدأ الكرامة الإنسانية: إن الناس وإن اختلفت أديانهم وألسنتهم وألوانهم وأعراقهم، فقد كرّمهم الخالق القدير بنفخة من روحه من أبهم آدم عليه السلام⁽²⁾.

خاتمة:

إن الناس، وإن اختلفت أديانهم وألسنتهم وألوانهم وأعراقهم، فقد كرّمهم الخالق القدير بنفخة من روحه في أبهم آدم عليه السلام، وأعطاهم حرية الاختيار وحرية ممارسة الدين بسبب هذه الكرامة الإنسانية⁽³⁾، وإن حفظ

(1) ينظر: [نص ميثاق حلف الفضول الجديد](#). وكالة أنباء الإمارات (وام).

(2) ميثاق حلف الفضول، مجلة السلم، العدد الثامن، ص 445.

(3) ينظر: [نص ميثاق حلف الفضول الجديد](#). وكالة أنباء الإمارات (وام).



الأمن والسلام وإنشاء التعايش الإنساني السِّلَمي يكمن في الشعور بقدسية
الكرامة الإنسانية، والاعتراف الواضح بالكرامة الإنسانية، وتعزيز صورها
ومظاهرها من خلال الاحترام المتبادل، والتسامح، والتعاون، والإحسان... وسائر
القيم الإنسانية التي تضمن السلام والتسامح من أجل الازدهار.

* * *



- الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش

مقدمة:

إنَّ الأخوةَ الإنسانيةَ دائرةٌ تسعُ النَّاسَ أجمعين، ورابطةٌ بشريةٌ وثيقةٌ لا يمكن نقضها أو إنكارها، «وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ»⁽¹⁾، ربهم واحد، وأبوهم واحد، وأمُّهم واحدة.

ومن لوازم هذه الأخوة أن تقوم على مقوِّمات المحبَّة والمودَّة والإحسان والرحمة والكرامة الإنسانية والتَّسامح والتعايش؛ وكل ما يؤسس للسلام والتعارف وحُسن التواصل، واحترام الأديان، والمساواة بين الناس من غير تمييز عنصريٍّ أو طائفيٍّ أو قبليٍّ، مصداقًا لقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فجعل "مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى"⁽²⁾، وما عدا ذلك فإن البشر جميعًا إخوة متساوون في الحقوق والواجبات والكرامة الإنسانية؛ أكثرهم صلة لرحم الأخوة هذه؛ أكثرهم عملاً لنشر الخير والمحبة والسلام في الأرض.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 438/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 389/5، 3270.

(2) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 435/5.



تعريف الأخوة والتسامح والتعايش:

أ. تعريف الأخوة:

أولاً- في اللغة:

الأخوة في اللغة تعود إلى الجذر اللغوي (أخا)، أو (أخو)⁽¹⁾، الذي يأتي بمعانٍ عدة، وأهمها:

2- الأخوة في النسب والقرابة: والأخ من النسب معروف، وهو من ولده أبو الإنسان وأمه، أو أحدهما⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 176]، أي: إخوة الإنسان وأخواته لأبيه وأمه، أو: لأبيه⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 58]، أي: إخوته في النسب، كما هو مشهور ومعروف.

3- الصديق والصاحب: وقد يكون الأخ بمعنى الصديق والصاحب⁽⁴⁾، ومنه قولهم: "ورُبَّ أخٍ لم تلده أمك"⁽⁵⁾.

4- الأخوة في الإنسانية: ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65] ونحوه، وقيل في الأنبياء "أخوهم" وإن كانوا على غير دينه؛ لأنه إنما يعني أنه قد أتاهاهم بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم، عليه السلام⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2264/6، (أخا).

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 19/14، (أخا)، الزبيدي، تاج العروس، 45/37، (أخو).

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 444/9.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 19/14، (أخا)، الزبيدي، تاج العروس، 45/37، (أخو).

(5) الزبيدي، تاج العروس، 45/37، (أخو).

(6) ابن منظور، لسان العرب، 20/14، (أخا).



5- الملازم للشيء: وقولهم: فلان أخو كربة، أي: صاحبها ومُلازمها⁽¹⁾، ومن الأمثال الشعبية الإماراتية: "إخوان شما"، وهي عبارة تقال كناية عن طلب العلياء والسؤدد والمساعدة من الآخرين الذين يهبّون لمساعدته، وتسمى "الفزعة"، وتعبر عن نوع من النخوة والعزوة⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فالأخ في الأصل: هو المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما، أو من الرضاع، ويُستعار في كل مشاركٍ لغيره في البلد، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات⁽³⁾. ولما كان البشر جميعًا متشاركين في الولادة أصلًا واحدًا من الطرفين كانوا إخوة في الإنسانية، ويقتضي هذا الإخاء بينهم توفير حدٍّ من التوافق والتجانس والألفة والمودة والرغبة في المؤاخاة والتواصل.

ب. تعريف التسامح:

أولًا- في اللغة:

التسامح في اللغة مصدر الفعل "تسامَح"، ويعود إلى الجذر اللغوي "سَمَحَ" الذي يَرِدُ بمعانٍ، أهمُّها:

(1) السابق.

(2) إخوان شما والحفاظ على التراث، مركز الاتحاد للأخبار.

(3) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 68.



- 1- اليُسْر والسَهولة: المُسامحة: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا⁽¹⁾.
- 2- الموافقة: يقال: سَمَحَ لي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً، وَأَسْمَحُ وَسَامَحَ: وافَقَنِي عَلَى الْمَطْلُوبِ⁽²⁾.
- 3- الْجُود والعطاء: والسَّمَا حُ والسَّمَا حة: الجود⁽³⁾، يُقَالُ: سَمَحَ وَأَسْمَحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ، وَسَمَحَ بِهِ، أَي: جَادَ، وَسَمَحَ لَهُ، أَي: أَعْطَاهُ⁽⁴⁾.
- 4- الانقياد والطاعة: وَيُقَالُ: أَسَمَحَتْ نَفْسُهُ إِذَا انْقَادَتْ⁽⁵⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

- عرّف التسامح في الاصطلاح بأنه: بذلُ ما لا يجبُ تفضُّلاً⁽⁶⁾، أو: الجود والعطاء عن كرمٍ وسخاء⁽⁷⁾، وقيل: السّماحة حسن البشّر عند السُّؤال، واستقلال كثير النّوال⁽⁸⁾.
- ويعني التّسامح أيضاً: "استعداد المرء لأن يترك للآخر حرّيّة التعبير عن رأيه، ولو مخالفاً ولو خطأ"⁽¹⁾.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 376/1، (سمح)، وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح)، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 484/6، (سمح).

(3) الرازي، مختار الصحاح، ص 153، (س م ح). وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 398/2، (سمح)، وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

(6) الجرجاني، التعريفات، ص 121.

(7) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 398/2، (سمح).

(8) النهرواني، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 662.



فالتسامح: صفة في النفس الكريمة، تحملها على الجود والسَّخاء، وتدلُّ على معنى السَّلاسة والسَّهولة والموافقة والعطاء، ويكون ذلك ماديًّا ومعنويًّا؛ فيثمر سلامًا ذاتيًّا ومجتمعيًّا.

ت. تعريف التعايش:

أولاً- في اللغة:

التعايش مصدر الفعل "تعايَشَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "عَيْشَ" الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1- الحياة: العيشُ: الحياة⁽²⁾، وعايَشَه: عاشَ معه، والعيشَةُ: ضربٌ منَ

العَيْشِ، يُقالُ: عاشَ عيشَةً صِدْقَ وعيشَةً سَوْءٍ، والمَعاشُ والمَعِيشُ: ما يُعاشُ بهِ⁽³⁾، وتعايش النَّاسُ: وُجِدوا في نفس الزَّمان والمكان⁽⁴⁾.

2- ما يُعاشُ به: والعيش: المَطْعَم والمَشْرَب وما تكونُ به الحياة⁽⁵⁾،

والأرض مَعاشُ الخَلْقِ، والمَعاشُ مَظِنَّةُ المعيشَةِ، وفي التنزيل:

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: 11]، أي: مُلْتَمَسًا للعَيْشِ، والتعَيْشُ:

(1) حسن حنفي، "تسامح"، منشور في الموسوعة الفلسفية العربية، 253/1.

(2) الفراهيدي، العين، 189/2، (عيش)، ابن منظور، لسان العرب، 321/6، (عيش).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 321/6، (عيش).

(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر وغيره، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1583/2، (عيش).

(5) الفراهيدي، العين، 189/2، (عيش)، وابن منظور، لسان العرب، 322/6، (عيش).



تكلّف أسباب المعيشة⁽¹⁾، وفي المثل: أنت مرّة عيش ومرّة جيش، أي: تنفع مرّة، وتضرّ أخرى⁽²⁾.

3- سلامُ العيش: تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السّلي⁽³⁾، وتعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار، تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة⁽⁴⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

ارتكز مفهوم التعايش اصطلاحًا على مبدأ قبول الاختلاف، فمن معانيه: تقبّل العيش مع الآخر المختلف، أو المخالف، والتواصل معه بقطع النّظر عن الفروق والاختلافات، والاعتراف له بحقوقه ما كان من أهل السّلام.

أهمية الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

تبرز أهمية الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش في عدد من النقاط، أهمّها:

1) أنّها قيمة أصيلة في الإسلام:

حرص الإسلام على بثّ روح الأخوة الإنسانيّة في المجتمع، ونبذ التعصّب الدّينيّ والجهوي؛ لتقليص حجم التّوترات القائمة على أسس دينيّة أو جهويّة،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/194، (عيش)، وابن منظور، لسان العرب، 6/322، (عيش).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 6/322، (عيش).

(3) مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، 2/639، (عاش).

(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر وغيره، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، 2/1583، (عيش).



والعمل على تطوير آفاقٍ للعيش الإنسانيّ المشترك والتسامح بما يُحقِّقُ الخير للإنسانية جمعاء.

وينطلق التّأصيل للأخوة الإنسانية في الإسلام من وحدة الأصل البشريّ (الطين)، والرحم الواصلة بين البشر (الانتساب إلى آدم وحواء)، ويدل على ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]، وقد كان النّبي ﷺ يدعو دبر الصّلاة ويقول: «اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»⁽¹⁾، فكان ﷺ يُثَبِّتُ الأخوة في الدائرة الإنسانية الكبرى، ويؤسس لهذه الرابطة العظمى، التي تقوم على أساس التسامح والتعايش، ونبذ العنف والتطرّف.

يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنّ نهج الإسلام هو التعامل مع كلّ شخص كإنسان، بغضّ النظر عن عقيدته أو عرقه"⁽²⁾.
ومما يؤسس لمبدأ الأخوة والتسامح والتعايش في ديننا الحنيف:

- عدم الإكراه في الدين:

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، "ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، أي: لا تُكرهوا أحدًا على اتباع الإسلام قسرًا، وحيء بنفي الجنس

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1508، 83/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 48/32، 19293.

(2) الملا، ليلي، والبلوكي، خلود، كتيّب أقوال قادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في حقوق الإنسان والتسامح.



لقصد العموم نصًّا، وهذا دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه⁽¹⁾، ونفي الإكراه على اتباع الدين يستلزم التسامح والتعايش مع غير المسلمين.

وقد بيّنت السيرة العملية للنبي ﷺ ركائز التأخي الإنساني والتسامح والتعايش، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يتعامل مع اليهود والنصارى بكامل الاحترام، فكان يبيع لهم ويشترى منهم، حتّى إنّه تُوفّي عليه الصّلاة والسّلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله⁽²⁾، وكان يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويحبّ الخير لهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم. ومما يؤكّد هذا المبدأ ما جاءت به:

- وثيقة المدينة: التي وضعها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وهي وثيقة تنبض بأصول التعايش، والتعامل الأخوي الإنساني الضامن للحقوق والحريّات، وفيها: «لِلْمُؤَدِّينَ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَاتَّعَمَدَ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ...، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍ وَلَا آثِمٍ»⁽³⁾. إن هذه الوثيقة التي ضمتّ أزيد من سبعة وعشرين بنداً تؤكّد العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، ضامنةً لهم حقوقهم، وحريّتهم الدّينية؛ لتشهد بهذا التعايش في إطار التأخي الإنساني، وبناء علاقات المحبة والتآزر؛ والتسامح الدّيني الذي يضمن تماسك لحمة المجتمع مهما اختلفت

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2916، 41/4.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 503/1.



القناعات العقديّة والاختيارات الدينيّة لأفراده، ويأتي حديث مفصل عنها في قيمة المواطنة.

- كتابه ﷺ لأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم: ضَمِنَ ﷺ لأهل نجران سلامة كنائسهم، وعدمَ التَّدخُّل في أمور عبادتهم؛ "وكتبَ رسولُ الله ﷺ لَأَسْقُفِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ولَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَرُهَبَانِهِمْ أَنَّ لَهُمْ عَلَى مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مِنْ بَيْعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ وَرُهَبَانِيَّتِهِمْ جَوَارَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا يُغَيَّرُ أَسْقُفٌ عَنْ أَسْقُفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ عَنْ رِهَابِيَّتِهِ، وَلَا كَاهِنٌ عَنْ كِهَانَتِهِ"⁽¹⁾. وذكر أهل السير سماح النَّبِيِّ ﷺ لنصارى نجران بإقامة صلاتهم في مَسجده، حينَ قدموا عليه، فأراد النَّاسُ مَنَعَهُمْ، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فاستقبلوا المشرقَ وَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ⁽²⁾.

- عهدة نجران: التي كانت بين أبي بكر ﷺ وبين أهل نجران تجديداً لعهد رسول الله ﷺ الذي كان بينهم، ومما جاء فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا كتاب عبد الله أبي بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران؛ أجارهم بجوار الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأراضيهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعماراتهم، وغائبهم، وشاهدتهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم؛ من قليل أو كثير، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته؛ وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد

(1) ابن سعد، الطبقات الكبير، 1/266.

(2) عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، 1/574.



النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله تعالى وذمة محمد ﷺ
أبدأ⁽¹⁾.

- العهدة العمرية: التي كانت بين عمر بن الخطاب ﷺ وأهل إيلياء، ومما جاء فيها: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا يُنتَقَص منها ولا من حيزها، ولا من صليهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارَّ أحدٌ منهم"⁽²⁾.
- الأمر بالتعامل مع المخالفين في الدين بالبر والعدل:

فذلك مما يحفظ الحقوق، ويحدد الواجبات والمسؤوليات، ويؤسِّسُ للتسامح والتعايش بسلام واحترام؛ قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8]، وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁾.

(1) الشيباني، محمد بن الحسن، السير الصغير، ص 267.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 609/3.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3052، 658/4.



- التأكيد على صيانة حياة الإنسان ولو كان مخالفاً:

قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ [أَي: لَمْ يَشْمَ] رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»⁽¹⁾. "فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام"⁽²⁾.

(2) قيمة بارزة في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم للأخوة أكثر من صورة ومعنى، وأثبت صوراً متميزة، منها: الأخوة الإنسانية، والأخوة الإيمانية، والأخوة النسبية⁽³⁾، يوم أخبر الحق سبحانه وتعالى أنه خلق الناس جميعاً من نفسٍ واحدةٍ (آدم عليه السلام) بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]، نبهنا إلى لزوم مبدأ الأخوة الإنسانية، وما تعنيه من تسامح وتعايش وألفة ومودة، وتعاون، وتناصحٍ وحبٍ للخير، ونبذٍ للكرهية والحقد، فهو إعلان رباني أن "جميع البشر بنو رجل واحد وأمٍ واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوب حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أبٍ واحد وأمٍ واحدة... وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض؛ ليتناصفوا ولا يتظالموا"⁽⁴⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6914، 12/9.

(2) القرافي، الفروق، 14/3.

(3) محمد بسام رشدي الزين، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، 81/1-83.

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 511/7.



وقد شكّلت الألفاظ الدالة على مفهوم التسامح والتعايش في القرآن الكريم منهجاً واضح المعالم لمشروع مجتمعي تشيع فيه قيم: البر، والعطاء، والتيسير، ورفع الحرج والضيق، وتهدي إلى أخلاق سامية تترجم الإيمان بتلك القيم؛ كخلق العفو، والصّفح، والصبر، والمغفرة، والسّخاء.

(3) مبدأ جسده الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم:

فالإنسانية كلها أسرة واحدة، من رحم واحدة، يتواصلون ويتعارفون، ويتألفون ويتعاونون، ويتسامحون ويتعايشون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

وبمبدأ الأخوة الإنسانية خاطب الأنبياء أقوامهم؛ قال الله تعالى عن نوح عليه السلام وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 106]، وقال عز وجل عن قوم هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، وقال تبارك وتعالى عن ثمود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: 73]، وقال سبحانه عن مدين: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85].

ومن منطلق الأخوة الإنسانية جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الإنسانية جمعاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، فإنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].



(4) مبدأ رَسَخه الهدي النبوي الشريف:

حرص الخطابُ الديني الكريم على تأسيس لِبَنَات الأخوة والتَّسامح والتعايش من خلال القدوة، المتمثلة بالنبي ﷺ، الذي خاطبه ربُّه سبحانه أمرًا إِيَّاهُ بمقابلة إساءة المخالفين وأذيتهم بالإحسان إليهم، فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، فالعفو يتضمَّن معنى عظيمًا في تجاوز الذَّنْب، والمشاورَةُ مُشْعِرَةٌ بالاعتراف والاحترام، مُزِيلَةٌ للضَّغائن والأحقاد⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]، يقول: فأعرض عنهم إعراضًا جميلًا، واعفُ عنهم عفوًا حسنًا⁽²⁾، والصفحُ والعفوُ من مظاهر التسامح الذي أمر به الإسلام.

وقال سبحانه: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 89]، أي: سامحهم واعف عنهم وقل لهم قولًا طيبًا وكلامًا حسنًا.

ونجد في سيرة النبي ﷺ صورة مشرقة لأعظم نماذج التسامح، نحو ما كان من سيدنا ونبينا محمد ﷺ مع قومه حين آذوه، فقد دعا لهم عليه الصلاة والسلام قائلاً: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»⁽³⁾. ويوم عاد إلى مكة، وقابل من كانوا سببًا في إخراجهم منها، قال لهم: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم عافيًا متسامحًا

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 310/1.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 490/4.

(3) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 973، 254/3.



حليماً صافحاً: «أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]»⁽¹⁾، «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»⁽²⁾.

وهكذا كان دأبه ودينه ﷺ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص في وصفه ﷺ: «وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»⁽³⁾، بل كان ﷺ يحسن إلى من أساء إليه، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَتَنَظَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَفَتَ ﷺ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَطَاءٍ»⁽⁴⁾.

كما حثَّ ﷺ على تنمية روح الأخوة الإنسانية في المجتمع من خلال عدد من الممارسات؛ كالإخاء بين المهاجرين والأنصار⁽⁵⁾، ومن خلال عدة أحاديث، منها قوله ﷺ: «وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»⁽⁶⁾، وقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ،

(1) الأزرقي، أخبار مكة، 121/2.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 412/2.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4838، 135/6.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6088، 24/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 103/3، 1057.

(5) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 504/1.

(6) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 438/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 389/5، 3270.



أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ»⁽¹⁾. وقوله ﷺ: «أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ»⁽²⁾، وقوله ﷺ: «لَا يَوْمُنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽³⁾، أي: من الخير⁽⁴⁾، وقال شُرَّاحُ الْحَدِيثِ: وَالْقِيَامُ بِذَلِكَ يَحْصُلُ بِأَنْ يُحِبَّ لَهُ حَصُولَ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ لَا يُزَاحِمُهُ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا تَنْقُصُ النِّعْمَةُ عَلَى أَخِيهِ شَيْئًا مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَإِنَّمَا يَعْسُرُ عَلَى الْقَلْبِ الدَّغِلُ⁽⁵⁾.

ونهى ﷺ عن كل خُلُقٍ يُمْكِنُ أَنْ يُوْثِّرَ عَلَى صِفْوِ هَذِهِ الْأَخْوَةِ، فَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»⁽⁶⁾.

وعن عمر رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعِمْرَةِ، فَأَذَّنَ لِي وَقَالَ: «لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دَعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا! - أي: لقوله: «يَا أَخِي»⁽⁷⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 23489، 474/38.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1508، 621/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 19293، 48/32.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 13، 12/1، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 45، 67/1.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 16/2.

(5) السابق.

(6) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6066، 19/8، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 1985/4، 2563.

(7) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1498، 614/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 195، 325/1.



5) التسامح والتعايش قيمة محورية في التوجهات العالمية والجهود الدولية:

ومما يبرز ذلك:

أ. إعلان المبادئ بشأن التسامح الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين بباريس في 16 نوفمبر 1995: "إنّ التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، إنه الوثام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً، والتسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب"⁽¹⁾.

ب. وفي المادة السابعة من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز التي وافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 21 ديسمبر 1965 ما يلي: "تتعهد الدول الأطراف بأن تتخذ تدابير فورية وفعّالة، ولا سيّما في ميادين التعليم والتربية والثقافة والإعلام بغية مكافحة النعرات المؤدية إلى التمييز العنصري وتعزيز التفاهم والتسامح والصداقة بين الأمم والجماعات العرقية أو الاثنية الأخرى، وكذلك لنشر مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان

(1) اليونسكو، [إعلان المبادئ بشأن التسامح](#).



العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وهذه الاتفاقية".

ت. إعلان منظمة اليونسكو، المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة، في دورتها الثامنة والعشرين لمؤتمرها العام المنعقد في باريس من 25 أكتوبر حتى 6 نوفمبر 1995م، حيث تم الإمضاء على هذا البيان من طرف جميع دول العالم واختيار يوم 16 نوفمبر يومًا للتسامح ورفض التعصب.

6) التسامح والتعايش قيمة راسخة في دولة الإمارات العربية.

يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله): "في الوقت الذي تبذل فيه المجتمعات الأخرى جهودًا كبيرة لإلغاء العنصرية ونشر التعايش، نجد أن هذه الصفات الحميدة جزء لا يتجزأ من الطبيعة الإماراتية، فالتسامح واحترام الآخرين من قيم وتقاليد السنع العريقة؛ لذلك لم يجد المجتمع الإماراتي أي إشكالية نفسية عندما اقتضت التطورات الاقتصادية في بلادنا استقبال عشرات الجنسيات والأعراق المختلفة للعمل في الدولة، ويبقى التعايش والتسامح في الإمارات مدهشًا بالنسبة للآخرين، لكنه سلوك فطري إماراتي تنبع جذوره من الروح التراثية ومن التدين الفطري المنفتح والمستنير"⁽¹⁾.

(1) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9 - 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022.21)، ص 92.



ومن أبرز المبادرات والقرارات التي تظهر ترسيخ قيمة التسامح والتعايش في دولة الإمارات العربية المتحدة:

أ. مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكراهية والتطرف، والذي أصدره صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله).

ب. إنشاء "جمعية الإمارات للتسامح والتعايش السلمي" في شهر مارس من سنة 2018⁽¹⁾.

ت. تأسيس المعهد الدولي للتسامح، وذلك حسب القانون رقم (9) لسنة 2017 الصادر عن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي (رعاه الله)⁽²⁾.

مظاهر الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

وتأسيساً لبناء الأخوة الإنسانية القائمة على التسامح والتعايش نجد في الثقافة الإسلامية مجموعة من المظاهر ترسخ هذا المبدأ في الناس على اختلاف أديانهم، من ذلك:

1) أباَحَ الإسلامُ للمسلم طعامَ غير المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: 5]، والمقصود: ذبائهم⁽³⁾، وهذا الاشتراك في الطعام يبنيني عليه

(1) ينظر: إطلاق جمعية الإمارات للتسامح والتعايش السلمي، موقع البيان.

(2) الجريدة الرسمية لحكومة دبي، السنة 51، العدد 418، 18 يوليو 2017/24 شوال 1438، ص 6.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 76/6.



المشاركة في المناسبات والمجالسة في المأدبات، ويثمر تعارفًا وتمتينيًا للعلاقات الأخويّة الإنسانيّة والتعايش، وهذا ما تُؤكّده سيرة النبي ﷺ في قبوله طعام اليهود، فقد صحَّ في الحديث الشريف أن يهوديًا دعا النبي ﷺ إلى خبز شعير وإِهالةٍ سَخِجَةٍ فأجابه ⁽¹⁾. ومنه إقراره ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قبول طعام أمِّها قُتَيْلَةَ بنت عبد العُزَّى، وزيارتها لها في بيتها، وهي على غير دينها ⁽²⁾.

(2) الأمر بمكارم الأخلاق في التعامل بين الناس:

لما أقر الإسلام مبدأ الأخوة الإنسانية والتسامح حتّى على حسن التعامل بين الناس جميعهم، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وقال ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ**» ⁽³⁾، فيتعامل مع الناس كلهم بالأخلاق الحسنة؛ بحيث لا يُبذل المعروف وطيب الأخلاق لأحد ويُطوى عن أحد، بل يكون مشتركًا بين الناس على اختلافهم، ومما يشهد لذلك: حديث أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ**» ⁽⁴⁾، ففي الحديث مبادرة المسلم أخاه بإظهار السرور والانسراح، واستقباله بالابتسام، فذلك ممّا يزيد الألفة والمودة.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 13201، 424/20.

(2) ينظر: أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 16111، 37/26.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1987، 355/4، أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 284/35، 21354.

(4) مسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 2626، 2026/4.



مجالات التأخي والتسامح والتعايش:

(1) مجال العقائد والأفكار:

يعدُّ مجالُ العقائدِ والأفكارِ من أبرز ما دلَّت النصوصُ القرآنيَّةُ والنبويَّةُ على أهميَّةِ إعمالِ قيمةِ التَّسامحِ فيه، وأنَّ اختلافَ العقائدِ لا يؤثرُ على أصلِ الأخوةِ الإنسانيَّةِ، ولعلَّ أبرز ما يدلُّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، أي: "لا تُكرهوا في الدين، وهو إخبار في معنى النهي. أي: لا تُلزموا أحدًا بفعل لا يرى فيه خيرًا يحمله عليه".⁽¹⁾

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، أي "تعاملوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرَّكم بهم"⁽²⁾، وهم على دينهم وعقيدتهم، لا تكرهونهم على تغييرها، ولا تجبرونهم على الدخول في دينكم كرهاً.

(2) الأخلاق الإنسانية:

وهذا من أبرز مجالات التأخي والتسامح والتعايش بين الناس، ويتمثَّل في كلِّ خُلُقٍ كريم؛ كقبول الآخر والإحسان إليه، والعفو عنه، والصَّفح، والتَّسهيل، واللين في المعاملة، والإيثار، والصَّبر، والحلم، والتَّيسير، والدفع بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 17/2.

(2) ابن جرير الطَّبْرِيّ، جامع البيان، 321/8.



(3) المعاملات الماليَّة:

وذلك لأنها تُبْنَى على ترك التضييق على النَّاس، وذلك ما أكَّده حديثُ جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «رَحِمَ الله رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى»⁽¹⁾، أي: سهلاً لِيَتَنَّا رَفِيقًا متسامحاً مع النَّاس في بيعه وشرائه ومطالبته بالحق.

ومن أمثلته قول النَّبي ﷺ في الإقالة: «مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾، ففيه حُتٌّ على التَّسامح في العقود والبيوع، رفعاً للحرَج عن المشتري، بفسخ البيع وإرجاع الثمن، وقد تَضَمَّنَ معناه: الإحسان إلى المشتري؛ لأنَّ البيع قد حصل ولا يمكن فسخه إلا برضا البائع، الذي يرغِّبه الحديث في ذلك؛ مقابلَ إزالة مشقَّته وعثرته يوم القيامة؛ إشاعةً لقيمة التَّسامح بين النَّاس.

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رَوْحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرْتَ! قَالَ: كُنْتُ أَدَايِنُ النَّاسَ، فَأَمْرُ فِتْيَانِي أَنْ يَنْظُرُوا الْمَعْسُورَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمَوْسَرِ. قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ»⁽³⁾. وفي رواية: «فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل: أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كَأَسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي»⁽⁴⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2076، 57/3.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رقم الحديث: 5029، 404/11.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1560، 1194/3.

(4) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 15، 193/1.



طرق الاكتساب وتعزيز والتنمية لقيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

كثيرة هي الطرق والوسائل التي تؤدي إلى تعزيز قيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش وتنميتها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1) الاعتراف بالآخر، وتقبُّله:

وهذا المبدأ ضروري لبناء أي مجتمع تعددي؛ ومعنى الاعتراف بالآخر: الالتزام الأخلاقي بأحقية الآخر في العيش الكريم، الذي يحافظ على أمنه ويعزز الثقة بينه وبين مجموع أفراد المجتمع.

وبعد الاعتراف يكون التقبُّل؛ ويحتاج -على المستوى الاجتماعي والوطني والعالمي- إلى تشجيع الحوار بين الأديان وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام فهو دين تسامح وسلام، وعلى المستوى الفردي يحتاج إلى قبول حقيقة أن الناس غير كاملين، والظروف ليست مثالية دائماً، والخطأ ممكنٌ ومُتَوَقَّعٌ، والاختلافُ سنَّةٌ من سنن الحياة، و«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخطَّائين: التَّوَّابُونَ»⁽¹⁾.

إن الحوارَ يحفظُ الأخوةَ الإنسانيةَ ويعزِّزها وينمِّيها، وهو واجبٌ دينيٌّ وضرورة إنسانية، وبالتحاوُر يتحقَّقُ التسامح والتعايش والتعارف والتعريف، وهو مفتاحٌ لحلِّ مشكلات العالم⁽²⁾.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2499، 273/4.

(2) ابن بيه، التسامح أسسه المنهجية في الإسلام، مجلة السلم، العدد السادس، ص 28.



(2) احترام مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

ويعد هذا المبدأ الأساس للبناء الحضاري المتكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، وهذه "أجمع آية في القرآن للحث على المصالح والزجر عن المفسد بأسرها، فإن الألف واللام في كلمة "العدل والإحسان" تفيد العموم والاستغراق، فلا يبقى من دَقِّ الْعَدْلِ وَجَلِّهِ شَيْءٌ إِلَّا اندرج في أمر الإحسان"⁽¹⁾.

وإن مبدأ المواطنة الشاملة يعدّ مبدأ كلياً تتحقق به مصالح لا حصر لها؛ فيه يضمن الإنسان داخل مجتمعه الحقوق والواجبات التي تحافظ على إنسانيته، وتحقق له العيش الكريم، في ظل نظام يسري على الجميع دون اعتبار للفروق الدينية والعرقية، وسيأتي حديث مفصل عن ذلك في قيمة المواطنة.

(3) العفو وسلامة الصدر:

وهذا يحتاج إلى تزكية النفس وتطهير القلب على الدوام مما يلحقه من الأذى، ومثاله: أبو ضمضم - أو: أبو ضيغم -، كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل! قال النبي ﷺ: «أعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم - أو ضمضم - كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»⁽²⁾.

(1) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، 642/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4886، 248/7.



(4) التمسك بالموثوث الاجتماعي والثقافي المفعم بالتسامح والتعايش:

يحظى التسامح في الموروث الإماراتي بأصول بعيدة وجذور مديدة، وهو مفردة ثقافية وسلوكية مهمة في التقاليد والعادات والسَّنة بمفهومه العام، كما أنه أحد الدَّعائم الأساسية التي شكَّلت التَّرابط والتَّعايش السَّلمي بين أفراد المجتمع، بحيث باتت الإمارات اليوم أنموذجًا للتَّآخي والتسامح على مستوى العالم، تحتضن قيمه الأصيلة في قوانينها، ومؤسساتها الثقافية والاجتماعية والدينية، وتعززه ثقافة وسلوكًا ونهجًا في الحياة.

ومن المعروف أن ديننا الإسلامي وأعرافنا وعلاقاتنا الاجتماعية حفلت منذ القدم بمعاني التَّضامن، والعيش المشترك، وعززت باستمرار علاقات التفاهم، والأمن والسلام، وعدم التَّمييز، ويظهر هذا المناخ الإيجابي والفاعل لمفهوم السَّنة من كونه يتمثل في معناه البسيط: بسعة الصَّدر، وفتح قنوات التَّواصل مع الآخرين للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، وهو في المضمير الديني دعوة صادقة ومباشرة لاحترام عقائد الآخرين وشعائرهم، وتيسير الأمور، وعدم الشَّدة والغلظة فيها. باعتبار أنَّ التسامح الذي نشأ عليه مجتمع الإمارات جزء من موروثه الذي كان - ولا يزال - يدعو إلى السلام والمودة والرحمة والتواصل والتآلف، وهذا ما يؤكده صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس



الدولة - حفظه الله -، بقوله: "الإمارات كانت وما زالت داعية سلام ورمز التسامح بين الشعوب"⁽¹⁾.

وقد "أضاف التسامح الذي تحلى به أبناء الإمارات قديماً وحديثاً بُعداً آخر لثقافتهم، وهم الذين عرفتهم أسواق التجارة في كل مكان وصلوا إليه، بسهولة التعامل معهم، وإيثارهم، وصدقهم، وتسامحهم، وتواصلهم، وهم الباحثون عن الرزق في أعماق البحار، بدأب وصبر وتوكل، لذا جاء سنّعهم في التسامح تلقائياً من غير تكلف، يترجم حياتهم، ويفتح في كل مرة صفحة من صفحاته المشرقة، لهذا يستغرب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- كيف لا يكون البعض منهم متسامحاً، حيث يقول: "نحن مسلمون، ولا نتسامح! هذا شيء غريب! إن المؤمن يجب أن يكون رحيماً ومتسامحاً، أما القاسي فهو الذي لا يرحم"⁽²⁾.

إنه "لا يوجد أي تعارض بين مبادئ وعادات السنع وبين التدين، بل إن هناك تداخلاً بين أخلاقيات السنع والأخلاق الإسلامية القائمة على التسامح والصدق والتراحم"⁽³⁾.

(1) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9، 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022.21)، ص: 32.33.

(2) موقع: [الإمارات اليوم](#)، أقوال.

(3) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9، 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022.21)، ص 95.



(5) المحبة والإيثار:

سئل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان، فكان مما قال: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ»⁽¹⁾، وهذا سلوكٌ ينبذ الأنانيَّة والجشع، ويتبنَّى مبدأ الإيثار والمحبة والتعايش مع عامة الناس المتشاركين في الإنسانيَّة، فيرضى الإنسان لأخيه الإنسان ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

ومن لوازم المحبة بين الإخوة:

- التفقُّد والسؤال:

رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا أَخًا أَتَيْنَاهُ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا كَانَتْ عِيَادَةً، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا كَانَتْ عَوْنًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَتْ زِيَارَةً"⁽²⁾.

- الإعلام بالمحبة:

وهو من العناصر المدعمة لروابط الأخوة، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»⁽³⁾.

- تقديم المعونة:

فالإخوة يُعِينُ بعضُهم بعضًا، ويكُنْفُ بعضُهم بعضًا، فذو المال يعينُ ذا الفاقة، وذو القوة في الجسم يُعِينُ ذا الضعف، يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22130، 445/36.

(2) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 8765، 420/11.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5124، 332/4.



عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴿البقرة: 220﴾، أي: فهم إخوانكم، أنتم أيها المؤمنون وأيتامكم كذلك؛ إن خالطتموهم بأموالكم....، على النظر منكم لهم نظر الأخ الشفيق لأخيه، العامل فيما بينه وبينه بما أوجب الله عليه وألزمه، فذلك لكم حلال؛ لأنكم إخوان بعضكم لبعض⁽¹⁾.

يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنّ التعاون بين البشر على الرغم من اختلاف الأديان والعقائد هو أساس السعادة، والتعاون يجمع بين القريب والبعيد"⁽²⁾.

- كف الأذى:

فالأخ لا يؤذي أخاه بأي نوع من الأذى، يقول سبحانه: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: 12]، والمعنى: أيحبُّ أحدكم - أيها القوم- أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتًا، فإن لم تحبُّوا ذلك وكرهتموه؛ لأنَّ الله حرَّم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيًّا، كما كرهتم لحمه ميتًا، فإن الله حرَّم غيبته حيًّا، كما حرم أكل لحمه ميتًا⁽³⁾.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 592/1-593.

(2) الملاً، ليلي، والبلوكي، خلود، أقوال قادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في حقوق الإنسان والتسامح، د.ص.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 85/7.



(6) تعزيز القيم المشتركة بين الناس:

إن القيم المشتركة تعزّز علاقات التسامح والتعايش بين الناس وترقى بها في درج الأخوة الإنسانية؛ و"بقدر ما يكون الإنسان متمسكًا بقيم أخلاقية مشتركة؛ يكون انسجامه وإيجابيته في الحياة، وبقدر ما لا يبتغي قيمًا - بحيث يتجرد من أي نظرية متسامية إلى الحياة - تندهور علاقته مع الآخر؛ لأنه لن يهتم إلا بمصلحته، أو يتبنى قيمًا سلبية تقوم - على المطلق - بلا حدود في التصرف، ليتصور - من حيث لا يدري - هو ذاته المطلق"⁽¹⁾.

(7) رعاية المصالح المشتركة:

حتى تتحقق الأخوة الإنسانية والتعايش يجب معالجة الأنانية والفردانية، وتغليب المصالح المشتركة التي يتحقق بها النفع لبني الإنسان جميعًا، وفي ذلك يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنّ واجبنا أن نساعد الأشقاء والأصدقاء؛ فإنّ الثروة لا قيمة لها إذا لم تقدّم مساعدات للدول الشقيقة، في الحياة هناك من ينشد مصلحته فقط، وهناك من ينشد مصلحته ويعزّزها بالشهامة، وأنا أفضل الفريق الثاني"⁽²⁾.

(1) ابن بيه، الورقة التأسيسية لمؤتمر "الأقليات غير المسلمة في الديار الإسلامية"، إعلان مراكش، ص 18.

(2) الملا، ليلي، والبلوكي، خلود، أقوال قادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في حقوق الإنسان والتسامح، د.ص.



8) الإشادة بالنماذج والقدوات في التسامح والتعايش:

من خلال تكريم الفئات والجهات التي لها إسهامات مُتميّزة في ترسيخ قيم الأخوة والتسامح والتعايش، كونه وسيلة للتفاعل الحضاري بين الشعوب، وتشجيع روح المبادرة والتميّز في إرساء قواعد التسامح على المستويين الوطني والدولي.

9) تشجيع المبادرات التي تنطلق من الأخوة الإنسانية لتعزيز السلام العالمي:

الإسلام دين يعترف للبشر بحقهم في الاختلاف، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]، ومع ذلك يعدُّ البشر جميعًا إخوةً، فيسد الباب أمام الحروب الكثيرة التي عرفها التاريخ الإنساني بسبب الاختلاف العرقي⁽¹⁾.

ومن المبادرات التي تبنتها دولة الإمارات المتحدة في هذا الإطار:

أ- وثيقة الأخوة الإنسانية التي وقّع عليها قداسة البابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية، وفضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، تحت رعاية كريمة من دولة الإمارات الراعية للسلام في أبو ظبي، عام 2019م، من أجل إحلال السلام العالمي، والعيش المشترك، واكتشاف قيم العدل، والخير، والجمال، والأخوة الإنسانية؛ ليؤكّدوا أهمّيّتها كطوق نجاة للجميع، وليسعوا في نشر هذه

(1) ينظر: كلمة العلامة ابن بيه التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم 2017 بعنوان: السلم العالمي والخوف من الإسلام، 40-43.



القيم بين الناس في كل مكان⁽¹⁾. وقد شهدها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله).

ب- اليوم العالمي للأخوة الإنسانية: الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد مبادرة تقدمت بها كل من الإمارات والسعودية والبحرين ومصر؛ بهدف جعل يوم الرابع من فبراير مناسبة سنوية للتشجيع على التسامح والوحدة بين البشر ونشر قيم التعايش وتقبل الآخر⁽²⁾، وهو يوم توقيع وثيقة الأخوة الإنسانية.

ت- اختيار "الأخوة الإنسانية" موضوعاً رئيساً لعدد من الندوات والمؤتمرات العلمية التي انتظمت في دولة الإمارات العربية المتحدة، منها الندوة التي التّأمت يوم 6 فبراير 2023 تحت عنوان: "تعزيز الأخوة الإنسانية عالمياً... البُعدين الثقافي والمجتمعي"، وذلك بالشراكة بين نادي تراث زايد ومركز زايد للدراسات والبحوث، ومركز "ترنديز" للبحوث والاستشارات.

ثمرات الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

تتحقق بالأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش عدّة من المنافع والثمرات، من أهمّها:

(1) ينظر: [وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك](#)، لقاء الأخوة الإنسانية، (موقع إلكتروني)، أبو ظبي، 2019/02/04 م.

(2) ينظر: [العالم يحتفي بالأخوة الإنسانية، والإمارات وجهة التسامح والتعايش الأولى](#)، وكالة أنباء الإمارات - (وام).



(1) تحقيق السلام الذاتي على مستوى الفرد:

فتفعيل قيمة الأخوة الإنسانية يعني عيش الناس في عائلة إنسانية كبيرة، متعاونة منسجمة، تتسم بالود والمبادرة والتفاهم والتسامح، يسكن فيها الإنسان لأخيه الإنسان، ويأمنه، ويحفظ حقوقه ويؤدي واجباته، مما ينعكس سلامًا ذاتيًا وصحة نفسية واجتماعية على أعلى المستويات.

كما توفر حالة التسامح والتعايش السلمي ظروفًا نفسية وجسدية للأفراد والمؤسسات والمجتمعات تحقق الطمأنينة والسكينة وراحة البال، وهو ما يترتب عليه تقليل التوترات والتعايش السلمي وحلّ أسباب النزاع، يقول الإمام الشافعي:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحَقْدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ⁽¹⁾

ويقول المتنبي:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ⁽²⁾

ويقول الوالد المؤسس الشَّيخ زايد بن سلطان طيَّب الله ثراه: "أهم نصيحة أوجَّهها لأبنائي هي البُعد عن التكبُّر، وإيماني بأن الكبير والعظيم لا يصغِّره ولا يُضعِّفه أن يتواضع ويتسامح مع الناس؛ لأنَّ التسامح بين البشر يؤدِّي إلى التراحم، فالإنسان يجب أن يكون رحيماً ومسالماً مع أخيه الإنسان"⁽³⁾.

(1) أحمد قبش، مجمع الأمثال في الشعر العربي، ص 334.

(2) أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، ص 241.

(3) مركز الاتحاد للأخبار، الإمارات اليوم، [مركز منارة.. رؤية إماراتية تعزز التسامح](#).



ويقول طيب الله ثراه: "لولا التسامح ما أصبح صديق مع صديق، ولا شقيق مع شقيق، التسامح ميزة"⁽¹⁾.

(2) وقاية المجتمعات الإنسانية من الفتن والنزاعات:

تلعب قيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش دورًا مهمًا في وقاية المجتمعات من موجبات الفتن والقلق؛ كالكراه والتباغض والغل والتعصب؛ لما تقوم به من تصحيح المفاهيم لهذه العلاقة الأخوية السامية بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما تعمل عليه من ترسيخ مبادئ المحبة والمبادرة والاحترام والتفاهم والتسامح والتعايش والإيثار... بين الناس، مما يقي المجتمعات الإنسانية من الخصام والتناحر، ويوفر أجواء العيش السلمي لمختلف فئات المجتمع بما يُحقّق الانسجام والثقة والاحترام والوئام والأمن النفسي⁽²⁾.

ويخلق التسامح والتعايش بيئة يمكن من خلالها الحفاظ على أمن جميع الأفراد، ويسمح لهم ببدء حوارات مناسبة وذات نتائج مرضية، فثقافة التسامح: تعني وجود قيَم وتصورات، تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشيع الأمن في النفوس، وتجاوئ الجنوح إلى العنف.

ويحتاج غرس ثقافة التسامح في النفوس إلى اتخاذ السبل بكل الوسائل التثقيفية، وفي مقدمتها التعليم والتربية والإعلام، لإيجاد تلك القيم والتصورات؛ لضبط وكبح جماح النفوس الميلالية إلى العنف، وترجيح كفة

(1) مركز الاتحاد للأخبار، [التسامح في فكر الشيخ زايد](#).

(2) شفيق لامة، مبدأ السلم في الديانات السماوية: أليات البناء وأثار التفعيل، مجلة السلم، العدد الرابع، ص 142؛ بتصرف.



التسامح، وحسن تقبل الغير، وإيجاد الروح الاجتماعية، والتعايش البناء بين أفراد المجتمع⁽¹⁾.

(3) الصفء الاجتماعي:

فالأخوة والتسامح قيمٌ تمحو آثار الحقد وتدعو إلى التّجاوز عن الإساءة؛ فالحقد يسبّب الضيق والشّدّة، وهو ينافي الأخلاق التي يدعو إليها ديننا في حفظ المودّة بين النّاس ونبد الكراهيّة؛ طلباً لاستمرار العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة بين الأفراد والجماعات، فلا يمكن أن يُتصوّر التّعامل بين الأفراد ما لم تكن الأخوة لهم مبدأً والسّماحةُ لهم خلقاً.

(4) ضمان الازدهار في المستقبل:

أكّد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) أن "الأخوة الإنسانية والتسامح رسالة الأديان، هذه الرسالة هي مصدر قوتنا، وتميّز تجربتنا خلال الخمسين عاماً الماضية، ومسؤوليتنا جميعاً تجسيد هذه المعاني لأجل خير البشرية، علينا أن نترك لأجيال المستقبل عالماً من دون أحقاد وكراهية"⁽²⁾.

وفي إشارة إلى دور قيمة التّسامح في بناء المستقبل، يقول صاحب السّمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدّولة رئيس مجلس الوزراء حاكم

(1) ابن بيه، [الجنور المعرفية والفكرية للتطرف الفكري والانحراف الأخلاقي](#)، الموقع الرسمي لمعاليه.

(2) صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد: [التسامح مصدر قوتنا وتميّز تجربتنا خلال الخمسين عاماً الماضية](#)، صحيفة البيان.



دبي (رعاه الله): "لا مستقبل لهذه المنطقة بدون إعادة إعمار فكري يرسخ قيم التسامح، والتعددية، والقبول بالآخر فكريًا وثقافيًا وطائفيًا ودينيًا".

(5) بلوغ السلام الدولي، وتحقيق التنمية المستدامة الشاملة:

لا يمكن بلوغ السلام الدولي بغير انتشار معاني الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش، ولا يمكن تحقيق التنمية المستدامة الشاملة إلا بشعور الإنسان بأخيه الإنسان؛ على امتداد المساحة الجغرافية والتاريخية.

خاتمة:

إن روح الأخوة الإنسانية فيما بين الأفراد والشعوب تبعث السلام والوئام والمحبة بين الناس جميعاً، في ظلّ حفظ الحقوق، وطَيّ الفروق، فلا تمييز ولا تفاضل إلا بما حصّل النَّاس من التزامٍ بروح الإنسانية ونور الإيمان الذي يدفع إلى إشاعة الخير والمحبة في أنحاء المعمورة.

وإن التسامح والتعايش هو السبيل الرئيس لتحقيق التفاهم بين مختلف فئات المجتمع، وكذا بين شتى المجتمعات، وتقوم هذه القيم المتكاملة على مجموعة من المفاهيم أساسها وحدة الأصل والمصير، وتلتقي في كونها قائمة على علاقة تراحمية مبدؤها التعارف والحوار والاندماج الإيجابي، ونتائجها التكافل والتضامن والتآزر... وشتى مكارم الأخلاق، وهي قيم تضمن السلام للأفراد، والمجتمعات، والدول، على امتداد الزمان والمكان والإنسان.



- التواصل والتعارف والاحترام

مقدمة:

خلق الله تعالى الناس من نفسٍ واحدةٍ؛ ليؤسس كل فرد منهم لمبادئ التّعايش البنّاء الذي يقوم على أساس وحدة الأصل والمصير، فيكون التّواصل والتّعارف المسلك المختار للحوار والتفاهم؛ تحت مظلة الاحترام، وسعيًا إلى التّعايش والأمن وإحلال السّلام.

إن التعارف وجهة أو اتجاه يختاره المرء بالحرية وبالطبيعة الإنسانية، ويتقصّد من وراء ذلك التكامل في إنسانيته وصنع الخير، ولذلك فهو رسالة سلام إلى العالم، إلى سائر بني البشر، وهو أرفع من الاعتراف، فالتعارف فهو عمل إنساني للتكامل وصنع الخيرات، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلًى فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148]⁽¹⁾.

(1) رضوان السيد، الإسلام والعالم: رؤية إسلامية للسلام مع العالم، مجلة السلم، العدد الثالث، ص169.



تعريف التواصل والتعارف والاحترام:

أ. تعريف التواصل:

أولاً- في اللغة:

التواصل في اللغة مصدر الفعل "تَوَاصَلَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "وَصَلَ" الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1- ضَمُّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ: "الواو والصاد واللام: أَصَلَ وَاجِدٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يَغْلُقَهُ"⁽¹⁾، و"الِاتِّصَالُ: اتِّحَادُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، كاتِّحَادِ طَرَفِي الدَّائِرَةِ، وَيَضَادُّ الانفِصَالُ، وَيُسْتَعْمَلُ الْوَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ وَفِي الْمَعَانِي، يُقَالُ: وَصَلْتُ فَلَانًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27]، والْوَصْلُ خِلَافُ الْفَصْلِ"⁽²⁾.

2- القَرَابَةُ وَالنَّسَبُ وَنَحْوَهُمَا: يُقَالُ: فَلَانٌ مُتَّصِلٌ بِفُلَانٍ: إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبَةٌ أَوْ مُصَاهَرَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: 90]، أَي: يُنْسَبُونَ⁽³⁾.

3- ضِدُّ الْهَجْرَانِ وَالتَّقَاطُعِ: وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَالتَّوَاصُلُ ضِدُّ التَّصَارُفِ... يُقَالُ: وَصَلَ رَجُلٌ يَصِلُهَا وَصَلًا وَصِلَةً، وَصِلَةُ الرَّحِمِ كُنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَالرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ، وَكَذَلِكَ إِنْ بَعُدُوا أَوْ أَسَاؤُوا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 6/115، (وصل).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 11/726، (وصل).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 873، (وصل).



وَقَطَعُ الرِّجْمَ ضِدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَكَأَنَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ قَدْ وَصَلَ مَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَلاَقَةِ الْقَرَابَةِ وَالصِّهْرِ⁽¹⁾.

4- بلوغ الشيء والانتفاء إليه: ووصَلَ الشيءُ إلى الشيءِ وُصُولًا وَتَوَصَّلَ
إِلَيْهِ: انْتَهَى إِلَيْهِ وَبَلَغَهُ، وَوَصَّلَهُ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ: أَنْهَأُ إِلَيْهِ وَأَبْلَغُهُ إِيَّاهُ⁽²⁾.
ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن تعريف التواصل اصطلاحًا بأنه عبارة عن عملية تفاعل، أو تبادل،
أو تناقل؛ تنتقل بها الأفكار والمبادئ والقيم والخبرات والمعارف والمشاعر بين
الناس؛ داخل نسق اجتماعي معين، يكون بين شخصين أو جماعة صغيرة أو
مجتمع محلي أو حتى المجتمع الإنساني كله، وهو عاملٌ رئيسٌ في تَمَتُّنِ العلاقات
الإنسانية وتطويرها، وظاهرة حركية تؤثر وتتأثر بالسلوك الفردي والعوامل
المؤثرة على طرفي عملية الاتصال، ويتمُّ التَّواصلُ عبر أشكالٍ وقواعد مختلفة،
مثل اللغة والحركة والإشارة وتعبير الوجه⁽³⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 728/11، (وصل)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح
العربية، 1842/5، (وصل)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 115/6، (وصل)، والرازي، مختار الصحاح، ص
340، (وصل)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 191/5، (وصل).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 726/11، (وصل)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح
العربية، 1842/5، (وصل).

(3) ينظر: عاطف عدلي العبد، مدخل إلى الاتصال والرأي العام، ص 14 - 15.



ب. تعريف التعارف:

أولاً- في اللغة:

التعارُفُ في اللغة مصدر الفعل تَعَارَفَ، ويعود إلى الجذر اللغوي "عَرَفَ"، الذي يأتي بمعانٍ، أهمُّها:

1- تتَابَعِ الشَّيْءُ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ: "الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ

صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَتَابُعِ الشَّيْءِ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ..."⁽¹⁾، ومنه: عُرِفُ الْفَرَسِ، وَسُيِّيَ بِذَلِكَ لِتَتَابُعِ الشَّعْرِ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: جَاءَتْ الْقَطَا عُرْفًا عُرْفًا، أَي: بَعْضُهَا خَلْفَ بَعْضٍ⁽²⁾.

2- السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ: ومن معاني هذا الجذر اللغوي: السُّكُونُ

وَالطَّمَأْنِينَةُ⁽³⁾، ومنه المعرفةُ والعرفانُ، تقول: عَرَفَ فُلَانٌ فُلَانًا عِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سُكُونِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا تَوَحَّشَ مِنْهُ وَنَبَا عَنْهُ⁽⁴⁾.

3- الطَّيِّبُ: وَمِنْ الْبَابِ "الْعَرَفُ"، وَهِيَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ، يُقَالُ: مَا أَطْيَبَ

عَرْفُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ﴾ [محمد: 6]، أَي: طَيِّبَها وَزَيَّنَها⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف)، ويُنظَر: الفراهيدي، العين، 122/2، (عرف)، والزمخشري، أساس البلاغة، 646/1، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 241/9، (عرف).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف).

(4) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف) وابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1402/4، (عرف)، والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 561، (عرف).



4- المعروف: والعُرفُ: المعروف، وهو ضدُّ المنكر، والعُرفُ ضدُّ النُّكر،

يُقال: أولاهُ عُرفًا أي: معروفًا، والمَعروف والعارِفَةُ: خِلافُ التُّكر⁽¹⁾،

قال الشاعر:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ فلا التُّكرُ معروفٌ وَلَا العُرفُ ضائعٌ⁽²⁾

5- العلم والمعرفة: ويأتي أيضًا بمعنى العلم، فـ "العِرفانُ: العلم"⁽³⁾،

وعرفه يُعرفه معرفةً: عِلْمَه⁽⁴⁾، وقيل: "المَعْرِفَةُ والعِرفانُ: إدراكُ

الشيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثره، وهو أخصُّ من العلم، ويضادُّه الإنكار"⁽⁵⁾،

وقد تعارفَ القومُ، أي: عَرَفَ بعضهم بعضًا⁽⁶⁾. قال تعالى:

﴿لَتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، وقال: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:

45]⁽⁷⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

وعلى ضوء المعنى اللغوي المتقدم يمكن تعريف التعارف في الاصطلاح

بأنه: بذل الإنسان وسعه لمعرفة أخيه الإنسان، وفهم المشتركات والجذور التي

تصل بينه وبين بني جنسه على اختلافهم؛ بحيث تؤسس المعرفة للتواصل

(1) الرازي، مختار الصحاح، ص 206، (عرف) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 836، (عرف) ابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

(2) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 236/9، (عرف).

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 835، (عرف)، والزبيدي، تاج العروس، 133/24، (عرف).

(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 560، (عرف).

(6) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1403/4، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 237/9، (عرف).

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 561.



والتفاهم، وتحصل الطمأنينة والتعايش والسلام، وتفتح أبواب المكارم بين الناس.

ج. تعريف الاحترام:

أولاً- في اللغة:

الاحترامُ في اللغة مصدرُ الفعل "احْتَرَمَ"، ويعود إلى الجذر "حرم"، الذي يأتي بمعانٍ، أهمها:

1- المنع والإمساك: الحاءُ والرَّاءُ والميمُ أصلٌ واحدٌ، وهو المنعُ والتَّشديدُ، فالحَرَامُ: ضِدُّ الْحَلَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قُرْبَةٍ أَهْلُكُنَاهَا﴾ [الأنبياء: 95]⁽¹⁾، وفي الإحرام: اجْتِنَابُ المحرمِ الأشياءِ التي منَعَه النِّسْكُ منها؛ كالطَّيْبِ والنِّكَاحِ والصَّيْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكَأَنَّ الْمُحْرِمَ مُمْتَنِعٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ⁽²⁾. وَمِنْهُ الإِحْرَامُ بِالصَّلَاةِ⁽³⁾. وَالْحَرَمُ: سَيِّئٌ بِذَلِكَ لِتَحْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ كَثِيرًا مِمَّا لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ فِي غَيْرِهِ مِنْ الْمَوَاضِعِ⁽⁴⁾.

2- المهابة والإكبار: والحُرْمَةُ المَهَابَةُ، قِيلَ: وَإِذَا كَانَ بِالْإِنْسَانِ رَحِمٌ، وَكُنَّا نَسْتَعِجِي مِنْهُ، قُلْنَا: لَهُ حُرْمَةٌ وَمَهَابَةٌ⁽⁵⁾. واحترمه: كَرَّمَهُ وَأَكْبَرَهُ، وَهَابَهُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 45/2، (حرم).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 373/1، (حرم).

(3) السابق.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 230، (حرم).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 124/12، (حرم).



ورعى حرمتَه، وأحسن معاملتَه حبًّا ومهابةً، ومن مكارم الأخلاق احترام المرء من هم أكبر منه سنًّا⁽¹⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

انطلاقًا من المعاني اللغوية المتقدمة يمكن تعريف الاحترام بأنه: قيمة تحمل الفرد على تجنب ما يسيء إلى سمعته؛ فيحترم بذلك نفسه، ويحترم الآخرين بمراعاة حرمتهم، والامتناع عما يضرُّ بهم، أو يقلل من منزلتهم ومكانتهم، حبًّا وإحسانًا ومهابة لهم.

أهمية التواصل والتعارف والاحترام:

رَكَزَتِ النصوصُ القرآنية والنبوية على هذه القيم الثلاث كونها تمثل الأسس للإسهام في تحقيق مقصد التَّعايش والسلام؛ حيث تحدَّث القرآن الكريم عن هذه القِيَم في غير موضع، وجعلها حافزًا ومنطلقًا لحوار العقول والنُّفوس؛ ومما يشهد لذلك:

1) التعارف واحد من أهم المهمات المطلوبة من الإنسان في الأرض:

لقلوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فكان خطابًا للبشريَّة جمعاء - على تنوع أطيافها وأعراقها، واختلاف ألسنتها وألوانها - مقتضاه الأمر بالرجوع إلى وحدة الأصل البشريِّ للدُّخول في مقصد التَّعارف، وهو خطاب موجَّه إلى النَّاس عامَّةً بصرف النَّظر

(1) أحمد مختار عبد الحميد عمر وغيره، معجم اللغة العربية المعاصرة، 481/1، (حرم).



عن أديانهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، لا إلى خاصّة المؤمنين، وهو إقرار يوضّحه قوله تعالى: ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾، فهي إشارة إلى التَّنوع الإنساني الذي يؤدي بالضرورة إلى تنوع ثقافي وفكري وديني ومذهبي، تقتضيه الحكمة الإلهية، لتحقيق التعايش؛ إذ لو استقلَّ كلُّ واحد بنفسه، لما حصل التعارف الذي يترتب عليه التعاون والتّوارث والقيام بحقوق الأقارب⁽¹⁾.

وبالرجوع إلى الهدي النبوي نجد التأكيد والحثّ على قيمة التعارف قولياً وعملياً، وما ينبغي علمها من الائتلاف والتعايش، والتنبيه إلى ما يترتب تركها من تنافر وتخاصم وتباعد بين النّاس، ففي الحديث: «الأرواحُ جنودٌ مُجنّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ»⁽²⁾. فقد يشير الحديث إلى أنّ التعارف يحصل بحسب ما جُبلت عليه هذه الأرواح؛ لأنّها "أنواعٌ مختلفة، فما توافق في الصّفات وتناسب في الأخلاق، ألف كلُّ منهما الآخر، وإن تباعد فلم يتوافق ولم يتناسب نافر كل منهما الآخر، والمراد بالتعارف ما بينهما من التّناسب والتّشابه، وبالتناكر ما بينهما من التّباين والتّنافر، فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح، ويتبعها توافق الأجسام"⁽³⁾.

وقد يكون معناه: أن التعارف بين الناس سبيل إلى الائتلاف والتواصل فيما بينهم، وتقبّل التنوع والاختلاف، وهو شكلٌ من أشكال الانفتاح على الآخر، في حين أن عدم التعارف - وهو التناكر - يبقّي الخلاف، ويعيق الائتلاف، فتتركّز التعارف مفضّ إلى التّنافر والتّناكر والتّخاصم.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 342/16.

(2) مسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 2638، 2031/4.

(3) الحدّادي، التيسير بشرح الجامع الصّغير، 422/1.



ومن هنا نجد في الهدي النبوي دعوة إلى التواصل مع الجميع، وبيان أنه من الحقوق الواجبة، ومن شرائط الخيرية؛ فقد سئل عليه الصلاة والسلام: أيُّ الإسلام خير؟ فقال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»⁽¹⁾، وقال عليه الصلاة والسلام: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»⁽²⁾.

(2) التواصل سبيل عمارة الأرض، والتقاطع والتدابير سبيل إفسادها:

عدَّ القرآن التقاطع والتدابير نوعاً من الفساد؛ إذ قرن الله تعالى التقاطع والتدابير بالفساد في القرآن الكريم في غير موضع، من ذلك في سورة البقرة [الآية: 27]، والرعد [الآية: 25]، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27].

وفي آية أخرى قرن الله تعالى التقاطع بالفساد كذلك، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ﴾ [محمد: 22].

وبالمقابل: بشر الموفين بعهدهم الواصلين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 12، 12/1، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 39، 65/1.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 9198، 106/15.



لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢١﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ [الرعد: 20-24].

فكان صلاح حال الناس في الأرض يقوم على مجموعة من الأسس والثوابت، من أهمها: التواصل والتعارف، وإن وقوع ما يضادهما ينذر بالفساد والإفساد.

(3) الاحترام الذاتي والمجتمعي قيمة رسختها النصوص القرآنية والنبوية:

ومن الأمثلة على الاحترام: احترام خصوصية الآخرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 27]، أي: حتى تستأذنوا وتعلموا أهل البيت أنكم تريدون الدخول عليهم.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: 61]. أي: فإذا دخلتم -أيها الناس- بيوت أنفسكم، فسلموا على أهليكم وعيالكم، أو إذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين فيها ناس منكم، فليسلم بعضكم على بعض⁽¹⁾.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 5/451.



وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»⁽¹⁾، هذا الحديث في احترام أدب المجالس.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، أي: لا تعبس في وجوه الناس. وتعرض عنهم احتقاراً لهم وتكبراً عليهم، بل لِنَ لَهُمْ وتبسم في وجوههم⁽²⁾، كما جاء في الحديث: «ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ»⁽³⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»⁽⁴⁾، ويتنزل الحديث في باب آداب التّواصل وضوابط احترام الإنسان لغيره بمراعاة السن والهيئة والكم.

طرق اكتساب قيم التواصل والتعارف والاحترام وتعزيزها وتنميتها:

مما يعزز قيم التواصل والتعارف والاحترام بين الناس:

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5208، 353/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 62/5، 2706.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 214/21.

(3) مسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 2626، 2026/4.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6231، 52/8، ومسلم، الجامع المسند، رقم الحديث: 1703/4، 2160.



(1) فهم سنة الاختلاف:

يَعُدُّ القرآن الكريم الاختلاف حقيقةً إنسانيةً وحاجةً طبيعِيَّةً، ولوحةً ثريَّةً بالمعاني والحكم والدِّلالات، فيجعل تعدُّد الأجناس وتباين الألوان والثِّقافات واختلاف التَّصورات والأعراف دليلاً على عظمة الله تعالى، وآيةً كبرى من آياته، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]، ويقول سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]، ويقول جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

ودعا القرآن الكريم البشريَّة جمعاء إلى احترام التعدديَّة الإثنيَّة والدينيَّة، جاعلاً إيَّاهَا وسيلةً للتَّعارف؛ يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

لقد جاء القرآن الكريم بمشروعيَّة الاختلاف وفطريَّته، وعدّه سنَّة من السَّنن الكونيَّة الطبيعيَّة، ساعياً إلى أن يجعلها بديلاً عن فلسفة الرِّفض والإقصاء، ويزيل وهم أحاديَّة الفكر، داعياً إلى إعمال العقل في تأمل مختلف مناهج التَّفكير، بحثاً في حقيقة الإيمان والوجود.



(2) تعزيز قيمة الحوار:

فالخطاب القرآني يأمر المؤمنين بالتّلاقي والتّعارف مع الآخر، وسلوك سبل الحوار والبحث العميق عن المشتركات، تعرّفًا عليها، وتفعيلًا لها؛ لذلك يعدّ الحوار أحد مقوّمات التّلاقي على الإيمان التي دعا إليها الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]، وقد أكّد القرآن الكريم أنّ الرّسالات الإلهيّة يكمل بعضها بعضًا، وأنّ روح التّلاقي بين الأنبياء حاضرة في مقصود الرّسالة للوصول إلى الهدف النبيل وهو الإيمان بالخالق، يقول الله تعالى مخاطبًا سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

وجعل القرآن الكريم آليّة محاورة غير المسلمين هي الاحترام والمسؤوليّة وقبول الآخر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، فقله تعالى: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ مفردة تجمع محاسن أدب الحوار، وترنو إلى تأسيس حوار يرتقي بكلّ معانيه إلى الالتزام بأصل المحبّة والتّعارف بين البشريّة، وتقضي بأنّ المشتركات بين المختلفين تعزّز روح الصّداقة والتّلاقي الإنسانيّ.



وفي ذلك يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه: "إنَّ الحوار الإسلامي والمسيحي ضروري، ويستطيع البابا تشجيعه والحثُّ عليه، نحن بدورنا على استعداد لتشجيعه ودعمه"⁽¹⁾.

(3) صلة الرحم:

لا خلاف أنَّ الصِّلَةَ والزَّيَّارَةَ للأهل والأقارب والأصدقاء والجيران من أعظم القربات وأفضل الطَّاعات؛ لما في ذلك من تقوية روابط المودَّة، ونشر المحبَّة، فيها يكون المجتمع كالجسد الواحد، لا تنافر ولا تباعد فيه، فتقلُّ فيه آفاتُ التَّحاسد والتباغض، وتشيع فيه المودَّة والنَّوَأْمُ.

لأجل ذلك كانت صلة الرَّحم من أهمِّ ما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالحفاظ عليه، فجعلها من أعظم دلائل صدق الإيمان، وبين أهميتها في حياة الإنسان؛ حفاظاً على تماسك المجتمع، وصوناً له من الانفراط والضياع والتشتت...

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: 90].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله يرفعه إلى الربِّ عزَّ وجلَّ قال: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ»⁽²⁾.

(1) البلوشي، محمد علي، الشخصية القيادية وقيم التسامح فكر الشيخ زايد (طيب الله ثراه)، ص 175.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22080، 399/36، 400.



هذا، وتعرف صلة الرحم بأنها الإحسان إلى الأقارب على حسب حال
الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، والتحية،
وغير ذلك⁽¹⁾.

(4) الاهتمام بالصدقة:

الصدقة علاقة اجتماعية بين شخصين أو أكثر، تقوم على الصدق
والمحبة، وهي علاقة إنسانية معروفة منذ القدم، وتقوم على الترابط والمشاركة
والعاطفة المتبادلة والتفاهم، وتعد من أهم العلاقات للإنسان في مختلف
مراحل حياته؛ لما ينشأ عنها من تعاون وتكاتف ومساعدة تنمي روح الأخوة
والتواصل والاحترام وتقوي الروابط الإنسانية بعيداً عن العداوة.

وقد ذكر القرآن الكريم الصدقة والصحة في غير موطن، وأوصى
بالإحسان للصاحب، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: 36]، وذكر قول صاحبي السجن ليوسف عليه
السلام: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، وذكر صحبة موسى
والخضر، وصحبة النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ يوم الهجرة...

(5) القول الحسن:

فبالكلمة الطيبة يفتح الإنسان آفاق التواصل والتعارف، ويستبقي
التقدير والاحترام، فيثمر ذلك خيراً في كل حين، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ

(1) سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، ص 145.



حِينَ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم: 24،
[25].

والكلمة الطيبة صمام أمان بين الناس من نزغات الشيطان وما تحمله
من إساءة الفهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

خاتمة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى التعارف والتواصل والاحترام المتبادل
مصدرًا للتكامل المعرفي بين البشر؛ ليحصل الإغناء في مجال المعرفة خدمة
للإنسانية جمعاء، ويعم السلام والطمأنينة في أرجاء المعمورة، فلولا التعددية
والتنوع والاختلاف في إطار التعارف؛ لضمّرت حوافر الاستباق، ودواعي التميّز،
وأَسباب التنافس بين الأفراد والأمم والشعوب والأفكار والمذاهب والديانات
والفلسفات والحضارات، ولأضحت الحياة سكونًا لا حيوية فيه، ولا تجدد، ولا
نماء.

* * *



- العدل والاعتدال

مقدمة:

الإسلامُ دينُ العدل والاعتدال، ونبذِ التطرف والتَّشَدُّد، تلتقي تعاليمه لتحقيق السَّلم والأمن الاجتماعيَّين، ممَّا يُسهم في غرسِ الثِّقة في نفس الآخر، ويفتح قلبه للحوار البنَّاء.

ويكون الاعتدال بالتزام الطريق الأقوم، والخُلُق الأكرم، والعمل الأعظم، فوسط الشيء أعظمه وأقومه وأحسنه⁽¹⁾، ويكون - كذلك - في البعد عن طرفي الإفراط والتفريط، وعن طرفي الغلو والتقصير؛ "ولا شكَّ أن الطَّرفين رديئان، والمتوسَّط معتدلٌّ فاضلٌ، وإنمَّا سمِّي العدل وسطاً؛ لأنَّه لا يميلُ إلى أحدِ الخصمين، والأطراف يتسارع إليهما الخللُ والفساد، والأوسط محميةٌ مَحُوطةٌ، فلمَّا صحَّ ذلك في الوسط صار كأنه عبارةٌ عن المعتدل الذي لا يميلُ إلى جهةٍ دون جهةٍ"⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 184/5، (وسط).

(2) الرازي، التفسير الكبير، 85-84/4.



تعريف العدل والاعتدال:

أ. تعريف العدل:

أولاً- في اللغة:

العَدْلُ في اللغة يعودُ إلى الجذر اللغوي "عَدَلَ" الذي يأتي بمعانٍ متعددة،

منها:

1- استواء الطريقة: يقال: "العدل من الناس: المرضيُّ المستوي الطريقة"⁽¹⁾.

2- القضاء بالحق: والعُدُولَةُ والعَدْلُ: الحُكْمُ على الأمر بالحق، قال

زهير:

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقِلْ سَرَوَاتُهُمْ هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رَضِيَ وَهُمْ عَدْلٌ⁽²⁾.

وتقول: هو يَعْدِلُ، أي: يحْكُمُ بالحقِّ والعدلِ، وهو حَكَمٌ عدلٌ ذو

مَعْدَلَةٍ في حُكْمِهِ⁽³⁾، فالْعَدْلُ خِلَافُ الْجَوْرِ⁽⁴⁾، يُقال: عَدَلَ عَلَيْهِ في

(1) ابن منظور، لسان العرب، 32-31/11.

(2) الفراهيدي، العين، 38/2، (عدل)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 246/4، (عدل).

(3) الفراهيدي، العين، 38/2، (عدل)، وينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 125/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 430/11، (عدل).

(4) الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل)، الأزهري، تهذيب اللغة، 126/2، (عدل)، ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).



القَضِيَّةُ فهو عَدِلٌ، مِنْ قَوْمٍ عُدُولٍ⁽¹⁾، وفي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى "العَدْلُ"،
هُوَ الَّذِي لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فَيَجُورُ فِي الْحُكْمِ⁽²⁾.

3- قِيَمَةُ الشَّيْءِ وَفِدَاؤُهُ⁽³⁾، يُقَالُ: خُذْ عَدْلَهُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا، أَيِ قِيَمَتِهِ⁽⁴⁾،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 123] أَيِ: فِدْيَةٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ
مَنْ الْمَعَادِلَةِ، وَهِيَ الْمَسَاوَاةُ⁽⁵⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا
يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: 70] أَيِ: تَفْدٍ كُلِّ فِدَاءٍ⁽⁶⁾.

4- الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ وَالْمَسَاوِي: وَعَدْلُ الشَّيْءِ: نَظِيرُهُ، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ يُسَاوِي
الشَّيْءَ: هُوَ عَدْلُهُ⁽⁷⁾، عَدَلْتُ فَلَانًا بِفُلَانٍ أَعَدِلْتُهُ بِهِ، وَفُلَانٌ يُعَادِلُ
فُلَانًا... وَيَقُولُ فِي الْكُفَّارَةِ: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 95]، أَيِ: مَا يَكُونُ
مِثْلَهُ⁽⁸⁾، وَمِنْ الْبَابِ: الْعِدْلَانُ وَهُمَا جِمْلًا الدَّابَّةُ، سُمِّيَا بِذَلِكَ
لِتَسَاوِيهِمَا، وَالْعَدِيلُ: الَّذِي يُعَادِلُكَ فِي الْمَحْمَلِ⁽⁹⁾.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1760/5، (عدل). وابن منظور، لسان العرب، 430/11، (عدل).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 190/3، (عدل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 431/11، (عدل).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، 124/2، (عدل)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1760/5، 1761، (عدل).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وينظر: الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل).

(6) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1761/5، (عدل)، وينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 447/11، (عدل).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، 246/4، 247، (عدل).

(8) الفراهيدي، العين، 38/2، 39، (عدل).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).



5- **التقويم والاستقامة: والعدل: الاستقامة**⁽¹⁾، وتعديل الشيء: تقويمه، يُقال: عدَلْتُهُ فاعْتَدَل، أي: قَوَّمْتُهُ فاستقامَ⁽²⁾، وإذا مال شيءٌ، قلت: عدَلْتُهُ -أي: أقمته- فاعْتَدَل، حتَّى استقامَ واستوى⁽³⁾، ومن الباب: الْمُعْتَدِلَةُ مِنَ النُّوقِ، وهي الحَسَنَةُ الْمُتَّفِقَةُ الْأَعْضَاءِ⁽⁴⁾، وعدَل الحُكْمَ، أي: أقامه⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]، أي: فقَوَّمَكَ⁽⁶⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عرف العدل في الاصطلاح بمعانٍ مقاربة للمعاني اللغوية من حيث الإجمال؛ ومما قيل في تعريفه: هو الصراط المستقيم، ويكون بين طرفي الإفراط والتفريط؛ المؤتى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية⁽⁷⁾، وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الأشياء⁽⁸⁾.

وخلاصة هذه التعاريف أن العدل هو الإنصاف والتسوية والتوازن بين جهتين متقابلتين، ويضاف إليهما في ضوء المعاني اللغوية والقرآنية المتقدمة أن يكون الاعتدال هو التزام الطريق الأقوم، والأحسن، والأفضل.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، 123/2، (عدل).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1761/5، (عدل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل). والأزهري، تهذيب اللغة، 124/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 431/11، (عدل).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، 127/2، (عدل)، وينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 269/24.

(7) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، 292/1.

(8) الرازي، التفسير الكبير، 259/20، والجرجاني، التعريفات، ص 147.



ب. تعريف الاعتدال:

أولاً- في اللغة:

أما الاعتدال فهو في اللغة مصدر الفعل "اعتدل"، ويعود أيضاً إلى الجذر اللغوي "عدَل" الذي تقدّمت معانيه آنفاً، وتعديل الشيء: تقويّمه، وغُصِنَ معتدلاً، أي: مُستَوٍ، وامرأة حسنة الاعتدال، أي: حسنة القامة⁽¹⁾، ومنه قوله: وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل، أي: قوّمناه فاستقام⁽²⁾، واعتدال الناقة، أي: استقامة سنامها من السّمن بعد ما كان مائلاً؛ لأنّ النّاقة إذا سمّنت اعتدلت أعضاؤها كلّها من السنام وغيره⁽³⁾، وكلُّ ما أقمّته، فقد عدلته⁽⁴⁾.

وقيل: إن "الاعتدال: حال بين حالين في كمّ أو كيف، كقولهم: جسمٌ مُعتدلٌ بين الطول والقصر، وماءٌ مُعتدلٌ بين البارد والحار... وكلُّ ما تناسب فقد اعتدل"⁽⁵⁾، ويقال: يومٌ مُعتدلٌ، إذا تساوى حالاً حرّه وبرّه، وكذلك في الشّيء المأكول⁽⁶⁾، فيقال لما يؤكل إذا لم يكن حارّاً ولا بارداً يضرُّ: هو مُعتدلٌ⁽⁷⁾.

(1) الفراهيدي، العين، 40/2، (عدل).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، 125/2، (عدل).

(3) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 126/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 436/11، (عدل).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1030، (عدل).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).

(7) الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل).



ثانيًا- في الاصطلاح:

أما اصطلاحًا فالاعتدالُ والاستقامة نقطة عليا بين الأطراف التي لا تخلو من الإفراط والتفريط، والاعتدالُ: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير.

المتفق عليه أنَّ العدل إعطاء كلِّ ذي حقِّ حَقَّهُ⁽¹⁾، وقد عُرِفَ الاعتدالُ بتعاريف كثيرة؛ مفادها أن العدل مصدرٌ بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق⁽²⁾، ويكون بين حالين في كم أو كيف⁽³⁾، دون إفراط أو تفريط⁽⁴⁾.

ومدار هذه التعاريف على أن الاعتدال اصطلاحًا يحمل معاني الحُسن والاستواء والاستقامة والتناسب، فيكون المعتدل إلى الكمال أقرب، فلا تقصير في الممكن، ولا قصور عنه، ولا مجاوزة للحدِّ المطلوب والمرغوب.

وفي القرآن الكريم آيةٌ جامعة لمعاني الاعتدال، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، والوسط العدل، وفي قوله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، يعني: أعدلُّهم وخيرُهم⁽⁵⁾، فوسط الشيء

(1) ينظر: خلف الله، محمد أحمد، الموسوعة الفلسفية العربية، 580/1، (عدل).

(2) الجرجاني، التَّعْرِيفَات، ص 124.

(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 14/2.

(4) الغزالي، إحياء علوم الدين، 57/3. والنيسابوري، غرائب القرآن، 58/6.

(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 180/23.



أعظمه، ومنه حديث: «الوالد أوسط أبواب الجنة»⁽¹⁾ أي خيرها، يقال: هو من أوسط قومه، أي: من أشرفهم وأحسبهم وخيارهم، ومنه سميت الصلاة الوسطى؛ لأنها أفضل الصلاة وأعظمها أجرًا، ولذلك خصت بالمحافظة عليها⁽²⁾.

أهمية العدل والاعتدال:

تبرز أهمية العدل والاعتدال في النقاط الآتية:

1) العدل والاعتدال قيمتان أساسيتان في القرآن الكريم:

فقد وردت عدة آيات في الحث على العدل؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، أي: ويأمركم إذا حكمتم أن تحكموا بين الناس بالعدل والإنصاف، وذلك حكمُ الله الذي أنزله في كتابه، ويبيّنه على لسان رسوله، لا تعدّوا ذلك فتجوروا عليهم⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 90]، أي: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف⁽⁴⁾.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1900، 311/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث:

3663، 1208/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 27552، 535/45.

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 184/5، (وسط).

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 491/2.

(4) السابق، 551/4.



وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي: واعدلوا في حكمكم بين من حكمتم بينهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط⁽¹⁾.

وقد وردت عدة آيات في الحث على الاعتدال؛ منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، والوسطُ اسمٌ للمكان الواقع بين أمكنةٍ تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعضٍ عرفًا، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصِّبَاةِ والعِزَّةِ، طبعًا كوسط الوادي لا تصل إليه الرُّعَاةُ والدَّوَابُّ إلا بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثير العشب والكَلأ، ووَضْعًا كواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى التَّفَاسَةِ والعِزَّةِ والخيار من لوازم معنى الوسط عرفًا، فأطلقوه على الخيار النَّفِيس كنايةً، قال زهير:

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُغْضِلِ⁽²⁾

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، فالوسطُ في هذه الآية فُسِّرَ بالخيار؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، وفُسِّرَ بالعدول⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

(1) السابق، 81/7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/2.

(3) السابق، 17/2 - 18.



ويقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، والآية تدلُّ على وجوب الاعتدال في كلِّ شيء، ومع النَّاس جميعًا.

2) الأمر بالعدل والاعتدال متوافر في نصوص الهدي النبوي:

أكد النَّبي ﷺ في غير ما مناسبة أنَّ التَّشَدُّد وعدم الاعتدال هو مصدر كلِّ بلاء وشقاء؛ لأنَّه يَهْدِي السَّلَمَ المجتمعيَّ نتيجة ما يحدثه من خلافات تؤثر على الاستقرار والأمن والسَّلام، وتهْدِي التَّرابِطَ المجتمعيَّ الذي يدعو إليه الإسلام، وكلُّ ما يَقْوِضُ السَّلَامَ تجد الإسلامَ ناهيًّا عنه.

ومما ورد في الهدي النبوي قوله ﷺ: «وَيَاكُمْ وَالْغُلُوفِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفِي الدِّينِ»⁽¹⁾. في هذا الحديث أمر بنبذ التطرف والغلو والتشدد، وهي صفات تؤدي إلى التهلكة والفساد وتتعارض مع الإيمان الحق القائم على الاعتدال والتسامح.

وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا

(1) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 3057، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث:



وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»⁽¹⁾.

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»⁽²⁾، وفي رواية: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلَغُوا»⁽³⁾، "أي: الزموا الطَّريقَ المعتدلَ تَبْلَغُوا المنزلَ الذي هو مقصِدكم، فالقصد هو الاعتدال،... وهو الذي بين الطَّرفَيْنِ من الإفراط والتَّفريط، وفيه نهْيٌ عن التَّشَدُّدِ والغُلُوِّ، وحثٌّ على اقتفاء الطَّريقِ المعتدلِ غير الشَّاقِّ، ولزومه في العمل مع الأخذ بالرفق من غير غُلُوٍّ ولا تقصير"⁽⁴⁾.

وقد بيَّن النَّبِيُّ ﷺ سوءَ عاقبة التَّشَدُّدِ فقال: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»⁽⁵⁾.

وقال عليه الصلاة والسلامُ أيضًا: «هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثًا⁽⁶⁾، "وَالْمُتَنَطِّعُونَ هُمُ الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ، الْمَجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ"⁽⁷⁾، فهى عن التَّنَطُّعِ ودعا إلى التَّيسِيرِ.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5063، 2/7.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 39، 16/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6098، 5/2373.

(4) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 64/23، وانظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، 145/2.

(5) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4904، 7/264.

(6) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2670، 8/58.

(7) ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 41/5، 8/164، والخطابي، معالم السنن،

300/4، والصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، 3/333.



وقال أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّيًا، وَلَا مُتَعَنِّيًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مَعْلَمًا مُيَسِّرًا»⁽¹⁾.

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى السَّمَاحَةِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْمَعَامَلَةِ: فَقَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»⁽²⁾، أَي: الَّتِي لَا تَطْرُفُ فِيهَا وَلَا تَشَدُّدٌ، وَهِيَ الَّتِي تَلَاثُمُ فِطْرَةَ النَّاسِ؛ "لَأَنَّ قَوَاعِدَهَا أَصُولًا وَفُرُوعًا كُلُّهَا فِي الْوَسْطِ"⁽³⁾.

(3) العدل والاعتدال قيمة رئيسة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

لا تخفى الجهود العظيمة التي تبذلها دولة الإمارات العربية المتحدة في تعزيز الاعتدال الديني، ومكافحة التطرف والتشدد، فقد أدركت دولة الإمارات العربية المتحدة خطورة الفكر المتطرف مبكرًا، فانتهجت في ذلك أسلوب الوقاية منه؛ حيث تم ضبط الخطاب الديني في مؤسساتها الرسمية، ومنابرها الدينية والإعلامية، ومناهج تعليمها الديني، وخطت في صدد التعليم الديني برامج متعددة على مختلف الأصعدة وكافة المستويات سواء كان ذلك على مستوى مناهج التربية الإسلامية في التعليم النظامي، أو المناهج الموحدة في مراكز تحفيظ القرآن الكريم التابعة للهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة⁽⁴⁾.

ومن الناحية القانونية، قامت دولة الإمارات بإصدار عدد من القوانين والتشريعات التي تمكن العدل وتعزز الاعتدال، منها:

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1478، 187/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، تعليقًا بصيغة الجزم، رقم الحديث: 16/1.

(3) الكرمانى، الكواكب الدَّارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، 227/22.

(4) ينظر: [مكافحة الإرهاب والتطرف](#)، موقع وزارة الخارجية.



أ. ما ورد في المادّة 25 من باب "الحريّات والحقوق والواجبات العامّة"

من دستور الإمارات العربيّة المتّحدة: "جميع الأفراد لدى القانون سواء، ولا تميّز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل، أو الموطن، أو العقيدة الدينيّة، أو المركز الاجتماعي".

ب. وفي المادّة 94 الخاصّة باستقلاليّة القضاء ضمن دستور الإمارات العربيّة المتّحدة: "العدل أساس الملّك، والقضاء مستقلّون، لا سلطان عليهم في أداء واجبهم لغير القانون وضمايرهم".

ت. مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكرهية والتطرف، والذي يقضي بتجريم التعصب الديني. وسبق الحديث عن نبذ التعصب في "قيمة الكرامة".

كما قامت دولة الإمارات بتعزيز مؤسسات وطنية - بوسائل، منها: التعاون الدولي - لبناء القدرات ومنع العنف ومكافحة الإرهاب والجريمة، ومن ذلك:

1. مركز "هداية" لمكافحة التطرف العنيف.

2. مركز صواب⁽¹⁾.

وقد سجل تاريخ الإنسانية أدوارًا بارزة لصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) تمثلت في عدد من المبادرات التاريخية والمواقف الإنسانية، أسهمت في نشر ثقافة الاعتدال والتسامح والسلام في

(1) ينظر: [مراكز محاربة التطرف](#)، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.



العالم، ومن أبرز تلك المبادرات رعايته وثيقة الأخوة الإنسانية التي تم توقيعها في دولة الإمارات العربية المتحدة 4 فبراير 2019.

ويُعد سموه مرسخاً للاعتدال الديني، إذ كانت جموع العلماء من كافة أقطار الأرض من أصحاب الديانات السماوية تلتقي في الإمارات لتدحض مزاعم الفكر المتطرف، وتواجهه بالفكر والنقد وبيان صحيح الشرع الحنيف في كل المسائل. كما رعى سموه واستقبل المشاركين في الفعاليات من العلماء وأصحاب الديانات السماوية، ومن ينتمون للفلسفات الروحية وتهئية المناخ للحوار الأخوي الإنساني.. وكان حريصاً على اللقاء بالعلماء والمفكرين من كل اتباع الديانات بصدر رحب وابتسامة دائمة وقلب يتسع للجميع⁽¹⁾.

(4) العدل والاعتدال قيمة إنسانية عالمية أممية أصيلة:

تضمنتها الدساتير والتشريعات، وقامت على رعايتها وزارات، وصانها كفاءات، سهرت لإحقاقها سائر الأوقات. ومن ذلك على سبيل المثال:

أ. جاء في المادة السابعة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "الناس جميعاً سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أيّ تمييز ينتهك هذا الإعلان، ومن أيّ تحريض على مثل هذا التمييز!"

ب. وفي المادة العاشرة من الإعلان نفسه: "لكلّ إنسان، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، الحق في أن تنظر في قضيتته محكمة

(1) ينظر: مركز الاتحاد للأخبار، [محمد بن زايد... رجل السلام والتعايش والأخوة الإنسانية](#).



مستقلَّة ومحايدة، نظرًا مُنصفًا وعلنيًا، للفصل في حقوقه والتزاماته، وفي آية تهمة جزائية تُوجَّه إليه!"

مظاهر قيمة العدل والاعتدال في الدين:

مفهوم الاعتدال الديني: هو منهج فكري وسلوكي يحمل على الاتزان في الدين، ويقوم على التزام التيسير، وتحقيق النفع للفرد والمجتمع، ورفع المشقة ودفع الضرر، وتعزيز المواطنة الإيجابية، والتواصل الحضاري، والنظرة التفاضلية للحياة، بما يضمن للوطن دوام الاستقرار والنماء.

هذا المنهج هو طريقة يتبناها الشخص تجاه نفسه وغيره؛ ويرتكز على مجموعة من الآراء والممارسات، ويشمل ثلاثة مكونات رئيسية، وهي:

- الأول: الإيمان والاعتقاد: وهو التصديق بأركان الإيمان والإسلام، وإثبات الإيمان لجميع أهل القبلة.

- الثاني: العبادات: إقامة الشعائر بشروطها وأركانها، وعدم حمل الآخرين على المشقة أو تتبع الرخص.

- الثالث: الأخلاق: الالتزام بمنظومة القيم والمبادئ التي تدفع الضرر وتجلب النفع للفرد والمجتمع، وعدم الخروج عنها استنادًا إلى مفهوم ديني، ومن أمثلة ذلك مسألة التعامل مع غير المسلمين.

وتتمثل مظاهر قيمة العدل والاعتدال الديني فيما يأتي:



(1) الاتزان في الدين:

بحيث يتم اختيار السبيل الأقوم في فهم أحكام الدين ونصوصه باعتبار مقاصدها، وممارسة التعاليم الدينية بقدر الاستطاعة، وقبول تعدد الآراء والمذاهب الفقهية، واحترام الاجتهادات المعتمدة، وعدم الإنكار في مسائل الخلاف.

(2) التزام التيسير:

ويتجسد في الرفق بالناس، ومراعاة أحوالهم، وتعليمهم أمور دينهم بالمحبة والترغيب واللين، وتجنب التنفير، ونبد التشدد والعنف والإرهاب.

(3) تحقيق النفع للفرد والمجتمع:

من خلال بذل الجهد في خدمة مصالح العباد في الحال والمآل؛ والعمل على كل ما يحفظ النفس والدين والمال والعقل والعرض والوطن.

(4) رفع الضرر ودفع المشقة:

وذلك بدرء المفاسد والأذى عن الآخرين، ورفع الحرج عن النفس أو الغير في العبادات والمعاملات وفق الضوابط الشرعية والقوانين المرعية.

(5) تمثُّل قيم المواطنة الإيجابية:

ومنها: اعتزاز المرء بالانتساب إلى وطنه بحدوده الجغرافية الدولية، ويخلص في حبه، وطاعة حكامه ومحبتهم، وعدم بيعه غيرهم، ويتمسك بترائه وتقاليد الأصيل وقيمه النبيلة، ويحافظ على منجزاته، ويقدر رموزه ومؤسساته، ويخضع لقوانينه وأنظمتها، ويشارك بفاعلية في بنائه، ويعمل على



تعميق المحبة والتلاحم بين مكوناته المجتمعية... وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في قيمة المواطنة.

(6) القدرة على التواصل الحضاري:

بحيث يتمثل معاني وقيم السلام والتعايش بين الثقافات والحضارات المختلفة، واحترام التنوع الثقافي والديني، وإيجابية التواصل مع الآخرين، وانتهاج الحوار والحكمة في علاج المشكلات وحل الخلافات.

(7) النظرة التفاؤلية للحياة:

من خلال إدراك قيمة الحياة، والاستمتاع بطيبتها، والتفاعل الإيجابي مع تطوراتها ومستجداتها، والسعي إلى التميز والتنافسية بالإتقان والإبداع والابتكار؛ لتحقيق جودة الحياة الشاملة.

ثمرات العدل والاعتدال:

تتجلى ثمرات قيمة العدل والاعتدال في نقاط كثيرة، منها:

(1) تحقيق التوازن والاستقرار النفسي:

تقدم في تعريف العدل والاعتدال أنه إعطاء كل ذي حق حقه⁽¹⁾؛ ولأجل ذلك تمكّن هذه القيمة صاحبها من القدرة على التوازن في حياته وأسرته وعمله وعلاقاته...، والكفاءة في التعامل مع التحديات والفعالية في إدارة الضغوط، مما يورثه الانسجام الذهني والسكينة المستمرة؛ والذي يعزز القدرة على

(1) ينظر: خلف الله، محمد أحمد، الموسوعة الفلسفية العربية، 580/1، (عدل).



الحفاظ على هذا التوازن... وهكذا يكون الأثر متبادلاً، وبذلك تتشكّل اللبنة الأساس في حفظ حقوق المجتمع، وهي الفرد المتوازن؛ لأن توازن الأفراد يؤدي إلى بناء المجتمع المتوازن.

(2) تحقيق التكافل المجتمعي:

فإعطاء كل ذي حقّ حقه فضيلة كبرى، إذا تجلّت أثمرت بالمقابل التزام الأفراد داخل المجتمع بحقوقهم وواجباتهم، وتحليمهم بالمظاهر المذكورة آنفاً، مما يؤدي إلى تكافل أفراد المجتمع واستقرار حياتهم وتوازن أركان معيشتهم. وإن العدل والاعتدال ثمرة عظيمة قائمة بذاتها، وفي ذلك المعنى يقول عبادة البحتري:

أَدْعُ الْفَضْلَ فَلَا أَطْلُبُهُ حَسْبِيَ الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ فَقَطُ⁽¹⁾

(3) تحقيق التسامح:

إن الإنسان المعتدل هو القادر على ممارسة التسامح على أرض الواقع؛ لأنه يجسّد رسالة السلام والتعايش السلمي في ظل الاقتباس من الرحمة العالمية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، ومن آثار التسامح سيتحلّى بنبذ التعصّب للرأي، أو المذهب، واحترام الآراء المخالفة، والتحاور العلمي والأدبي الهادف، والمقرون بالعلم والحلم، والمنضبط بالمنهج الوسطي المتوازن، وفي دعوته لحق الاختلاف، وإقراره لحرية الاعتقاد.

(1) البحتري، ديوان البحتري، ص 1227.



(4) تحقيق السلام:

إن مآل العدل والاعتدال تحقيق "التعايش السلمي"، وكفّ أصوات الكراهية والتنطع، والحد من الإرهاب والتطرف ومنع الظلم والبغي والعدوان، وتحقيق الاستقرار والتلاحم، ونشر التآلف والتراحم، وعصمة الأنفس، وصون الدماء، وحفظ الأموال والأعراض، من خلال إغلاق الطريق أمام الأفكار المنحرفة والهدامة، والقضاء على أصوات الغلو والتطرف.

وإن إيمان الشيخ زايد بن سلطان - طيب الله ثراه - يمكن أن يؤخذ مثلاً وأنموذجاً لفهم الإسلام الفهم السليم القائم على الاعتدال، والقيم السّمة التي بُني عليها، لهذا كان داعماً مستمراً للاعتدال، وكان حريصاً كل الحرص على تقريب دُعاة الاعتدال والسلام من كبار العلماء الذين توافدوا على إمارات الخير من كلّ بقاع العالم الإسلامي في شتّى المناسبات، لا سيما في شهر رمضان المبارك، وكان في لقاءاته الدائمة معهم يدعوهم إلى أن ينشروا في أوطانهم قيم الإسلام السّمة والأصيلة، ويحاربوا بالكلمة الطيبة، والوعظ الهادف، كل ألوان التطرف والغلو، الذي لا ينتهي للدين الإسلامي بأي شكلٍ من الأشكال⁽¹⁾.

(5) تحقيق التدين الصحيح:

فعلى الاعتدال بُنيت تعاليم الإسلام؛ و"الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعَدَل، الأخذ من الطرفين بقسطٍ لا ميل فيه،

(1) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9 - 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022.21)، ص 38. 39.



الداخل تحت كَسْبِ العبدِ من غير مَشَقَّةٍ عليه ولا انحلال، بل هو تكليفٌ جارٍ على موازنةٍ تفتَضِي في جميعِ المكَلَّفينِ غايةَ الاعتدال⁽¹⁾.

طرق اكتساب قيمة العدل والاعتدال وتعزيزها وتنميتها:

يمكن اكتساب وتعزيز قيمة العدل والاعتدال بما يأتي:

1. الصدور في الأقوال والأعمال والأحكام والتقييمات من كتاب الله وهدى رسوله ﷺ، فهو منبع العدل والاعتدال.
2. ترسيخ مبدأ العدل والاعتدال من خلال الممارسات التربوية في الأسرة، والبيئات التعليمية.
3. تهذيب النفس وتنمية الذات، لتعزيز القدرة على التزام الصواب وضبط هوى النفس وشهواتها.
4. اكتساب قيمة الموضوعية، والحيادية، والتدرب على التخلص من الذاتية.
5. تقييم الإنسان لنفسه، ومراجعته لمواقفه، ومحاسبته لنفسه، يعينه على نقدها وتصحيح مسارها والتزام الاعتدال في المحاكمات والسلوك.
6. تأسيس الحوار الراقي المحفوف بأصل المحبَّة والرحمة، والهادف للتعارف والتعاون بين أبناء البشرية.

(1) الشاطبي، الموافقات، 2/279.



7. فهم طبيعة الغلو والتشدد والتطرف، وصوره وإشكالاته وآلياته وأفاته، والطرق المثلى للتعامل مع أصحابه.

خاتمة:

وهكذا، تظهر معاني قيمة العدل والاعتدال وأهميتها في كتاب الله وهدى رسوله ﷺ، وثمراتها على مستوى الفرد والمجتمع، وأهم طرق تعزيزها وتنميتها. هذا، ويندرج العدل والاعتدال في خدمة كَلِي السِّلْم؛ حيث يتحقق بهما الأمن والاستقرار؛ حيث الحاجة ملحة في العلاقات الإنسانية إلى تحقيق معاني العدل والاعتدال من عدم الإفراط والتفريط، والتوازن في التعامل مع المخالف، والحرص على التوسط والتسوية والإنصاف، "فإنَّ العدلَ كما يُطلب في الجملة يُطلب في التفصيل"⁽¹⁾، فيتمثله أهله في صغار الأمور وكبارها، ويحققونه في الفرعيات كما يحققونه في الأصول.

* * *

(1) الشاطبي، الموافقات، 400/3.



القيمة المركزية الثالثة (العلم)

- العلم

مقدمة:

العلم واحد من أعظم القيم الإنسانية وأهمّها، وهو أشرف ما رغب فيه الرّاعِب، وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأنّ شرفه يُثمر على صاحبه، وفضله يزيد ويرجع لطالبه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، فمَنَعَ المساواة بين العالم والجاهل؛ لما قد خُصَّ به العالم من فضيلة العلم. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]، فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه - سبحانه - أمراً، أو يفهم منه زجراً⁽¹⁾.

تعريف العلم:

أولاً- في اللغة:

العلم في اللغة مصدرُ الفعل "عِلِمَ"، ويردُّ بمعانٍ متعددةٍ، منها:

- 1- الأثر والعلامة: "العَيْنُ واللامُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على أثرٍ بالشيءِ يتميّزُ به عن غيره، من ذلك العلامةُ، وهي معروفةٌ، يُقال: علّمتُ على الشيءِ علامةً، والعَلَمُ: الرّايةُ، والجمعُ أعلامٌ، قالت الخنساء:

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص36.



وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ⁽¹⁾

وَالْعَلَمُ: الْأَثَرُ الَّذِي يُعَلَّمُ بِهِ الشَّيْءُ، كَعَلَمِ الطَّرِيقِ وَعَلَمِ الْقَافِلَةِ، وَسُمِّيَ الْجَبَلُ عَلَمًا لِذَلِكَ، وَجَمْعُهُ أَعْلَامٌ، وَقُرئ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61]⁽²⁾، وَالْمَعْنَى أَنَّ ظُهُورَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَزُولَهُ إِلَى الْأَرْضِ عِلَامَةٌ تَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ⁽³⁾.

2- نَقِيزُ الْجَهْلِ: الْعِلْمُ: نَقِيزُ الْجَهْلِ⁽⁴⁾، وَفِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: "الْعَلِيمُ"، فَهُوَ الْعَالِمُ الْمَحِيطُ بِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ؛ ظَاهِرُهَا وَبَاطِنُهَا، دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا، عَلَى أَتَمِّ الْإِمْكَانِ⁽⁵⁾، وَهُوَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا وَلَا يَزَالُ عَالِمًا بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى⁽⁶⁾.

3- إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ: "الْعِلْمُ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: إِدْرَاكُ ذَاتِ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي: الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ"⁽⁷⁾.

4- الْمَعْرِفَةُ وَالْخَبَرَةُ: وَيَأْتِي الْعِلْمُ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ وَالْخَبَرَةِ، "وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: عَلِمْتُ الشَّيْءَ؛ بِمَعْنَى: عَرَفْتُهُ وَخَبَرْتُهُ، وَعَلِمَ الرَّجُلُ: خَبَرَهُ، وَأَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَهُ، أَيْ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/109، (علم).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 581، وينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 2/948، (علم).

(3) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 21/631.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/110، (علم)، وابن منظور، لسان العرب، 12/417، (علم).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 3/292، (علم).

(6) ابن منظور، لسان العرب، 12/416، (علم).

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580، (علم).



يَخْبُرُهُ، وفي التنزيل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]⁽¹⁾.

5- الإتقان: يقال: عِلِمَ الأمر وتعلَّمَه: اتَّقَنَهُ⁽²⁾.

6- الشعور: ومنه: عِلِمَ بالشيء، أي: شعَرَ به، يُقال: ما عِلِمْتُ بخبرٍ قُدُومِهِ، أي: ما شَعَرْتُ⁽³⁾.

ويظهر مما سبق أن مادة "العِلْم" قد استُعْمِلت في اللغة للدلالة الحسّية على ما هو ظاهرٌ واضحٌ بين لا لبس فيه، ومنه الأثر والعلامة، كما استُعْمِلت في المعرفة الواضحة الجليّة، كعِلْم الشيء بحقيقته، ومعرفته وخبرته وإتقانه وحذقه والإحساس به.

ثانيًا- في الاصطلاح:

إن تعريف العلم في الاصطلاح يكاد أن يكون من السَّهل الممتنع، وقد يكون هذا العجزُ عن التعريف بالشيء لخفاء المطلوب جدًّا، وقد يكون لبلوغه في الجلاء إلى حيث لا يوجد شيءٌ أعرفُ منه ليُجعلَ معرفًا له، والعجز عن تعريف العلم لهذا الباب، والحقُّ أن ماهية العلم متصوِّرة تصوُّراً بدهياً جليًّا، فلا حاجة في معرفته إلى معرّف⁽⁴⁾.

وقد تعددت معانية ومراميه،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 418/12، (علم).

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) الرازي، التفسير الكبير، 420/2.



فَقِيلَ: إِنَّهُ مَعْرِفَةُ الْمَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ⁽¹⁾.

وَقِيلَ: إِنَّهُ الْوَصْفُ الَّذِي يَتَأْتَى لِلْمَتَّصِفِ بِهِ إِتْقَانُ الْفَعْلِ وَأَحْكَامِهِ ⁽²⁾.

وَقِيلَ: اسْمٌ مُشْتَرَكٌ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْإِبْصَارِ وَالْإِحْسَاسِ وَلَهُ حَدٌّ بِحَسَبِهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الظَّنِّ وَلَهُ حَدٌّ آخَرٌ، وَيُطْلَقُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ آخَرٍ أَعْلَى وَأَشْرَفٍ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى إدْرَاكِ الْعَقْلِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِالْبَيَانِ، وَرَبْمَا يَعْسُرُ تَحْدِيدُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْحَقِيقِيِّ بِعِبَارَةِ مُحَرَّرَةٍ جَامِعَةٍ لِلْجِنْسِ وَالْفَصْلِ الذَّاتِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَسِيرٌ فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ؛ بَلْ أَكْثَرِ الْمَدْرَكَاتِ الْحَسِّيَّةِ يَتَعَسَّرُ تَحْدِيدُهَا، وَيَكَادُ يَكُونُ الْعِلْمُ مَرْتَسِمًا فِي النَّفْسِ بِمَعْنَاهُ وَحَقِيقَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ تَحْدِيدٍ، فَيَكُونُ الْعِلْمُ عِبَارَةً عَنْ أَخْذِ الْعَقْلِ صَوْرَ الْمَعْقُولَاتِ وَهَيَّأَتْهَا فِي نَفْسِهِ وَانْطَبَاعَهَا فِيهِ؛ كَمَا يُظَنُّ - مِنْ حَيْثُ الْوَهْمُ - انْطِبَاعُ الصُّورِ فِي الْمَرَاةِ ⁽³⁾.

وَقِيلَ: الْعِلْمُ: إدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: إدْرَاكُ ذَاتِ الشَّيْءِ. وَالثَّانِي: الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ بِوُجُودِ شَيْءٍ هُوَ مَوْجُودٌ لَهُ، أَوْ نَفْيُ شَيْءٍ هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْهُ. وَالْعِلْمُ مِنْ وَجْهِ ضَرْبَانِ: نَظَرِيٌّ وَعَمَلِيٌّ، وَمِنْ وَجْهِ آخَرٍ ضَرْبَانِ: عَقْلِيٌّ وَسَمْعِيٌّ ⁽⁴⁾، وَمِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ: ضَرْوَرِيٌّ؛ يَوْجَدُ بِالْعَالِمِ دُونَ اخْتِيَارِهِ وَلَا قَصْدِهِ، وَنَظَرِيٌّ؛ يَحْتَاجُ إِلَى تَقَدُّمِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ ⁽⁵⁾ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ، فَالْفِكْرُ هُوَ الَّذِي

(1) الباجي، الحدود في الأصول، ص 95.

(2) الغزالي، المستصفى، ص 21.

(3) السابق.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580.

(5) الباجي، الحدود في الأصول، ص 95.



يُدرِك الإنسان به العلوم والصنائع، والعلم: إمَّا تصوُّرٌ للماهيَّات بإدراكٍ ساذجٍ من غير حُكْمٍ معه، وإمَّا تصديقٌ، أي: حُكْمٌ بثبوت أمرٍ لأمرٍ⁽¹⁾.

هذا، وقد ذكر الجرجانيُّ للعلم تسعةَ تعريفاتٍ⁽²⁾، وتوسَّع حاجي خليفة في مقدمة "كشف الظنون" فذكر للعلم خمسةَ عشرَ تعريفاً⁽³⁾، لم يخلُ واحدٌ منها من مُلاحظةٍ ودخَل؛ وذلك لاختلاف أهلِ العلم في تصوُّر ماهيَّة العلم المُطلَق: هل هو ضروريٌّ، أو نظريٌّ يَعسُرُ تعريفه، أو نظريٌّ غير عسيرِ التعريف، ورجَّح الثالث، وذكر التعريفات، وكلُّها جامعةٌ مانعةٌ على النَّسبة لا على الإطلاق، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:89].

وانطلاقاً مما سبق؛ يمكن إيجاز القول بأنَّ العلم يتضمَّن معنى التيقُّن والاعتقاد، وإدراك الواقع عن طريق الحواسِّ أو غيرها، والمعنى الحقيقي للفظ "العلم" هو الإدراك، وقد يُطلق على مجموع المسائل والمبادئ التصوُّريَّة والمبادئ التصديقيَّة والموضوعات، وأما حدُّه الحقيقي فإنما هو بتصوُّر مسأله أو بتصوُّر التَّصديقات المتعلِّقة بها؛ فإنَّ حقيقة كلِّ علمٍ مسائلُ ذلك العلم، أو التَّصديقاتُ بها⁽⁴⁾.

والعلاقة بين المعاني اللغوية وهذا المعنى الاصطلاحي؛ أن صاحب العلم له دراية بما يعلمه؛ تبين له الحقيقة والزيغ، والمظهر والمخبر، والمبدأ والمآل،

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1/644.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص 155.

(3) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1/4.

(4) صديق حسن خان، أبجد العلوم، ص 39.



وله علامة تميزه عن غيره، فهو كالراية الشامخة في أعلى الجبل؛ مرفوع القدر والرأس، بيّن في المقام والمقدار.

أهمية العلم:

للعلم أهمية كبرى في الدين الإسلامي، وتتجلى فيما يأتي:

(1) اشتقاق اسم من أسماء الله الحسنى منه:

فمن أسمائه تعالى: "عالم" و"عليم"، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: 26]، والعالم والعليم صفتان مشتقتان من العلم؛ فالعالم اسم الفاعل، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم⁽¹⁾. فهو سبحانه عالمٌ بجميع المعلومات والموجودات والمعدومات⁽²⁾، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]؛ يحيط ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفاتحته... وهذا من حيث كثرة المعلومات؛ وهي لا نهاية لها، ثم يكون العلم في ذاته؛ من حيث الوضوح والكشف على أتم ما يمكن فيه⁽³⁾. وهو تعالى "المعلم" الأول، فقد نسب سبحانه ذلك إلى نفسه في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، وقوله عز وجل: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 4-5].

(1) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 50.

(2) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 60.

(3) الغزالي، المقصد الأسنى، ص 86.



(2) إكساب العلم وبثه أحد المهام التي بُعث بها الأنبياء والمرسلون:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. وفي الحديث: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ؛ أَعَلِّمُكُمْ»⁽¹⁾.

والعلم أحد القيم المحورية في الهدي النبوي، فإنما أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ «مُعَلِّمًا ميسِّراً»⁽²⁾، بكتاب الله ورسالته، فبين ﷺ خاص القرآن وعامه، وفسر مجمله ومهمه، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]⁽³⁾.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم خاصة دون غيره⁽⁴⁾، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وفيه أدل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله تعالى إيَّاه. فكان ﷺ يسأل الله دائماً زيادة العلم، ففي الحديث: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا»⁽⁵⁾، وهذا دليل على فضل العلم، وحثُّ على التزوُّد منه ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً⁽⁶⁾.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 8، 8/1. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 313، 114/1. وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 7409، 372/12.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1478، 1104/2.

(3) المَرْوَزِي، السُّنَّة، ص 35.

(4) الرازي، التفسير الكبير، 407/2.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3664، 504/5. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3833، 9/5.

(6) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 1072/6.



وقد صنف كثير من علماء الحديث كتبهم؛ فجعلوا كتاب العلم ثالثاً بعد كتاب بدء الوحي، وكتاب الإيمان، وضمّنوه فضل العلم وضرورته وأدابه والحرص عليه وطرق التعليم وأساليبه وأحكامه...⁽¹⁾.

وعن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف صدر أهل العلم يفسّرون ويشرحون ويجمعون ويُبَيِّنون، ولقد قيّض الله - سبحانه وتعالى - في كلّ عصر ومصر علماء قاموا بكشف دقائق العلوم، وتبيين حقائقها، فمنهم: من استنبط المسائل من الدلائل؛ فأصل وفرّع، ومنهم: من جمع، وصنّف؛ فأبدع، ومنهم: من هدّب، وحرّر؛ فأجاد، وحقّق المباحث فوق ما يُراد، رحم الله أسلافهم، وأيد أخلافهم⁽²⁾.

(3) العلم قيمة من القيم القرآنية المركزية:

اهتمّ القرآن الكريم بقيمة العلم اهتماماً ظاهراً، وذكر العلم وما اشتقّ من مادّته فيما يربو على سبعة آيات، منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:9]، وقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28].

ومن ذلك الاهتمام:

(1) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، 33/1.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 51/1.



- افتتَحُ الله تعالى رسالة السَّماء الأخيرة بالأمرِ بالعلم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وجعل العلمَ طريقًا إلى كرامته - سبحانه - وإكرامه، فقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3].

- جعلُ العلم سبيلًا إلى الرفعة:

خصَّ الله ابنَ آدم بالعقل أداةً للعلم، وجعلَه ميزةً للإنسيِّ وأصلًا من أصول كرامته وتميُّزه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، ثمَّ جعلَ له العلمَ معراجًا يسلكُ في شرفِ مسائله وأصوله وفروعه ومجالسةِ أهله سبيلَ الرفعة؛ حتى يُدركَ به أشرفَ الأحساب، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وصراطًا يسلكه فيوصله إلى معرفة الله وخشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وكلما كثر العلم زادت الخشية، وكلُّ عَزٍّ لم يؤكَّد بعلمٍ؛ فإلى ذلِّ ما يصير⁽¹⁾.

- فتحُ القرآن الكريم أبواب علوم الدنيا

وقد فتح الله تعالى لخلقه في علمه المقروء - الوحي - بابَ علمه المنظور - الكون والحياة -، وفتح لهم بتدبرِ آياته القرآنية أبوابَ التفكُّر في آياته الكونية، وآياته التكوينية، فقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا

(1) من قول الأحنف بن قيس، ينظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 256/1.



سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: 190، 191]، وآيات كثيرة أخرى، تفتح من علوم الدين أبواب علوم الكون والحياة.

وقد نبغ علماء المسلمين في كلا الصنفين، وتصدروا في كلتا السبيلين، فكان منهم من جمع الفلسفة والمنطق إلى الفقه والحديث، وعلوم القرآن إلى الطب والهندسة والحساب، وما ذلك إلا لوعيمهم بشمول أمر الله تعالى وتوجيهات رسوله ﷺ في طلب العلم سائر النوعين، ومن أمثلة هؤلاء العلماء: أبو القاسم الزهراوي؛ أول من اخترع أدوات الجراحة، وابن سينا؛ أول من أرسى قواعد علم الطفيليات، وأول من اكتشف عضلات العين، وابن النفيس؛ الذي قدّم وصفًا للدورة الدموية لم يسبق إليه، وابن خلدون، وابن راشد، والطبري...

- أمر القرآن الكريم بالتعلم عن طريق التفكير والنظر والاعتبار.

أمر - سبحانه - في كتابه بالنظر، فقال: **﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الأعراف: 185]، وهذا نصٌّ بالحث على النظر في جميع الموجودات، فإنَّ الموجودات إنَّما تدلُّ على الصَّانع لمعرفة صَنعتهَا، وأنَّه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتمَّ كانت المعرفة بالصانع أتمَّ، وكأنَّ الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلُّب معرفتها به، وذلك بيِّن في غير ما آية من كتاب الله عز وجل⁽¹⁾، ومن ذلك قوله سبحانه: **﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾** [ق: 6]، **﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾** [الغاشية: 17 - 20].

(1) ينظر: ابن رشد الحفيد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص 22.



وذكر - سبحانه - التفكر في معرض المدح، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 54].

وأيضاً ذمَّ المعرضين فقال: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105]⁽¹⁾.

(4) العلم قيمة من قيم الهدي النبوي:

ومن الأحاديث التي أكد فيها النبي ﷺ المنزلة العالية التي أولاها الإسلام لقيمة العلم قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»⁽²⁾.

فالعلم في الإسلام: إرث الأنبياء، وطريق الجنة، وسبب لاستغفار المخلوقات لطالبيه، ووضع الملائكة أجنتها لسالكه، وكفى بهذا الفضل أن يشجذ الهمة لطلب العلم، والاجتهاد فيه، والصبر له.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 327/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3641، 485/5. والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2682، 414/4. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 223، 150/1.



وإذا كان العلم في الإسلام بهذه المرتبة العالية، والمنزلة السامية؛ فإنَّ الجَهل من شرِّ الأمور التي حذَّر منها ديننا الحنيف، فقد وصف الله تعالى في كتابه المعرضين عن التفكُّر والتدبُّر، الممتنعين من النظر والتعقُّل، في الخلق والكون والحياة، المخالفين للأنبياء؛ وصفهم بالجاهلين في أكثر من موضع، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111]، وقوله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64].

(5) العلم واحد من الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية:

اهتمت الحضارة الإسلامية خلال تاريخها الطويل، وعصورها المتلاحقة، بالعلوم الإنسانية والكونية على اختلاف تفرعاتها، ومختلف مجالاتها؛ حيث انفتحت عليها، وتفاعلت معها، واستفادت منها، وأثَّرتْها وطورتها، انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم إلى طلب العلوم، والتأمل في النفس الإنسانية، والتفكر في الأبعاد الكونية؛ لتحقيق عمارة الأرض ونفع البشرية.

ويمكن أن نبسط الحديث عن عناية الحضارة الإسلامية بالعلم من خلال النقاط الآتية:

أولاً- التكامل بين العلم والدين أسس للحضارة الإسلامية:

هناك تكامل بين الدين وبين العلم بمفهوميه الخاصَّ والعامَّ؛ فالعلم يهتم بمعرفة طبائع الأشياء وبُنَيَّاتها، ويكشف أنظمة عملها، أما الدين فيهتم بمعاني الأشياء وغايات الأفعال، وبذلك يكمل بعضهما بعضاً، وإنَّ النصوص ووقائع التاريخ تثبت يقيناً التَّكامل بينهما، وأنَّ الحياة بجزئها الروحيِّ والماديِّ لا



تتقدم إلا بالأخذ بهما جميعاً، ومعلوم كذلك أنّ العلم بمعناه التجريبيّ ازدهر في ظل الإسلام بشكل لم يسبق له نظير، وكان علماءنا المسلمون المؤسّسين الأوائل لعدّة علوم ونظريّات في الرياضيّات والفيزياء والطبّ وغيرها.

ولا أدلّ على هذا التّكامل والتّعاوض بين العلم والدّين من كونه الأساس الذي انبثّت عليه المنظومة العقديّة، والمفتاح الذي فُتح به باب النبوة لسيد الخلق ﷺ؛ إذ خُصّت به أولى الآيات التي تنزّلت عليه في بدء الوحي، وهي قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:1-5]. فورود التّكليف بالقراءة في هذه الآيات إشارة إلى أن روح الدّين ومقصد الرّسالة إنّما هو الدّلالة على الجمع بين معارف الوحي وخبرات العلم، وذلك معنى الجمع بين مفهومي القراءة والخلق في هذه الآيات التي كانت باكورة أيّ الكتاب المبين، وطليلة تكاليف الرّسالة الخاتمة.

وقد التفت بعض العلماء إلى ما في أولى هذه الآيات من حذف مفعولي (اقرأ) و(خلق)، وما يدلّ عليه ذلك من اتّساع مجال القراءة المأمور بها، على قدر سعة موضوع الخلق المخبر به، فكانت تلك إشارة إلى أنّ المطلوب من النّبيّ الخاتم ﷺ وأتباعه أعمالٌ مختلف وسائل القراءة للكتاب المسطور وللكون المنظور، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما بين الوحي والعلم من تعانق وثيق وترابط متين⁽¹⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 437/30.



ومما يزيد ذلك تأكيداً ما حفلت به النصوص القرآنية والنبوية من الأمر
باحترام العلم والعلماء، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۖ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 27-28].

وقد ورد الحديث في أكثر من ألف آية عن الكون بمختلف أجزائه، من
سما وأرض وشمس وقمر ونجوم وسحاب وجبال وإنسان وحيوان... وغيرها،
كما وردت آيات وأحاديث كثيرة تدلّ على مشروعية أعمال العقل وثمراته
العلمية والمعرفية في اكتشاف آفاق الكون الفسيح، كما تبين أن الدين لا
يعارض التقدم العلمي، بل يأمر به ويدعو إليه. ومما ينبغي الاعتناء به في هذا
الصدد ترسيخ هذه العلاقة التكاملية بين العلم والدين، وتفنيد مغالطات
التعارض بينهما.

ثانياً- عناية الحضارة الإسلامية بالعلوم الإنسانية:

كان للعلماء المسلمين عبر التاريخ عناية بالغة بالعلوم الإنسانية؛ حتى برع
منهم فيها أفذاذ، وبرز منهم رواد؛ أسهموا في تقدم الحضارة الإسلامية، وإثراء
المعرفة الإنسانية، ومن تلك العلوم:



- الفلسفة:

وتعني: البحث العقلي عن حقائق الموجودات، والتفكير العميق في مبادئها الجوهرية؛ لمعرفة المبدع الأول، وتحقيق السعادة للإنسان⁽¹⁾، والفلسفة في أصل وضعها كلمة يونانية، تتكون من: (فَيْلَا) ومعناها: يحب، و(سُوفَا) ومعناها: الحكمة، وعلى هذا؛ فالفيلسوف هو الشخص الذي يحب الحكمة، أو يشتغل بالحكمة⁽²⁾. وهو المعنى ذاته الذي عبرت عنه كلمة الحكمة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]، فإنها في هذا السياق تعني الفهم الدقيق للإنسان والوجود، وترجمة ذلك إلى مبادئ ومعان عميقة، يهتدي بها الإنسان إلى تحقيق الغاية التي خُلق من أجلها.

وتعد الفلسفة إحدى أهم مشكلات الحضارة الإسلامية؛ لدورها في رقي الحضارة وتقدمها؛ حيث إنها تؤكد على أن العالم والحياة لهما قيمة ذاتية، وتبعاً لذلك فإنها تدفع الإنسان للارتقاء إلى أسى قيمة يمكن الوصول إليها⁽³⁾، فالفلسفة - كما قال الكندي - هي "أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة"⁽⁴⁾؛ ذلك لأنها من العلوم الخادمة لبقية العلوم، من خلال إقامة الحجج،

(1) ينظر: ابن رشد، فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص 27، والجرجاني، التعريفات، ص 169.

(2) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 822.

(3) ينظر: ألبرت أشفيتسر، فلسفة الحضارة، ص 113.

(4) الكندي، كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، ص 77.



وتعليم الحصول على الحلول ووسائل الإقناع. كما قال الفيلسوف الألماني هيدجر: "إن العلوم لا تكون إلا إذا تقدّمتها الفلسفة وقادتها"⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق اشتغل العلماء المسلمون بالفلسفة، واهتموا بها؛ نقلًا وترجمة، وشرحًا وتفسيرًا، ونقدًا وتصحيحًا، وإضافة وابتكارًا؛ وبنوا عليها فهمهم للموجودات، بوصفها علمًا عقليًا تحتاج إليه كل الحضارات، ومن أمثالهم:

أ. يوسف بن يعقوب الكندي، (ت 256هـ)، وكان يلقب بفيلسوف العرب.

ب. أبو نصر محمد الفارابي (ت 339هـ)، ويطلق عليه: (المعلم الثاني) بعد أرسطو.

ت. الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت 428هـ)، واشتهر بلقب: الفيلسوف الرئيس.

ث. محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (ت 595هـ)، وعرف بالشارح، لشرحه تراث أرسطو.

(1) مارتن هيدجر، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلن وماهية الشعر، ص36.



- علم الاجتماع:

وهو علمٌ يبحث في نشوء المجتمعات الإنسانية، ونُمُوها، وطبيعتها، وقوانينها، ونُظُمها، فيفسر سلوك أفرادها، ويدرس تفاعلاتهم، بهدف ديمومة الكيان الاجتماعي وتطوره⁽¹⁾.

وعلم الاجتماع من أهم ما يساعد المجتمعات على بناء حضارتها وفق منهج منضبط؛ يدرس العوامل المؤثرة في السلوك الإنساني، ويوجه إلى فهم القضايا الاجتماعية، وكيفية تأثيرها على المجتمعات، ويساعد على فهم أسباب المشكلات الاجتماعية، وتطوير سبل حلها، كما يعين على فهم الثقافات المختلفة؛ لبناء حضارة إسلامية أكثر تسامحًا وتماسكًا، وعدالة وفاعلية⁽²⁾.

ومن أوائل العلماء المسلمين الذين اهتموا بهذا العلم:

أ. أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421هـ)، صاحب كتاب: "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"؛ الذي رصد فيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية.

ب. عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)، أشهر علماء الاجتماع المسلمين، صاحب: "مقدمة ابن خلدون" الشهيرة.

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 393/1، وعبد الجبار، نبيل عبد الحميد، تاريخ الفكر الاجتماعي، ص178.

(2) ينظر: النبالي، علم الاجتماع، ص151.



- علم التاريخ:

وهو العلم الذي يوثق أخبار الماضين، ويسجل أحداث أيامهم، ويُوقِفُ على أسبابها، وسياقاتها، وتأثيراتها على الحضارات؛ بهدف الاطلاع على التجارب الإنسانية المختلفة، وفهم السنن الكونية في قيام الحضارات وازدهارها، وتوظيف ذلك في بناء حاضر متقدم، ومستقبل مزدهر، قال ابن فضل الله العمري: "ولولا التاريخ لماتت الدول بموت زعمائها، وخفي عن الأواخر حال قدمائها"⁽¹⁾. فإن التاريخ متصل الحلقات مترابط المراحل، يبني اللاحق فيه على عمل السابق، و"لولا أن الجيل الثاني ينتفع بما أنشأه الأول؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه"⁽²⁾.

ولأهمية التاريخ في بناء الحضارات؛ اهتمت به كل الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم؛ الذي حث على دراسة تاريخ الأمم والأقوام والحضارات، وقصَّ من أنبيائهم وأخبارهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: 100]، فأورد قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر عددًا من الأمم وحضاراتهم، كحضارة سبأ، وحضارة ذي القرنين.

وقد التقط علماء الحضارة الإسلامية هذه الإشارات القرآنية، فبرز منهم مؤرخون بارعون، ألفوا موسوعات تاريخية ضخمة، وثقوا فيها وقائع التاريخ الإنساني، وأحداث الماضي البشري، ومن أبرزهم:

(1) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 293/12.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص144.



أ. محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، في كتابه "تاريخ الرسل والملوك"،

الذي أورد فيه التاريخ الإنساني من بدء الخلق إلى عصره.

ب. علي بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ)، في كتابه "الكامل في التاريخ"،

الذي جمع فيه أخبار الملوك والأعيان والعلماء والفضلاء في الشرق

والغرب، منذ أول الزمان إلى عصره.

ت. إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، في كتابه "البداية والنهاية"،

الذي يعد عملاً موسوعياً ضخماً، أرخ لأحداث بدء الخليقة وما

تلاها إلى عصره، إضافة إلى الأحداث المستقبلية الماثورة.

ث. عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)، في كتابه "العبر وديوان

المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن

الأكبر". وهو من أبرز الدواوين التاريخية، تحدث فيه مؤلفه عن

تاريخ الأمم، وما فيه من دروس تفيد الحضارات الإنسانية.

- علم الآثار:

وهو العلم الذي يُعنى بالموروثات المادية المحسوسة التي خلفها

الإنسان، واكتسبت قيمتها الأثرية من تراكم الزمن عليها، كالأبنية، والتماثيل،

والنقود، وغيرها؛ للتعرف على مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في

عصورها الماضية، واستخلاص قيمها العلمية والثقافية والجمالية.

ولقد اهتم المسلمون عبر عصور الحضارة الإسلامية بالآثار، ومن ذلك

ما نقلته لنا كتب التاريخ من عناية ولادة الأمور بها؛ حفظاً وترميمًا، "وما زالت

الملوك تُراعي بقاء هذه الآثار، وتمنع من العبث فيها والعبث بها...، وكانوا يفعلون



ذلك لمصالح؛ منها: لتبقى تاريخاً يتنبه بها على الأحقاب، ومنها: أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة، فإن القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها، ففي رؤيتها خبر الخبر، وتصديق الأثر، ومنها: أنها تدل على شيء من أحوال من سلف، وسيرتهم، وتوافر علومهم، وصفاء فكرهم، وغير ذلك⁽¹⁾.

كما نقلت إلينا كتب التاريخ عناية العلماء بالآثار؛ تدويناً وتوثيقاً، ومن أبرزهم:

أ. محمد بن عبد الله الأزرقى (ت 250هـ)، في كتابه المشهور "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار".

ب. ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، الذي اهتم بآثار مصر، وعجائبها، وحسن صنعتها، في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار".

ت. أحمد بن علي المقرئ (ت 845هـ)، الذي ألف كتابي "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، و"آثار البلاد وأخبار العباد"، وهما من أهم كتب الآثار، ذكر فيهما كثيراً من البلدان، ووصف ما فيها من آثار القدماء، وما تحتويه من ذخائر مدفونة⁽²⁾.

(1) البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ص 34.

(2) النذير قوادرية، التعامل مع الآثار في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية: دراسة أنموذجية، ص 258-261.



ثالثاً- عناية الحضارة الإسلامية بالعلوم الكونية:

اعتنى العلماء المسلمون عبر تاريخهم الحضاري بالعلوم الكونية عناية كبيرة، دراسة وتطويراً، مما أسهم في الرقي بالحضارة الإسلامية، ومن تلك العلوم:

- علم الفلك:

وهو العلم الذي يهتم بدراسة الأجرام السماوية؛ من نجوم، وكواكب، ومجرات، وطرق تكونها، وتركيبها، وتطورها، وخصائصها، وحركتها، وأبعادها، وعلاقة بعضها ببعض، وما لها من تأثير في الأرض⁽¹⁾.

وكان العرب يسمون علم الفلك بأسماء عدة، أشهرها: "علم الهيئة"، و"علم الأنواء"، و"علم أحكام النجوم"⁽²⁾.

ولعلم الفلك دور كبير في الحضارة الإسلامية؛ إذ هو أحد سبل تقدمها، وازدهارها، وصلتها بالحضارات الأخرى؛ ذلك أنه يُمكن من فهم الكون وتطوره ومستقبله، ومعرفة الأوقات والتواريخ، ويعين على تحديد المواقع ودراسة المناخ.

ولقد اهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك، وبحثوا فيه وفق قواعد علمية خالصة⁽¹⁾، خاصة بعد ترجمة كتب الفلك اليونانية إلى اللغة العربية، فتوصلوا

(1) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 1002/2، ومجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 7397/24.

(2) مكتبة الإسكندرية، إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في علوم الفلك، من واقع المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر، ص 8-9.



لعدد من الحقائق العلمية، التي لم تكن شائعة آنذاك؛ من مثل: كروية الأرض، ودورانها.

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم أمران:

أ. اهتمام القرآن الكريم: فقد ذكر القرآن الكريم عددًا من الأجرام السماوية، مثل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: 12]، وأشار إلى حركتها وتعاقبها ومنازلها، قال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 38-40]، كما نبه إلى ثمراتها وفوائدها، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 97].

ب. ارتباط الشعائر الإسلامية بحركة الكواكب: فإن تحديد القبلة للصلاة، ومعرفة مواقيتها، ودخول شهر رمضان وانقضاؤه، وكذلك أشهر الحج؛ كل ذلك مرتبط بحركة القمر، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189].

ومن أبرز علماء الفلك في الحضارة الإسلامية:

(1) ديورانت، قصة الحضارة، 13/183.



أ. محمد بن جابر البتّاني (ت 317هـ)، صاحب كتاب "الزيج"، أي: الجداول الفلكية، الذي صحح فيه الجداول الفلكية لبطليموس، وكتاب: "معرفة مطالع البروج فيما بين أربع الفلك".

ب. محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 387هـ)، أحد مؤسسي علم الفلك، ومن أهم كتبه: "زيج الخوارزمي"، الذي يضم جداول فلكية دقيقة.

ت. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، الملقب ببطليموس الثاني، قدم إسهامات في البصريات تأثر بها علم الفلك.

ث. عمر بن إبراهيم الخيام (ت 515هـ)، عُرف بإصلاحه للتقويم الجلال⁽¹⁾ الذي كان أكثر دقة من التقويم اليولياني (الرومي)⁽²⁾.

ج. محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)، صاحب كتاب: "الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب"، الذي وضع فيه نظرية بسيطة لقياس محيط الأرض بدقة لا تختلف كثيرًا عن القيمة المعروفة حاليًا.

- علم الطب:

وهو العلم الذي يهتم بالأدواء والأمراض والعلل البدنية والنفسية، ويسعى إلى الوقاية منها، وإيجاد أدوية لها، وعلاجات تناسبها.

(1) هو تقويم شمسي دقيق، تم تطويره في القرن الحادي عشر الميلادي، بأمر من السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقي. ينظر: مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 2103/7.

(2) وهو التقويم الذي فرضه يوليوس قيصر سنة 46 ق.م، ينظر: مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 9268/30.



ويحتل هذا العلم مكانة خاصة في أي حضارة؛ إذ هو المحك الذي يقاس به تقدمها؛ لذا فقد شغل حيزاً كبيراً من اهتمام العلماء المسلمين، استناداً إلى القرآن الكريم، والهدي النبوي القويم، ففي القرآن الكريم دعوة صريحة إلى العناية بالصحة؛ رعاية ووقاية وعلاجاً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام: 141]، قال أهل التفسير: "قد جمع الله الطب كله في هذه الآية"⁽¹⁾. وكذلك نجد في الهدي النبوي حثاً على الحفاظ على الصحة، كقول النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»⁽²⁾، ونجد فيه أيضاً الحض على سلوك سبل العلاج، كقوله ﷺ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً»⁽³⁾.

وقد حوّل المسلمون عبر تاريخهم الحضاري هذه التعاليم الربانية والتوجيهات النبوية إلى واقع عملي، فاهتم حكامهم وعلمائهم بعلم الطب أيما اهتمام.

أ. فمن اهتمام الحكّام بعلم الطب:

- بناء مدارس طبّية، ومن أشهرها: المدرسة الذاخورية في دمشق؛ التي تُعرف أيضاً باسم (البيمارستان الذاخوري)، والتي أسست سنة (565هـ).

(1) السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، دط، دت، 511/1.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 19599، 529/19، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:

2038، 561/3.



- بناء المستشفيات في المجالات الطبية المختلفة؛ الجسدية والنفسية، وكانت هذه المستشفيات تضم مرافق صحية، تشمل مأوي العجزة والعميان، ومحطات الإسعاف⁽¹⁾، تقول زيفريد هونكة (ت 1999م): "فكل مستشفى بنظامه وكل معمل كيميائي وكل صيدلية وكل مخزن أدوية إنما هو نصب تذكاري للعبقرية العربية"⁽²⁾.
- بناء الصيدليات، والعناية بها، ومراقبة أدويتها⁽³⁾، تقول زيفريد هونكة: "كل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، وكل حبة من حبوب الدواء؛ إنما هي تذكّار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد الغرب؛ الطبيب العربيين العظيمين وأستاذي أوروبا ألا وهما الرازي وابن سينا"⁽⁴⁾.
- تعيين موظفين لمتابعة الإجراءات الصحية في الأسواق.
- سنّ التشريعات التي تكفل المحافظة على البيئة من التلوث الممرض.
- وغيرها من الإجراءات التي تحافظ على صحة الناس وسلامتهم.

(1) ينظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 150

(2) زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 334، 335.

(3) الدفاع، إسهامات علماء العرب في الصيدلة، ص 142.

(4) زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 334، 335.



ب. ومن اهتمام العلماء بعلم الطب: أنهم ألّفوا فيه مؤلفات، وأسسوا فيه نظريات، وترجموا الكتب التي اعتنت به من الحضارات الأخرى.

ومن أبرز علماء الطب المسلمين:

أ. سليمان بن حسان، المعروف بابن جليجل، (ت بعد: 377هـ)، طبيب قرطبة، صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء"، وكتاب "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس"⁽¹⁾.

ب. محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)، صاحب كتاب "الصيدلة في الطب"، استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية، ومعرفة أسمائها، واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيها، وقد رتبته على حروف المعجم⁽²⁾.

ت. عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأشبيلي (ت 557هـ)، صاحب كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد"⁽³⁾.

ث. الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالريّيس، (ت 428هـ)، برز في الطب "حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون

(1) ينظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 190، والخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 493.

(2) الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 459.

(3) ينظر: الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 517، ودشدهش، الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 441.



عليه علم الطب"⁽¹⁾. له عدة تصانيف في الطب، من أهمها: "القانون"، وهو مرجع مهم من مراجع الطب التاريخية، بقي مُعَوَّلًا عليه في علم الطب وعمله ستة قرون، وترجم إلى لغات كثيرة، وكان يدرّس في مدارس أوروبا زمنًا⁽²⁾.

ج. علي بن أبي الحزم ابن النفيس، (ت 687هـ)، وهو "أعلم أهل عصره بالطب"⁽³⁾، من كتبه: "الشامل في الطب"، و"بغية الطالبين وحجة المتطبين"، و"الموجز"، وهو اختصار لقانون ابن سينا.

ح. محمد بن زكريا الرازي، (ت 313هـ)، أحد الأئمة في صناعة الطب، له تصانيف كثيرة جدًا في الطب، ومن أهمها: "الحاوي في الطب"، وهو أَجَلُّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية. و"الفصول في الطب"⁽⁴⁾.

- علم الرياضيات:

هو علم يُعنى بدراسة الأعداد، والكميات، والأشكال، والتراكيب، والتغيرات التي تحدث لها، والعلاقات المنطقية بينها، ويشمل: الجبر، والهندسة، والإحصاء، وغيرها.

(1) الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 438.

(2) الزركلي، الأعلام، 2/242.

(3) السابق، 2/271.

(4) السابق، 6/129-130.



ولقد اهتمت جميع الحضارات - ومنها الحضارة الإسلامية - بالعلوم الرياضية؛ بوصفها عَصَب الحضارة الإنسانية، وإحدى أهم المؤشرات على تطورها، وأبرز الأدلة على تميّزها وتقدمها؛ لأنها تدخل في جل مجالات العلوم؛ من فلك، وفيزياء، وعمارة، وهندسة، وكيمياء، واقتصاد، وغيرها⁽¹⁾.

ومن أهم من أنجبهم الحضارة الإسلامية من علماء الرياضيات:

- أ. محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 387هـ)، مؤسس علم الجبر، وصاحب كتاب "المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، الذي كان له تأثير كبير على تطوير علم الرياضيات⁽²⁾.
- ب. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، قال الصفدي: "لم يماثله أحدٌ من أهل زمانه في العلم الرياضي"⁽³⁾. من أبرز كتبه في الرياضيات: "مساحة المجسم المتكافئ" نشر بالألمانية⁽⁴⁾.
- ت. أحمد بن محمد ابن البناء (ت 710هـ)، من كتبه: "المقالات" في الحساب، و"تلخيص أعمال الحساب"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص51، وعرابي، علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين، ص34.

(2) ينظر: دونالد هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ص37، والدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص76.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 321/11.

(4) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص129.

(5) الزركلي، الأعلام، 222-221/1.



- علم الفيزياء:

ويسمى "علم الطبيعة"، وهو العلم الذي يبحث في خصائص المواد، وطبيعتها، وبنيتها، ومكوناتها، وتفاعلاتها، ويدرس الظواهر الحركية للأجسام، والقوى المؤثرة، كما يدرس سلوك الأشياء تحت التأثيرات المختلفة، بهدف فهم ظواهر الكون الطبيعية وتفسيرها، من خلال التجربة، والملاحظة، والقياس، والتحليل، ومن ثم صياغة مبادئ شاملة لها⁽¹⁾.

ولقد كان لعلم الفيزياء بتشعباته المختلفة - وما زال - دور أساس في إقامة الحضارات، ومنها الحضارة الإسلامية؛ إذ إن فهم الطبيعة يساعد على الابتكار والاختراع، ومن ثم التطور والتقدم؛ لذا نجد علماء المسلمين قد أولوه عنايتهم، وصرفوا إليه همتهم، مهتدين بالآيات القرآنية الكثيرة، الداعية إلى النظر والتأمل والتحليل، كقول الله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، فكان ممن برز منهم في هذا العلم:

أ. عبد الرحمن الخازني (ت 550هـ)، صاحب كتاب "ميزان الحكمة"؛ الذي يعد موسوعة علمية في علم الميكانيكا (حركة الأجسام أو سكونها تحت تأثير قوى معينة).

ب. هبة الله ابن ملكا البغدادي (ت 560هـ)، صاحب كتاب "المعتبر في الحكمة"؛ الذي تناول فيه عدة قوانين فيزيائية،

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/1759.



منها: القانون الثالث من قوانين الحركة، الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه⁽¹⁾.

ت. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، واضع علم الفيزياء على أسسه العلمية الصحيحة، صاحب كتاب "المناظر" الذي يحتوي على اكتشافات كثيرة في الفيزياء⁽²⁾.

- علم الكيمياء:

ويسمى "الإكسير"، وهو العلم الذي يدرس المادة، وخواصها، وبنيتها، وتركيبها، وسلوكها، والتغيرات التي تطرأ عليها، والتفاعلات التي تمر بها لإنتاج مواد جديدة⁽³⁾. وقد ذكر الخوارزمي "أن لفظة الكيمياء أصلها عربي، مشتقة من كمي يكمي إذا ستر وأخفى"⁽⁴⁾، ولعل هذا سبب تسمية الرازي كتابيه في الكيمياء، بـ"الأسرار" و"سر الأسرار"، وقال بعض الباحثين: مشتقة من الكم أو الكمية؛ وذلك لأن علماء المسلمين كانوا يقولون: إذا أضفنا كمية من هذه المادة إلى كميتين أو ثلاثة من المادة الثانية؛ نتج كذا⁽⁵⁾.

ولعلم الكيمياء أثر بالغ في الحضارة الإسلامية والإنسانية؛ لأن له مدخلاً في كثير من العلوم؛ كالطب، والصيدلة، والزراعة، كما يعد حجر الزاوية في تطوير عدد من الصناعات والمهن.

(1) ينظر: الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص 129.

(2) السابق، ص 123-124.

(3) ينظر: القنوجي، أبجد العلوم، ص 456.

(4) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 277.

(5) صبيح سليمان، الكيمياء الشيقة، ص 11.



ولقد اهتم العلماء في الحضارة الإسلامية بعلم الكيمياء، حتى قال بعض الباحثين: "إنهم هم الذين ابتدعوه بوصفه علمًا من العلوم؛ ذلك أنهم أدخلوا إليه الملاحظة الدقيقة، والتجربة العلمية، والعناية برصد نتائجها، بعد أن كان قائمًا على الفروض الغامضة"⁽¹⁾.

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم؛ دعوة القرآن إلى معرفة نشأة الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، ومن منطلقاتهم أيضًا: ذكر القرآن الكريم كثيرًا من العناصر الكيميائية، كالذرة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].

ومن أبرز علماء الكيمياء في الحضارة الإسلامية:

أ. خالد بن يزيد (ت 90هـ)، وهو أول من تكلم في علم الكيمياء، ووضع فيه كتبًا، من أهمها: "السر البديع في فك الرمز المنيع"، و"فردوس الحكمة في علم الكيمياء"، و"مقالتا مريانوس الراهب"⁽²⁾.

ب. جابر بن حيان (ت 200هـ)، الملقب بأبي الكيمياء، الذي وضع أسس المنهج التجريبي في علم الكيمياء، حتى صار الكيمياء يعرف في أوروبا بـ (صنعة جابر)⁽³⁾.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، 13/187.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 2/1531، وابن خلكان، وفیات الأعيان، 224/2.

(3) ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 1/666.



ت. محمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ)، من أهم كتبه: "سر الأسرار"؛
الذي اشتمل على معرفة العقاقير، والآلات، والتدابير
(التجارب).

وهكذا فقد كان للعلماء المسلمين إسهامات في شتى العلوم، وذلك إيماناً
بواجب المشاركة والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، واقتداء بالأنبياء عليهم
السلام، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه القيمة - المساهمة في بناء الحضارة
الإنسانية - في فكر الأنبياء عليهم السلام عند الحديث عن قيمة المواطنة.

- رابعاً- وفرة المؤلفات عن العلوم في المكتبة الإسلامية:

يصعب حصر المؤلفات التي كان العلم موضوعاً في المكتبة الإسلامية، ولعلَّ
من أهمّها وأشهرها:

أ. إحصاء العلوم، للفيلسوف أبي نصر الفارابي (260 - 339 هـ، 874 -
950 م)، صنّفه في القرن العاشر الميلادي لإحصاء العلوم المعروفة في عصره،
والتعريف بأغراضها في خمسة فصول؛ بهدف إعانة طُلّاب المعرفة على أن
يعرفوا موضوع العلم الذي يريدون أن يتعلّموه، ويبصّرهم بمنفعته والغاية
منه، ويمكّنهم من أن يوازنوا بين العلوم ليتبيّنوا أفضلها وأوثقها وأتقنها، وأن
يميّزوا بين العالم الحقيقي والعالم المتفهم الذي يدّعي البصر بعلم من تلك
العلوم؛ دون أن يضطلع به أو يكون على بينة منه، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة
اللاتينية غير مرة إبان القرن الثاني عشر الميلادي⁽¹⁾.

(1) الفارابي، إحصاء العلوم، ص 15.



ب. الفهرست لابن النديم، (ت 438 هـ - 1047م)، ألفه محمد بن إسحاق بن النديم الوراق للتعريف بمختلف الفنون وما صيِّف فيها، وقد جود فيه واستوعب استيعاباً يدلُّ على إطلاعه على فنون من العلم وتحقُّقه لجميع الكتب⁽¹⁾، ولكن لابن حجر العسقلانيٍّ مأخذ على ابن النديم وكتابه تستحق النظر؛ ذكرها في "لسان الميزان"⁽²⁾.

ج. مفاتيح العلوم للخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، (387هـ)، ويبدو من حديث الخوارزمي في مقدِّمته أنه اعتمد في هذا التأليف على مراجع شتى لغويَّة وفقهية وعروضية وفلسفية، كما رجع إلى ما يجري على ألسنة الكتَّبة والمتكلمين وغيرهم مما يكون لللفظ عندهم دلالة خاصة، فهو لم يُشير إلى كتاب بذاته؛ وإنَّما أشار إلى هذه المظانِّ كليها.

ولقد جعل الخوارزميُّ كتابه هذا - كما ذكر في المقدمة - مقالتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقتَرن بها من العلوم العربيَّة، والثانية لعلوم العجم من ليونيين وغيرهم من الأمم. وتنظم هاتان المقالتان خمسة عشر باباً، تضمُّ ثلاثة وتسعين فصلاً⁽³⁾.

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 6/2427.

(2) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، 6/557.

(3) ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 8.



يقول إبراهيم الأبياري محقق "مفاتيح العلوم": وما أظن أحداً سبق الخوارزمي إلى هذا الجمع، اللهم إلا إذا استثنينا: علي بن عباس، المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (384 هـ) الذي ألف في الطب⁽¹⁾.

أما من جاؤوا بعده ونهجوا مثل هذا النهج أوقريئاً منه فهم:

- (1) أبو حيان التوحيدي (400هـ)، وله: "المقابسات".
- (2) ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (421هـ)، وله: "أقسام الحكمة".
- (3) ابن سينا، أبو علي حسين بن عبد الله (428هـ)، وله - أيضاً -: "أقسام الحكمة".
- (4) أبو بكر بن خير البلوي (559)، وله: "أنموذج العلوم".
- (5) نشوان بن سعيد الحميري (573هـ)، وله: "شمس العلوم".
- (6) ابن الجوزي (597)، وله: "المدھش".
- (7) الفخر الرازي (606هـ)، وله: "حقائق الأنوار".
- (8) السكاكي (626هـ)، وله: "مفتاح العلوم".
- (9) نصير الدين الطوسي (672هـ)، وله: "أقسام الحكمة".

(1) وهو علاء الدين علي بن عباس الأهوازي الشيرازي الطبيب الفيلسوف، المعروف بابن المجوسي، المتوفى سنة 384 هـ - 994 م، وله كتاب "كامل الصناعة الطبية" وهو جامع كامل لكل ما يحتاج إليه المتطبب، طبع في بولاق سنة 1294 هـ. ويعرف كتابه هذا غالباً بالملكي؛ لأنه وجهه إلى الأمير عضد الدولة بن بويه وقد كان طبيبه. ينظر: إدوارد كرنيليوس فاندريك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، ص 217. وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 467/5.



- (10) نجم الدين الحراني (695هـ) وله: "جامع العلوم - أو: جامع الفنون - وسلوة المحزون".
- (11) محمد بن محمود الأملّي (753هـ)، وله: "نفائس الفنون".
- (12) شمس الدين محمد الأنصاري (794هـ)، وله: "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد".
- (13) الجرجاني علي بن محمد (816هـ)، وله: "التعريفات"، و"رسالة في تقسيم العلوم".
- (14) شرف الدين إسماعيل بن المقرّي (837هـ)، وله: "عنوان الشرف".
- (15) محمد شاه فناري (839هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
- (16) علي بن محمد (875هـ)، وله: "حل الرموز ومفاتيح الكنوز".
- (17) جلال الدين الدواني (907هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
- (18) جلال الدين السيوطي (911هـ)، وله: "النقاية".
- (19) عيسى الصفوي (953هـ)، وله: "أنموذج العلوم الإسلامية واللغوية".
- (20) طاش كبري زاده (962هـ)، وله: "مفتاح السعادة".
- (21) أحمد بن عبد الحق (990هـ)، وله: "روضة الفهوم في نظم نقاية العلوم".
- (22) أفضل الدين محمد (990هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
- (23) محمد بن علي سباهي زاده (997هـ)، وله: "أنموذج الفنون".
- (24) القاضي نور الله شوشتری (1019هـ)، وله: "أنموذج العلوم".



- (25) إبراهيم الهمداني (1025هـ)، وله: "الأنموذجية".
- (26) حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (1067هـ)، وله: "كشف الظنون".
- (27) أبو البقاء الكفوي (1094هـ)، وله: "الكليات".
- (28) أحمد رشيد المغربي (1096هـ)، وله: "تيجان العلوم".
- (29) محمد حسن الشرواني (1099هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
- (30) محمد باقر (1111هـ)، وله: "بحار الأنوار".
- (31) ساجقلي زادة المرعشي (1150هـ)، وله: "ترتيب العلوم".
- (32) التهانوي محمد أعلى بن علي (1158هـ)، وله: "كشف اصطلاحات الفنون".

ويرى الناظر فيما سبق من المصنفات أنها تصنّف العلوم في زمن أصحابها وترتبها عامة، أو تصنّف وترتب ما كُتب في علمٍ واحد خاصةً، يضاف إليها عشرات المصنّفات في المكتبة الإسلامية التي تدور في فلك فضل العلم وشرف أهله وأهم آدابه.

ويرى فيها - كذلك - اهتمام علماء المسلمين بالعلوم النقلية والعقلية، الدينية والدينية، ومدى قدرتهم على ابتكار العلوم الجديدة وتطويرها وترتيبها والإسهام فيها، دينية كانت كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، ويتبعها علوم اللغة، ورؤاها أمثال: البخاري، والشافعي، والشاطبي، وابن رشد، والفراهيدي، والكسائي، والغزالي...، أو دنيوية: كعلم الاجتماع، والفلسفة، والجبر، والكيمياء، والصيدلة، والأحياء، والآداب...، ورؤاها أمثال:



ابن سينا، وابن النفيس، وابن البيطار، وابن طفيل، وابن الهيثم، والجاحظ،
والفارابي، والزهرراوي، والكندي، والرازي، وابن رشد، وابن خلدون،
والخوارزمي، وجابر بن حيان...، وهذه الغزارة وهذا الأثر إنما يدلّان على سموّ في
الفكر الإسلاميّ، وانفتاح ورقيّ في العقل المسلم، يبيّن مدى قابليّته للتجدّد
والتجديد، وقدرته على المعاصرة والتأثير، والجمع والتأليف بين علوم الدنيا
والدّين، فهما المصطحبان بالطبع المتحابّان بالجوهر، مما يدفع الخلف على
اقتفاء أثر من سلف، وكم تركّ الأول للآخر!

(6) العلم أحد القيم الكبرى في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة:

عطفًا على الدور المحوري للعلم في بناء الحضارة الإسلامية، لا بد من
الوقوف على دوره وأهميته في سياسات دولة الإمارات العربية المتحدة في العصر
الحاضر، ومكانته المحورية في عملية بناء الدولة العلمية القوية؛ القدرة على
مواكبة تحديات المستقبل؛ إذ بدّلت الإمارات ولا تزال تبذل - بالرؤية المتبصرة
لقيادتها الرشيدة -، جهودًا كبيرة في سبيل تعزيز البحث العلمي والتطور
التكنولوجي في مختلف المجالات؛ انطلاقًا من رؤيتها المستقبلية، ففي المحور
الثاني من مئوية الإمارات 2071 إشارة واضحة إلى أهمية هذا الجانب التطبيقي
في تعليم المستقبل الرامي إلى "تعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا المتقدمة، لا
سيما في مجالات الفضاء والهندسة والابتكار والعلوم الطبية والصحية،
وترسيخ القيم الأخلاقية والتوجهات الإيجابية، التي تُعلي من مستوى الاحترافية
والمهنية في المؤسسات التعليمية، وبناء عقول منفتحة على تجارب الدول
المتقدمة، ووضع آليات لاستكشاف المواهب الفردية للطلبة منذ المراحل



الدراسية الأولى، وتمكين المدارس لتكون بيئة حاضنة في مجال ريادة الأعمال والابتكار، وتحويل المؤسسات التعليمية في الدولة إلى مراكز بحثية علمية⁽¹⁾.

هذا فضلاً عن استضافتها ورعايتها العديد من المؤتمرات والمعارض الدولية في مجالات العلوم والتكنولوجيا، والتي تسهم في تعزيز التبادل العلمي وتطوير المعرفة في الإمارات وخارجها⁽²⁾.

ولقد آتت جهود دولة الإمارات العربيّة المتّحدة ثمارها العلمية بشكل ملحوظ؛ إذ بوّأتها المركز الأول عربيّاً، والخامس والعشرين عالميّاً في تقرير التنافسية العالمية لسنة 2019 (باللغة الإنجليزية)، الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي⁽³⁾. كما تبوّأت دولة الإمارات المركز الأول إقليميّاً في تقرير مؤشر التنمية البشرية 2024/2023، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، متقدّمة في الترتيب العالمي بتسعة مراكز مقارنة بتصنيفها في التقرير السابق، وحلت في المركز السابع عشر عالميّاً من بين مئة وثلاثة وتسعين دولة

(1) ينظر: [منوية الإمارات](#)، تعليم للمستقبل.

(2) مجموعة من الكتاب، "Science and Technology in the UAE: Building Science Capacity and Supporting Innovation"، منشور في: Arabian Humanities، 2014. وتقدّم هذه الدراسة نظرة شاملة على جهود دولة الإمارات في تطوير العلوم والتكنولوجيا، وكيفية بناء القدرات العلمية ودعم الابتكار.

(3) Jamal Al-Khalili وآخرون، "Science in the UAE: Current Status and Future Prospects"، منشور في: Nature Middle East، 2018. يقدّم هذا المقال تحليلاً شاملاً لحالة العلوم في دولة الإمارات والتطورات المستقبلية المتوقعة، مما يسلط الضوء على الجهود المستمرة لتعزيز البحث العلمي والتقني في المنطقة.



شمّلها التقرير، متقدّمة على دول مثل كندا، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان⁽¹⁾.

ومن أهمّ المؤسسات الإماراتية البارزة عالميًا في المجال العلمي والتكنولوجي:

- مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدّمة⁽²⁾:

تعد هذه المؤسسة من أبرز المؤسسات العلمية في الإمارات؛ إذ تقدّم دعمًا قويًا للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مجموعة متنوعة من المجالات، بما في ذلك الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات. وتلتزم هذه المؤسسة بتعزيز ثقافة البحث العلمي والابتكار التقني، انسجامًا مع أهداف ورؤية الحكومة الرشيدة المتمحورة حول بناء اقتصاد مستدام قائم على المعرفة؛ لذا بادرت بفتح المجال أمام كل متفوق إماراتي يرغب في خوض هذا المجال، عبر إطلاق منحة "انطلق" المخصّصة لطلبة الثانوية العامة والجامعات المتفوقين في مختلف الاختصاصات الهندسية، مثل: الهندسة الميكانيكية، والكهربائية والإلكترونية، والكيميائية، وهندسة الكمبيوتر، والبرمجيات، والاتصالات، إضافة إلى علوم الفضاء والفيزياء، فكانت النتيجة أنّ 95 % من المهندسين العاملين على تطوير المشاريع التي أطلقها "إياست" هم من خريجي جامعات الدولة.

(1) ينظر: [المركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء](#).

(2) ينظر: مدير عام مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدمة: ["إياست" تسعى إلى جعل الإمارات مرجعًا في علوم الفضاء](#)، موقع أرقام.



- مركز خليفة للتقانات الحيوية والهندسة الوراثية⁽¹⁾:

تعتمد مهمة مركز خليفة للتقانات الحيوية والهندسة الوراثية على دراسة الجينوم بهدف تطوير إنتاج المحاصيل وتحقيق الأمن الغذائي، وقد قطع المركز شوطاً طويلاً منذ افتتاحه عام 2014 في سبيل تحقيق الريادة في مجال الهندسة الوراثية والتقانات الحيوية للنباتات؛ من خلال الاكتشاف والابتكار العلمي لإنتاج وتعديل النبات بسمات زراعية واقتصادية.

- مركز محمد بن راشد للفضاء⁽²⁾:

بدأت مسيرة مركز محمد بن راشد للفضاء في العام 2006 ليكون الجهة المعنية باحتضان برنامج الإمارات الوطني للفضاء، وقد تولّى المركز مهمات بناء وتطوير وتشغيل عدد من الأقمار الاصطناعية لرصد الأرض وتوفير خدمات الصور وتحليلها ودراستها وتقديم البيانات ذات الصلة للمجتمعات العلمية ومراكز البحث حول العالم. ومن الأقمار الاصطناعية التي يمتلكها المركز "دبي سات-1" و "دبي سات-2"، كما أطلق المركز عام 2018 "خليفة سات"؛ أول قمر اصطناعي إماراتي بالكامل، ممّيطاً اللُثْمَ عن خُطته لتطوير القمر الاصطناعي الجديد "MBZ-SAT" ليكون الأحدث في المنطقة في مجال التصوير عالي الدقة.

(1) ينظر: [مركز خليفة للتقانات الحيوية والهندسة الوراثية](#)، الموقع الرسمي لجامعة الإمارات العربية المتحدة.

(2) ينظر: [الموقع الرسمي للمركز](#).



- مرصد المُستقبل⁽¹⁾:

تمّ إطلاق هذا المرصد عام 2016، وهو منصة علمية عربية، مختصة في رصد ونشر أحدث المستجدات العالمية يوميًا في مجالات علوم الفضاء والذكاء الاصطناعي والصحة والواقع الافتراضي وغيرها الكثير، من خلال الدراسات، والمقالات البحثية، والرسوم البيانية، والمواد المرئية التفاعلية باللغة العربية المُبسّطة. بالإضافة إلى نسخة إنجليزية لهذه المنصة متاحة عبر الموقع الإلكتروني.

- منصة الإمارات للمختبرات العلمية:

أطلقت حكومة دولة الإمارات منصة الإمارات للمختبرات العلمية في عام 2018 لتعمل على ربط المختبرات في الدولة بالعلماء والخبراء، وتوفير فرصة للعلماء للوصول بشكل مباشر وسريع إلى أكثر من مئة وخمسين جهاز بحث دقيق موزّع في أرجاء الدولة، بالإضافة إلى معدّات وأجهزة بحثية ذات مستوى عالمي، بهدف تعزيز مجهود البحث العلمي المحلي، ودعم الباحثين والأكاديميين، وتطوير القدرات العلمية والتكنولوجية في دولة الإمارات⁽²⁾.

(1) ينظر: [الموقع الرسمي للمرصد](#).

(2) [تحفيز التقدم العلمي والتكنولوجي في الدولة](#)، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.



- مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل⁽¹⁾:

يشكّل هذا المركز منصة عالمية صُمِّمت من قبل مؤسسة دبي للمستقبل لخلق التواصل بين العلماء الشباب في دولة الإمارات، وكافة العلماء حول العالم من أجل تبادل المعارف وابتكار فرص جديدة من خلال البحوث العلمية المتقدّمة المتاحة عبر شبكة الإنترنت، واستثمار نتائج البحوث في الارتقاء بجودة الحياة البشرية، وبناء مجتمعات معرفية مزدهرة.

يقدم مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل مفهوماً جديداً للتعاون العلمي من خلال تبني الأبحاث التشاركية بين العلماء ويسعى إلى:

- تحقيق بحوث علمية أسرع بعشر مرات (10X) من البحوث التقليدية.

- خفض تكاليف البحوث بنسبة 70%.

- تسريع عملية البحث العلمي بنسبة 50%.

ويأتي إطلاق هذا المركز دعماً لتطوير قطاع الصناعات الفضائية والعلوم المتقدّمة في دولة الإمارات، بما يتوافق مع "مئوية الإمارات 2071" التي تهدف إلى أن يكون لدولة الإمارات موقع متميّز في مختلف القطاعات بحلول الذكرى المئة لقيامها، ومما يدعم تطوير هذا القطاع كذلك "مدينة المريخ العلمية" التي أطلقت بعد الاجتماعات السنوية لدولة الإمارات، و"مشروع المريخ 2117" الذي يسعى للإسهام في الوجود البشري على الكوكب الأحمر.

(1) [محمد بن راشد يطلق مركزاً لأبحاث المستقبل](#)، الموقع الرسمي لمؤسسة دبي للمستقبل.



ولتحقيق الفائدة القصوى واستثمار العقول العلمية المتفوقة يقدم المركز مَنحًا ميسرة لأفضل الباحثين في جميع أنحاء العالم، إسهامًا منه في تسريع وتسهيل عملية التمويل العلمي، ما يتيح للباحثين التركيز على أهم تحديات القرن الحادي والعشرين. كذلك يعمل المركز بشكل مفتوح على نشر كافة أبحاثه ونتائجها للمجتمعات الأكاديمية والبحثية حول العالم.

وتأتي جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تمكين العلوم التجريبية منبثقةً من رؤاها الرامية إلى تمكين الأجيال لبناء دولة علمية قوية؛ بحيث تكون قادرة على مواكبة تحديات المستقبل، وضمان استمرارية التنمية، واستدامة السعادة لعقود طويلة، وذلك انطلاقًا من المعرفة بوصفها المكون الاقتصادي الأهم.

سبل تحصيل العلم:

العلم أغلى ما يعتني الإنسان بتحصيله، وأشرف ما يصرف عمره في نيله، ولقد ذكر العلماء لتحصيل العلم سبلاً نافعة، ولنيله طرقًا ناجعة، منها:

(1) الالتحاق بالمؤسسات التعليمية الرسمية:

إن الأصل في طلب العلم هو أخذه عن أهله المتخصصين، فالمعلم يأخذ بيد الطالب، ويبين له بم يبدأ؟ وكيف يتعلم؟ ويشرح له الغامض، ويبين له المشكل، ثم إنه يتعلم منه الأخلاق الحسنة، والآداب النافعة؛ بقوله وسمته،



ونطقه وصمته، فعندما أرادت أم الإمام مالك رحمه الله تعليمه قالت له:
"اذهب إلى ربيعة؛ فتعلم من أدبه قبل أن تتعلم من علمه"⁽¹⁾.

وإن المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات تمثل بيئة تعليمية
مثالية، تضمن لمن يلتحق بها تحصيلًا معرفيًا شاملاً ومتكاملاً، يعينه على بناء
ذاته، وزيادة معارفه ومعلوماته، واكتساب مهارات حياتية مفيدة، واستكشاف
مجالات معرفية جديدة؛ بما توفره من:

- مناهج دراسية غنية علميًا وأمنًا فكريًا، معدة بحرفية عالية، تلائم
مستويات الطلاب وتناسب إمكاناتهم، مما يطور مستواهم العلمي،
ويثري تحصيلهم المعرفي، ويكسبهم مهارات التفكير النقدي البناء.
- وسائل تقنية ومبتكرة وأدوات متطورة، تثري التجربة التعليمية،
وتجعل التعليم أكثر سهولة، والمعلومة أسرع وصولاً.
- أساليب تعليمية متنوعة، ما بين التلقين، والمناقشة، والأنشطة
المدرسية، وغيرها، مما يرسخ المعلومة لدى الطلاب على اختلاف
مداركهم، ويعزز التواصل الفعال لديهم، ويبث روح العمل الجماعي
فيهم.
- موارد غنية؛ كالمكتبات، والمختبرات، والأدوات التكنولوجية التي تعزز
من تجربة التعلم.
- إضافة إلى ما تحققه من فوائد، من أهمها:
الحصول على الاعتراف الأكاديمي.

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 130/1.



- بناء مستقبل مهني ناجح.
- تنمية روح الإبداع والابتكار.
- الإسهام في حركة البحث العلمي.
- التمكن من المهارات الحياتية.

(2) القراءة:

وهي من أهم مداخل العلم، وسبل تحصيله؛ لذا كان أول أمر بطلب العلم أمرًا بالقراءة كما سبق من قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، فالقراءة تُكسب الثراء العلمي، والتوسع المعرفي، والنضج الفكري، والتجديد المستمر للمعلومات؛ إذ هي في حقيقتها: تجوّل بين عقول الرجال وأفهامهم، و"لا شيء أطيب من النظر في عقول الرّجال" ⁽¹⁾ كما قيل.

ولقد كان العلماء شديدي العناية بالقراءة، عظيمي الاهتمام بها، يقول أحدهم: "غبرت أربعين عامًا، ما قلتُ، ولا بتُّ، ولا اتكأتُ؛ إلا والكتابُ موضوعٌ على صدري" ⁽²⁾، ويقول آخر: "ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أره؛ فكأنني وقعت على كنز، ولو قلتُ: إني طالعت عشرين ألف مجلد؛ كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب" ⁽³⁾.

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص 6.

(2) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 363/7.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 789.



فالذي يريد تحصيل هذه القيمة؛ يلزم الكتاب في كل أحواله وأحيانه⁽¹⁾؛
يقرأ في تخصصه كثيراً، ويطلع على باقي التخصصات، لا يغفل منها شيئاً؛ ليتسع
اطلاعه، ويطول في العلم باعه. وإن من أعظم ما يوسع المدارك ويفتح الآفاق:
مطالعة كتب الفلسفة والمنطق، وكتب التاريخ والسِّير، وكتب اللغة والأدب،
إضافة إلى كتب التخصصات الكونية الطبيعية، فإنها تزيد العلم وتقوي
الإيمان.

ومن تأمل حال العلماء في الحضارة الإسلامية وجدّهم يقرؤون في كل
فن، ويطالعون في كل علم؛ كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه،
وعلوم اللغة، وعلم الاجتماع والفلسفة والجبر والكيمياء والصيدلة والأحياء
والآداب، فبرع منهم في كل ذلك أعلام، وبرز منهم علماء أفذاذ كما سبق.

وكذلك فليكن طالب العلم في كل زمان، ليخلف من سبقه، فكم تركَ
الأول للآخر! وإن الله تعالى لم يخصَّ بالعلم قوماً دون قوم، ولا وَقَّفه على زَمَن
دون زَمَن، بل جعله مُشْتَرِكاً مقسوماً بين عبادِهِ، يَفْتَح للآخر منه ما أغْلَقه عن
الأوَّل، وينبِّه المُقَلَّ فيه على ما أغْفَلَ عنه الكثير، ويُحييه بمتأخِّر يتعقَّب قولَ
متقدِّم، وتالٍ يعتبر على ماضٍ⁽²⁾.

ولا تكون قراءة طالب العلم إلا قراءة نقدية تمحيصية؛ يستشكل فيها
ما يطرح الإشكال، ويسأل عما يحتاج السؤال، ليسهم في الحركة العلمية،
والتقدم الحضاري.

(1) تيسرت اليوم سبل القراءة وتنوعت وسائلها، فمن لم يتمكن من قراءة الكتاب الورقي؛ فإنه يستعين
بالكتب الإلكترونية، التي صارت متيسرة عبر الهواتف الذكية، واللوحات الإلكترونية ونحوها.

(2) ابن قُتيبة، إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، ص45.



ولأن القراءة تؤدي إلى تنمية مهارات الطلاب في التفكير التحليلي والنقد والتعبير، وتعزيز قيم التسامح والانفتاح الفكري والثقافي لديهم؛ لما تتيحه من التعرف على أفكار الكتاب والمفكرين والفلاسفة بخلفياتهم المتنوعة وتجاربهم الواسعة في نطاقات ثقافية متعددة؛ أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي مشروع "تحدي القراءة العربي"، وهو أكبر مشروع عربي يعنى بتشجيع القراءة لدى الطلاب في العالم العربي، ويهدف إلى تنمية حب القراءة لدى جيل الأطفال والشباب في العالم العربي، وغرسها عادةً متأصلة في حياتهم تعزز ملكة الفضول وشغف المعرفة لديهم، وتوسع مداركهم، في جو تنافسي يشارك فيه الطلبة من الصف الأول الابتدائي وحتى الصف الثاني عشر من المدارس المشاركة عبر العالم العربي⁽¹⁾.

(3) التفكير والتأمل:

سبق أن الله تعالى فتح للإنسان في القرآن الكريم أبواب علوم الكون والحياة في آيات كثيرة، والتفكير والنظر في الكون والحياة باب من أبواب العلم والمعرفة؛ لذا حث الله تعالى عليه في أكثر من آية، كقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

(1) ينظر: [موقع تحدي القراءة العربي](#).



(4) سؤال أهل التخصص:

السؤال من أهم مفاتيح العلوم، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ [أي: الجهل] السُّؤَالُ»⁽¹⁾. فبالسؤال تفتح مغاليق العلم، وتتضح غوامضه، وتزول إشكالاته، روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: "العلم قفل مفتاحه السؤال"⁽²⁾، وقيل: "العلم خزائن، وتفتحها المسألة"⁽³⁾؛ فالتماس العلم لا بد فيه من سؤال أهله، قيل لابن عباس عليه السلام: بم نلت هذا العلم؟ قال: "بلسان سؤال، وقلب عقول"⁽⁴⁾.

وصاحب التخصص في كل فن هو الأهل لأن يُسأل فيفيد، أما غير المتخصص فإما ألا يجيب؛ لأنه لا يعلم، أو يجيب من دون علم فيزِلْ ويُزِلْ، وقد قيل: "إذا تكلم المرء في غير فنّه؛ أتى بالعجائب!"⁽⁵⁾.

(5) الاستفادة من التقنيات الحديثة:

تُقدِّم الوسائل التقنية الحديثة إمكانيات هائلة، تساعد الطالب في الاستزادة من العلوم والمعارف، وتعينه في رحلة البحث العلمي، إن هو

(1) ينظر: أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 336، 251/1.

(2) ابن المعتز، البديع في البديع، ص78.

(3) مروي عن علي عليه السلام، وعن ابن شهاب، ينظر: الدارمي، مسند الدارمي، رقم الحديث: 566، 458/1.

وابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، رقم الحديث: 535، 380/1.

(4) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص70، وابن كثير، البداية والنهاية، 329/8.

(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 584/3.



استخدمها بحكمة، واستثمرها بعقلانية، دون إفراط فيها، أو تسليم تام لها.
ومن أهم الروافد التقنية المتاحة لتحقيق ذلك:

- المنصات التعليمية الإلكترونية:

فإنها تمثل بيئة تعليمية خصبة، يمكن الرجوع إليها، والاستفادة منها، في توسيع المعرفة، والانفتاح على علوم جديدة، وقد أدخلت وزارة التربية والتعليم في الإمارات على بوابتها للتعليم الذكي (13) منصة تعليمية عالمية، تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتمتاز بخصائص تربوية متقدمة، وقادرة على التعرف على مختلف مستويات طلبة المدارس الإماراتية؛ والتكيف مع احتياجاتهم التعليمية والتربوية⁽¹⁾.

- التطبيقات التعليمية:

لا تخفى أهمية التطبيقات الإلكترونية التعليمية في إثراء المخزون العلمي للطلاب؛ سواء منها:

- أ. الألعاب التعليمية، التي تستهوي الطلاب، وتستأثر باهتمامهم، لما تحقق لهم من متعة أثناء العملية التعليمية.
- ب. أو الكتب الإلكترونية التي تتنافس في جذب الطلاب، بما تنهجه من طرق تعليمية ممتعة وأخاذا.

(1) ينظر: "التربية تعتمد 13 منصة إلكترونية لدعم التعلم عن بعد"، موقع الإمارات اليوم.



- الفيديوهات التعليمية:

يتوفر على منصة يوتيوب قنوات تعليمية عدة، تقدم معرفة سهلة وجاهزة، وبطرق حديثة وشيقة، من خلال المحاضرات والدورات في مختلف مجالات المعرفة، مما يتيح للطلاب تنمية معارفهم ومهاراتهم بأقصى قدر ممكن.

- المكتبات الإلكترونية:

التي تعد أفضل بديل للمكتبات الورقية، لما تتمتع به من سهولة في الوصول إليها، ويسر في البحث عن المعلومة فيها، من خلال الأجهزة الذكية.

- محركات البحث والذكاء الاصطناعي:

يمكن أخذ المعرفة عن طريق البحث في محركات البحث أو مواقع وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل: (chat gpt) وغيره، فهي طرق مفيدة لمن أحسن استخدامها، وعرف كيفية استثمارها، وكان قادرًا على تمييز الصحيح من مخرجاتها، ومتسلحًا بالهوية الفكرية السليمة التي تحميه من الانسياق وراء ما قد تحمله من أفكار خاطئة ومتطرفة.

معينات تحصيل العلم:

إن ارتباط العلم بالقيَم هو ارتباطٌ وثيق، وقد وُحِدَ "سقراط" بين المعرفة والفضيلة لما بينهما من ارتباط حتميٍّ ضروريٍّ، ولا غنى للمشغل بالعلوم في الثقافة الإسلامية عن القيم والأخلاق الضابطة والمهارات المعينة، ومن أبرزها:



(1) الالتزام بأخلاقه، ومنها:

- الأمانة العلمية:

فيتحرى طالب العلم ومحبه الدقة والأمانة في النقل، وعزو الأقوال والآراء إلى أصحابها، ولا ينقل عن عالم أو من مصدر ثم يُغفل ذكره عمداً، بل يحرص على نسبة كل قول إلى صاحبه، وإضافة كل نقلٍ إلى مصدره. وسيأتي حديث مفصل عن قيمة "الأمانة العلمية".

- ضبط النوايا والمقاصد:

فيكون تحصيل العلم بنية إدراك الحقائق، ودعم التنمية المعرفية الذاتية والمجتمعية، والإسهام في حل الإشكالات وعلاج المشكلات الحالية والمستقبلية، ودفع عجلة التقدم الحضاري...، وأي نية أخرى تحمل معاني الخير والنفع على مستوى الفرد والمجتمع والدول، وبقدر ما تعظم النية يعظم الثواب، وفي الحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»⁽¹⁾، وبالمقابل: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَذْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»⁽²⁾.

وفي الحديث: «أَنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ...، فيقولُ اللهُ للقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قال: بلى، يا ربِّ، قال: فماذا عملتَ فيما

(1) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1، 33/1.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2654، 32/5.



علمت؟ قال: كنتُ أقومُ به آناءَ الليل وآناءَ النهار، فيقولُ اللهُ له: كَذَبْتَ،
وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ، ويقولُ اللهُ له: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانُ قَارِي، وَقَدْ
قِيلَ ذَلِكَ....» الحديث (1).

(2) الجدُّ في طلب العلم:

فالكَمالات والنجاحات لا يتوصل إليها إلا بالمعاناة، ولا يوقف عليها إلا
بالتفقد والمراعاة، ولا يبلغها إلا من تسهلت عليه المشاق، وهانت عليه الملاذِّ،
والنعيم لا يدرك بالنعيم، وكَمَا قَالَ المتنبي:

وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ (2)

قال يحيى بن أبي كثير: (لا يُستطاع العلم براحة الجسم) (3). هذا الأثر
أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وأثبتته في كتاب المساجد ومواضع الصلاة،
باب أوقات الصلوات الخمس، وفي وضعه ههنا فائدة، قال القاضي عياض:
فكثيرٌ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذِكْرِهِ هَذَا الْخَبَرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَيْسَ مِنْهُ، وَلَا هُوَ مِنْ
حديث النبي ﷺ، وَلَا مِنْ شَرْطِ الْكِتَابِ؟! فَقَالَ لَنَا بَعْضُ شَيْوَخِنَا: إِنْ مُسْلِمًا -
رحمه الله - أَعْجَبَهُ مَا ذَكَرَ فِي الْبَابِ، وَعَرَفَ مَقْدَارَ مَا تَعَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَجَمَعِهِ

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1905، 1513/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:
2382، 591/4، واللفظ له.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص318.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 612، 428/1.



من ذلك؛ فأدخل بينها الخبر تنبيهاً على هذا، وأنه لم يحصل ما ذكر إلا بعد مشقة وتعب في الطلب، وهو بين، والله أعلم⁽¹⁾.

(3) التوثق والتدقيق والتمحيص:

فلا يستعجل في النقل والعزو وإصدار الأحكام، بل ينظر إلى ما كتبت قبله بعين النقد والفحص والتمحيص، ويُعلّق ويدقّق ويحقّق، ويتحرّى الفهم، وفي التنزيل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: 79]، فلا يكون مجرد ناقل، ولا يسلم عقله وفكره لغيره؛ ففي الحديث: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: "زَعَمُوا"»⁽²⁾.

(4) الصبر والاحتمال:

فالعالم يحتاج إلى الصبر والمصابرة، وهذا التوثق والتدقيق المذكور آنفاً لا ينفك عن الصبر على العلم إلى بلوغ الحق، ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص؛ حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام⁽³⁾.

ومن أظهر الأمثلة في ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلِمتَ رُشدًا﴾ ٥٠ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿، أي: إنك إذا أردت الصبر لما استطعت؛ لأن ما يُجريه الله على يدي من الأمور يجعلك تُسارع إلى الاعتراض عليه، لخفاء حكمته عليك ﴿وَكَيْفَ

(1) القاضي عياض اليعصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 578/2.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4972، 328/7.

(3) ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، 55/1.



تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١﴾، أي: وكيف تصبر على مصاحبتي وأنت ترى من أمور المخالفة لشريعتك ما لم تُحِطْ بأسراره علماً؟! ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ ضابطاً لنفسه حين أرى ما يقتضي الإنكار، ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 66-69]⁽¹⁾.

ومع ذلك الصبر والاحتمال يجدر أن لا يحمل طالب العلم نفسه منه فوق طاقتها؛ كي لا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصداً. وكل إنسان أبصر بنفسه⁽²⁾.

5) التدرُّج في الطلب:

وذلك بالانتقال من مرحلة في العلم أسهل، إلى مرحلة سهلة، ثم إلى الصعب منه؛ شيئاً فشيئاً، فلا يحاول المرء تلقي العلوم كلها مرة؛ لأن ذلك مما يشق على الطالب فيضجر وينقطع عن التعلم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلق الرفيع في الطلب في قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فقد قيل في تفسير "الرباني: هُوَ الَّذِي رُبِّي بِصَغَارِ الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَ كِبَارَهُ"⁽³⁾، وقيل: "من طلب العلم جملة؛ فاته جملة"⁽⁴⁾. وقيل: "ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويحكم حفظه ويتقنه"⁽⁵⁾.

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 1072/6.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 27-28.

(3) السمعاني، تفسير القرآن، 336/1.

(4) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 232/1.

(5) السابق، 231/1.



ومن أخلاق المتعلم: "ألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة؛ بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم... وألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج... وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقّي إلى ما هو فوقه"⁽¹⁾.

(6) الاستمرار وعدم الانقطاع:

إن قيمة العلم جديرة أن تلازم المرء طوال حياته، لا ينقطع عنها إلا بالموت، فقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام - بعلوّ منزلته - بطلب العلم من العبد الصالح، قال العلماء: يستفاد منه "أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم، والحرص عليه، ولا يقنع بما عنده، كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه"⁽²⁾. ولا يظن المرء - مهما بلغ - أنه وصل مرحلة لم يَعد معها مطالباً بالاستزادة من العلم، بل "أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً؛ استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له خطأه"⁽³⁾، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

(7) احترام التخصص:

لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83].

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، 52/1.

(2) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 160/1.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 127.



ومن لوازم هذا الأدب: الاستفادة من خبرات الآخرين ونتائجهم، واستشارتهم والصدور عن آرائهم في ما لا يحيط به من تخصصاتهم، وعدم خوض الإنسان فيما لا يُحسن ويتقن من الفنون والتخصصات، فإذا تكلم المرء في غير فنّه أتى بالعجائب⁽¹⁾، بل ربما وقع وأوقع في العظائم والمصائب، مثال ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مَعَنَا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمُمِ؟ قَالُوا: مَا تَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعَصِرَ - أَوْ يَعِصِبَ - عَلَى جُرْجِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»⁽²⁾.

(8) الأدب مع أهل العلم:

قيل: (لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل)⁽³⁾، فمن أخلاق طالب العلم الأدب مع أهل الفنّ الذي يبحث فيه والعلم الذي يطالع مسائله، وإذا حكى خلافاً أو بيّن خطأ أو رجّح رأياً تأدّب بأدب الطالب، وعرف أقدار الرجال وعُظماء العلوم، وراعى حُرمة أهل العلم الذين رفعهم الله به، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وفي الحديث: «ليس

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 584/3.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 336، 251/1.

(3) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أورده الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 67، ولم نقف عليه عند غير الماوردي.



من أَمَّتِي من لم يُجِلِّ كِبِيرَنَا، وَيَرْحَم صَغِيرَنَا، ويعرف لعالمنا»⁽¹⁾. أي: حقّه، ومعرفة حقّ العالم هو حقّ العلم بأن يعرف قدره بما رفع الله من قدره، فيعرف له درجته التي رفع الله له بما آتاه من العلم⁽²⁾.

وروي أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس رضي الله عنه فأخذ بركابه، فقال له زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال ابن عباس رضي الله عنه: (هكذا يُفَعَّل بالعلماء والكُبراء)⁽³⁾. وفي رواية: (هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا)⁽⁴⁾.

ومن ضرورات هذا الأدب: تقدير حقّ الخطأ، وفي الحديث: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»⁽⁵⁾، فالخطأ من لوازم الآدمي، لا يخرج عنه إلا من عصمه الله، ولا نعلم أنّ الله عزّ وجلّ أعطى أحداً من البشر مؤثّقاً من الغلط، وأماناً من الخطأ، فيستكفّ له منها؛ بل وصلّ عباده بالعجز، وقرّنتهم بالحاجة، ووصّفهم بالضعف والعجلة، فقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37]، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، فقد يتعثر في الرأي جلّة أهل النّظر والعلماء المبرّزون، والخائفون لله الخاشعون⁽⁶⁾، فيأتي اللاحق بعد السّابق في ميدان العلم ويعرض

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22755، 416/37.

(2) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 389/5.

(3) ينظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 514/1.

(4) ينظر: الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، 146/4.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2499، 659/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم

الحديث: 13049، 344/20.

(6) ابن قُتَيْبَةَ الدينوري، إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، ص 42، 45.



ما ظَهَرَ له من هفواتهم بأدبٍ جَمٍّ، ويلتمس لهم العذر والتبرير ما استطاع،
 ففعلَ الإنسان يُبصر القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه!
 يقول الأحنَف بن قيس: الكَامِل من عُدَّت سقطاته⁽¹⁾، ويقول إسماعيل
 بن يحيى المزني: لو عورض كتابٌ سبعين مرة لَوُجِد فيه خطأ، أبى الله أن يكون
 كتابٌ صحيحًا غير كتابه!⁽²⁾

ثم إن وجود الغلط في الكتاب لا يعني لزوم خطأ صاحبه، قال الجاحظ: (ولا
 يزال الكتابُ تتداوله الأيدي الجانية، والأعراض المفسدة؛ حتى يصير غلطًا
 صرفًا، وكذبًا مصمّتًا، فما ظنُّكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد، وتتعاوِره
 الخطّاط بشرٍ من ذلك أو بمثله، كتاب متقادَم الميلاد، دهريّ الصنعة؟!)⁽³⁾.

(9) العمل بمقتضى العلم:

فإن العمل مما يرسِّخ العلم، ويبارك فيه، وينفع به؛ إذ العلم شجرةٌ
 والعملُ ثمرة، وليس يُعَد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملاً، وقيل: العلم والدُّ
 والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدِّراية، وقال علي بن أبي طالب
 عليه السلام: "هتف العلم بالعمل، فإن أجابه؛ وإلا ارتحل!"⁽⁴⁾.

فالعمل من مقتضيات العلم، وسبيل من سبل نمائه وزيادته، قال عمر
 بن عبد العزيز: إنما قصَّر بنا عن علمٍ ما جهلنا تقصيرُنا في العمل بما علمنا، ولو

(1) الخطيب البغدادي، موضح أوهام الجمع والتفريق، 1/13.

(2) السابق، 1/14.

(3) ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، 1/55.

(4) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 8/142.



عَمِلْنَا ببعض ما عَلِمْنَا لأَوْرَثْنَا عِلْمًا لَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُنَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]⁽¹⁾.

ولا يأنس المرء بالعمل ما دام مستوحشًا من العلم، ولا يأنس بالعلم ما كان مقصرًا في العمل، ولكن يجمع بينهما وإن قلَّ نصيبه منهما، وما شيء أضعف من عالم تركَّ الناسُ علمه لفسادِ طريقتِه، وجاهلٍ أخذَ الناسُ بجهله لنظرهم إلى عبادتِه، والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة، إذا تفضَّلَ الله بالرحمة، وتَمَّ على عبده النِّعمة⁽²⁾.

فكل من تعلم علمًا وجب عليه تنزيله على واقعه، وتحقيق التنمية والتطوير الذاتي والمجتمعي به، كما كان العلماء السابقون عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، فمنهم الطبيب الذي خدم دينه ووطنه بطبه، ومنهم الكيميائي والفيزيائي والمتضلع في علوم الفلسفة والمنطق، وكلهم عملوا بما تعلموا، ونفعوا أوطانهم ومجتمعاتهم والعالم بما أخذوا، وقد تقدم ذكر نماذج منهم فيما سبق.

10) التعليم بعد التعلُّم:

إن الإنفاق من كل شيء ينقص منه ويُقْلُه؛ إلا الإنفاق من العلم فإنه يزيده وينميه، ويكون الإنفاق من العلم بتعليمه تلقينًا أو تأليفًا، ولقد أوجب الله سبحانه على كلِّ مَنْ عَلِمَ شيئًا من الخير أَنْ يُظْهِرَهُ وَيَنْشُرَهُ، وجعل ذلك زكاة العِلْم، كما جَعَلَ الصَّدَقَةَ زكاة المال⁽³⁾. يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 364/13.

(2) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، ص 14.

(3) ابن قُتَيْبَةَ الدينوري، إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، ص 45.



مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿122﴾ [التوبة: 122]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»⁽¹⁾، وكذلك الأمر في كل علم نافع ومفيد؛ إذا نُشِرَ بالتعليم أو التأليف؛ نما وزاد، وعمَّ نفعه، وكثر خيره، وإن "الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف - مع تمام الفضيلة، وكمال الأهلية - يُطْلَعُ على حقائق الفنون، ودقائق العلوم؛ للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة، والتنقيب والمراجعة، وهو يثبّت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر، ويخلده إلى آخر الدهر"⁽²⁾.

خاتماً:

العلم قيمة إنسانية وإسلامية سامية، ومنه اشتُقَّ اسمٌ من أسماء الله تعالى، وصفةٌ من صفاته، وبه أرسل رسله، وأنزل كتبه، وجعل النبي ﷺ العلم علامةً على الخير، فقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهِهُ فِي الدِّينِ»⁽³⁾. ومن بركة العلم النيّة قبله، والعزم معه، والأدب مع أهله، والعمل به بعده، ونقله إلى مَنْ لا يعلمه.

ويمكن أن نتناول تحت قيمة العلم المركزية جملةً من القِيَم الفرعية التي تندرج تحتها، وهي:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3274، 1275/3.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 29-30.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 71، 39/1.



- الاجتهاد والتفكير والتفكير.

- الصدق.

- الأمانة العلمية.

* * *



- الاجتهاد والتفكير والتفكير

مقدمة:

الاجتهاد قيمة عظيمة من القيم التي بها يُنال العلم، وتدرُّك أعماقه، وتسبّر أغواره، سواء كان ذلك الاجتهاد في طلب العلوم والمعارف، أم كان اجتهادًا في العلوم ذاتها؛ استنباطًا واستنتاجًا، وتحليلًا واكتشافًا، فذلك يمكن الإنسان من الارتقاء بعقله، وتوسيع مداركه، وإثراء فكره، ونيل الرفعة في الدنيا والآخرة. والتفكير والتفكير وسيلتان يستخدمهما الإنسان للاجتهاد في تحصيل العلم والمعرفة، فالفكرة: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جَوْلان تلك القوّة بحسبِ نظر العقل⁽¹⁾.

ولأهمية التفكير والاجتهاد في تحصيل العلم وبالعنف نفعها حثَّ الله تعالى عليهما في كثيرٍ من الآياتِ القرآنية؛ فقال تعالى له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، فمن خلال التفكير والتفكير يستثمر الإنسان قدراته العقلية، وملكاته الإدراكية، للتدبر في كلام ربه، والتأمل في معالم خلقه؛ فيزيد إيمانه، ويتعمق فهمه، وينمو إدراكه، ويرتقي بعلمه، فيصل إلى نتائج صحيحة، وحلول مفيدة، وإبداعات فريدة؛ ويكون ذلك بالصبر والمثابرة، والجد والاجتهاد، والدأب والاستمرار، وهكذا كلُّ رفعة في الدنيا لا تُنال بغير ذلك، يقول الشاعر:

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 643، (فكر).



وما نيلُ المطالبِ بالتمني
ولكن تُوخِذُ الدُّنيا غلابا
وما استعصى على قومٍ منالٍ
إذا الإقدامُ كان لهم ركابا⁽¹⁾

تعريف الاجتهاد والتفكر والتفكير:

أ- تعريف الاجتهاد:

أولاً: في اللغة:

الاجتهاد في اللغة مصدرُ الفعل "اجتَهَدَ"، ويعودُ إلى الجذر اللغوي "جَهَدَ"،
الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1. **المَشَقَّةُ**: "الجِئْمُ والهَاءُ والدَّالُ أصله المَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه ما يُقاربه، يُقال: جَهَدْتُ نَفْسِي وأَجْهَدْتُ"⁽²⁾، يُقال: جَهَدْتُ رأيي وأَجْهَدْتُهُ: اتَّعَبْتُهُ بالفكر"⁽³⁾.

2. **الطَّاقَةُ**: "والجُهدُ الطَّاقَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79]"⁽⁴⁾، فمعنى "الجُهدُ في هَذِهِ الْآيَةِ: الطَّاقَةُ؛ تَقُولُ: هَذَا

(1) أحمد قبيش، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 47/2.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 486/1، (جهد)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 208، (جهد).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 486/1، (جهد)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).



جُهْدِي، أَي: طَاقَتِي⁽¹⁾، وَقِيلَ: "الجَهْدُ (بالفتح) المَشَقَّةُ، والجُهْدُ (بالضم) الطاقة"⁽²⁾.

3. بَذَلَ الوُسْعَ والغَايَةَ: "ومنه قولك: اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أَي: ابلُغْ غَايَتَكَ"⁽³⁾، و"الجَهْدُ الغَايَةُ"⁽⁴⁾، ومنه: "بَلَغْتُ بِهِ الجَهْدَ، أَي: الغَايَةَ"⁽⁵⁾، "والاجْتِهَادُ بَذْلُ الوُسْعِ في طَلَبِ الأمر"⁽⁶⁾.

4. المَبَالِغَةُ في الجَدِّ: تقول: "جَهَدَ الرجلُ في كَذَا، أَي: جَدَّ فيه وبَالَغَ"⁽⁷⁾.

ثانيًا: في الاصطلاح:

الاجْتِهَادُ في الاصطلاح يتوافقُ مع المعنى اللغوي، فقد قيل في تعريفه أنه:

"أَحْذُ النَّفْسَ بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَتَحْمُلِ المَشَقَّةِ"⁽⁸⁾.

وقيل: "الاجْتِهَادُ: بَذْلُ الوُسْعِ في طَلَبِ الأمر"⁽⁹⁾.

وقيل: هو "بَذْلُ الوُسْعِ في بُلُوغِ الغَرَضِ"⁽¹⁰⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 134/3، (جهد).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب،

133/3، (جهد).

(3) السابق.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

(5) السابق.

(6) السابق، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 461/2، (جهد).

(7) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 134/3،

(جهد).

(8) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص208، (جهد).

(9) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 319/1، (جهد).

(10) الجويني، الورقات، ص31.



ف نجدُ تعاريف العلماء الاصطلاحية تتَّفِق على أن الاجتهاد بذلُّ للوسع والطاقة، وتحملُ للمشقة، وهو ما قرَّره علماء اللغة كما سبق.

ب- تعريف التفكير والتفكير:

أولاً- في اللغة:

- يعودُ التفكيرُ والتفكير في اللغة إلى الجذر اللغوي "فَكَرَ"، الذي يعني:
1. تردُّد القلبِ في الشيء: "الفاء والكاف والراء: تردُّد القلبِ في الشيء، يُقال: تفكَّر، إذا ردَّد قلبه مُعتَبِراً، ورجُلٌ فِكِّيْرٌ: كثيرُ الفكرِ"⁽¹⁾.
 2. إعمال العقل في الشيء: "الفَكَرُ والفِكْرُ: إعمالُ الخاطرِ في الشيء"⁽²⁾.
و"فكر في الأمر فكراً: أعملُ العقلَ فيه، ورتب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مَجْهُول... فَكَّرَ في الأمر مُبالغةً في فَكْر، والتفكيرُ إعمالُ العقلِ في مشكلةٍ للتوصلُ إلى حلِّها، والفكرُ إعمالُ العقلِ في المعلوم للوصول إلى معرفةٍ مَجْهُول"⁽³⁾.
 3. التأملُ: "التَّفَكُّرُ يأتي بمعنى التأملُ، والاسمُ الفِكْرُ والفِكرَةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح"⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/446، (فَكَرَ).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 5/65، (فَكَرَ)، وينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 458، (فَكَرَ).

(3) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 2/698، (فَكَرَ).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2/783، (فَكَرَ)، والرازي، مختار الصحاح، ص 242، (فَكَرَ).



ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتفكير عامةً عن المعاني اللغوية السابقة؛
فقال: "الفكرُ: ترتيبُ أمورٍ معلومةٍ للتأدي إلى مجهول"⁽¹⁾.
وقيل: "تصرفُ القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب"⁽²⁾.
وقيل: "عمل عقلي عام يشمل التصوّر والتذكّر والتخيّل والتقييم
والتأمل، ويطلق على كل نشاط عقلي"⁽³⁾.
ويمكن القول بناء على ما سبق من المعاني اللغوية والاصطلاحية: إن
التفكّر وسيلةٌ للوصول إلى المجهول؛ عن طريق التفكير في المعلوم، وإعمالِ
العقل فيه.
ولا بد من الإشارة إلى أنه ثمة ارتباط وثيق بين التفكّر والتفكير، فالتفكير
من أعمال القلب التي تثمر فهمًا في العقل، والتفكير من أعمال العقل الذي
يثمر نورًا في القلب، كما أن كثرة التفكّر تنمي ملكة التفكير السليم، والنظر
السديد، والتصوّر الصحيح؛ فيثمر ذلك في سلوك الإنسان وعمله؛ وما
السلوك إلا ثمرة من ثمار التفكير.

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 168.

(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 104.

(3) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، 358/7.



أهمية الاجتهاد والتفكير والتفكير:

للاجتهاد والتفكير والتفكير أهمية بالغة؛ إذ يوظف الإنسان من خلالها جهده وعقله للنظر والبحث حتى يصل إلى حقائق الأشياء، وإدراك كنهها، واكتشاف ماهيتها، وتتجلى أهميتهما في جوانب عدة، من أبرزها:

(1) الاجتهاد والتفكير طاعة لله تعالى وسبيل إلى معرفته:

أمر الله تعالى بالاجتهاد في طلب العلم، والاستزادة منه، فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ورفع مكانة العلماء، وقرّهم باسمه وبملائكته، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، وفي هذه الآية دليل على فضل الاجتهاد في طلب العلم وشرف العلماء وفضلهم⁽¹⁾.

وبالتفكير والتفكير يعرف العبدُ ربّه تعالى، ويهتدي إلى الإيقان ببديع خلقه، ومحكم صنّعه، فيزداد إيمانه به، وتعظم معرفته بأسمائه وصفاته، ويقوى يقينه بقدرته ﷻ، فيردد بلسانه وقلبه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: 191]، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191]، فإنّه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَنْ ليس كمثله شيء، ومَنْ هو مالك كلِّ شيء ورازقُه، وخالق كلِّ شيء ومدبّرُه، ومَنْ هو على كلِّ شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والشقاء والسعادة⁽²⁾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 41/4.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 475/7.



فالتفكر في خلق السماوات والأرض وَمَا أُبْدِعَ فِيهِمَا؛ يَدُلُّهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَيَعْرِفُوا أَنَّ لَهَا صَانِعًا قَادِرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا⁽¹⁾ عليمًا رحيمًا.

فالتفكر طاعة وعبادة من أعظم العبادات، وقد روي: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"⁽²⁾، وسئلت أم الدرداء عليها السلام: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء عليه السلام؟ قالت: "التفكر والاعتبار"⁽³⁾.

2) الاجتهاد والتفكير والتفكر في القرآن الكريم وسيلة قوية لتعميق

فهمه:

الاجتهاد والتفكر في القرآن الكريم وسيلة قوية لتعميق فهمه وإدراك مضامينه، وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا، حثَّ الله تعالى فيها الإنسان على التفكير والتفكير، و"التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، وبينت هذه الآيات أنه ما من رسولٍ أرسله الله تعالى إلا دعا قومه إلى إعمال عقولهم، وإطلاق تفكيرهم، فقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 67]. ودعا موسى عليه السلام إلى التفكير في نظام الكون فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]. وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ومن خلال الاجتهاد والتأمل والتدبر والتفكير والتبصُّر في آياته يقتبس المؤمن من شعاع نوره وهدايته، ويزداد إيمانه، وينهل من معين حكيمته، وعلومه

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 556/1.

(2) من قول أبي الدرداء عليه السلام، ينظر: أحمد ابن حنبل، الزهد، ص 114.

(3) وكيع ابن الجراح، الزهد، ص 474.



ومعارفه، وقيمه وأخلاقه، ويفيد من أمثاله وعبره، فيكون له بالغ الأثر في استقامة نفسه وحياته.

ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره⁽¹⁾.

3) اهتمَّ النبي ﷺ بالاجتهاد في طلب العلم، وبالتفكير والتفكير لزيادة العلم:

حثَّ النبي ﷺ على الاجتهاد في طلب العلم، ورَتَّب على سلوك سبيله الأجر العظيم والخير الكبير، فعن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق، فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتُك من مدينة الرسول ﷺ لحديثٍ بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، ما جئتُ لحاجة، قال: فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا؛ ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»⁽²⁾، الحديث.

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، 423/4.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3641، 485/5. والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2682، 414/4. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 223، 150/1.



وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] إشارة مهمة إلى علاقة التفكُّر والتدبر في القرآن وآياته بازدياد العلم؛ إذ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ يا محمد ﴿بِالْقُرْآنِ﴾ فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، أي: من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، ولا تتلَّهُ على أحد، ولا تُملِّه عليه حتى نبِّئنه لك⁽¹⁾، وكان عليه السلام يحرص على أخذ القرآن من جبريل عليه السلام؛ فيعجل بقراءته قبل استتمام جبريل مخافة النسيان، ف قيل له: لا تعجل إلى أن يستتم وحيه فيكون أخذك إياه عن تثبت وسكون، والله تعالى يزيدك فهمًا وعلمًا، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، المعنى أنه سبحانه وتعالى أمره بالفرع إلى الله سبحانه في زيادة العلم التي تظهر بتمام القرآن أو بيان ما نزل عليه⁽²⁾.

فالتفكر يزيد علم المرء ويثبته، قال الحسن: "ما زال أهل العلم يعودون بالتذكُّر على التفكُّر وبالتفكُّر على التذكُّر، ويناطقون القلوب حتى نطقَتْ بالحكمة، فالتفكُّر والتذكُّر بذارُ العِلْمِ، وسقيه مطارحته، ومذاكرته تلقِيحه"⁽³⁾، كما أن القراءة بتفكُّر وتدبر وتأمُّل تزيد في عقل القارئ وفهمه، وتحمله على العمل.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 180/16.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 104/22 - 105.

(3) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 319/2.



(4) الاجتهاد والتفكير يعين على معرفة الخير من الشر:

كان ﷺ يشجع أصحابه على بذل وسعهم وجهدهم في إيجاد الحلول المناسبة للأمور المستعصية، والقول فيها بعد طول تفكير ونظر، كما رسخ ﷺ مبدأ «مَنِ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»⁽¹⁾، وما ذلك إلا لإعمال العقل وتنشيط الفكر بقدر الاستطاعة.

فبالاجتهاد والتفكير في الأمور تنكشف للمرء حقائقها، ويعلم مراتبها، فيستطيع تمييز صحيحها من سقيمها، وخيرها من شرها، وفاضلها من قبيحها، فيضعها في مواضعها، ويتفكر في عواقبها، فيُقدِّم على ما فيه من خير، ويدع ما فيه من شر أو ضرر، وتلك هي الحكمة.

ومن خلال الاجتهاد والتفكير والتفكير يتسَّع فهمُ الإنسان وإدراكه للحياة، وسننها، وقوانينها، فتتعرَّز قدرته على التفاعل معها، والتعامل مع ظروفها، والتصرف فيها، فيتخذ قرارات أكثر دقة وحكمة، ويستثمر ذلك فيما ينفعه وينفع غيره.

(5) الاجتهاد والتفكير طريق للابتكار والإبداع:

فالاجتهاد والتفكير العميق طريق الإبداع، وسبيل الاختراع، وبه يتم الاكتشاف، وقد جعل الله في خلقه آيات حثَّ العقول على التفكير والتأمل فيها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، فبالإيمان في تكوين الخلق ودراسة آليته يتمكن الإنسان من محاكاة ذلك باختراعات مفيدة، وابتكارات نافعة، وما نراه اليوم من اختراعات وابتكارات في الطب والتكنولوجيا

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6919، 2676/6.



والعلوم والذكاء الصنعي... وغيرها، هي نتاج تفكير المفكرين، واكتشافات الباحثين، الذي يُعملون عقولهم، ويجهدون تفكيرهم فيما ينفع البشرية، ويقدم الخير للإنسانية.

مجالات الاجتهاد والتفكر والتفكير:

الاجتهاد والتفكير مطلوب في كل علم نافع، وهو سبيل تحصيل ثمرة العلم، وباب الاجتهاد والتفكير واسع، ومجالاته كثيرة، ومما يصاد ذلك: التّفريطُ، والتّراخي، والتّقاعس، والتسويق، والتّقصير، والفتور، والإغفال، والاستهانة، والاستهتار، والاستخفاف، والإهمال...، فكل ذلك مطلوب تركه وتخليّة النفوس منه، وتخليصها من آثاره.

والعلماء المجتهدون كالأرض الخصبة: تُنبِتُ الكَلأ وتُنتفعُ الناس، قال ﷺ: «مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ به من الهدى والعلم كَمَثَلِ غِيثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكانت منها طائفة طيبة قَبِلت الماء فَأَنبَتَت الكَلأ والعشب الكثير، وكانَت منها طائفة أجادِب أَمسَكَت الماء فَنتفع اللهُ بها الناس فَشَرَبوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان؛ لا تَمسك ماء ولا تَنبِت كَلأ، فَذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه ما بَعَثَني اللهُ به، فعلم وعَلَّمَ، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرْسِلْتُ به»⁽¹⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 79، 27/1. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 63/7، 2282.



ويظهر التفكُّر والاجتهاد في العلم النافع في مجالات متنوعة، يتطلب كل منها بذل الجهد واستفراغ الوسع لتحقيق الخير والنفع للبشرية والإنسانية، ومجالات ذلك كثيرة، منها:

1) التفكير والاجتهاد في كافة العلوم النافعة، ومنها:

- العلوم الشرعية:

من فقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ... وغيرها من العلوم الشرعية؛ وذلك باستنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية والنبوية، وتحليل وتفسير آيات القرآن الكريم وتدبرها لاستخلاص الدروس والعبر منها، وفهم دلالاتها ومعانيها. وهذا الاجتهاد هو الذي يعرفه علماء أصول الفقه الإسلامي بقولهم: "هو بذلُ الجهدِ في تعرُّفِ الحكمِ الشرعي"⁽¹⁾، وعُرِفَ بأنَّه: "استِفْراغُ الوُسْعِ في طلبِ الظنِّ بشيءٍ من الأحكامِ الشرعيَّةِ على وجهٍ يُحَسُّ من النفسِ العجزُ عن المزيدِ فيه"⁽²⁾.

والاجتهادُ أصل من أصول التشريع الإسلامي، دلَّ عليه إما نصًّا وتصريحًا، وإما إشارة وتلميحًا، أما القرآن الكريم ففي كثيرٍ من آياته إشاراتٌ إلى معناه ومفهوميهِ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، كما حث النبي ﷺ على الاجتهاد في العلم ومسائله، وفتح الباب الواسع لذلك، فقال ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ [أي: القاضي] فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ:

(1) الطوفي، شرح مختصر الروضة، 575/3.

(2) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، 162/4.



فله أجْران، وإذا حَكَم فاجتهد ثم أخطأ فله أجْرٌ»⁽¹⁾. وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «كيف تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو - أي: لا أقصّر -، فضرب رسول الله ﷺ على صدر معاذ رضي الله عنه، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورَسُولَه»⁽²⁾.

- العلوم الطبيعية:

من فيزياء وكيمياء وبيولوجيا...؛ وذلك من خلال البحث والتفكر في الظواهر الطبيعية، والوقوف على قوانينها، وتطويرها، والاستفادة من مكوناتها، ومحاكاة تكوينها في ابتكارات نافعة.

- العلوم الصحية:

من طب وصيدلة وتغذية...؛ وذلك من خلال دراسة جسم الإنسان، وتشخيص الأمراض، واستكشاف علاجاتها، وتطوير الأدوية، ودراسة تأثيراتها.

- العلوم الهندسية:

من بناء، وكهرباء، وميكانيك، وغيرها من علوم الهندسة، للوقوف على تصاميم مثالية، وأنظمة فعالة، وآلات مفيدة، تسهل حياة الناس، وتحقيق لهم الرفاه.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 7352، 108/9.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1327، 608/3.



- العلوم الاجتماعية:

ويكون ذلك بدراسة العلاقات الاجتماعية، وسلوك الأفراد، وفهمها، وتطويرها، ووضع الحلول لمشكلاتها، من أجل تحقيق النمو والازدهار، والأمن والاستقرار.

- العلوم الاقتصادية:

من خلال الاجتهاد في دراسة الاقتصاد المحلي والعالمي، والتفكير في كيفية إدارته، وتحليل نتائجه، للارتقاء بالاقتصاد الذي يعود نفعه على الإنسان والمجتمع والوطن.

- العلوم البيئية:

من خلال الاجتهاد في دراسة البيئة الطبيعية وحمايتها وتنميتها، والتفكير والبحث عن طرق التنمية المستدامة، للمحافظة على الموارد الطبيعية للأجيال الحالية والقادمة.

وثمة مجالات أخرى للاجتهاد والتفكير، تشمل جميع مجالات العلوم على اختلافها، بما يحقق النفع للإنسانية والخير للبشرية.

(2) الاجتهاد والتفكير في القرآن الكريم:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليجتهد الإنسان في فهم معانيه، ويتفكر في آياته، قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]، وحث ﷺ على التفكير في آيات القرآن الكريم، والتدبر في معانيها، والتأمل في مقاصدها ومراميها فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وحين نزل قول الله



تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، قال ﷺ: «لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾» [آل عمران: 190] (1).

وإن الاجتهاد والتفكير في القرآن الكريم يثمرُ الخشية، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، كما يفتح أقفال القلوب ومغاليقها، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وغاية التفكير والاجتهاد في القرآن الكريم العملُ بما أنزل الله تعالى فيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

(3) الاجتهاد بالتفكير في خلق الله عموماً وفي نفس الإنسان خصوصاً:

دعا الله تعالى في كتابه العزيز إلى التفكير في خلقه؛ بأن يتفكر الإنسان في ما حوله، وفي خلق السماوات والأرض، ليقف على عظمة الله وقدرته في آياته الكونية، وبالعكس، في آياته التكوينية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: 8].

وقد أمر الله تعالى الإنسان بالتفكير في نفسه، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، فيتفكر الإنسان في نفسه وجسده، وعقله وعاطفته، وقواته وقدراته، ونومه ويقظته، وموته وحياته، وتقلب أحواله، قال

(1) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 620، 387/2. وهو حديث حسن.



تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42].

وحت الله سبحانه الإنسان أن يتفكر في أسرار تكوينه، قال ﷺ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 5-7].

وعليه أن يتفكر في غاية خلق الله تعالى له، ومراده سبحانه منه، وأن الله ما خلقه عبثاً، وإنما خلقه لعبادته، وعمارة أرضه، وكذلك يتفكر الإنسان في تصرفاته وسلوكياته، ليرتقي بنفسه، ويطور أدائه، ويحمل نفسه على القول الحسن والعمل النافع، ويستثمر مدة بقائه في الدنيا في عمل الصالحات، والقيام بالأمور النافعات، ومن أقوال الحكماء: "ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل"⁽¹⁾.

4) التفكر في النعم، والاجتهاد في شكرها:

ومما حثنا الله تعالى على التفكير فيه ما سخره لنا في الأرض من نعمه؛ لنحسن استثمارها، ونجتهد في شكر الخالق العظيم عليها، فقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "الفكر في نعم الله أفضل العبادة"⁽²⁾.

(1) من قول وهب بن منبه، ينظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص 378.

(2) ابن رجب، استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، 3/315.



ومن تلك النعمة المأكل والمشرب، فقد سخر الله تعالى الكائنات لذلك، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۖ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68-69]، وقال ﷺ معيدًا نعمه، أمرًا بالتفكير فيها، وشكرها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۖ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۖ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۖ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 10-14].

(5) التفكير في الحياة:

ومما حثَّ الله تعالى الإنسان على التفكير فيه؛ ما يجري حوله من الأحداث والوقائع والأمثلة التي تحملها على التعلم والاعتبار، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاصِرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]، فيدرك بالتفكير والتفكير فيها سنن الحياة، ويفهم قوانينها، ويستشرف مآلاتها، ويستدرك اللاحق ما فات السابق، ويضبط تصرفاته ويتحكم بتفاعلاته بناء على ما اتضح له من هذه الآيات، فيعتبر بالمخطئين والمقصرين، ويتأسى بالمحسنين السباقين، وينافس المتسابقين إلى ما فيه الخير في الدنيا والدين.



طرق اكتساب الاجتهاد والتفكير والتفكر وآلياته:

من الوسائل المعينة على تنمية قيمة الاجتهاد والتفكر والتفكير ما يأتي:

(1) المثابرة والمداومة على التفكير والتفكر والاجتهاد في طلب العلم:

لا بدَّ لطالِبِ العلم المجتهدِ من الدأْب على طلب العلم، والتفكير والنظر في مسائله، والمثابرة على تحصيله مهما كانت الظروف والأحوال، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: (لما قبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: هلمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فهم؟! قال: فتركتُ ذاك وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يَبْلُغُنِي الحديث عن الرجل يأتي بابَه وهو قائلٌ، فأتوسد ردائي على بابهِ يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما جاء بك هلا أرسلت إلي فاتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!)⁽¹⁾.

وقال أبو زُرْعَةَ لأبي حاتم: ما رأيتُ أحرصَ على طلب الحديث منك يا أبا حاتم، فقال: إن عبد الرحمن - يعني: ابنه - لحريص، فقال: مَنْ أشبه أَبَاهُ فما ظلم! قال الرقام: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه⁽²⁾. لشدة حرصه على العلم، واغتنامه للوقت في طلبه.

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 363، 1/188.

(2) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 387/24 - 388.



(2) التركيز، والابتعاد عن التشُّت:

يحذر طالب العلم المجتهد من الغفلة وتشُّت الذهن عن العلم الذي يطلبه ويدرسه ويفكّر فيه؛ فإنما ذلك شيطانٌ يسرقُ منه أغلى ما يملك وهو وقته، وفي الحديث قال ﷺ: «**أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»⁽¹⁾.

وإذا شعر الطالب بقلّة التركيز والغفلة؛ حاول معالجة ذلك بالانتقال إلى موضوعٍ آخر غير الذي يقرأ فيه، وبذلك يريح نفسه، ويجدّد همته وتحصيله.

(3) انتقاء أفضل الأوقات:

وقد يختلفُ هذا الوقت من إنسانٍ لآخر، ولكن بالعموم وقت السَّحر هو وقت الهدوء، وانتقاد الذهن، وكذلك من بعد صلاة الفجر إلى الضحى، فهذه أصفى أوقات الذهن للفهم والكتابة والدراسة والتفكير، وهي أوقاتٌ يغتنمها طلبة العلم، والمجتهدون في مسأله.

وقد قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»⁽²⁾.

فعلى طالب العلم المجتهد أن يغتنم وقته، فكلُّ دقيقةٍ يمكنُ له أن يكتسبَ فيها علماً نافعا، ينفع به نفسه وغيره.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7846، 341/4.



(4) الاستفادة من طلبة العلم المجتهدين، والتنافس معهم:

فعلى طالب العلم أن يبحث عن ثلة من طلبة العلم المجتهدين، يتبادلون العلم، ويتفكّرون في مسائله، ويُعمِلون عقولهم في حلّها، وفهم مشكلتها، وإدراك مراميها، فالنفع سيكون لهم جميعاً، وهذا من أقوى الوسائل التي تعين الطالب على الاجتهاد والتفوّق.

قال النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله» أي: مسجد، وألحق به نحو مدرسة⁽¹⁾، «يَتْلُونَ كتاب الله ويتدارسونه بينهم» أي: يشتركون في قراءة بعضهم على بعض وكثرة درسه ويتعهدونه خوف النسيان، وأصل الدراسة التعهد، وتدارس تفاعل للمشاركة⁽²⁾، «إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»⁽³⁾.

(5) الدعاء والطلب من الله تعالى:

فالدعاء من المعينات على تحصيل العلم وفهم مفرداته، والاجتهاد فيه بالفكر والبحث، فالمؤمن يسأل ربه أن يبارك له في وقته، وأن يعينه على صرفه في النافعات، قال أهل العلم: "ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسَلِ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموقِّق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته، فمن الذي أقبلَ عليه فلم يَرِدْ كُلُّ مُرَادٍ؟! وَمَن الذي أَعْرَضَ عنه فمضى بفائدة، أو حظي بَعَرَضٍ من أغراضه؟!"⁽⁴⁾.

(1) المناوي، فيض القدير، 408/5.

(2) السابق.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1455، 585/2.

(4) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 502.



(6) اتقاء أسباب تعطيل ملكة الاجتهاد والتفكير لدى الإنسان.

ومن أهمها:

- الانشغال بالخلق عن الخالق، وبالنعمة عن المنعم، وبالكائنات عن موجدتها، مما يجعل الإنسان منشغلاً عن التفكير بعظمة الخالق وبديع وما خلق وعظيم ما أنعم.
- الركون إلى الأشخاص ذوي التعليم المحدود، أو الفكر المحصور.
- التهيُّب من التفكير البناء والاجتهاد فيه، والخوف من عرض الأفكار الجديدة والمفيدة.
- تغليب جانب الحفظ على الاجتهاد في الإدراك والفهم والفكر.
- انخفاض مستوى الطموح، والابتعاد عن الإبداع والابتكار وتوليد الجديد من الأفكار.
- الوجود في بيئة لا تشجع على الاجتهاد والتفكير والتفكير، والإبداع والجديد.

ضوابط الاجتهاد والتفكير والتفكير:

عقلُ الإنسان بطبيعته مجتهد لا ينقطع عن التفكير، وهذه جبلة خلقه الله عليها، وعلى الإنسان أن يحمل عقله على التفكير السليم المنضبط، وأن



يكون جهده واجتهاده ذا ثمرة ونفع، وحتى يكون التفكير سليماً، والاجتهاد نافعا، لا بد له من ضوابط يلتزمها الإنسان، ويُعَمِل عقله في مسارها:

(1) أن يكون الاجتهاد والتفكير خالصاً لوجه الله تعالى:

الإخلاصُ لله تعالى من أهمِّ الضوابط التي تجبُّ مراعاتها في كل اجتهادٍ، وعند كل فكر، وذلك بأن تكون نيةُ طالبِ العلم الوصول إلى رضا الله تعالى والتقرب منه، ونفع الناس بعلمه، فالعلمُ إذا خُلصَتْ فيه النيةُ قُبِلَ وزكا، ونَمَتْ بركته، وَمَنْ أَخْلَصَ لله تعالى أَثِيبَ بِقَدْرِ إِخْلَاصِهِ، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ علماً مما يبتغى به وجهُ الله عزوجل لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عَرَضاً مِنَ الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»⁽¹⁾، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ النبي ﷺ قال: «لَا تَعْلَمُوا العلمَ لثَبَاهُوا به العلماء، وَلَا لثَمَارُوا به السفهاء، وَلَا تَخَيَّرُوا به المجالس»⁽²⁾. قال الشافعي رحمه الله: "أَخْشَى أَنَّ مَنْ طَلَبَ العلمَ بغير نية ألا يَنْتَفِعَ بِهِ"⁽³⁾.

(2) أن يكون العلم نافعا والأفكار مشروعة:

قد يجتهد الإنسان بالاشتغال في علمٍ، ويجهد فيه فكره وعقله، ولكنه لا يَنْتَفِعُ به، ولا يَنْفَعُ به غيره، ولا يجلب له مصلحةً في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا مما ينبغي للإنسان العاقل أن يجتنبه، ولا يضيع وقته فيه، وكان النبي ﷺ يستعِذ بالله من علم لا يَنْفَعُ، فكان مِنْ دَعَائِهِ ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3664، 504/5. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 169/1، 252.

(2) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 254، 170/1.

(3) الغزي، محمد بن محمد، حسن التنبيه لما ورد في التشبيه، 566/3.



علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها»⁽¹⁾.

وكذلك الأفكار التي يشغل الإنسان بها عقله، يجب أن تكون نافعة، وغرضها نبيلًا، وأن تكون موافقة للقوانين والقيم والأخلاق، تعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة، فيفكر بما يطور نفسه، ويرتقي بذاته، وينفع مجتمعه، ويزدهر به وطنه.

(3) أن تكون الأفكار عملية واقعية:

فيركز المرء على الأفكار التي يمكن تحقيقها وتطبيقها في الواقع، والتي تتماشى وتتناسب مع الظروف والإمكانات المتاحة؛ حتى يستطيع تحويل أفكاره إلى واقع ملموس بفعالية وكفاءة، ولا يضيع جهده فيما لا طائل منه ولا فائدة فيه.

(4) مراعاة المصالح والمفاسد:

فعلى المرء أن يفكر بالنتائج المحتملة وراء كل جهد وفكرة، ويقدر الفوائد والأضرار الناجمة عنها، فيقدم على ما يغلب على ظنه أن عاقبته خير، ويحجم عما يغلب على ظنه أن عاقبته سوء؛ حتى يحقق أكبر قدر من الفائدة، ويتجنب أكبر قدر من الضرر، ويكون الاجتهاد والتفكير متكاملًا، ومتوازنًا، ومستدامًا، قال الشافعي رحمه الله: "صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفتنة،

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2722، 81/8.



ومشاورة الحكماء ثبات في النَّفس، وقوَّة في البصيرة، ففكَّر قبل أن تعزم، وتدبَّر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم⁽¹⁾.

(5) استشارة ذوي العقول والخبراء:

فالعاقل يجمع إلى تفكيره مشورة أصحاب الرأي والخبرة وذوي الحكمة ومن يعلم عنهم الرأي الصائب، فإن ذلك يوفر له رؤية أعمق، وفهمًا أكبر، ويعين على تجنب الأخطاء، ويزيد من صواب اتخاذ القرارات، ومن فرص النجاح، فقد كان رسول الله ﷺ يحفِّز أصحابه على التفكير والاجتهاد في التوصل إلى الأفكار المبتكرة من خلال المشورة معهم، فكان يقول لهم: «أشيروا عليَّ»⁽²⁾، فالاستشارة أشبه ما تكون بالعصف الذهني؛ حيث تتلاقى العقول فتتولد الأفكار.

ثمرات الاجتهاد في العلم والتفكر والتفكير:

للاجتهاد في العلم وإعمال العقل بالتفكر والتفكير عددٌ من الثمرات التي تنعكسُ على الفرد والمجتمع والوطن، ومن أهمِّها:

(1) تنمية القدرات العقلية واكتساب المعرفة:

وذلك بتعزيز الملكات الاستنباطية والمهارات الفكرية؛ حيث إنه يعزز التفكير النقدي والإبداعي، ويعين على تطوير مهارات التحليل والتفكير والمنطقي وحل المشكلات، والفهم العميق للأمور.

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/424.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4479، 4/1780.



(2) مَعْرِفَةُ حَالِ النَّفْسِ، والسَّعْيِ فِي تَهْذِيبِهَا:

لأنَّ الإنسان متى اجتهد في التَّفَكُّر في نفسه عَرَفَ عُيُوبَهَا ومحاسِنَهَا؛ قال الفضيل رحمه الله: "التَّفَكُّرُ مِرَّةً تُرِيكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ"⁽¹⁾، فثمررة التَّفَكُّر العلم، وإذا حَصَلَ العلمُ في القلب تَغَيَّرَ حالُهُ إلى المحاسبة، والرغبة في الجِدِّ والاجتهاد، وتَغَيَّرَ أعمالُ الجوارح تَبَعًا لِتَغَيُّرِ القلب، فيصلح الإنسان، ويتحسَّن حالُهُ.

(3) الاجتهادُ في العمل:

فالفكر يثمر اليقين ويقود إلى العمل، فإذا تفكر الإنسان فيما يُصلحه وينفعه؛ قام به، وإذا تفكر في عاقبة أمره، وصلاح آخرته؛ زاده ذلك اغتنامًا لوقته، وحرصًا على ما ينفعه، وسعيًا فيما ينفع غيره، وجدًّا واجتهادًا في إرضاء ربه سبحانه، فقد كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: "اعلم أنَّ التَّفَكُّر يدعو إلى الخير والعمل به"⁽²⁾.

(4) زيادةُ الإيمان بالله، والخشية والمحبة له:

بالتفكُّر يُفهم كلام الله تعالى وهدى نبيه ﷺ، ويدرك معالم دينه، وفقه أحكامه، ودقائق حكمه، ويُرزق المتفكر العلم والمعرفة والحكمة، قال الشافعي رحمه الله: "اسْتَعِينُوا عَلَى الاسْتِنْبَاطِ بِالْفِكْرِ"⁽³⁾.

(1) أبو الشيخ، عبد الله بن محمد، العظمة، 227/1.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 134/2.

(3) ابن حنبل، الحسن بن الحسين، الفوائد والأخبار والحكايات عن الشافعي وحاتم الأصم ومعروف الكرخي، ص 139.



والتَّفَكُّر في آياتِ الله وَخَلْقِهِ في الكون، وفي الآفاق، وفي الأنفس يؤدي إلى زيادة الإيمان، فيترسَّخ في قلب المتفكِّر معاني قُدرةِ الله تعالى، وقُوَّته، وعظمتِه، وتدبيرِه، وقَيُّومِيَّتِه، ورحمَتِه، وحِكمَتِه، كما يؤدي إلى طاعة الله، والتزيد من عبادته، قال بشر بن الحارث رحمه الله: "لو تفكر الناس في عظمة الله؛ ما عصوا الله عز وجل"⁽¹⁾.

وبالتفكر في النِّعم والتأمل في الآلاء تحصل المحبة لله وتزيد؛ لأنَّ النفس مجبولة على حب مَنْ أحسنَ إليها، فإذا تأمل الإنسان نِعَمَ الله الكثيرة عليه؛ أوصله ذلك إلى محبته ﷺ، قال ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُم مِنْ نِعَمِهِ»⁽²⁾.

وبالاجتهاد في التفكير - كذلك - تزيد خشية الإنسان من ربه، فقد جعل سبحانه وتعالى العلماءَ أولى الناس بخشيته، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، ومعنى الآية: "إنما يخافُ اللهَ فيتقي عقابَه بطاعته العلماءُ بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ ذلك أيقنَ بعقابه على معصيته؛ فخافَه ورهبه خشيةً منه أن يعاقبه"⁽³⁾.

5) طمأنينة النفس وانسراح الصدر:

فإن الذي يجيل الفكر في أموره وجميع شؤونه، وينظر في عواقبها، ويتأمل قبل أن يُقدِّم عليها، يغلب صوابُه خطأه، فيطمئن قلبه، ويرتاح باله، وينشرح صدره، وتسعد نفسه.

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 337/8.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3789، 126/6.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 462/20.



ومن يتأمل في بديع صنع الله وعظيم خلقه وحسن تدبيره؛ يعلم أن لهذا الكون سيِّداً خالقاً عظيماً ومدبراً حكيماً، فيطمئن!
وعندما يتفكر المرء في خلق الله فيذكر الله تعالى؛ يطمئن قلبه بذكر الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

(6) رفعة الإنسان:

جعل الله سبحانه وتعالى العلم والاجتهاد فيه سبباً لرفعة طالبه، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، ومعنى الآية: "﴿قُلْ﴾: بياناً للحق، وتنبيهاً على شرف العلم والعمل، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم؛ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم؟! ⁽¹⁾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5]، وهذا من كمال كرمه سبحانه وإكرامه لعباده، فقد علَّمهم ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ⁽²⁾. وهذا يدل على أن مما يستحق به الإنسان التكريم: أنه أعطي العلم، فالعلم أشرف عطية، وأعظم موهبة ⁽³⁾.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 245/7.

(2) ابن عجيبة، البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد، 328/7.

(3) النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، 232/1.



(7) الارتقاء في المجتمع والوطن:

وذلك في جميع المجالات، فإن الاجتهاد في طلب العلم والتفكير والتفكير سبيل إلى التطور والرقى، وسبب رئيس في الإبداع والابتكار، الذي يؤدي إلى الاستقرار وتحقيق الازدهار. والاجتهاد والتفكير والتفكير تعزز البحث العلمي، والتقدم المعرفي، والابتكار والإبداع، مما يسهم في دفع عجلة التقدم في المجالات التكنولوجية والتعليمية والصحية، ويسهم في دعم الاقتصاد الوطني عبر إدارة الموارد بكفاءة، ويعزز الاستقرار الاجتماعي والوحدة الوطنية، ويُقوي الهوية الوطنية والانتماء من خلال التفكير في التراث التاريخي والعادات والتقاليد، محققًا تقدمًا مستدامًا للوطن على كافة المستويات.

كما يسهم الاجتهاد في طلب العلم في الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي للوطن، ويعزز الافتخار بالهوية الوطنية، وذلك من خلال فهم أعمق للجذور الثقافية، ويكون أفرادًا متعلمين، ينقلون خبراتهم ومعارفهم وعلومهم وإبداعاتهم وابتكاراتهم للأجيال القادمة؛ مما يضمن استمرار قيمة الاجتهاد وتطورها لدى الأجيال المتلاحقة.

خاتمة:

وهكذا؛ فإن الاجتهاد في طلب العلم يمثل قيمة عظيمة ترتقي بالفرد والمجتمع والوطن، وتحقق الرفعة والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة، كما أن بذل الجهد في تحصيل العلوم والمعارف يعزز التفكير النقدي والنظر الإبداعي، ويسهم في التقدم على المستوى الفردي والاجتماعي.



وبالاجتهاد في التفكير والتفكير يستثمر الإنسان عقله وملكاته، ويستزيد من علومه ومعارفه، ويدرك حقائق الأشياء وكنهها، ويتوصل إلى عظمة خالقه وطاعته وحسن عبادته، لذا كان لزامًا على كل إنسان أن يكون التفكر عبادة له، والتفكير جزءًا من أعماله، يتغلب على كل ما يعيقه، ويسعى إلى تطوير بيئة محفزة تتيح له الاستفادة الكاملة من هذه النعمة العظيمة، بالجهد المستمر، والعزيمة والصبر، ليصل إلى أعلى مراتب العلم والفهم، ويسهم في رفعة نفسه، وبناء مجتمعه، وازدهار وطنه، ولا بدّ لمن يطلب المعالي أن يجد ويجتهد في طلب العلوم وتحصيلها، لينال ثمراتها اليانعة وقطوفها الدانية، ورحم الله القائل: "من لم يصبر على ذل التعلم؛ بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه؛ آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا"⁽¹⁾. ولله در الإمام الشافعي إذ يقول:

بَقْدَرِ الْكَدِّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي	وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ	أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرَوْهُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا	يَغْوُصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّأَلِي ⁽²⁾

* * *

(1) النووي، المجموع شرح المذهب، 37/1.

(2) ينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 1912.



- الصدق

مقدمة:

الصدق قيمة أخلاقية تشمل جميع المجالات، وتعظم أهميتها في العلم؛ تعلُّماً وبحثاً وتعليماً؛ حيث إنه لا يمكن فصل الصدق عن العلم، فالعلمُ: معرفة المعلوم على ما هو به ⁽¹⁾، أو: إدراكُ الشيء بحقيقته ⁽²⁾، والصدق: مطابقةُ الحكم على الشيء للواقع ⁽³⁾؛ فيظهر من اتحاد روح التعريفين أن الصدق عنصر أساس لنجاح العلم وتقدُّمه وتطويره؛ وإنَّ السَّعي وراء الحقيقة والتمسُّك بالصدق - خاصة في البحث العلمي - يضمن مصداقية النتائج ومخرجات البحث العلمي، كما أن الصدق يعصم العلم من التلاعب بالحقائق أو تزويرها، فالصدق خلقٌ أصيل ينبغي أن يتحلى به العلماء والباحثون وطلبة العلم في طلبهم للعلم وحصولهم على المعرفة، وقد امتدحَ الله تعالى الصدقَ وذكره في أوصاف المؤمنين، ورَتَّبَ عليه الثواب والأجر الجزيل، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، وأمر به المؤمنين، فقال جلَّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

تعريف الصدق:

أولاً- في اللغة:

الصدق في اللغة مصدر الفعل "صَدَقَ"، ويأتي بمعانٍ عدَّةٍ، أهمُّها:

(1) الباجي، الحدود في الأصول، ص 95.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580.

(3) الجرجاني، التعريفات، ص 132.



1. القوة في الشيء: "الصَّادُ وَالِدَالُ والقافُ أصلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي

الشيء قَوْلًا وَغَيْرُهُ، مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، سُبِّي لِقُوَّتِهِ فِي
نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ، وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ
صَدَقَ، أَيُّ: صُلُبٌ، وَرُمِّحَ صَدَقٌ"⁽¹⁾.

2. خلاف الكذب: "الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ"⁽²⁾، وَصَدَقَهُ: قَبِلَ قَوْلَهُ،

وَصَدَقَهُ الْحَدِيثُ: أَنْبَأَهُ بِالصِّدْقِ، وَيُقَالُ: صَدَقْتُ الْقَوْمَ، أَيُّ: قُلْتُ
لَهُمْ صَدَقًا، وَرَجُلٌ صَدُوقٌ: أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ⁽³⁾، وَالصِّدِّيقُ: الْمُلَازِمُ
لِلصِّدْقِ⁽⁴⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

الصدق في الاصطلاح لا يخرج عن معناه في اللغة،

فقليل في تعريفه: إنه "مطابقة الحكم على الشيء للواقع"⁽⁵⁾.

وقيل: "مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معًا [بمعنى: وقوع التطابق بين

قول الإنسان عن شيء، وما في نفسه ورأيه عنه، وما هو على حقيقته واقعًا]،

ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا"⁽⁶⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 339/3، (صدق).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1505/4، (صدق)، وينظر: ابن منظور، لسان
العرب، 193/10، (صدق).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 193/10، (صدق).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 339/3، (صدق).

(5) الجرجاني، التعريفات، ص132.

(6) الراغب، المفردات في الغريب، ص277.



وقيل: "استواء السر والعلانية والظاهر والباطن؛ بالألا تكذب أحوالُ العبد أعماله، ولا أعماله أحواله".

ويمكن تعريف الصدق كونه قيمةً من قيم العلم بأنه: الالتزام بالمعايير الأخلاقية العلمية؛ من نزاهة وشفافية، ودقة ووضوح، وكل ما من شأنه أن يضمن مصداقية البحث العلمي، ويحقق جودة تعلّم العلم وتعليمه.

أهمية الصدق:

الصدق قيمة أخلاقية عظيمة، وفطرة إنسانية نبيلة، وركن من أركان الفضائل التي دعا ديننا الحنيف إليها؛ ينبغي على كل أحد التحلي به، في جميع المجالات، وسائر الأحوال، وذلك لأهميته البالغة، وأثره النافع، ولما يحققه من ثقة بين الأفراد، ومصادقية في الأقوال والأفعال، وتعزيز للعلاقات الاجتماعية بين الناس، وتتجلى أهمية الصدق فيما يأتي:

(1) الصدق من صفات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، وقال جلّ ذكره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]، يعني بذلك سبحانه: فاعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقيئاً، فلا تشكوا في صحته، ولا تمتروا في حقيقته، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه، ووعدى الصدق الذي لا خُلف له، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، يقول: وأي ناطق أصدق من الله حديثاً؟



وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً، أو يدفع به عنها ضرراً، والله - تعالى ذكره - خالق الضر والنفع، فغير جائز أن يكون منه كذب؛ لأنه لا يدعو إلى اجتلاب نفع إلى نفسه أو دفع ضرر عنها⁽¹⁾.

(2) الصدق من صفات الأنبياء عليهم السلام:

الصدق من صفات رسل الله تعالى، بل هو من أخص صفاتهم، فهم المبلغون عن الله تعالى، فوجب أن يتصفوا به، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في العديد من الآيات؛ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56، 57]، وقال تعالى عن رسوله الكريم محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: 37] أي: صدق من كان قبله من المرسلين⁽²⁾، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 80]. ولقد كان الصدق من أخص وأعظم صفات النبي ﷺ، فهو الصادق الأمين، صاحب الخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33 - 34].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 592/8 - 593.

(2) السابق، 34/21.



ويوم نادى النبي ﷺ قريشاً بمكة ووقف على جبل الصفا قائلاً: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً⁽¹⁾. وفي رواية: قالوا: ما جربنا عليك كذباً⁽²⁾.

وكان الصدق من أحب الصفات إليه ﷺ، إذ قال ﷺ: «أحبُّ الحديثِ إليَّ أصدقُه»⁽³⁾. كما كان الكذب من أبغض الصفات إليه ﷺ، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «ما كان خُلُقٌ أبغَضَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجلُ يكذبُ عند رسول الله ﷺ الكذبة؛ فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه قد أحدثَ منها توبة»⁽⁴⁾. ويلتزم ﷺ بالصدق في جميع أحواله حتى في مزاحه، ففي الحديث: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال: «إني لا أقول إلا حقاً»⁽⁵⁾.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: حفظتُ من رسول الله ﷺ: «دَع ما يربُّك إلى ما لا يربُّك، فإن الصدق طمأنينةٌ، وإن الكذب ريبةٌ»⁽⁶⁾.

3) الصدق من أخلاق المؤمنين، وهم به مأمورون:

فالصدق من أجل الصفات التي يتخلق بها المرء، قال رسول الله ﷺ: «أَزْبَعُ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4770، 111/6.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4971، 179/6، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 208، 134/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2307، 99/3.

(4) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 25183، 101/42.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1990، 357/4.

(6) السباق، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2518، 668/4.



حَدِيثٌ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»⁽¹⁾. وقد وصف الله تعالى في القرآن الكريم عباده المؤمنين بصفات وخصال كثيرة، ومن أهمها صفة الصدق؛ قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23]، وقال ﷺ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، وذلك لعظم شأن الصدق عند الله تعالى، كما أمر المؤمنين بالتزام الصدق، والاهتداء بأهل الصدق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وجعل سبحانه وتعالى منزلة الصدق تالية لمنزلة الأنبياء، فهم ممن أنعم الله تعالى عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69]، وهؤلاء هم الرفيق الأعلى، الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

(4) الصدق صفة جامعة لكلِّ بر:

عدَّد الله سبحانه وتعالى أوجه البر، ثم وصف العاملين بها والمتخلفين بأخلاقها بالصادقين، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 7876، 349/4.



[البقرة: 177]، يعني: مَنْ فَعَلَ هذه الأشياء؛ فهم الذين صَدَقُوا اللَّهَ في إيمانهم، وَحَقَّقُوا قَوْلَهُمْ بِأفعالهم⁽¹⁾.

وقال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»⁽²⁾.

أنواع الصدق ومجالاته:

للصدق أنواع كثيرة، ومجالات متعددة، من أبرزها:

1) الصدق في العلم:

بالتزام الأمانة العلمية في نقل المعلومات، وعدم تحريفها أو تزويرها، وكذلك بتقديم المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة، والتأكد من صحتها وصدقها، والدقة في التوثيق من المصادر والمراجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، ويتمثل الصدق في العلم في عدم نسبة شيء من أفكار غيره لنفسه، قال ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَالِابِيسِ ثَوْبِي زُورٍ»⁽³⁾. كما يتجلى

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 356/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 2012/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5219، 35/7.



الصدق في العلم في نقله ونفع الغير منه وعدم كتمان شيء منه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42].

(2) الصدق في الأقوال:

بأن يطابق قول الإنسان الحقيقة والواقع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

(3) الصدق في الأفعال:

بأن يطابق فعل الإنسان نيته وقوله، فيفي بوعده، ويخلص في عمله، ويؤدي ما يتوجب عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

(4) الصدق في النيات:

بأن تكون نية الإنسان خالصة لوجه الله تعالى، وصادقة في نفع الناس، بعيدة عن الرياء، قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»⁽¹⁾. ومن علامات صدق النية: الاهتمام بها، واستحضارها واستذكارها قبل العمل وفي أثناءه، ومحاولة تحريرها وتنقيتها مما يشوبها من حظوظ النفس الدنيوية وما يخالف التعاليم الدينية والقيم الإنسانية، فمن صحَّ قصده وصدق نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقاً في نيته وعمله⁽²⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1، 6/1.

(2) ينظر: المحاسبي، آداب النفوس، ص122. والغزالي، إحياء علوم الدين، 388/4.



(5) الصدق في الوعد:

ويتجلى في الوفاء بالوعود والعهود، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]، كما جعل النبي ﷺ الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين.

(6) الصدق في العزم:

وهو الجد والعزم على القيام بالأعمال دون تردد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]، وقال رسول الله ﷺ: «وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ؛ وَلَا تَعْجِزْ»⁽¹⁾.

(7) الصدق مع النفس:

ويتمثل في وقوف الإنسان مع نفسه وقفة صدق، معترفًا بأخطائه، ساعيًا لتصحيحها، وتحسين نفسه وتطويرها، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا"⁽²⁾.

(8) الصدق مع الله:

بالإخلاص الكامل لله سبحانه وتعالى في الأقوال والأفعال والنوايا والأحوال، فيقصد رضاه، وابتغي وجهه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمِرُوا

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2628، 451/4.



إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿البينة: 5﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إِن اللَّه لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»⁽¹⁾.

طرق اكتساب ملكة الصدق:

الصدق فطرة في الإنسان ينشأ معه، ويستمر ما لم يحصل ما يغيره، ويحيد به عن أصله، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ خَلَةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»⁽²⁾، والمؤمن صادق في كل أحواله، فلا يكون كاذبًا في حال من الأحوال، قيل لرسول الله ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: «لَا»⁽³⁾.

ويتعزز الصدق ويترسخ من طرق عدة أهمها:

1) اعتياد التحقق والتوثيق:

أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بالتبيين والتثبت في الأمور كلها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]. وفي حكاية موقف سليمان من خبر الهدهد عن أهل سبأ قال تعالى: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 27].

فإذا سمع خبرًا أو بدا له رأي تحرى الفهم، وفي التنزيل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: 79]، وتحقق وتوثق قبل أن ينقل، وبذلك يكون قد تحرى الصدق، «وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ

(1) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 6865، 344/5.

(2) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، رقم الحديث: 711، 36/2.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22171، 505/36.



صِدِّيقًا⁽¹⁾، فإن قَصَرَ في التَّحَقُّق والتَّوَثُّق وتحري الصدق وقع في خلافه، ففي الحديث: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمع»⁽²⁾، وقال مالك رحمه الله: "اعلم أنه ليس يَسْلَم رجلٌ حَدَّث بكلِّ ما سَمِع، ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يحدِّث بكلِّ ما سمع!"⁽³⁾، فلا يكون المتحدث مجرد ناقلٍ لما سمع، ولا يسلِّم عقله وفكره لغيره من دون محاكمة وفهم وتوثق وتحقق، ولا يعفيه من ذلك مجرد الإسناد للأخبار؛ بأن يقول: "قالوا"، و"نشروا"، و"زعموا"... ففي الحديث: «بئسَ مَطيَّةُ الرَّجُلِ: "زَعَمُوا"⁽⁴⁾».

(2) القدوة الصادقة:

فالصدق يتعزز في النفس بمصاحبة الصادقين، ومصادقة المستقيمين؛ لأجل هذا حث الله تعالى على صحبة الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، كما أن الصغار يقتدون بأقوال الكبار الصادقة وفعالهم، فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاعِدُّ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ»⁽⁵⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 2012/4.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 5، 10/1.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 5، 11/1.

(4) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4972، 328/7.

(5) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4991، 298/4.



(3) تعزيز السلوك الصادق:

فإن مكافأة السلوك الصادق والثناء على صاحبه يعززهُ ويزيده، خاصة مع الصغار والأطفال، فإن ذلك يبني جيلاً صادقاً، في قوله وفعله وسَمته وجميع تعاملاته.

(4) التعليم والتربية:

فالتوعية بأهمية الصدق، ومكانة الصادقين، وسرد قصصهم، وبيان ثمرات الصدق ومنافعه، سبيل إلى ترسيخه وتعزيزه في نفوس المتعلمين.

(5) تعزيز دواعي الصدق:

بدعم ما يدفع إلى الصدق ويرسخه قيمة، ودواعي الصدق أربعة:

- أ- العقل: من حيث كونه موجباً لقبح الكذب.
- ب- والدين: حيث ورد بوجوب اتباع الصّدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلّا كلّ خير.
- ت- والمروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق.
- ث- وحبّ الاشتهار بالصّدق: فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين الناس؛ لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم⁽¹⁾.

فيتعزز الصدق بإعمال العقل في فضائله ومآلات أهله، ومعرفة منزلته وثوابه في الدين، وسوء ما ينافيه ويقابله، ومصاحبة أهل المروءات والقراءة عنهم والنظر في أخبارهم، والاهتمام بالسمعة.

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 261 - 262.



ضوابط قول الصدق:

الصدق قيمة رئيسة وأساسية، وهي جوهر لدى كل إنسان، إلا أن ممارستها والتزامها ينبغي أن يكون منضبطاً؛ بحيث لا يؤدي إلى إيذاء الآخرين، أو التسبب في ضررهم، ومن أهم ضوابط قول الصدق:

(1) التلطف في قول الصدق:

فديننا الحنيف يحث على التعامل مع الآخرين بلطف ورفق ورحمة؛ بحيث يراعي مشاعرهم، ويتلطف في قول الحقيقة لهم، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

(2) الحكمة في اختيار الوقت المناسب لقول الصدق:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، فمن حُسن القول قول الصدق في وقته المناسب؛ حتى لا يتسبب في أذية الآخرين أو الإضرار بهم.

ثمرات الصدق:

للصدق ثمرات جليلة، وفوائد جمّة غفيرة، من أهمها:



(1) الصدق طريق الموثوقية:

إذا صدق الباحث في بياناته ومعلوماته ونتائجه، وقدّم نتائج حقيقية، غير مزيفة ولا مغلوطة ولا مضللة؛ تميز بحثه بالدقة والموثوقية والشفافية والنزاهة، وأمكن الاعتماد عليه، والبناء على مخرجاته.

كذلك يصدق في مصادره ومراجعته، وعزو الأفكار إلى مصادرها وتوثيقها - وسيأتي حديث عن الأمانة العلمية قريباً -.

(2) الصدق طريق إلى الجنة:

وعد الله تعالى الصادقين بالجزاء العظيم، والثواب الكبير، فقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، ووعدهم سبحانه بالنعيم المقيم، ورضوان الله ﷻ، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 119]، قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ»⁽¹⁾. وقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِجًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»⁽²⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

2607، 2012/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3849، 1265/2، واللفظ له.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4800، 253/4.



(3) نيل منزلة الأفضلية:

فإن الصادقين هم أفضل الناس، قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِنْثَمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٌّ وَلَا حَسَدٌ»⁽¹⁾.

(4) حصول البركة:

فالصدق سبيل لحصول البركة في الأرزاق وفي العلوم وفي سائر الأمور، قال النبي ﷺ عن المتعاملين: «فَإِنْ صَدَقًا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»⁽²⁾.

(5) محبة الله ومحبة الناس:

فالصادق يكون في نفسه سعيداً، وعند الله محبوباً، وبين الناس محبوباً، قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ فَأَدُّوا إِذَا انْتُمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَحْسِنُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ»⁽³⁾.

(6) طمأنينة القلب وراحة البال:

فالصدق يمنح صاحبه شعوراً بالطمأنينة وراحة في الضمير، فيحرره من القلق والتوتر والضغط النفسية التي يتسبب بها عدم قول الحقيقة، «فإن

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، ص88.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2079، 58/3.

(3) الطبراني، المعجم الأوسط، رقم الحديث: 6517، 320/6.



الصدق طمأنينةٌ، وإن الكذب ريبةٌ»⁽¹⁾. كما أن الصدق يعزز الثقة بين الأفراد، فيمنحهم الأمن والاستقرار، ويجنّبهم المشكلات والصراعات.

(7) عناية الله، والنجاة في العواقب:

يوم نزل الوحي على النبي ﷺ في غار حراء؛ رجع إلى زوجته خديجة رضي الله عنها يرحف فؤاده، وقال: لقد أشفقت على نفسي! قالت خديجة رضي الله عنها: "أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم..."⁽²⁾. وهذا كعب بن مالك، كان صدقه سبب منجاة، فعنه ﷺ في قصة توبته قال: قلت: يا رسول الله، إن الله إنَّمَا نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدتُ منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً... فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتُه، فأهلك كما هلك الذين كذبوا"⁽³⁾.

(8) الصدق طريق الفلاح والنجاح:

فإن الله تعالى يفتح للمصدقين أبواب التوفيق والفلاح في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا، وَلِسَانَهُ صَادِقًا، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً»⁽⁴⁾**.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2518، 668/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 7/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4418، 3/6.

(4) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 21310، 239/35.



خاتمة:

وهكذا؛ فإن الصدق قيمة أخلاقية عظيمة، تنعكس إيجابياتها على جميع مجالات الحياة؛ خاصة في المجالات العلمية والتعليمية، فهو من أبرز الأخلاقيات العلمية والتعليمية التي تعمّ فوائدها الفرد والمجتمع، فالصدق مفتاح النجاح، ووسيلة لتعزيز الثقة والمصداقية بين الناس، وسبيل إلى طمأنينة القلب وراحة البال، وحصول البركة في الحياة، ونيل رضوان الله تعالى وجنته ﷻ.

* * *



- الأمانة العلمية -

مقدمة:

تعد الأمانة العلمية من القيم الأساسية السامية، ومن الركائز الأخلاقية النبيلة، التي تميز الباحثين والعلماء في ميادين العلوم والمعارف المختلفة، فهي تعكس مدى التزامهم بالصدق والدقة في نقل العلم والمعرفة، وتمثل أحد الأعمدة الرئيسة في ضمان النزاهة والشفافية والمصداقية في المؤلفات والأبحاث والدراسات العلمية والفكرية، وهي السبب الرئيس في ثقة الناس بالعلماء والباحثين، وعلومهم وأبحاثهم، وهي صورة من صور الأمانة التي أمر الله تعالى بالمحافظة عليها وأدائها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

وتتجلى الأمانة العلمية في عزو الأفكار إلى أصحابها، والاعتراف بفضلهم وجهودهم فيها، وعدم إنكار حقهم فيها، وبعدم انتحالها أو تزيفها أو تحريفها أو إخفاءها، وبذلك تكون الأمانة العلمية ضامناً في استمرار الجهود المعرفية، والأبحاث العلمية واستدامتها، وسبيلاً إلى تقدم الحضارات وازدهارها، كما أن الخيانة العلمية تعد فعلاً إجرامياً تعاقب عليه القوانين، ويجني المرء من ورائه الإثم المبين.



تعريف الأمانة العلمية:

أ. الأمانة:

أولاً- في اللغة:

يعودُ معنى الأمانة في اللغة إلى الجذر "أَمَنَ" الذي يأتي بمعانٍ متعدّدة،

منها:

1- ضدُّ الخيانة: "الهمزة والميم والتُّونُ أصلانِ مُتقاربانِ: أَحَدُهُما الأمانةُ التي هيَّ ضدُّ الخيانةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ التَّصَدِيقُ، وَالْمَعْنَيَانِ كَمَا قُلْنَا مُتَدَانِيَانِ"⁽¹⁾.

2- الأَمْن والأمان: وهذا المعنى نقيضُ الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ [الأنفال: 11]⁽²⁾، و"الأمانُ والأمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ، وأَمَنْتُ غيري، من الأَمْن والأمان"⁽³⁾.

3- التصديق: فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: 17] أي: مُصَدِّقٍ لَنَا، ولم يَخْتَلَفْ أَهْلُ التفسيرِ على ذلك⁽⁴⁾، وقالَ بعضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِنَّ "المُؤْمِنَ" في صفاتِ اللَّهِ تعالى هوَ أن يَصْدُقَ ما وَعَدَ عَبْدُهُ مِنَ الثَّوابِ⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 133/1، (أمن)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1176، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).

(2) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2071/5، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2071/5، (أمن).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 135/1، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن)، وينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 578/15.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 135/1، (أمن).



ثانيًا- في الاصطلاح:

قيل في تعريف الأمانة اصطلاحًا: "هي كل حقٍّ لزمك أدائه وحفظه"⁽¹⁾.

وذكر بعض المفسرين أنَّ الأمانة في الاصطلاح القرآني على ثلاثة أوجه:

- أحدها: الفرائض، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27]، أي: تُضَيِّعُوا فرائضكم، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72].

- والثاني: الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8].

- والثالث: العفة، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]⁽²⁾.

ب. العلمية:

كلمة "العلمية" في اللغة: منسوبة إلى العلم، والعلم في اللغة: نقيض الجهل⁽³⁾، وتقدم تعريفه في مادة العلم لغة واصطلاحًا، ولعلَّ أبرز التعريفات الاصطلاحية للعلم أنه: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء⁽⁴⁾.

(1) المناوي، فيض القدير، 223/1.

(2) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص 104، 105.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/110، (علم)، وابن منظور، لسان العرب، 12/417، (علم).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580، (علم).



ج. الأمانة العلمية:

أما الأمانة العلمية: فهي التزام نقل النصوص كما هي من مصادرها، من دون زيادة، أو نقصان، أو تحريف، أو تبديل في نصوصها أو معانيها، والتجرّد في فهمها، وتوثيقها بنسبتها إلى أصحابها⁽¹⁾.

فالباحث العلمي لا بدّ له - في جزءٍ من دراسته - أن يعتمد على مجهودات الآخرين، ويستفيد منها، والأمانة العلمية خُلِق من الأخلاقيات العلمية: تقتضي منه أن يوثّق هذه النقول والمجهودات من مصادرها، وينسبها إلى أصحابها.

أهمية الأمانة العلمية:

تأتي أهمية الأمانة العلمية من أمور عدّة، أهمها:

1) أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها:

وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: 283]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، وهذه الآية عامّة في كل أمانة، ومنها الأمانة العلمية، يقابله نبي عن الخيانة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

(1) المرعشي، يوسف، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، ص 77.



(2) أمر النبي ﷺ بأداء الأمانة:

قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَنَّاكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»⁽¹⁾، أي: لا تعامله بمعاملته، ولا تقابل خيانتَه بخيانتك؛ فتكون مثله⁽²⁾. وعن عبد الله بن عباس ؓ أنه قال: "أخبرني أبو سفيان أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ!"⁽³⁾.

(3) حفظ الأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين:

ومما يؤكد أهمية الأمانة أنها صفة بارزة من صفات الأنبياء والمرسلين، وقد وصف الله بها أنبياءه، ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام حين سقى لابنتي الرجل الصالح، وكان معهما عقيقاً أميناً قالت إحداهما: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، وقال تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68]، وقال على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 107]. وكان سيدنا محمد ﷺ معروفاً بالصدق والأمانة حتى قبل بعثته، ففي قصة بناء الكعبة المذكورة في كتب السيرة والحديث أن القبائل تنازعت فيمن يضع الحجر الأسود عندما وصلوا إليه، فاتَّفَقُوا أَنْ يَحْكُمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ﷺ هُوَ أَوَّلَ دَاخِلٍ، فَقَالُوا عَنْهُ: هَذَا مُحَمَّدٌ،

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3534، 393/5. والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 542/2، 1264.

(2) المناوي، فيض القدير، 223/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2681، 180/3.



هذا الصَّادِقُ الأمين، فحَكِّمُوهُ⁽¹⁾.

(4) حفظ الأمانة من صفات المؤمنين الصادقين:

قال تعالى في صفات المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8]، وهذه الآية تشمل كلَّ أمانة؛ بين الإنسان وربه، أو بينه وبين الآدميين، فجميع ما أوجبَه الله على عبده أمانة، على الإنسان حفظُها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار والعلوم وغيرها. قال ﷺ: «والمؤمن من آمنه النَّاسُ على دمائهم وأموالهم»⁽²⁾، فالْمُؤْمِنُ الحق هو من اتصفَ بحفظ الأمانة تجاه الخَلْقِ كما في الحديث.

(5) تعظيم الله تعالى لشأن الأمانة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، فعظَّم الله تعالى شأنَ الأمانة؛ التي هي امتثالُ الأوامر واجتنابُ المحارم، في حال السرِّ والعلانية، وأنه تعالى عرضَها على المخلوقات العظيمة، فإذا قام بها المؤمن وأداها على وجهها، كتب له الثواب، وإن لم يقم بها ولم يؤدِّها استحق العقاب.

(1) بحرق اليميني، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ص 119، وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 1/197.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2627، 370/4. والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 4995، 8/104.



(6) الأمانة العلمية تحفظ حقوق الناس الفكرية وجهودهم الشخصية من السرقة والضياع:

فكما أنَّ صونَ الأمانة بشكل عام يحفظ أموال الناس وأموالهم وأعراضهم؛ فإنَّ الأمانة العلمية تحفظ للباحثين والمفكرين والمثقفين جهودهم وخبراتهم وإبداعاتهم، وتعزز من مصداقية البحث العلمي وترفع من شأنه، وتشجع على الإبداع والابتكار، وتطور العلم والمعرفة، مما يضمن التقدم المستدام للمعارف والعلوم؛ حيث إنَّ الأمانة العلمية تشعر المثقفين بقيمة أعمالهم ورفعة مجهوداتهم، وتحفزهم على التواصل في مجال العلم والمعرفة.

صور من الأمانة العلمية:

الأمانة العلمية ليست وليدة عصرنا الحالي، بل إنَّ العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا أشدَّ الناس حفظاً لها، ومن الأمثلة والشواهد على ذلك:

الحديث النبوي الشريف:

ومن أبرز أمثلة الأمانة العلمية عند العلماء: منهجهم في نقل الحديث الشريف؛ الذين برعوا وتميزوا به، فقد حصر العلماء طرقَ الأخذِ للحديث وتلقَّيه عن الرواة بثماني طرق، وذلك من أجل ضبط نقل الحديث؛ بحيث لا يكون فيه زيادة لا نقصان ولا تغيير، ويمكن تلخيصُ هذه الطرق فيما يأتي:

1. السماع: وهو الوسيلة التي تلقَّى الحديث بواسطتها رعيُّ المحدثين الأوائل عن النبي ﷺ، ثم رَووه بها للناس أيضاً، فلا غرو أن يعتبر



أعلى مراتب التلقّي للحديث، وأرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين من المحدثين وغيرهم، والعمدة في هذا القسم على سماع لفظ الشيخ، وذلك قد يكون بمجرد سرده للحديث، وقد يكون إملاء، سواء كان من حفظه أو بالقراءة من كتابه، فكل ذلك سماع عند المحدثين.

2. **العرض:** سلك المحدثون هذا الطريق بعد أن انتشر التدوين، وأصبحت كتابة الحديث أمرًا شائعًا، ومعنى العرض عندهم: القراءة على الشيخ من حفظ القارئ، أو من كتاب بين يديه، وهو طريق صحيح في تلقي الحديث، والرواية به سائغة بالإجماع.

3. **الإجازة:** وهي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثًا أو كتابًا أو كتبًا من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، كأن يقول له: أجزتك أو أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، أو كتاب الإيمان من صحيح مسلم، فيروي عنه بموجب ذلك من غير أن يسمعه منه أو يقرأه عليه، وقد أجاز الرواية بها جمهور العلماء، من أهل الحديث وغيرهم.

4. **المناوله:** ومعنى المناولة عند المحدثين أن يعطي الشيخ للتلميذ كتابًا أو صحيفة ليرويه عنه.

5. **المكاتبة:** وهي أن يكتب المحدث إلى الطالب شيئًا من حديثه ويبعثه إليه.

6. **الإعلام:** وهو إعلام الراوي للطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه من فلان، من غير أن يأذن له في روايته عنه.



7. الوصية: الوصية وسيلة ضعيفة من طرق التحمل، وهي: أن يوصي

المحدث لشخص أن تدفع له كتبه عند موته أو سفره.

8. الوجدادة: وهي: أن يجد المرء حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده،

فله أن يروي عنه على سبيل الحكاية فيقول: "وجدت عن فلان:

حدثنا فلان..."، أما روايته بـ"حدثنا" أو "أخبرنا" أو نحو ذلك مما يدل

على اتصال السند؛ فلا يجوز إطلاقاً⁽¹⁾.

الكتب والتصانيف:

يقف الناظر في كتب أهل العلم على لطائف والتفاتات تظهر مدى دقتهم

في النقل والعزو، وعنايتهم في تمثُّل الأمانة العلمية ونسبة العلم إلى أهله، ومن

الشواهد على ذلك:

1. قال المزني في مختصره: "باب الطهارة. (قال الشافعي): قال الله عزَّ

وجلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]"⁽²⁾. قال الإمام

السيوطي - رحمه الله - معلِّقاً ومبيناً لدقَّة المزني في أمانة النقل: "أفمَّا

كان المزني رأى هذه الآية في المصحف، فينقلها منه بدون عزوها إلى

إمامه؟ قال العلماء: إنما صنع ذلك؛ لأن الافتتاح بها من نظام

الشافعي لا من نظامه"⁽³⁾. فمن دقة المزني رحمه الله ومن أمانته في

نقل العلم أنه نسب ذكر الآية إلى الإمام الشافعي؛ مع أنها آية قرآنية،

ومتاح لكل مصنف أن يدرجها في كتابه، وليست رأياً فقهياً.

(1) ينظر: ابن الصلاح، المقدمة، ص 177.

(2) المزني، مختصر المزني، 93/8.

(3) السيوطي، الفارق بين المصنف والسارق، ص 35.



2. وقد نقل الإمام السيوطي عن إمام الحرمين والرافعي وغيرهم أنهم كانوا إذا نقلوا شيئاً لم يقفوا على أصله الأول قالوا: "وفي كتاب فلان عن كتاب فلان" ⁽¹⁾.

3. ويقول السيوطي أيضاً: "وكان الحافظ ابن حجر يعلم طلبته إذا نقلوا حديثاً أورده لهم أو أثراً أن يقولوا: (رواه فلان أو خرج فلان بإفادة شيخنا ابن حجر)؛ كل ذلك حرصاً على أداء الأمانة، وتجنب الخيانة، فإنها بنست البطانة" ⁽²⁾.

4. وفي كتاب "المزهر" ذكر الإمام السيوطي فصلاً بعنوان: "فصل: ومن بركة العلم وشكره عزُّوه إلى قائله" ⁽³⁾، قال السيوطي: "قال عبد الغني بن سعيد: لما وصل كتابي إلى عبد الله الحاكم أجابني بالشكر عليه، وذكر أنه أملاه على الناس، وضمن كتابه إلي الاعتراف بالفائدة، وأنه لا يذكرها إلا عني، وأن أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم حدّثهم قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد يقول: من شكر العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفي عليّ كذا وكذا، ولم يكن لي به علم؛ حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا، فهذا شكر العلم. انتهى" ⁽⁴⁾.

5. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام p: (من شكر العلم أن تقعّد مع كل

(1) السابق، ص 35، 36.

(2) السابق، ص 41.

(3) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 273/2، وهذا المعنى ذكره ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 922/2.

(4) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 273/2.



قوم، فيذكرون شيئاً لا تُحسِنه فتتعلَّم منهم، ثم تقعدَ بعد ذلك في موضعٍ آخر؛ فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته فتقول: والله ما كان عندي شيء؛ حتى سمعتُ فلاناً يقول كذا وكذا، فتعلَّمته، فإذا فعلتَ ذلك فقد شكرتَ العلم⁽¹⁾. قال الحافظ السيوطي معقِّباً على ذلك: (ولهذا لا تراني أذكرُ في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزّواً إلى قائله من العلماء، مبيناً كتابه الذي ذكر فيه)⁽²⁾.

صور معاصرة للأمانة العلمية:

وعلى هذه الصور للأمانة العلمية سار كثير من أهل العلم المعاصرين، كما برزت صور متعددة جديدة تهدف إلى ضبط قيمة الأمانة العلمية، تمثلت في حفظ:

1) براءات الاختراع والابتكار والإبداع:

والتي تعني حماية حقوق المخترعين والمبتكرين والمبدعين في أي مجال من مجالات العلوم، وأن لهم الحق الحصري في استثمارها وتقديم منفعتها للناس، لا يجوز التعدي عليها، بنسبتها لغيرهم.

2) حقوق المؤلف:

والتي تعني حفظ الجهد الذهني والعلمي والفكري الذي يبذله الكتّاب في تأليف كتبهم، وكتابة أبحاثهم ومقالاتهم وبرامجهم، وحفظ حقوقها لهم،

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 41/2.

(2) السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 273/2.



ونسبها إليهم؛ فإن ذلك من شأنه أن يدفعهم على استدامة المعرفة، والاستزادة من تقديم العلم ونشره بين الناس، ويلحق بهذا حقوق الطباعة والبحث العلمي.

(3) الحقوق الرقمية:

وتتجلى في حماية الحقوق الفكرية الرقمية على مختلف مواقع الشبكة العنكبوتية (النت)، العلمية وغيرها؛ سواء كانت نصية أم صورية أم برمجية، وذلك بعدم نسخها أو توزيعها أو نشرها أو الاقتباس منها من دون إذن أصحابها، أو من دون نسبتها إليهم.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة صدرت مجموعة من التشريعات والقوانين التي تخص الملكية الفكرية، ومن شأنها حماية المصنفات الفكرية وأصحابها وحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مثل: قانون اتحادي رقم (40) لسنة 1992 في شأن حماية المصنفات الفكرية وحقوق المؤلف⁽¹⁾، ومرسوم بقانون اتحادي رقم (38) لسنة 2021 بشأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة⁽²⁾، ونحو ذلك من تشريعات الملكية الفكرية⁽³⁾ التي تقدم الحماية لمؤلفي المصنفات وأصحاب الحقوق المجاورة، وبوجه خاص المصنفات الآتية:

1. الكتب والكتيبات والمقالات وغيرها من المصنفات المكتوبة.
2. التطبيقات الذكية وبرامج الحاسب الآلي وتطبيقاتها، وقواعد البيانات، وما يماثلها من مصنفات.

(1) ينظر: نص القانون، المنظمة العالمية للملكية الفكرية wipo.

(2) ينظر: الملكية الفكرية، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

(3) ينظر: تشريعات الملكية الفكرية، موقع وزارة الاقتصاد.



3. المحاضرات والخطب والمواعظ الشفوية والمكتوبة والمصنفات الأخرى التي لها طبيعة مماثلة

4. المصنفات التمثيلية والمصنفات التمثيلية الموسيقية والتمثيل الصامت.

5. المصنفات الموسيقية المصحوبة وغير المصحوبة بكلمات.

6. المصنفات السمعية أو البصرية أو السمعية البصرية.

7. مصنفات العمارة والرسوم والمخططات الهندسية.

8. مصنفات الرسم بالخطوط أو الألوان، والنحت، والنقش، والطباعة على الحجر أو الأقمشة أو الخشب أو المعادن، وأي مصنفات مماثلة في مجال الفنون الجميلة.

9. المصنفات الفوتوغرافية وما يماثلها.

10. مصنفات الفن التطبيقي والتشكيلي.

11. الصور التوضيحية، والخرائط الجغرافية، والرسومات التخطيطية، والمصنفات ثلاثية الأبعاد المتعلقة بالجغرافيا أو الطبوغرافيا أو التصميمات المعمارية وغيرها.

12. المصنفات المشتقة، دون الإخلال بالحماية المقررة للمصنفات التي اشتقت منها.

13. وتشمل الحماية عنوان المصنف إذا كان مبتكراً، والفكرة المبتكرة المكتوبة للبرنامج الإذاعي⁽¹⁾.

(1) ينظر: [الملكية الفكرية](#)، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.



أنواع الأمانة العلمية:

تتمثل الأمانة العلمية في ثلاثة أنواع:

(1) الأمانة في تلقّي العلم وأخذه:

تتمثل في الالتزام بتلقّي المعرفة من مصادر موثوقة وأمانة ومعتزف بها، وعدم الاكتفاء بالمعلومات السطحية أو المشوّهة، مما يحتمّ على طالب العلم والباحث أن يكون دقيقاً في انتقاء المصادر التي يعتمد عليها، والعلماء الذين يأخذ عنهم، ساعياً لتوسيع آفاقه العلمية بالاستناد إلى الأبحاث والدراسات المثبتة والموثوقة، كما يراعي طالب العلم أخذ العلم بالتدرج؛ حتى يستوعبه ويُلِم بجميع أطرافه، وذلك من أمانة التلقّي في العلم، فإن "تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرّج، شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا؛ يُلقى عليه أولاً مسائل من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يُورَد عليه؛ حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم"⁽¹⁾.

(2) الأمانة في النقل:

وتتجلى في نقل المعلومات بطريقة دقيقة وأمانة، مع الإشارة إلى المصادر الأصلية وتوثيقها بشكل صحيح، تحتّم على الباحث تجنّب التحريف أو الاقتباس من غير ذكر المصدر، والحرص على نقل الأفكار كما هي دون زيادة أو

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 531-532.



نقصان؛ بما يحفظ حقوق أصحابها ويعزز مصداقية العمل العلمي، قال العلماء: "من بَرَكَه العلم وشُكره عَزَّوهُ إلى قائله"⁽¹⁾.

(3) الأمانة في تقديم الأفكار:

من خلال عرضها بشكل موضوعي ونزيه، بعيداً عن التحيز، فعلى الباحث والكاتب أن لا ينقل إلا ما يجيده ويتقنه، ويكون له ملكة فيه، وأن يعرض وجهات النظر المختلفة بشفافية، وأن يقدم تحليلاً منصفاً مدعماً بالأدلة والبراهين، وينقدها نقداً إيجابياً بناءً، ويسعى دائماً لتحقيق الإضافة الحقيقية للمعرفة والعلم.

ضوابط الأمانة العلمية ومظاهرها:

وهي المعايير والإرشادات الهادفة إلى ضمان النزاهة والدِّقَّة في البحث العلمي، والتي يتوجب على العالم والباحث وطالب العلم مراعاتها، ومن أبرزها:

(1) الاقتباس الصحيح:

وذلك بالنقل الصحيح والدقيق للنصوص والأفكار من مصادرها الأصلية، والإشارة إلى هذه المصادر بشكل واضح، مع استخدام علامات الاقتباس عند نقل النصوص حرفياً.

(2) التوثيق الوافي للمصادر:

فمن ضوابط الأمانة العلمية توثيق المصادر والمراجع التي اعتمد عليها

(1) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 2/922، والسيوطي، المزهري علوم اللغة وأنواعها، 231/2.



الباحث في بحثه أو دراسته، وإيضاح بياناتها بشكل يمنع اللبس؛ وذلك بذكر اسم المصدر أو المرجع، واسم مؤلفه، والدار الناشرة، ورقم الطبعة، وتاريخها، ثم رقم الجزء والصحيفة التي نقل منها ما استفاد، مراعيًا في ذلك قواعد التوثيق الأكاديمية المعترف بها.

(3) الصدق في جمع البيانات وتحليلها، وفي استخلاص النتائج ونشرها:

فعلى الباحث أن يقوم بجمع المعلومات والأدلة والشواهد بدقّة وحِرَفيّة، ويتناولها بالإيضاح والتحليل والنقد البناء والنزيه، واستخلاص النتائج منها بشكل سليم ومثمر، وعدم حذف شيء منها أو تحريفه أو احتكارها.

(4) الاعتراف بإسهامات الآخرين:

فيتعين على الباحث والكاتب أن يعترف بإسهامات أساتذته وزملائه الذين شاركوه في المعلومات، وأعانوه على بلوغ مصادرها، مع إيضاح دورهم فيها بكل أمانة وصدق.

(5) التزام الحياد والموضوعية:

فمن أجلى مظاهر الأمانة العلمية التزام الحياد والموضوعية في عرض الأفكار، وتحليلها، ومناقشتها، وذلك بالحياد عن الأفكار المسبقة، أو المعطيات الموروثة، فيكون رائد الباحث في بحثه ما يوصله إليه بحثه، لا ما يمليه عليه مخزونه الفكري.

إن الموضوعية هي صفة فكرية ومهارة ذهنية ولياقة نفسية، تمكّن صاحبها من التجرّد عن المؤثرات الداخلية والخارجية، وتعطيه القدرة على



التزام الحياد الذي يحمله على الاعتدال والإنصاف في المحاكمات الذهنية والتصورات العقلية والانفعالات النفسية، ثم استخلاص النتائج وإصدار الأحكام واتخاذ القرارات والتزام السلوكات بناء على ذلك. من هنا كانت الموضوعية قيمة أصيلة في البحث والمعرفة والتعاملات الإنسانية؛ حيث تسهم في تحقيق الدقة وتيسير الحقائق وبلوغ الصواب؛ من خلال فهم أعمق وأوضح للحقائق والظواهر، يعين في التوصل إلى علم دقيق ومعرفة موثوقة.

وإن تعزيز هذه القيمة يستدعي وعيًا مستدامًا والتزامًا دقيقًا بآلياتها ومبادئها، مع التمسك بركائزها والانضباط بضوابطها؛ مما يعزز الموثوقية ومصداقية الأحكام، ويسهم في بناء مجتمع أكثر توازنًا وإنصافًا.

(6) الحصول على الموافقات المسبقة:

فمن الأمانة العلمية طلب الموافقات - على نشر الاستبيانات، والاستفادة من المعلومات - من أصحابها، أو من الجهات الرسمية المخولة بمنحها، وذلك قبل البدء في البحث.

(7) الالتزام بمعايير النشر العلمي:

المتعارف عليها في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، والبحثية، ودور النشر، وغيرها، بما في ذلك عمليات المراجعة والتصحيح والتعديل المطلوبة من الجهات العلمية والبحثية قبل النشر.



فوائد الأمانة العلمية وثمراتها:

للأمانة العلمية ثمرات جليلة، ومنافع عظيمة، من أبرزها:

(1) تعزيز المصداقية العلمية:

تسهم الأمانة العلمية في تعزيز مصداقية الباحثين والأكاديميين، مما يكسبهم احترام المجتمع العلمي والجمهور، ويزيد الثقة بين الباحثين والجمهور من طلبة العلم وغيرهم، فيتلقون علومهم وأبحاثهم بطمأنينة وثقة، فتعم فائدتها ويعظم أثرها بينهم.

(2) تطوير المعرفة واستمرارها واستدامتها:

فمن خلال الاعتراف بمصادر الأفكار والمعلومات؛ يتمكن الباحثون من بناء أعمالهم على أسس متينة، مما يسهم في تطوير المعرفة والعلم بشكل مستدام، ويشعر الباحثين بالحافز على مواصلة مسيرتهم العلمية والفكرية؛ الذي يؤدي إلى رفع مستوى التعليم والبحث.

(3) التشجيع على الإبداع والابتكار:

فحفظ الحقوق الفكرية يشجع العلماء والباحثين والمفكرين وأصحاب العقول المبدعة والأقلام المبتكرة على المزيد من عرض أفكارهم الاستثنائية، وإفادة المجتمع بها.

(4) تعزيز التعاون العلمي:

فالالتزام بالأمانة العلمية يبني الثقة بين المثقفين والعلماء والباحثين، ويعزز روح التعاون فيما بينهم، في جميع المجالات وكافة الصّعد، ويعمل على



إثراء حركة البحث العلمي؛ من خلال تبادل الأفكار والمعرفة بشكل نزيه وشفاف.

(5) رفع جودة البحث العلمي:

فالأمانة العلمية تثمر أبحاثاً ذات جودة عالية، تعتمد التوثيق، والدقة، والنزاهة في التحليل.

(6) تحقيق الإنصاف:

فالأمانة العلمية تضمن إنصاف العلماء والباحثين؛ من خلال الاعتراف بجهودهم، ونسبة الفضل إليهم، وذلك يعزز مناخاً من النزاهة والشفافية، ويشجع على تلاقي الأفكار، والمزيد من تبادل العلوم والمعارف.

(7) ترسيخ الأخلاق العلمية:

فإن من أعظم ما تثمره الأمانة العلمية، تعزيز الأخلاق العلمية في الأوساط العلمية، وترسيخها بين الطلاب والباحثين، ونقلها إلى الأجيال وترسيخها في سلوكهم العلمي والبحثي.

(8) منع الانتحال والسرقة العلمية:

فالأمانة العلمية عامل رئيس في الحفاظ على الملكية الفكرية، للباحثين والكتّاب، وحماية البحث العلمي عموماً من السرقة والانتحال.



خاتمة:

الأمانة العلمية قيمة عليا، وواجب أخلاقي، وهي سبب رئيس في موثوقية العلم والمعرفة، وضمانةٌ حقيقيةٌ لحفظ حقوق العلماء والباحثين والمفكرين، ومحرك رئيسٌ يشجعهم على الابتكار والإبداع، فمن خلالها نستطيع بناء مجتمع علميٍّ مزدهر؛ يعتمد المصداقية والنزاهة والشفافية في تلقّيه ونقله وتناوله، كما أن الأمانة العلمية تسهم في تعزيز التعاون بين العلماء، ورفع جودة الأبحاث العلمية، وتحقيق الإنصاف بين الباحثين، فالحرص عليها واجب إيماني، وأخلاقي، وعلمي؛ لتحقيق تقدُّم علمي، وازدهار بحثي فائق ومستدام.

* * *



القيمة المركزية الرابعة (الحكمة)

- الحكمة

مقدمة:

الحكمة قيمة عليا من القيم الإنسانية التي اهتم بها الدين الإسلامي، وسمّة رئيسة من سمات الإنسان العاقل، وهي ثمرة من ثمرات العلوم المتنوعة، والتجارب الطويلة، والخبرات المتراكمة، وأثر من آثار الفهم العميق، والتفكير الناضج، والإدراك الواعي، الذي يؤدي إلى الأقوال المتزنة، والتصرفات القويمة، والقرارات الصائبة؛ في مختلف مجالات الحياة ومناحيها.

ومنها اشتقَّ بعضُ أسماء الله تعالى الحسنَى وصفاتِهِ الجليّة، وسُمِّيَ بها كتابُهُ -كذلك- واتصفت رسالته، وسُمِّيتَ بها الثُّبوة والسُّنَّة والمعرفة، وكانت إحدى الوظائف الرئيسة للأنبياء عليهم السلام، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

والحكيم المطلق هو الله تعالى، وكلُّ من أدرك من المعقولات نصيباً سُمِّيَ -على سبيل التجوُّز والاستعارة- حكيماً؛ لدنوّهِ من الله تعالى وتشبُّهِهِ به⁽¹⁾، وقد أورث الله تعالى الحكمة آدم عليه السلام وبنيه، وجعل أكملَ الخلق في هذا هم الرُّسل، وأكملهم أولو العزم، وأكملهم محمَّدٌ ﷺ، وأكملُ النَّاس بعد الأنبياء؛

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص32.



أوفرهم من الحكمة نصيبًا. وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال؛ أقلهم منها ميراثًا، وكلُّ نظام الوجود مرتبطٌ بهذه الصِّفة، وكلُّ خللٍ في الوجود خطأ من العبد فسببه: الإخلال بها، ولا تستغني حكمةُ المضمون عن حكمةِ الأسلوب، ولا حكمةُ الأسلوب عن حكمةِ المضمون، فإن اجتماعاً أشرق نور الحكمة فاعتنقها العقل، واصطبغ بها الحال والقول والفعل.

وتجليةً لصورة الأديان النقية، وعلاجًا للأخلال والأعطاب التي اعتبرت طريقة التعامل معها وتصوّر مفاهيمها، سنتناول هنا موضوعَ الحكمة، كونها إحدى القيَم الكبرى التي انبنت عليها الأديان عمومًا، ودين الإسلام على وجه الخصوص، سواءً في جانبه العقدي، أو التشريعي أو السلوكي؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161].

تعريف الحكمة:

أولاً- في اللغة:

ترجع الحكمة لغةً إلى معانٍ، أهمها:

- المنع لإصلاح، والتحكُّم: "الحاء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع. وأوّل ذلك الحُكم، وهو المنع من الظلم"⁽¹⁾. يُقال: أحكمتُ فلانًا؛ أي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 91/2، (حكم).



منعته، وبه سُمِّيَ الحاكم؛ لأنَّه يمنع الظَّالم⁽¹⁾. وسُمِّيَت "حَكْمَةُ الدَّابَّةِ"⁽²⁾ لأنها تمنعها، يُقال: حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وأَحَكَمْتُها⁽³⁾.

- الإِتقان والإِحسان والإِحكام: والحَكْمُ والحَكِيمُ في أسماء الله تعالى هو الَّذي يُحَكِّمُ الأشياءَ ويُتَقَنُّها⁽⁴⁾. ويُقالُ لمن يُحَسِّنُ دَقائِقَ الصَّناعاتِ ويُتَقَنُّها: حَكِيمٌ⁽⁵⁾.

- القُدْرُ والرِّفْعَةُ والشَّانُ: يُقالُ: لَهُ عِنْدنا حَكْمَةٌ، أي: قُدْرٌ⁽⁶⁾، وحَكْمَةٌ الإنسان: مُقَدَّمُ وجهه، ورفع الله حَكْمَتَهُ؛ أي: رأسه وشأنه⁽⁷⁾.

- العِلْمُ والمَعْرِفَةُ وفقه الاختيار: الحُكْمُ: العِلْمُ والفقه⁽⁸⁾، والحَكْمَةُ عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العُلُومِ⁽⁹⁾.

- القَضَاءُ والتَصَرُّفُ والفَصْلُ: وفي أسماء الله تعالى: "الحَكَمُ" و"الحَكِيمُ"؛ وهُما بمعنى الحاكم، وهو القاضي⁽¹⁰⁾، ويقال: حُكِّمَ فُلانٌ في كذا؛ إذا جُعِلَ أمرُهُ إليه⁽¹¹⁾. والحُكْمُ: العِلْمُ والفقه والقضاء بالعدل⁽¹⁾.

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 419/1، (حكم).

(2) والحَكْمَةُ: حَيْدَةٌ فِي اللَّجَامِ؛ تَكُونُ عَلَى أَنْفِ الْفَرَسِ وَحَنَكِهِ تَمْنَعُهُ عَنْ مُخَالَفَةِ رَاكِبِهِ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 144/12، (حكم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 91/2، (حكم).

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 419/1، (حكم).

(5) السابق.

(6) ابن منظور، لسان العرب، 144/12، (حكم).

(7) السابق.

(8) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 419/1، (حكم).

(9) السابق.

(10) السابق.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، 91/2، (حكم).



ثانيًا- في الاصطلاح:

حُدَّت الحكمةُ بألفاظ مختلفة، وأورد في "البحر المحيط" تسعًا وعشرين مقالة لأهل العلم في تفسير الحكمة⁽²⁾.

- وقيل: هي "معرفة الأشياء بحقائقها"، وهذا إشارة إلى أن إدراك الجزئيات لا كمالَ فيه؛ لأنها إدراكات متغيرة، فأما إدراك الماهية فإنه باقٍ مصون عن التغيّر والتبدّل⁽³⁾.

- وقيل: الحكمةُ: العلمُ بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعملُ بمقتضاها⁽⁴⁾.

ولعل أحسن ما قيل فيها: إنَّها "معرفة الحق والعمل به"، و"الإصابة في القول والعمل"، ولا يسمى حكيماً الا من اجتمع له الأمران⁽⁵⁾؛ "العلم والعمل به لا يكون الرجلُ حكيماً حتّى يجمعهُما"⁽⁶⁾. فإنَّ شقاء العالم حين يخالف علمه عمله، وقوله فعله؛ هو أمرٌ من شقاء الجاهل وأردى! وحكمة العالم جزءٌ من نعيم دنياه وعاجل بشراه.

وبمجموع ما سبق؛ يظهر أن الحكمة لا تخرج عن معنيين اثنين:

(1) الحكمة النظرية: وهي العلم والمعرفة بالأشياء ومعانيها وحقائقها.

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 419/1، (حكم).

(2) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 684/2.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 422/2.

(4) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 512/31، (حكم).

(5) الرازي، التفسير الكبير، 59/4، الألوسي، روح البيان، 255/1.

(6) وهو قول مقاتل وابن قتيبة. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 626/1.



(2) **الحكمة العمليّة:** وهي **فِعْلُ** ما ينبغي بناءً على ذلك، وتركُ ما لا ينبغي كذلك، وبذلك يكون العمل صالحًا صائبًا نافعًا محمودًا عاقبة، ويتّصف صاحبه بالحكمة.

والعلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية المتقدمة: أن الحكيم ينطلق من معرفة وبصيرة، تمنعه عن كل ما لا يليق، وتدفعه إلى الإحسان والإتقان، فلا يتصرف إلا بما هو حق، ولا يقضي إلا بما هو عدل، وبذلك ترفع مكانته بين الناس ويعظم فيهم قدره وشأنه.

وبناء على ما تقدّم يكون الحكيم هو:

- مَنْ تعلّم المعاني وتعرّف على الحقائق.
 - من تدبّر العواقب وتفكّر في المآلات والنتائج.
 - من كان فعله وتركه موافقًا لعلمه ومعرفته وتدبره.
 - من صدر عن القرآن الكريم والهدي النبوي علمًا وعملاً.
- ومن خلال التعريفات السابقة - كذلك - تظهر أنواع الحكمة، وهي حكمتان: علميّة وعملية.

فالعلميّة: الاطّلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

والعملية: هي وضع الشيء في موضعه⁽¹⁾.

(1) الهروي، منازل السائرين، ص78.



وقد أوضحت بعض الآيات القرآنية الحكمة بنوعها: العلمي، والعملِي، من ذلك - مثلاً - قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهذا القسم العلمي، وبعده جاء التوجيه العملي: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19]. ومثله قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ وهذا القسم العلمي، وبعده كان التوجيه العملي: ﴿فَاخْذِرُوهُ﴾ [البقرة: 235]. والشواهد على ذلك كثيرة.

أهمية الحكمة:

للحكمة أهمية كبيرة في حياة الإنسان؛ حيث تعدُّ دليلاً هادياً يوجه سلوكه نحو التصرفات السليمة، واتخاذ القرارات الصائبة، ومواجهة التحديات الحياتية، بوعي وبصيرة، كما أنها تعينه على بناء شخصية ناضجة ومُحَصَّنة، معتدلة ومرتنة، وتعزز لديه القدرة على التفكير العميق، والتأمل في العواقب، وهي سبيل قوي من سبل بناء العلاقات الصحيحة والمتوازنة مع الآخرين، تسهم في تعزيز التفاهم والتعاطف والاحترام المتبادل، والحكمة عامل رئيس من عوامل النجاح في مختلف مجالات الحياة، قال بعضهم: "الحكمة من جملة مسالك النجاح، ومدارك الفلاح"⁽¹⁾. وهي وسيلة ناجعة في الوقاية من المخاطر والمشكلات، وتتجلى أهمية الحكمة فيما يأتي:

(1) الغزي، محمد بن محمد، حسن التنبيه لما ورد في التشبيه، 184/1.

**(1) أنها من صفات الله تعالى:**

فمن مادتها اشتُقَّ اسم الله تعالى "الحكيم"، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]، وقد ورد هذا الاسم في القرآن ما يقارب مئة مرة. و"مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: الْحَكَمُ وَالْحَكِيمُ وَالْحَاكِمُ، وَمَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُتَقَارِبَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَا، وَعَلَيْنَا إِيمَانُ بِأَنَّهَا مِنْ أَسْمَائِهِ"⁽¹⁾.

وقد دلَّت أدلّة العقول الصّحيحة والفِطرة السّليمة على ما دلّ عليه القرآن وهدي النبي ﷺ؛ من أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة؛ هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، وهذا ثابت حسّاً وعقلاً وفطرة وعلمًا.

وتتجلى حكمته سبحانه وتعالى في فعله وتدييره، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الأنعام: 62]، سبحانه وتعالى، وهو ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45]، كما تتجلى في خلقه وتكوينه؛ ويكفي الإنسان فكره في نفسه وخلقهِ وأعضائه ومنافعها، وقواه وصفاته وهيئاته...، فإنه لو استنفدَ عمره لم يُحِطَ علمًا بجميع ما تضمّنه خلقه من الحكَم والمنافع على التفصيل، والعالم كُلُّه كذلك، فالحكمة هي الميزان الذي بنى الله سبحانه الوجود عليه، وبها تنتظم حياة الناس ومعيشتهم، ويتحقق أمنهم واستقرارهم، وتماسكهم وتلاحمهم.

(1) وهو قول الأزهري، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 140/12، (حكم).



(2) أن القرآن الكريم اهتم بالحكمة، واتصف بها:

اهتم القرآن الكريم بالحكمة اهتمامًا بالغًا وملحوظًا؛ حيث وردت لفظة الحكمة فيه بمختلف معانيها في مئتين وثمانية مواضع، وذكر الحكمة بلفظها في عشرين موضعًا، ولفظ "الحُكم" في سبعة مواضع، حاول الرازي أن يجمعها في وجوه أربعة: هي: الفهم، والعلم، والنُّبوة، والفقه في الدين⁽¹⁾.

ونطق القرآن بالحكمة في مواطن لا تُحصى كثرة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:71]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:159]، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]، وقوله: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف:5]، وقوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:53].

وقد وصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بصفات متصلة بالحكمة، ومن ذلك تسميته بالحُكم والحكمة والمحكم والحكيم⁽²⁾:

فأما الحُكم، فقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:

[37].

(1) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 399/2.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 261/2.



وأما الحِكْمَة، فقولُه سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ [القمر: 4-5]، وقولُه: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34].

وأما المحْكَم، فقولُه سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وأما الحَكِيم، فقولُه سبحانه: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58]، وقولُه: ﴿يَسٰ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: 1-2]، وقولُه: ﴿الرَّتْلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1]، أي: ذي الحكمة، بمعنى:

- (1) اشتمال الكتاب على الحكمة.
- (2) أو أنه ناطقٌ بالحكمة.
- (3) أو يكون المراد وصفُ الكلامِ بصفة مَنْ تكَلَّمَ به.
- (4) وقيل: هذا الوصف مأخوذ من الإحكام والإلزام⁽¹⁾.
- (5) وقيل: المحْكَم حتى لا يتعرَّض لبطلان وتناقض⁽²⁾. والإحكام معناه المنع من الفساد، فيكون المراد منه أنه لا تُغَيِّرُه الدهور، أو المراد منه براءته عن الكذب والتناقض.

(6) أو هو المحْكَم الَّذِي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ومنه حديثُ ابن عَبَّاسٍ "تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرَ سَنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ"⁽¹⁾، يُرِيدُ

(1) كما قال الخليل. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 419/1، (حَكَمَ). والرازي، التفسير الكبير، 261/2.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 5/15.



المُفَصَّل من القرآن؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُنسخ مِنْهُ شَيْءٌ. وقيل: هُوَ ما لَمْ يَكُن مُتَشابِهاً؛ لَأَنَّهُ أُحْكَم بَيانُهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَفْتَقِرْ إِلى غَيْرِهِ⁽²⁾.

7) وقيل: هُوَ المَحْكُوم فِيهِ، قال الحَسَن: "وصف الكتاب بالحكيم؛ لَأَنَّهُ تعالى حَكَم فِيهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسان وإِيتاء ذِي القَرَبى، وَنَهى عَنِ الفَحشاءِ وَالْمُنْكَرِ والبَغى، وَحَكَم فِيهِ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطاعَهُ، وبالنَّارِ لِمَنْ عَصاه"⁽³⁾.

8) أَوْ لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الحِكْمَةِ وَالصَّوابِ، فَمَنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ المَعْنَى صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ فِي نَفْسِهِ⁽⁴⁾.

واختصاراً ما سبق: أَنَّ القرآنَ حَكِيمٌ لاشْتِمَالِهِ عَلَى الحِكْمَةِ، وَنَطْقِهِ بِهَا، وَحِكْمَةُ مَنْزِلِهِ سَبْحانَهُ، وَلَأَنَّهُ الحَاكِمُ، وَالْمَحْكَمُ، وَالْمُلْزِمُ، وَالْمُفَصَّلُ، المَحْكُوم فِيهِ، وَالدَّالُّ عَلَى الحِكْمَةِ.

3) أَنَّهُما مِنَ المِهَامِ الرِّسَالِيَةِ العَظْمَى لِلأنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ⁽⁵⁾:

قال تعالى عَنْ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2]، وَأَمْرُ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ يَتَّبِعَ أَصْلُوبَ الحِكْمَةِ فِي أَقْوالِهِ وَأَفْعالِهِ وَسائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4748، 4/1922.

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1/419، (حكم).

(3) الواحدي، التفسير البسيط، 11/117.

(4) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 17/184.

(5) الشافعي، الرسالة، ص 32، 78.



(4) أن الله تعالى امتنَّ بها على أنبيائه والصالحين والعقلاء من

عباده:

فالحكمة مضمون رسالتهم، وأسلوب تعاملهم، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام وآله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: 54]، وقال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف: 63]، وقال عن نبيه داود عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ [ص: 20]، وقال عن لقمان الحكيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]... وغيرهم من الأنبياء والأولياء والصالحين، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

فالحكمة صفة ثابتة لأنبياء الله تعالى جميعاً، وهي ثابتة لخاتمهم سيدنا محمد ﷺ، وقد امتنَّ الله سبحانه عليه بالحكمة، وجعله ﷺ معلِّم الناس الحكمة، وفي التنزيل: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

فتجلت حكمته ﷺ في أقواله وأفعاله:



- فمن أمثلة حكمته القوليّة:

- (1) «لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فسَلَطَ على هلكته في الحقّ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها»⁽¹⁾.
- (2) «إنَّ أبغضَ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخصمُ»⁽²⁾.
- (3) «هلك المتنتعُونَ» قالها ثلاثاً⁽³⁾.
- (4) «لا يُؤمنُ أحدُكم حتّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه»⁽⁴⁾.
- (5) «دع ما يريبُك إلى ما لا يريبُك، فإنَّ الصّدق طُمأنينةٌ، وإنَّ الكذب رِيبَةٌ»⁽⁵⁾.
- (6) «من حُسِنَ إسلامُ المرء تركهُ ما لا يعنيه»⁽⁶⁾.
- (7) «من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»⁽¹⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 73، 39/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 266، 558/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2325، 867/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2054/4، 2668.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2670، 2055/4.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 13، 14/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 71، 67/1.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2518، 668/4، والنسائي، سنن النسائي الكبرى، رقم الحديث: 5711، 327/8.

(6) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2317، 558/4.



- ومن أمثلة حكمته الفعلية:

(1) الأخذ بالأسباب: اتّخاذه الأسباب ووضعه الخطط الدقيقة يوم الهجرة بما لم يخطر على بال قريش⁽²⁾.

(2) القيادة الحكيمة: مؤاخاة المهاجرين والأنصار، وكتابة وثيقة المدينة لتنظيم العلاقة بين المسلمين من جهة، وبين المسلمين وغيرهم في المدينة من جهة ثانية، وبينهم وبين الناس خارج المدينة من جهة ثالثة⁽³⁾.

(3) مواقفه التعليمية: كحديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ يوم تحدّث في صلاته، قال ﷺ: (فبأبي هو وأُمِّي! ما رأيت مُعلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه. فوالله! ما كهربي ولا ضربي ولا شتمني. قال: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»⁽⁴⁾، وتعامله ﷺ مع المسيء صلاته، فقال ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»⁽⁵⁾، وتعامله ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد، فقال ﷺ: «دَعُوهُ! وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»⁽⁶⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5672، 2240/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 68/1، 74.

(2) وتفصيل ذلك في حديث البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3692، 1417/3.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 106/2.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 537، 381/1.

(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 724، 263/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 298/1، 397.

(6) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 217، 89/1.



(4) موافقه الأسريّة: توفيقه ﷺ في التعامل مع زوجاته الطاهرات وهنّ مختلفاتٌ في السنّ، مختلفاتٌ في الطبع، مختلفاتٌ في الأخلاق، مختلفات في المشارب⁽¹⁾، ولعل من أبرز مواقف الحكمة في المواقف الأسريّة حسنُ تعامله ﷺ مع السيدة عائشة يوم حادثة الإفك⁽²⁾.

(5) موافقه التربوية: كحديث أنس ﷺ قال: "خدمتُ النَّبِيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفيّ، ولا: لِمَ صنعتَ؟ ولا: ألا صنعتَ"⁽³⁾، وفي الحديث: أتى رسول الله ﷺ بشرابٍ فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ، وعن يساره الأشياخُ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟». فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أؤثرُ بنصيبِي منك أحدًا! قال: فتلّه رسولُ الله ﷺ في يده⁽⁴⁾، وفي الحديث: قبل رسولُ الله ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرعُ بنُ حابسٍ التميميُّ جالسًا، فقال الأقرعُ: إن لي عشرةً من الولد ما قبلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحمُ لا يرحمُ»⁽⁵⁾، وقال ﷺ: «إني لأقومُ في الصلَاة أريدُ أن أطولَ فيها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ، فاتجوّزُ في صلاتي، كراهية أن أشقَّ على أمّه»⁽⁶⁾.

إذن، كان كتاب الله ينبوع الحكمة، والنبي ﷺ خير من نزل أحكامه على أرض الواقع، فحري بكل مسلم أن يجعل الحكمة بوصلة حياته، فحيثما

(1) ينظر: المقرئ، إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، 24/6.

(2) وحديثه عند البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2518، 942/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2770، 2129/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5691، 2245/5.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2319، 865/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1603/3، 2029.

(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5651، 2235/5.

(6) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 675، 250/1.



وُجِدَتْ وَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَهَا، وَحَيْثَمَا فُقِدَتْ تَوَقَّفَ حَتَّى يَجِدَ أَثَرَهَا فَيَقْتَفِيهِ بَحْثًا عَنْهَا وَتَحَرِّيًّا لِسَبِيلِهَا.

- وَقَدْ أَوْصَى ﷺ بِأَخْذِ الْحِكْمَةِ حَيْثَمَا وُجِدَتْ.

يقول النبي ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»⁽¹⁾. وفي هذا الحديث تنصيص على قيمة الحكمة وأهميتها التي يراد بها العلم في هذا السياق ففي الحديث تأكيد على ضرورة طلب الحكمة والسعي إليها وبذل الجهد والوسع في تحصيلها.

وفي المثل العربي: "إذا وجدتكم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها"⁽²⁾.

وقال الشاعر القروي:

استقِ الحكمة لا يشغلك من أي ينبوع جرت يا مستقي
فشعاع الشمس يمتص الندى من فم الورد ووحل الطرق⁽³⁾

(5) أنها مجمع الفضائل:

جعل سبحانه وتعالى الحكمة مجمع كل خير، ومنتهى كل فضل، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]، وخص بوافرها أنبياءه، وأكمل الناس بعد الأنبياء؛ أوفرهم من الحكمة نصيبًا، وأكملهم منها

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2687، 417/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 269/5، 4169.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 117/2.

(3) أحمد قبيش، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 145/3.



ميراثًا، وقد دعا الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بالحكمة، فقال ﷺ: «اللهم علمه **الحكمة**»⁽¹⁾، "واختلف في المراد بالحكمة هنا، ف قيل: الإصا بة في القول، وقيل الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك"⁽²⁾.

ومن هنا؛ اعتنى المسلمون عبر تاريخ حضارتهم بالحكمة، وحرصوا على لزومها، ومما ذكر في ذلك موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس وجاء كنيسة القيامة فجلس في صحنها، وحان وقت الصلاة فقال للبطر ك: أريد الصلاة، فقال له: صلّ موضعك، فامتنع، وصلّى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفردًا، فلمّا قضى صلاته قال للبطر ك: لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا: هنا صلى عمر، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها⁽³⁾.

هذا الموقف يُظهر حكمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فهم التأثيرات المستقبلية طويلة الأمد لأفعاله؛ كان يدرك أن حماية الأماكن المقدسة للأديان الأخرى واحترام حقوقهم هو جزء مهم من الحكمة. كما أنه أظهر نظرة استشرافية، متوقعًا أن أفعاله قد تُستخدم ذريعةً لأعمال لا تتوافق مع مبادئ العدالة والتسامح في الإسلام.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3756، 27/5.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 366/7.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 268/2.



ومثل تلك النظرة الاستشرافية تظهر في موقف مالك بن أنس صاحب المذهب مع هارون الرشيد، الذي أراد أن يجعل "الموطأ"، وهو أحد أهم كتب الإمام مالك ويحتوي على أحاديث نبوية وآراء فقهية، مرجعًا موحدًا للأحكام في جميع أنحاء الدولة العباسية. كانت لديه فكرة تعليق نسخ من "الموطأ" في جميع المساجد ليكون المرجع الأساس للمسلمين.

يقول مالك: شاورني هارون الرشيد في ثلاث؛ في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إمامًا يصلي في مسجد رسول الله ﷺ، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ، وأما تقدمتك نافعًا إمامًا يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ فإن نافعًا إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه، قال: وفقك الله يا أبا عبد الله⁽¹⁾.

رفض الإمام مالك اقتراح تعليق الموطأ بحكمة، مُبيّنًا أن الدولة واسعة جدًا وتضم أقاليم متعددة وثقافات مختلفة، وأن الفقهاء في كل منطقة استنبطوا أحكامهم وفتاواهم بناءً على الأحاديث النبوية وظروفهم الخاصة. فأكد الإمام مالك بذلك على أهمية الاعتراف بالتنوع في الفقه الإسلامي وعدم

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 332/6.



تقييد المسلمين في بلدان شتى بمذهب واحد فقط، ما دام المحيط واسعاً جداً يضم أقاليم متنوعة بمثابة دول في عصرنا الحالي.

فقبل هارون الرشيد بحكمته وجهة نظر الإمام مالك، وتراجع عن فكرته، مُدركاً أهمية الاحتفاظ بالتنوع الفقهي واحترام الاجتهادات المختلفة داخل العالم الإسلامي.

طريق تعلُّم الحكمة:

الحكمة ينالها الإنسان بسلوك سُبُلها، واتخاذ أسبابها، ومن أهمها:

(1) طلب العلم:

قرن الله تعالى في كثير من مواضع القرآن الكريم بين الحكمة والعلم، فقال ﷺ عن يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: 22]، وقال عن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 74]، وقال عن سليمان وداود عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 79]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: 14]، "أي: جعلناه حكيماً عالماً"⁽¹⁾. و"الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل، فإن من يعلم أمراً ولم يأت بما يناسب علمه، لا يقال له حكيم، فالفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم"⁽²⁾. وذلك أن العلم نور، يدرك به صاحبه الحقائق، ويساعده على

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 99/3، وينظر: الماوردي، النكت والعيون، 21/3.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 543/24.



توسيع مداركه المعرفية، ويعينه على فهم مختلف جوانب الحياة، وينمي لديه مهارات التفكير النقدي البناء، ويعزز فيه القدرة على حل المشكلات، ويرسخ لديه قيم التآني والتؤدة والتأمل وعدم التعجل، فيفهم الأمور بعمق، ويحيط بكل أبعادها، ويحللها بشكل شامل، مما يؤدي إلى تصرفات سليمة، وقرارات صائبة، وهذا هو جوهر الحكمة، ولأجل هذا مَيَّزَ الله تعالى بين العلماء وغيرهم؛ لأنهم يدركون وجه الحكمة في الأقوال والأفعال، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

ومن هنا كانت توصيات قادة دولة الإمارات العربية المتحدة تعكس الحكمة والقيادة الرشيدة؛ من خلال التركيز على أهمية الاجتهاد في طلب العلم وتحصيله والاستثمار فيه والدفع إليه والترغيب به...

ومن ذلك قول "حكيم العرب" الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه: "إن أكبر استثمار للمال هو استثماره في بناء أجيال من المتعلمين والمثقفين".

وقال طيب الله ثراه: "لقد تعلّمنا من هذا الازدهار أن نبني دولتنا من خلال التعليم والمعرفة، وأن نرعى أجيالاً من الرجال والنساء المتعلمين"⁽¹⁾.

ويقول الشيخ خليفة بن زايد رحمه الله معززاً ذلك: "يجب التزود بالعلوم الحديثة والمعارف الواسعة، والإقبال عليها بروح عالية، ورغبة صادقة على طرق

(1) موقع مكتب البعثات الدّراسيّة، [أقوال مأثورة](#).



مجالات العمل كافة؛ حتى تتمكّن دولة الإمارات خلال الألفية الثالثة من تحقيق
نقلة حضارية واسعة"⁽¹⁾.

ويقول صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله:
"إن التعليم يمثل أولوية وطنية قصوى، كما أن الاستثمار في الإنسان هو
الاستثمار الحقيقي الذي ننشده"، ويقول سموه حفظه الله: "لا مكان في
المستقبل لمن يفتقد العلم والمعرفة"⁽²⁾.

(2) الخبرة والتجربة:

فالخبرات المتراكمة، والتجارب المتكررة، والمروء بالمواقف المتنوعة؛ من
أعظم المعينات على اكتساب الحكمة، وذلك أن أصحاب الخبرات والتجارب:
- يعلمون الأمور النافعة فيأتونها، والضارة فيجتنبوها، و"من جرب
الأمور؛ علم نفعها وضررها، فلا يفعل شيئاً إلا عن حكمة"⁽³⁾. فالحكمة
حصانة للإنسان من التطرف الفكري والانحراف السلوكي بكافة
أشكالهما وأبعادهما.
- يتعلمون من الأخطاء والتحديات التي يمرون بها، ويتقنون سبل
تجاوزها وتخطيها، ومن ثم قيل: "المرء لا يوصف بالحكمة ولا يترقى إلى

(1) السابق.

(2) السابق.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 530/10.



درجتها؛ حتى يركب الأمور ويجريها، فيستبين مواضع الخطأ فيجتنبها"⁽¹⁾.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»⁽²⁾.

- تتشكل لديهم بصيرة بعواقب الأمور، وتفكر في المآلات والنتائج، ويكوّنون رصيдаً كبيراً من الطرق والكيفيات التي تمكنهم من تفادي المشكلات.

- يتميزون بفهم عميق للنفوس والشخصيات، ومعرفة دقيقة بالبيئة المحيطة، وإحاطة بمختلف جوانب الحياة، مما يساعدهم على حسن التعامل مع الطبائع المختلفة والمواقف المتنوعة في البيئات المتعددة بحكمة ورشد. وإن "الحكمة نور يكشف عن مكنون الأمور، ولا تستكمل الحكمة حتى يطالع المرء الأمور بمباشرة النفس، فالحكيم يرى عواقب الأمور وزينها وشينها، فإذا رأى ذلك بالجوارح كان ذلك عياناً لا يرفع ولا ينسى، فبعد التجارب تستكمل الحكمة؛ لأنها كانت قبل التجربة معاينة القلب فصارت معاينة العين، وكان ذلك علم اليقين فصار الآن عين اليقين، ولهذا قيل: إن العقل بالتجارب"⁽³⁾.

(3) إدامة مطالعة كتب الحكمة:

فمن خلالها يطلع القارئ على قيم الآخرين وحكمهم، وتجاربهم، ومواقفهم، ومن أهم ما يقرأ ويطلع من أجل اكتساب الحكمة واكتنازها:

(1) الخطابي، غريب الحديث، 618/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5782، 2271/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2295/4، 2998.

(3) الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، 297/2.



- القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم ينبوع الحكمة الإلهية، فهو كلام الله حكيم الحكماء، وعليم العلماء، قال تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [يس: 2]، ضمنه سبحانه حكماً بالغة، وأورد فيه سِر الحكماء من الأنبياء والصالحين، وما اشتملت عليه قصصهم من توجيهات حكيمة، ودروس مفيدة، وتجارب حياتية ناجحة، ولكي يحظى القارئ بحكَم القرآن؛ لا بد أن يديم تلاوته، ويستديم تدبُّر معانيه وآياته.

- السيرة النبوية:

فقد أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ ليعلم الناس الحكمة على كافة المستويات؛ القولية منها والعملية، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 129]، فكان ﷺ أحكم العقلاء، وأعقل الحكماء، ينطق بالحكمة، ويتصرف بحكمة، مع القريب والبعيد، والموافق والمخالف، فسيرته ﷺ مليئة بالمواقف والتصرفات الحكيمة، التي ينهل منها المؤمن ما يكون به حكيماً في جميع شؤونهِ وأحواله.

- سِير الحكماء:

قصَّ علينا القرآن الكريم سيرة لقمان الحكيم، وأنبأنا بجانب من حكمه البالغة، ووصاياهِ الحكيمة لابنه وهو يعظه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]، وفي ذلك إشارة إلى أهمية مطالعة سير الحكماء، ممن لهم قدم راسخة في العلم، وتجربة طويلة في الحياة، ومواقف تنمُّ عن تعقُّل وبُعد نظر، للاهتمام بحكمهم، وتمثل قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم، والاستقاء من مواظهم ودروسهم وعبرهم، ما يفيد منه المرء في دينه ودنياه.



- سیر القيادة الإماراتية الحكيمة:

تشهد الوقائع في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة بمسيرة حكمة قادتها؛ بدءاً بالقائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه الذي عُرف بحكيم العرب، فقد جمع في شخصيته جميع معاني الحكمة الدالة على الخير والإيجابية والفكر السديد، والمحبة والسلام والبعد الإنساني في نظرته إلى الحياة، فأسس بحكمته دولة الإمارات في ظروف تاريخية صعبة وحساسة، وقادها بحنكته وذكائه حتى تصدرت مكانة مرموقة تنافس في قيمها وعطاءها الدول الراقية.

وربى الشيخ زايد رحمه الله أبنائه على الحكمة؛ فأنتج قادة حكماء تمكنوا بحكمتهم من قيادة الدولة وتمكينها والارتقاء بها في أعلى درجات التنافسية العالمية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وإنسانياً، وقد بدا ذلك واضحاً في مسيرة حكمة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، الذي أنار بحكمته ورؤيته المستقبلية درب الإمارات وعزز مسيرتها وقوتها الناعمة من خلال المشاريع والمبادرات التي يتبناها سموه على الصعيدين الوطني والدولي، ويشهد العالم بحكمة سموه وقدرته على حل نزاعات إقليمية متجذرة! فبحكمة سموه تحولت أثيوبيا وإريتريا من ألد الأعداء إلى أحب الأصدقاء، وبحكمة سموه ازدهرت المشاريع التنموية في العديد من الدول مما يسهم في استقرارها وتحسين سبل العيش لشعوبها.

وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله نهل من معين حكمة الشيخ زايد ووالده



الشيخ راشد؛ فبرزت حكمته في الرؤية الاقتصادية والقيادة الاستباقية للحكومة بروح قائد يعشق التحدي والتجديد، وقدم رؤيته الحكيمه في مؤلفاته ومذكراته لتكون ملهمة لأبناء الإمارات؛ لتبقى مسيرة الحكمة الإماراتية متجذرة ومستدامة وإماراتية بامتياز، فسير الرموز الوطنية الإماراتية مليئة بالمواقف الحكيمه التي تخطت بها تحديات إقليمية ودولية، رجالٍ سوف يخلدهم التاريخ بتأسيسهم للحكمة الإماراتية بامتياز وريادة⁽¹⁾.

- كتب الحكم والأمثال:

فإنها تعد كنزًا ثقافيًا يزخر بالقيم والحكم؛ تتضمن صفوة كلام الحكماء، وتقدم لمحة عن معاييرهم الاجتماعية، ومبادئهم الأخلاقية، وخلاصة تجاربهم، كل ذلك في عبارات مركزة ومعبرة، دقيقة في الصياغة، غزيرة في المعاني، تعكس فهمهم للحياة، وأساليب تعاملهم، مما يمكن القارئ من الغوص في أعماق الثقافات المختلفة، يستلهم منها القيم العليا، والمبادئ الراقية، والتجارب الفائقة؛ ما يثري فكره، ويوسع مداركه، ويعمق وعيه.

(4) مجالسة الحكماء:

فمجالسة الحكماء، والاطلاع على أحوالهم، والإنصات إلى أقوالهم، والاستفادة من تصرفاتهم ومواقفهم سواء في المجالس أو المتلفيات العلمية أو نحوها؛ من أعظم المعينات على اكتساب الحكمة، قيل لبعض العلماء: أي

(1) مقتبس من محاضرة "مسيرة حكمة" للفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية، في الدورة السابعة للقمّة العالمية للحكومات، 2019.



الأُمُور أمتع؟ قال: "مجالسة الحكماء، ومذاكرة العلماء"⁽¹⁾. وروي عن لقمان الحكيم أنه أوصى ابنه فقال: "يا بني، جالس العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله تبارك وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء"⁽²⁾. وقال أبو جَحِيْفَة: "جالسوا الكُبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء"⁽³⁾. "أي: اختلطوا بهم في كل وقت؛ فإنهم المصيبون في أقوالهم وأفعالهم، ففي مداخلهم تهذيب للأخلاق"⁽⁴⁾. وبمخالطتهم يقتبس المرء منهم صفوة علمهم، وخلاصة تجاربهم، وعصارة خبرتهم، فيسهل عليه معرفة أهدافه وغاياته، ويتجنب المزالق ويتخطى العوائق، قال أبو العباس بن عطاء: "من أراد أن يستضيء بنور الحكمة، فليجالس الحكماء، وليلاق بها أهل الفهم والعقل"⁽⁵⁾.

5) استشارة أصحاب الحكمة:

استشارة ذوي العقول الراجحة، والتجارب السابقة، والأفكار السليمة، والأمانة التامة، والتماس رأيهم؛ خاصة في المواقف المعقدة، والقضايا المهمة، والمستجدات الطارئة، وهذا له أهميته الواضحة، وفائدته المرجوة، فإن المستشار "يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء"⁽⁶⁾، كما أن استشارتهم توسع مداركه، وتمكّنه من الفهم الشامل لما يهمه، والنظر

(1) الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، 2/297.

(2) الأصبغي، مالك بن أنس، الموطأ، رواية: أبي مصعب الزهري، رقم الحديث: 2117، 2/181.

(3) ابن أبي شيبه، المصنف، رقم الحديث: 27243، 14/208.

(4) المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، 1/485.

(5) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 10/303.

(6) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 300.



إليه من زوايا مختلفة، وتفتح له آفاقاً من الحلول متعددة، وتوقفه على نقاط القوة في أمر مشورته فيركز عليها، وعلى نقاط الضعف فيجتنبها، مما يسهم في اتخاذ قرارات سليمة، وحلول حكيمة، قال عمر بن عبد العزيز: "إن المشورة باب رحمة، ومفتاح بركة، لا يضل معها رأي"⁽¹⁾. وقال بعض الحكماء: "إذا أشكلت عليك الأمور؛ فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، فَلَأَنْ تسأل وتسلم، خيرٌ لك من أن تستبد وتندم، وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب لا سيما في الأمر الجليل، فقلما يضل عنهم رأي، أو يذهب عنهم صواب"⁽²⁾.

6 المشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية والأنشطة الاجتماعية:

فالمؤتمرات والندوات العلمية التي تناقش قضايا الفكر والثقافة والقيم؛ هي بمنزلة نواذٍ مكتنزة بالعلم، ومنصات مفعمة بالحِكم، تمكّن الإنسان من تبادل الأفكار مع غيره، والاطلاع على وجهات النظر المتعددة، مما يغذي عقله، ويثري ثقافته، ويُقوِّم سلوكه، ويوسع آفاقه، ويبني شخصيته، فتجعل منه حكيماً متكامل أركان الحكمة؛ في تفكيره، وأقواله، وأفعاله، وسائر ما يصدر منه، قال أحد الحكماء: "غَنِمَ من أدَّبته الحكمة، وأحكَمته التجربة"⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، والتطوعية، فهي من الإحسان الذي يترتب عليه حصول الحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:22]، وهي فرصة لاكتساب

(1) المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 2/4.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 303.

(3) التوحيدي، علي بن محمد، الإمتاع والمؤانسة، ص 258.



الخبرات العملية، والمهارات الحياتية، وتعزيز القدرات التواصلية، وتنمية الحس بالمسؤولية، وتعميق الفهم للحياة، والوقوف على طرق التعامل مع مختلف الظروف والأحوال، بحكمة ودراية، وتأنٍ وروية.

7) التدريب على إحسان القول والعمل:

إن اكتساب الحكمة رحلة طويلة، وطريق ممتدة، تتطلب الصبر والمثابرة، والمران والدربة، للتحكم بالنفس وضبطها، وإلزامها أحسن القول والعمل، وصونها عما سواه؛ حتى لا تقع باندفاعها وانفعالها وهواها في ما ينافي الحكمة، مثل: الجهل، والطَّيش، والعَجَلَة، والهوى، والغفلة، والغلظة... ونحوها.

كذلك التزام العمل الصالح بمقتضى ما منَّ الله به من العلم، فالحكمة علم اقترن بالعمل كما تقدم، وذلك مع التقوى التي تعين صاحبها في معرفة الخير والحق واختياره، ففي الآية: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، فإن "القلب إذا صار مشرقاً بطاعة الله تعالى زالت عنه الظلمات؛ لأن معرفة الله نور، والأعمال الذميمة ظلمة، وإذا ظهر النور فلا بد من زوال الظلمة"⁽¹⁾.

هذا مع الدعاء، وسؤال الله تعالى أن يبارك في القوة العقلية والعلمية، وأن يوفّق للإصابة بالقول والعمل، فهو سبحانه الذي ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269].

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، 476/15.



خاتماً:

الإسلام دينُ العقل والحكمة، دين العلم والعمل، والله الحكيم علّم الحكمة واستودعها كتابه وآتاها خلقه، وأرسل رسولاً معلّماً حكيماً علّم أمّته الحكمة قولاً وفعلًا، والمؤمن كيّس لبيب عاقلٌ فطنٌ، يجتمع عقله وقلبه وعلمه وعمله على الحكمة، فيدركها، ويقولها، ويفعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الشكل الذي ينبغي.

واكتساب الحكمة رحلة طويلة، وطريق ممتدة، تتطلب الصبر والمثابرة، والمران والدربة، وتحمل أعباء طلب العلم، ومخالطة أهل العقل والحكمة، والاستفادة من توجيهاتهم، والحرص على التأمل والتدبر في تجارب الحياة، والاستشعار الدائم بالحاجة إلى التعلم المستمر والمستدام.

ويمكن أن نتناول تحت قيمة الحكمة المركزية جملةً من القِيَم الفرعية التي تندرج تحتها وتتصل بها، وهي:

- التعقل والمنطق.
- الصبر والشكر.
- الإيجابية والأمل.
- الجمال.

* * *



- التعقل والمنطق

مقدمة:

من أبرز ما تتجلى فيه حكمة الإنسان الحكيم: تحليله بالتعقل في تفكيره وفعله، والمنطق في تحليله للأمور، والمقصود بالمنطق - هنا - ما يوافق العقل؛ لأنه آلة الإدراك والتّمييز عند الإنسان، وبه يَفْضُلُ سائر الكائنات الحيّة؛ لذلك جُعِلَ من الأسس التي تقوم عليها الحكمة، بل عرّفها به بعض العلماء، وهو زيد بن أسلم فيما رُوي عنه ⁽¹⁾. فإعمالُ المنطق، وتحكيم العقل؛ من أهم مظاهر الإيمان بقيمة الحكمة، ومن أبرز سبل تنزيلها والعمل بمقتضاها.

تعريف التعقّل والمنطق:

أ. تعريف التعقّل:

أولاً- في اللغة:

التَّعَقُّلُ في اللغة مصدر الفعل "تَعَقَّلَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "عَقَلَ" الذي يأتي بمعانٍ متعددة، منها:

- 1- ضِدُّ الحُمْق والجهل: فالعقل ضد الحمق، والجَمْعُ عُقُولٌ ⁽²⁾، يقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً فهو عاقل ⁽¹⁾، أي: جامعٌ لأمره ورأيه، مأخوذاً مِنْ عَقَلَتِ البَعيْر، إذا جَمَعَتْ قَوَائِمَهُ ⁽²⁾.

(1) ابن وهب، تفسير القرآن، 130/2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 458/11، (عقل)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1769/5، (عقل)، وابن سيده، المخصص، 250/1، (عقل).



2- الحبس والمنع: "فالعقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل"⁽³⁾،
والعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها. وسَيَّي العقل عقلاً؛
لأنّه يعقل صاحبه عن التَّورُّط في المَهَالِك، أي: يحبسُه⁽⁴⁾، ومنه قيل:
عَقَلْتُ البعير عقلاً: شَدَدْتُ يَدَهُ بالعِقال، أي: الرِّباط⁽⁵⁾، والعقل حبلٌ
تُثْنَى بِهِ يَدُ البعيرِ إلى رُكْبَتِهِ فتُشَدُّ به⁽⁶⁾. واعتُقِلَ الرجلُ: حُسِنَ، واعتُقِلَ
لسانُه؛ إذا لم يقدِرْ على الكلام⁽⁷⁾، قال ذو الرمة:
ومعتقل اللسان بغير حبلٍ يَمِيدُ كأنه رجلٌ أُمِيمٌ⁽⁸⁾

3- التمييز والفهم: يقال: رجلٌ عَقُولٌ، إذا كان حَسَنَ الفَهِمِ وافِرَ
العَقْلِ⁽⁹⁾، فالعقل - في أحد معانيه - هُوَ التَّمْيِيزُ الذي به يَتَمَيَّزُ الإنسان
مِن سائرِ الحيوانِ، ويُقالُ: لِفُلانٍ قَلْبٌ عَقُولٌ، أي: فِهمٌ، وعَقَلَ الشيءَ
يَعْقِلُهُ عقلاً: فِهمَهُ... والمعقول: ما تَعْقِلُهُ بِقَلْبِكَ⁽¹⁰⁾.

-
- (1) الفراهيدي، العين، 159/1، (عقل)، ابن دريد، جمهرة اللغة، 939/2، (عقل).
(2) ابن منظور، لسان العرب، 458/11، (عقل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 69/4، (عقل).
(4) ابن منظور، لسان العرب، 458/11، 459، (عقل).
(5) الفراهيدي، العين، 159/1، (عقل).
(6) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1769/5، (عقل)، وابن منظور، لسان العرب، 461/11، (عقل).
(7) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1772/5، (عقل)، وابن منظور، لسان العرب، 459/11، (عقل).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، 161/1، (عقل).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة، 69/4، (عقل).
(10) ابن منظور، لسان العرب، 459/11، (عقل).



4- الحِصْنُ والملجأ والمَعْقِل: فإذا كان بمعنى الحصن جمع على عقول،

وإذا كان بمعنى الملجأ والمَعْقِل جمع على مَعاقِل⁽¹⁾، قال الشاعر⁽²⁾:

وَقَدْ أَعَدَدْتُ لِلْجِدْثَانِ صَعْبًا لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ تَنَفَّعَهُ الْعُقُولُ

يريدُ الحُصُون⁽³⁾، والعاقِلُ من كلِّ شيء: ما تَحَصَّنَ في المَعاقِلِ الْمُتَمَنِّعَةِ،

وَفُلَانٌ مَعْقِلٌ قَوْمِهِ، أي: يلجؤون إليه إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ، قال الفرزدق:

كَانَ الْمُهْلَبُ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةً وَحِيَا الرَّبِيعِ، وَمَعْقِلُ الْفِرَارِ⁽⁴⁾

وَعَقْلُ الْوَعْلِ فِي الْجَبَلِ، إذا علا فيه وَاُمْتَنَعَ⁽⁵⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عُرِفَ التعقُّلُ بأنه: "إدراك الشيء مجردًا عن العوارض الغريبة واللواحق المادية"⁽⁶⁾. ويمكن تعريفه في ضوء المعنى اللغوي المتقدِّم أنه: النظر في الأمور برويةً، والتدبُّر فيها بحكمة، وإدراك الروابط بينها، والتعامل معها بطريقة منظمة ومحكمة، بغرض تصورها تصويرًا سليمًا ومطابقًا، وتمييز صحيحها من خطئها، والتصرف تبعًا لذلك بشكل سليم وآمن ونافع.

(1) ينظر: الفراهيدي، العين، 160/1، (عقل)، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 70/4، (عقل).

(2) أحبحة بن الجلاح الأوسي.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 70/4، (عقل).

(4) الفراهيدي، العين، 161/1، (عقل).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، 939/2، (عقل)، ابن منظور، لسان العرب، 465/11، (عقل).

(6) ينظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 313.



ب. تعريف المنطق:

أولاً- في اللغة:

المنطق في اللغة يعود إلى الجذر اللغوي "نَطَقَ" الذي يأتي بمعانٍ منها:

1- الكلام: يقال: نَطَقَ نَطْقًا، وَأَنْطَقَهُ غَيْرُهُ وَنَاطَقَهُ، أي: كَلَّمَهُ، وكَلَامٌ كُلٌّ شَيْءٌ: مَنْطِقُهُ⁽¹⁾، فالنُّطْقُ هو تلك "الأصواتُ الْمُقْطَعَةُ التي يُظْهِرُهَا اللِّسَانُ وَتَعْمِهَا الْأَذَانُ، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصافات: 92]، ولا يكادُ يُقالُ إلا للإنسان، ولا يُقالُ لغيره إلا على سَبِيلِ التَّبَعِ⁽²⁾. والنُّطْقُ لفظٌ مُشْتَرِكٌ بين القوَّةِ الإنسانيَّةِ التي يكونُ بها الكلامُ، وبين الكلامِ المُبْرَزِ بالصَّوْتِ، وقد يقالُ النَّاطِقُ لما يدلُّ على شيءٍ، وعلى هذا قيل لحكيم: ما الناطِقُ الصامتُ؟ فقال: الدَّلَائِلُ الْمُخْبِرَةُ وَالْعِبَرُ الواعِظَةُ⁽³⁾، والمنطِيقُ: البليغُ⁽⁴⁾، ومنه قول الشاعر⁽⁵⁾:

وَيَلُوكُ ثِمِّي لِسَانِهِ الْمُنْطِيقُ والنَّوْمُ يَنْتَرِعُ الْعَصَا مِنْ رِيَّهَا

2- طُرُقُ الاستدلالِ الصحيح: ومنه يسمى علم المنطق، وهو "فرعٌ من الفلسفة، يدرسُ صورَ التَّفَكِيرِ وطرقَ الاستدلالِ الصحيح التي تعصم مراعاتها الذَّهْنَ من الخطأ في الفكر، ويُستَوى علم الميزان، إذ توزن به

(1) الفراهيدي، العين، 104/5، (نطق)، وابن منظور، لسان العرب، 354/10، (نطق).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 811، (نطق).

(3) السابق، ص 811، 812، (نطق).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1559/4، (نطق)، وينظر: ابن فارس، مقاييس

اللغة، 440/5، (نطق)، وابن منظور، لسان العرب، 354/10، (نطق).

(5) أبو العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب.



الحجج والبراهين⁽¹⁾، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾

[الأنبياء: 65] إشارة إلى أنهم ليسوا من جنس الناطقين ذوي العقول⁽²⁾.

3- الإزار: تسمي العرب الإزار الذي يلبسه الإنسان في وسطه وفيه تكة:

"نطاقاً"، وتُسمي الخاصرة: "النَّاطِقَةُ": لأنها بِمَوْضِعِ النَّطَاقِ، وانتطق

الرَّجُلُ، أي: لَبَسَ الْمِنْطَقَ، وَهُوَ كُلُّ مَا شَدَدْتَ بِهِ وَسَطَكَ⁽³⁾، وكذا النَّطَاقُ،

وَهُوَ أَنْ تَلْبَسَ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا، ثُمَّ تَشُدَّ وَسَطَهَا بِشَيْءٍ⁽⁴⁾.

ثانياً- في الاصطلاح:

يمكن تعريف المنطق في الاصطلاح بأنه قوة في الإنسان، يستطيع من

خلالها تنظيم الاستدلال، انطلاقاً من المبادئ والقوانين العامة للفكر السليم؛

بغية الحصول على معلومات، خالية من الخطأ والتضارب والعشوائية⁽⁵⁾.

أهمية التعقل والمنطق:

إنَّ الإسلام دين عقل ومنطق، يستعمل المنطق في الاستدلال، والتعقل

في المعالجة والتناول والعرض، ويدعو إلى التخلق بهذه القيمة، ويمدح متمثلها،

وَيَتَوَجَّه بِخَطَابِهِ لِدَوِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، سَاعِيًا إِلَى إِقْنَاعِهِمْ، دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى

التَّفَاعُلِ مَعَهُ وَالِاسْتِجَابَةِ لِمُقْتَضِيَّاتِهِ، وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى إِعْمَالِ عُقُولِهِمْ لِلْفَهْمِ

وَالِاسْتِنْبَاطِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِعْلَانِهِ قِيَمَةَ الْعَقْلِ وَرَفْعِهِ مَكَانَتَهُ، كَمَا أَنَّهُ دِينٌ مَنْظَّمٌ

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2229/3، (نطق).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 811، 812، (نطق).

(3) الفراهيدي، العين، 104/5، (نطق)، ابن منظور، لسان العرب، 355/10، (نطق).

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 75/5، (نطق)، ابن منظور، لسان العرب، 355/10، (نطق).

(5) ينظر: مجموعة من المؤلفين، الجدل والبرهان المنطقي في القرآن الكريم، ص 107، 108، 109.



محكم، لا تجد فيه شيئاً إلا وقد أُحْكِمَ غاية الأحكام، وضُبطَ بمقاديرٍ في غاية الإتقان؛ حتّى يسعدَ به الإنسانُ في دنياه وأخراه؛ لذا فإن استخدام العقل والتفكير المنطقي يكتسي فيه أهمية بالغة؛ إذ به يُتوصل إلى صحيح المعرفة، وإلى الإدراك السليم، الذي هو طريق التقدم في مختلف جوانب الحياة.

ويتجلى الاهتمام بالتعقل في الإسلام فيما يأتي:

(1) كثرة استخدام لفظة التعقل في النصوص القرآنية والنبوية:

ف نجد القرآن الكريم - مثلاً - قد استخدم لفظة التعقل في صيغها ومتصرفاتها في (49) موضعاً، واستخدم الألفاظ التي تحت على ممارسة المهارات العقلية؛ كالنظر، والبحث، والتفكير، والتدبر، والتأمل، والتبصر، والاجتهاد، والاستنباط في نحو (700) موضع.

(2) مدح التعقل وأصحابه، والحث على إعمال العقل:

فالذي يعتمد العقلانية منهجاً له وسبباً؛ تتشكل لديه ملكة نقدية بناءة، وتكون تصورات منسجمة مع العقل، ومتوافقة مع المنطق، يُقيّم الأمور ويميز صحيحها من سقيمها بشكل موضوعي، معتمداً على الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة؛ لذا نجد النصوص القرآنية والنبوية تمدح التعقل وأصحاب التفكير المنطقي السليم، كما نجد فيها إشادة بالتعقل وأهله، وتنوياً بمن يستثمر عقله فيما يفيد، وحثاً على إعماله، وذلك في آيات وأحاديث كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 12]. ومثله قوله



سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4]. "أي: لَمَن استعمل عقله وتدبَّر مع سلامة العقل من الآفات المانعات عن كمال النَّظر"⁽¹⁾.

- وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 67]. حيث ربط الإدراك بالعقل. ومثله قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35]، قال العلماء: "اعلم أن الله تعالى لما أراد إظهار علمه أودع علمه العقل، وحكم أنه لا يصل أحد إلى شيء منه إلا بالعقل، فمن فاته العقل فقد فاتته العلم"⁽²⁾.

- وقوله عز وجل مبيناً فضل العلماء المجتهدين، الذين يستنبطون بعقولهم العلوم، ويَنزِلون الأحكام: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، أي: "أولوا العقل والرأي، الذين يدبرون أمور الناس. وقال ابن عباس: أساس الدين بني على العقل، وفرضت الفرائض على العقل، وربنا يُعرَف بالعقل، ويتوسَّل إليه بالعقل، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل، ولثقال ذرة من بر العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف عام"⁽³⁾.

(1) النسفي، التيسير في التفسير، 16/9.

(2) سهل التستري، تفسير التستري، ص 90.

(3) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 437/10.



- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

- وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: 68]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوَ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32].

- وقوله تبارك: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19]، وقوله جل جلاله: ﴿وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

- وقول النبي ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»⁽¹⁾. فهذا الحديث الشريف يعكس بوضوح الحث على قيمة التعقل والمنطق في الإسلام، ويظهر كيف كان النبي ﷺ يوجه أمته إلى اتباع طريق الحكمة والعقلانية في حياتهم، ففيه يُعرّف النبي ﷺ الكيس بأنه الشخص الذي يحاسب نفسه ويعمل لما بعد الموت. فهو يفكر ويتدبر في أمر نفسه وعاقبة أمره على الدوام، ويقيّم ذاته باستمرار، وهو تعريف للكياسة، يُظهر أهمية استخدام العقل والتفكير المنطقي في تحديد الأعمال والسلوكيات التي تقود إلى الفلاح في الآخرة. ففي هذا الحديث دعوة

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2459، 638/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 17123، 350/28، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 1423/2، 4260.



واضحة من النبي ﷺ للناس باستخدام العقل والمنطق في تقييم حياتهم وأعمالهم، والتركيز على أهدافهم السامية.

- وقول النبي ﷺ: «لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ»⁽¹⁾، أي: لا عقل كالعقل الذي يصحبه التدبير، وهو الذي ينظر في عاقبة الأمر، ويميز ما يُحمد ويذم في الدنيا والآخرة⁽²⁾.

- وقول النبي ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»⁽³⁾، ففيه احترام للعقل؛ حيث إنه لم يخاطب بالتكليف إلا العقلاء، فغير العاقل لا يطالب بالأحكام، فلا تجب عليه صلاة ولا زكاة ولا صيام.

(3) ذم إهمال التعقل وعدم الاحتكام إليه:

المتأمل في القرآن الكريم والهدي النبوي القويم؛ يجد فيهما ذمًا شديدًا لمن لا يعمل عقله؛ لأنه يقلد تقليدًا أعمى، كابحًا ملكات تفكيره؛ مما يؤدي إلى تراجع الفكر، وتدهوره الحضاري، فلا يرد فيهما مهمل عقله إلا مذمومًا، وذلك في مواطن كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22]. يعني الذين لم ينتفعوا بعقولهم، وقد خصهم الله تعالى بها،

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4218، 1410/2.

(2) ينظر: القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 263/9.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4403، 455/6، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:

1423، 32/4.



وأمرهم باستثمارها⁽¹⁾. قال العلماء: إنما ذمهم "لإبطالهم ما يُميزوا به وفُضّلوا لأجله، وهو استعمال العقل فيما ينفعهم من التفكير والاعتبار"⁽²⁾؛ فكان ما توصلوا إليه من نتائج في غاية الضحالة والترهل، وذلك شأن مهمل العقل على الدوام؛ يتسم بالجمود الفكري الذي يشل قدرته على الابتكار والتجديد، ويجعله يفسر الأمور تفسيرًا عاطفيًا، ويفهمها فهمًا سطحيًا، دون تحليلها أو الالتفات إلى عمقها ومقاصدها، ويكون أكثر عرضة لتصديق الخرافات والأساطير، بدلًا من البحث عن التفسيرات العلمية والمنطقية، ويتعصب لآرائه ويتمسك بأفكاره دون أعمال للحجج والبراهين الموضوعية؛ مما يؤدي إلى تفسيرات خاطئة لنصوص الدين وتعاليمه، بعيدة عن العقل والمنطق.

- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]. فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن كل ما يناقض استعمال العقل، كالفضوى والعبثية والعشوائية والتهور والعجلة في الأحكام، وقبول الأخبار من المجهولين غير الموثوقين.

- وقوله فيمن أهملوا وظيفة العقل، فأعرضوا ولم يتدبروا الآيات القرآنية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] ففي الآية حث على النظر في القرآن الكريم بقلب مفتوح، وعقل مستنير.

(1) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي، 175/5.

(2) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 317/2.



- وقوله سبحانه فيمن تغافل عن التدبر في الآيات الكونية: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105].

- وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ»⁽¹⁾.

فهذه النصوص الشرعية الشريفة تنبّه كلّ إنسان على استخدام عقله، ليستقيم حاله، وتنتظم أموره، ويصلح دينه، وإلاّ كانت الفوضى مآل أمره، والعشوائية عاقبة أحواله، فإعمال العقل والاحتكام إلى المنطق سبيل النظام والبناء، وإهمال ذلك طريق للفوضى والعبث والهدم.

(4) استعمال قيمة التعقل:

استعمل القرآن الكريم والنبى العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم بعض الأقيسة المنطقية والعقلية في الاستدلال، ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]. يعني جل ثناؤه: أنّ شبه عيسى عندي في خلقي إياه من غير فعل، كشبه آدم الذي خلقته من تراب ثم قلت له: "كن"، فكان؛ من غير فعل ولا ذكر ولا أنثى. فليس خلقي عيسى من أمّه من غير فعل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، وأمري إذ أمرته أن يكون فكان لحماً. فكذلك خلقي عيسى: أمرته أن يكون فكان⁽²⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 24419، 480/40.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 459/5.



- وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 78-81] "فجعل خلق الأشياء دليلاً على إحياء الموتى، وهذا قياس يستمر في قضايا العقول، ولولا القياس ما صار دليلاً"⁽¹⁾، وفي الآية وضع ربنا سبحانه أن من خلق أول مرة قادر على أن يعيد الخلق، والله تعالى هو الذي خلق أول مرة. وهذا من الأدلة العقلية والمنطقية القوية التي لا يملك أمامها الناظر العاقل إلا الاقتناع.

- وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]. ففي الآية إثبات للأمر بإبطال نقيضه؛ لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ويسمى هذا عند العلماء "قياس الخلف".

- وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، "وجه انتظام هذا الاستدلال أنه لو تعددت الآلهة للزم أن يكون كل إله متصفاً بصفات الإلهية المعروفة آثارها، وهي الإرادة المطلقة والقدرة التامة على التصرف، ثم إن التعدد يقتضي اختلاف متعلقات الإرادات والقدرة؛ لأن الآلهة لو استوت في تعلقات إراداتها ذلك لكان تعدد الآلهة عبثاً للاستغناء بواحد منهم، ولأنه إذا حصل كائن فإن كان حدوثه بإرادة متعددين لزم اجتماع مؤثرين على مؤثر واحد، وهو محال لاستحالة

(1) الماوردي، الحاوي الكبير، 137/16.



اجتماع علتين تامتين على معلول واحد. فلا جرم أن تعدد الآلهة يستلزم اختلاف متعلقات تصرفاتها اختلافاً بالأنواع، أو بالأحوال، أو بالبقاع، فالإله الذي لا تنفذ إرادته في بعض الموجودات ليس بإله بالنسبة إلى تلك الموجودات التي أوجدها غيره.

ولا جرم أن تختلف متعلقات إرادات الآلهة باختلاف مصالح رعاياهم أو مواطنهم أو أحوال تصرفاتهم فكل يغار على ما في سلطانه. فثبت أن التعدد يستلزم اختلاف الإرادات وحدوث الخلاف.

ولما كان التماثل في حقيقة الإلهية يقتضي التساوي في قوة قدرة كل إله منهم، وكان مقتضياً تمام المقدرة عند تعلق الإرادة بالقهر للضد بأن لا يصده شيء عن استئصال ضده، وكل واحد منهم يدفع عن نفسه بغزو ضده وإفساد ملكه وسلطانه، تعيّن أنه كلما توجه واحد منهم إلى غزو ضده أن يهلك كل ما هو تحت سلطانه فلا يزال يفسد ما في السماوات والأرض عند كل خلاف⁽¹⁾.

- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيها من أورك؟» [أي: فيه سواد] قال: نعم، قال: «فأني كان ذلك؟» قال: أراه عرق نزعه، قال: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق!»⁽²⁾. فهذا الحديث يعكس بوضوح عقلانية النبي ﷺ واستخدامه المنطق في التعامل مع المواقف، ومناقشة القضايا، والاستدلال على المسائل. فقد رأى

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 40/17.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4999، 2032/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1137/2، 1500.



النبي ﷺ من هذا الرجل قلقًا قد يدفعه إلى إنكار نسبته إليه. فما كان من النبي ﷺ إلا أن استخدم مثالًا حيًّا من واقع حياة السائل؛ ليوضح كيف يمكن أن تظهر الصفات الوراثية المختلفة في النسل، بقياس المعلوم لدى السائل على المجهول. وإنما لم يجبه بالشرع، كأن يقول له: إن بعض الظن إثم، أو أنه لا يجوز له إنكار ابنه إلا برؤية عين أو شهادة شهود... ليعزز فينا التفكير العقلاني والتفسير المنطقي، ويقدم نموذجًا للتعامل مع القضايا المعقدة بطريقة منطقية وموضوعية.

- وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم هذه القيمة من القرآن الكريم والهدي النبوي، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يمرُّ على رجلٍ قد أصاب ذنبًا، فكان أناسٌ يسُبُّونه، فقال: رأيتم لو وجدتموه في قليبٍ، ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: نعم، قال: فلا تَسُبُّوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تُبغِضُه؟ قال: إنَّما أبغِضُ عَمَلَه، فإذا تركه فهو أخي⁽¹⁾. فاستعمال أبي الدرداء رضي الله عنه القياس العقلي، والنظر المنطقي؛ أقنعهم بالرجوع عن غيهم، وتركهم سوء صنيعهم.

مظاهر وتجليات التعقل والمنطق:

من أهم مظاهر وتجليات وعلامات تعقُّل المرء وتفكيره المنطقي ما يأتي:

(1) أبو داود، الزهد، رقم الحديث: 232، ص 211، وأبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 225/1، والبيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 6691، 290/5.



(1) حسن القول:

وهو من أهم مظاهر التعقل، ولذا قيل: عقل المرء مخبوء تحت لسانه⁽¹⁾، فإذا نطق عُرف؛ أهو حكيم فطن لبيب أم غير ذلك.

وقيل: لسان المرء قطعة من عقله، وظنّه قطعة من علمه⁽²⁾.

وقال الشاعر:

وهذا اللسان بريد الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله⁽³⁾

وقال آخر:

وما المرء إلا الأصغران: لسانه، ومعقوله. والجسم خَلْقٌ مصوّر⁽⁴⁾

(2) حسن الصمت والاستماع:

كما أن القول في محله من علامات الحكمة والتعقل؛ كذلك الصمت في موضعه علامة على ذلك، ومن ثم قيل: "من كثير هذره، قل قدره". وهو مثل يُضرب في الشخص الذي يكثر من الحديث في المجالس دون مراعاة الآخرين وفي مواضيع مختلفة لا فائدة منها⁽⁵⁾، فيكثر سقطه وخطؤه، كما قيل: "من كثير

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 277.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، 83/1، المبرد، الفاضل، ص 6.

(3) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 42.

(4) المبرد، الفاضل، ص 6.

(5) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9 - 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022. 21)، ص 149.



لغظه كثر غلظه"⁽¹⁾، فالعاقل حَسَن السَّمْت طویل الصَّمْت، وإن ذلك من أخلاق الأنبياء، وروي عن لقمان أنه قال: "إن من الحِكم الصمت؛ وقليلٌ فاعله"⁽²⁾. وقال: "لكلّ شيء دليل، ودليل العقل الفكر، ودليل الفكر الصمت"⁽³⁾. وما أصدق قول الشاعر:

أقلل كلامك واستعد من شرّه	إنّ البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك، واحتفظ من غيه	حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان وقل له:	إن الكلام عليكما موزون
فزنأه! وليك مُحْكَمًا ذا قِلّة	إنّ البلاغة في القليل تكون ⁽⁴⁾

(3) مراعاة السياق:

فالمرء العاقل تجده لا ينطق الكلمة حتى يفكر في جميع أبعادها، فيزنها وينظر مناسبتها للوقت والظرف ومن يسمعها...

ومن عدم مراعاة السياق: التكلم في ماض لا فائدة في استعادته، ومن الأمثلة الشعبية الإماراتية في ذلك: "الكلام في الفايث نقصان في العقل"، يعني إنه لا جدوى من كلام في الماضي⁽⁵⁾؛ لأن ذلك مما لا فائدة فيه، بل يدل على قِلّة عقل صاحبه ونقص فطنته، وقصور فهمه وحكمته، بل يأخذ من ماضيه ما

(1) الأماسي، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، ص 185.

(2) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 41.

(3) الأماسي، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، ص 206.

(4) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 41.

(5) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9، 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022. 21)، ص 148.



يزيد خبرته، ويدعم خلاصة تجربته، ويستهدي به في التخطيط لحاضره ومستقبله، دون أن يقيد عقله بدائرة الذكريات وما تجره من مشاعر، بل يمضي في تحسين حاضره ورسم معالم مستقبل أفضل.

(4) التجاهل والتغافل:

من علامات العاقل التغافل والتجاهل؛ حفظاً لهيبته عن الدخول في السفساف، فيتغافل عن الأخطاء والزلات؛ حتى لا يؤدي نفسه ولا غيره، اقتداءً بالنبي الكريم ﷺ القائل: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»⁽¹⁾، ويتجاهل المواقف التي لا تفيده، والأشخاص الذين لا يعنونه، والمعلومات والأفكار التي لا يحسن الخوض فيها. والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55].

يقول أبو العلاء المعري:

ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً تجاهلتُ حتى ظنَّ أنّي جاهلٌ⁽²⁾

طرق الاكتساب والتعزيز والتنمية لقيمة التعقل والمنطق:

العقل كالنبته، ينمو بالعناية، ويذبل بالإهمال، ومن أهم أوجه العناية به التي تنميه وتعزز قدراته: القراءة والتعلم، ومشاورة أهل العقل والحكمة،

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4860، 224/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:

3896، 710/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 3759، 301/6.

(2) المعري، أبو العلاء، شرح التنوير على سقط الزند، ص 111.



والتفكر والتأمل، والتدريب والتجريب، والابتعاد عن كل ما يذهب العقل ويفسده، والدعاء والالتجاء إلى الله تعالى... إلى غير ذلك من الطرق المعينة في اكتساب قيمة التعقل والمنطق وتنميتها وتعزيزها، وقد سبق ذكرها في قيمة العلم وما تفرع عنها من القيم، وفيما ورد غنية.

ثمرات التعقل والمنطق:

صاحب العقل السليم، والتفكير المنطقي الرصين، يجني بذلك ثمرات كثيرة، من أهمها:

(1) رضا الله تعالى:

إن مما يرضي الله تعالى تعقل الإنسان وحكمته، لرضاه سبحانه عما ينبي على ذلك من الثبوت والتبني ﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]، وحسن القول ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 53]، وحسن العمل ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 55]، وكف الإنسان عما ذم القرآن من الجهل والعجلة ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ [الأنبياء: 37]، وإغفال النظر والتفكير والاستدلال ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، وما أشبه ذلك، فإن الإنسان بتعقله وحكمته وكفّه عما خالفهما؛ يستجيب لتعاليم الدين، ويحسن استثمار نعمة العقل فيما يرضي واهبه سبحانه، فينال بذلك رضا.



يقول الشيخ زايد طيب الله ثراه: "إنَّ الله منحنا العقل والصحة، ويجب أن نحسن استغلالهما ليرضى الله عنا ويبارك أعمالنا".

(2) جمع الفضائل من أطر افها:

فالعقل سبب لكل فضيلة، كما أن عدمه يجر كل رذيلة، يقول أبو الفتح البستي:

فبالعقل تستوفي الفضائل كلها كما الجهل مستوفٍ جميع الرذائل⁽¹⁾

ويقول ابن خاتمة الأندلسي:

إذا حظيت بعقل فاقنعنَّ به فذاك فضلٌ لعمري غير مقدور⁽²⁾

(3) السلامة، وتجاوز العقبات وتخطي الأزمات:

فصاحب العقل يستطيع بعقله حل المشكلات وتجاوز العقبات ولا أدل على ذلك وأصدق شاهدًا من الأحداث والوقائع التي يشهدها الإنسان في مختلف ظروف حياته، لا يكون العاصم منها، وسبيل الخلاص من مغبتها؛ إلا التعقل والنظر المنطقي والتصرف الحكيم، أما الاندفاع العاطفي ومعالجة الأمور بغير منطق عقلي فإن ذلك يورد صاحبه المهالك، يقول أحمد شوقي:

ومن صحب الحياة بغير عقل تورط في حوادثها اندفاعاً⁽³⁾

(1) العبيدي، محمد بن عبد الرحمن، التذكرة السعدية في الأشعار العربية، ص 39

(2) ابن خاتمة، ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص 155.

(3) مبارك، زكي، أحمد شوقي، ص 272.



خاتمة

إن التعقل والنظر في عواقب الأمور منهج قرآني ونبوي، أصّل له ديننا الحنيف، وأعمله العلماء في الحضارة الإسلامية عبر تاريخها الممتد إلى يومنا هذا، وتبنته دولة الإمارات العربية المتحدة منذ عهد الوالد المؤسس الشيخ زايد - طيب الله ثراه - إلى يومنا هذا، ويتجلى في حكمة القائد المؤسس، والسنع الإماراتي، وحكمة القيادة الرشيدة، إضافة إلى المبادرات الوطنية المتعددة.

* * *



- الصبر والشكر

مقدمة:

الصبر والشكر قيمتان عظيمتان، هما بمثابة الجناحين للإنسان، بهما يتعاطى مع ما يصيبه أو يخطئه. وتصريفهما كما ينبغي - حسب الظروف والأحوال والوقائع - هو عين الحكمة، ولب الصواب، وجوهر الرجاحة والكياسة.

إن الإنسان الحكيم يتقلب بين هاتين القيمتين طوال حياته، ويلجأ إليهما مدة عيشه، فلا يخرج من الصبر إلى الجزع، ولا من الشكر إلى الكفران والإنكار؛ فينال بصبره رفعة الدرجات، والأجور الكثيرات، وينال بشكره مضاعفة الحسنات، وزيادة الخيرات.

وستتناول قيمة الصبر والشكر هنا منفصلتين، ابتداءً من قيمة الصبر.

أ. الصبر:

تعريف الصبر:

أولاً- في اللغة:

الصبرُ لغة مصدر الفعل "صبر"، ويأتي بمعانٍ، أهمُّها:



- 1- الحبس: وهو أصل معاني الصبر، يُقال: صَبَرْتُ نَفْسِي على ذَلِكَ الأمر، أي: حَبَسْتُهَا⁽¹⁾، وَصَبَرَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَصْبِرُهُ صَبْرًا: حَبَسَهُ⁽²⁾، وَسَيَّي الصَّوْمُ صَبْرًا لَمَّا فِيهِ مِنْ حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالتَّكَاحِ⁽³⁾.
- 2- نَقِيضُ الْجَزَعِ⁽⁴⁾، قال أهل اللغة: "الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ"⁽⁵⁾.
- 3- الدواء المرّ: قال أهل اللغة: "الصَّبْرُ - بَكْسَرِ البَاءِ - الدواء المرّ، ولا يُسَكَّنُ إِلَّا في ضَرُورَةِ الشَّعْرِ"⁽⁶⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

تعددت تعريفات الصبر اصطلاحًا؛

ف قيل: هو "تَرْكُ الشَّكْوَى مَنْ أَلَمِ الْبَلَوَى، لَغَيْرِ اللَّهِ؛ لا إلى اللَّهِ"⁽⁷⁾.

وقيل: هو "حَبْسُ النَّفْسِ على ما يِقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ، أو عَمَّا يِقْتَضِيَانِ حَبْسَهَا عَنْهُ"⁽⁸⁾.

-
- (1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 329/3، (صَبَر)، وابن منظور، لسان العرب، 439/4، (صَبَر)، والزبيدي، تاج العروس، 271/12، (صَبَر).
 - (2) ابن منظور، لسان العرب، 437/4، 438، (صَبَر).
 - (3) السابق، 439/4، (صَبَر).
 - (4) الفراهيدي، العين، 115/7، (صبر)، وابن منظور، لسان العرب، 438/4، (صَبَر)، والزبيدي، تاج العروس، 272/12، (صَبَر).
 - (5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 706/2، (صبر).
 - (6) الرازي، مختار الصحاح، ص 172، (صَبَر)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 707/2، (صَبَر).
 - (7) الجرجاني: التعريفات، ص 131.
 - (8) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 474.



وقيل: هو "حبس النفس عن فعل ما تحبه، وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل؛ مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل"⁽¹⁾.

ويمكن تعريف الصبر على ضوء التعريف اللغوي والاصطلاحي المتقدم بأنه: حكمة تتمثل في القدرة على التحكم بالنفس وضبطها بمنعها من الاستجابة التلقائية لدافع داخلي أو حدث خارجي؛ قولاً أو فعلاً، واحتمال ذلك بهدف إيقاع الاستجابة وفق ما ينبغي عقلاً أو عرفاً أو ما تقتضيه التعاليم الدينية.

أهمية الصبر:

وتبرز أهمية الصبر في نقاط عدة، أهمها:

1) أمر الله تعالى نبيه مُحَمَّدًا ﷺ بالصبر:

فقال عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5]، يعني: صبراً لا جزع فيه. يقول له: اصبر على الأذى، ولا يثنيك ما تلقى من المكروه عن تنفيذ ما أمرك ربك لإيصال رسالته⁽²⁾. وقال سبحانه: ﴿وَآتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109]. "والمعنى: أَنَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، فَإِنْ وَصَلَ إِلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْإِتِّبَاعِ مَكْرُوهٌ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ فِيهِ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"⁽³⁾.

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 304/11.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 228/12.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 183/17.



(2) وصف الله تعالى بالصبر أصفياه من أنبيائه:

فقال ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]. فهذه الآية أفتضت أن مُحَمَّدًا ﷺ من أولي العزم؛ لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم؛ لأنه ممثّل لأمر ربه، فصبره مثيل لصبرهم، ومن صبر صبرهم كان منهم لا محالة⁽¹⁾.

وأثنى الله على صبر أيوب عليه السلام بأحسن الثناء، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]، وهذا يشير على أن من لم يصبر إذا ابتلي فليس بـ "نعم العبد".

(3) أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ المؤمنين بالصبر:

وهذا مما يدل على عظيم أهميته، فقد وردت مادة "الصبر" في القرآن الكريم في نحو مئة موضع، تثنى قيمة الصبر وتأمر بها وتحث عليها وتبين فضلها وجزائها، ومثل ذلك كانت قيمة الصبر في الهدى النبوي، ومن ذلك قوله جل شأنه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]. فقد أمر سبحانه بالاستعانة بالصبر مع الاستعانة بالصلاة، لأن الصبر ملاك الهدى، ومن تدرع بالصبر سهل عليه اتباع الحق⁽²⁾.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي». قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي! وَلَمْ تَعْرِفْهُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 67/26.

(2) ينظر: السابق، 477/1.



ف قيل لها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»⁽¹⁾.

ويقول النبي ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»⁽²⁾.

(4) الصبر قيمة ثابتة في كتب العلماء ومأثور الحكماء وأدب الشعراء:

اهتم بالصبر العلماء والحكماء والشعراء، فصنفوا في فضله المصنفات، وبوّبوا له في كتبهم: "باب ما جاء في الصبر"، "باب فضل الصبر"، "باب الصبر على البلاء"...، وأوصوا به من بعدهم، وقالوا حكمًا وأشعارًا جديرة بالتأمل، من ذلك:

- قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وجدنا خير عيشنا بالصبر)⁽³⁾.
- وقول علي رضي الله عنه: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور)⁽⁴⁾.
- وقول ابن أبي الصلت:

يقولون لي صبرًا وإنّي لصابر على نائبات الدهر وهي فواجع
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى وإن أنا لم أصبر فما أنا صانع⁽⁵⁾؟

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1283، 79/2. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 40/3، 926.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1469، 122/3. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 102/1053، 3.

(3) وكيع بن الجراح، الزهد، ص 449.

(4) وكيع بن الجراح، الزهد، ص 449، والسمرقندي، تنبيه الغافلين، ص 247.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 513.



- وقوله كذلك:

سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْجِزَ الصَّبْرُ عَنْ صَبْرِي وَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ فِي أَمْرِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبْرُ أَنَّني صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَ مِنَ الصَّبْرِ⁽¹⁾

- وقول ابن الرومي:

اصبري أيتها النفس فإن الصبر أحجى
ربما خاب رجاء وأتى ما ليس يرجى⁽²⁾

(5) الصبر نصف الإيمان:

قرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، فقال رضي الله عنه: (الصبر نصف الإيمان)⁽³⁾. إذ يتقلب الإنسان بين صنفين: "معطى، فعليه الشُّكْر. وممنوع منه فعليه الصَّبْر. فإذا شكر هذا فقد أتى من حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِنَصْفِهِ. وإذا صبر هذا فقد أتى من حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِنَصْفِهِ"⁽⁴⁾.

ولعل ما يأتي من أقسام الصبر وتجلياته يوضح هذه المساحة التي أخذها الصبر في ديننا الحنيف.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 311/17.

(2) ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 281.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 8544، 104/9، والحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 3666، 484/2، وصححه، ووافقه الذهبي.

(4) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، 202/1.



أقسام الصبر وتجلياته:

الصبر أقسام كثيرة، فصلَّها العلماء في كتبهم، وبينوها في مصنفاتهم، مستخرجين إياها من القرآن الكريم، والهدي النبوي القويم، ويمكن إجمال أنواع الصبر في الآتي:

(1) الصبر على الطاعة والعبادة:

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: 132].

ويكون الصبر قبل العبادة بتصحيح النية والإخلاص لله تعالى، والاجتهاد في الصبر على المداومة عليها في أحسن أوقاتها وأفضل هيئاتها، ويكون الصبر في نفس العبادة بالخشوع والإخلاص وموافقة أمر الله ورسوله فيها، وبعد العبادة بإخفاءها والدعاء بقبولها⁽¹⁾.

(2) الصبر عن المعصية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 154]. قال العلماء: أي: "عن المعاصي وحفظ النفس"⁽²⁾.

ويعين على ذلك استحضار فضل الله ونعمته التي تثمر في القلب الحياء منه، وكذلك صورة النعيم الذي أعدَّه الله للمحسنين الصابرين على التزام أمره

(1) ينظر: أحمد ابن حنبل، الأدب والزهد، 229/20.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 114/1. وينظر: النحاس، إعراب القرآن، 85/1.



واجتناب نهيه؛ والذي يورث القلب رغبة وأملاً بما عند الله، وحذراً من عقابه جل في علاه، ومن أعظم الصبر: الصبر على مخالفة شهوات النفس ⁽¹⁾.

(3) الصبر عند الغضب:

وهو صبر المرء من أن يفعل ما لا يحل ولا يجمل عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]. وقال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» ⁽²⁾.

ويعين على ذلك: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والوضوء أو الاغتسال، ومحاولة التزام السكوت، وتغيير حالة الجسم، وفي الحديث: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع» ⁽³⁾.

(4) الصبر عند البلاء:

مثل المرض، والفقر، والخوف، وأذى الناس، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

(1) الدردير، أحمد، الشرح الصغير، 785/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6114، 28/8. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 30/8، 2609.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4782، 162/7، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 21348، 278/35.



[المزمل: 10]، وهذا في الصبر على الأذى، وقيل: إنه يدخل في باب المُصابرة، وهي عبارة عن تحمُّل المكاره الواقعة بينه وبين الغير، ويدخلُ فيه تحمُّلُ الأخلاق الرديّة من أهل البيت والجيران والأقارب، ويدخلُ فيه تركُ الانتقام ممّن أساء⁽¹⁾، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «المؤمنُ الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهُم، خيرٌ من الَّذي لا يخالطُ النَّاسَ ولا يصبرُ على أذاهُم»⁽²⁾.

ومن المواقف النبوية في هذا النوع من الصبر ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبتة، ثم قال: مرلي من مال الله الذي عندك! فالتفت ﷺ إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»⁽³⁾. ففي هذا الموقف تجسيد للصبر والتحمُّل؛ فقد اختار النبي ﷺ الرد على الأعرابي بابتسامة، ومعاملته بحلم وكرم، مُظهرًا بذلك الأخلاق العالية والسماحة الإسلامية، بدلًا من الرد بغضب أو انفعال؛ ليعلم قيمة الصبر في التعامل مع التحديات والمواقف الصعبة، ويرسخ أن الصبر لا يعني التحمل وحسب، بل يشمل القدرة على الرد بطريقة مدروسة ومتزنة، وكيف يمكن للصبر أن يكون أداة قوية للتأثير الإيجابي على الآخرين ولتحويل المواقف السلبية إلى فرص لإظهار الكرم والتسامح.

(1) ينظر: السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، ص 263، وابن الأثرق، بدائع السلك في طبائع الملك، 540/1، والقاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 123/3، والرازي، التفسير الكبير، 148/9.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2507، 278/4. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4032، 160/5.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3149، 94/4.



(5) الصبر على العلم:

وهذا القسم ألحقه بعض أهل العلم بأقسام الصبر، ويتمثل في الصبر على مشقة النظر والاستدلال والاستنباط، وهو خاص بالعلماء وأهل التخصص⁽¹⁾، ومن أبرز ما يشهد له قوله تعالى في قصة موسى والخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 66-69].

ثمرات قيمة الصبر:

لا يكاد المحصي أن يدرك لفوائد الصبر وثماره حصراً، وسنورد هنا باختصار أهم الثمرات وأبرزها:

(1) رعاية الله تعالى ومعيته:

قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48]. أي: بمنظر وعلم منا، نرعاك ونعينك ونكلوك⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]. ففي الآية "إيماءٌ إلى منفعةٍ للصَّبرِ إلهيَّةٍ، وهي إعانَةُ اللهِ لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذا مُشاهدٌ في تصرُّفات الحياة كُلِّها"⁽³⁾.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 9/148.

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 9/414.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 10/32.



(2) حُسن التصرف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 34-35]، أي: وما يعطى هذه الفعلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن إلا الذين صبروا على المكارِه والأُمُور الشاقة⁽¹⁾.

(3) الفلاح:

قال تبارك اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. فجعل عاقبة صبرهم فلاحهم في الدارين.

(4) رحمة الله تعالى وهدايته:

قال جل شأنه في الصابرين: ﴿أُولَئِكَ عَلِمَهُمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157]، والآية واضحة الدلالة على ما يحققه الصبر من رحمة وهداية.

(5) المغفرة والأجر الكبير:

وتشهد لذلك كثير من النصوص القرآنية والنبوية، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: 11]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 434/20.



وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب: 35].

وقال النبي ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في جسده وأهله وماله،
حتى يلقي الله عز وجل وما عليه خطيئة»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعكُ قال:
فمستته، فقلت: يا رسول الله إنك لتُوعكُ وعكًا شديدًا، فقال: «أجل، إني
أُوعكُ كما يُوعكُ رجلان منكم!»، فقلت: لأن لك الأجر مرتين، فقال: «نعم،
والذي نفسي بيده، ما على الأرض مسلم يُصيبُهُ أذى فما سواه إلا حطَّ الله به
عنه خطاياهُ كما تحطُّ الشجرة ورقها»⁽²⁾.

(6) تحقق الخيرية:

قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ الَّذِي يخالطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرُ
مَنِ الَّذِي لَا يخالطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»⁽³⁾. وسيأتي بيان خيرية الصَّبر
والشكر في الدارين عند الحديث عن ثمرات قيمة الشكر.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2399، 204/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5660، 118/7. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:
14/8، 2571.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2507، 278/4. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث:
160/5، 4032.



(7) فتح أبواب الفرج والظفر:

من ثمرات الصبر تحصيل النتائج وتمام الإنجازات وتحقيق الأهداف، ولا يمكن التغلب على التحديات والعقبات إلى بلوغ ذلك من دون زاد من الصبر، وفي الحديث: «**إِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»⁽¹⁾، فانتصار الإنسان على هواه وتغلبه على شهوات نفسه وتذليله لعقبات طريقه من أجل تحقيق النجاحات والإنجازات والتزكية والتنمية الذاتية؛ يحتاج إلى الصبر، والاستعانة بالله، وقد قيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر، وعلى المحن عنوان الفرج⁽²⁾. وفي المثل: الصبر مفتاح الفرج⁽³⁾، وقيل: من صبر ظفر⁽⁴⁾، وقيل: إذا ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول⁽⁵⁾

ومن أقوال الوالد المؤسس الشيخ زايد (طيب الله ثراه) في هذا الباب: "لقد علّمتنا الصحراء أن نصبر طويلاً حتى ينبت الخير، وعلينا أن نصبر ونواصل مسيرة البناء حتى نحقق الخير لوطننا"⁽⁶⁾، وقال طيب الله ثراه: "بالصبر كلّ شيء يُدرِك، وبعدم الصبر ما تُدرِك حتى اللي في جيبك"⁽⁷⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 2803، 18/5.

(2) الدردير، أحمد، الشرح الصغير، 785/4.

(3) الخوارزمي، الأمثال المولدة، ص 90.

(4) من قول أكنم بن صيفي، ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 290.

(5) من شعر علي بن أبي طالب عليه السلام، ينظر: سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي، ص 95.

(6) هيئة تنمية المجتمع، حكومة دبي، أقوال قادة دولة الإمارات العربية المتحدة في حقوق الإنسان والتسامح، ص 42.

(7) [فيديو مسجل للشيخ زايد رحمه الله](#)، منشور على يوتيوب.



وفي المثل الإماراتي الشعبي: "لي يصبر ويتأني، يلقي ما يتمنى"، يُضرب في عدم الاستعجال ووجوب التأني لتكون النتيجة كما يريد الشخص⁽¹⁾.
ومن الأمثال الإماراتية أيضاً: "من صبر قدر"، يُضرب هذا المثل في أهمية الصبر وما يؤدي إليه⁽²⁾.
ويقول الشاعر:

اصبرْ على سُودِ الليالي وادَّرْ
بعزيمةٍ كالطودِ إنْ خطبُ نزلِ
الصبرُ مفتاحُ النجاحِ ولم نجدْ
صعباً بغيرِ الصبرِ يبلُغهُ الأملُ⁽³⁾

(8) دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَنَفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22-24]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتُلِيَ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ [أي: بفقد عينيه] فصبر، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»⁽⁴⁾.

(1) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9، 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022. 21)، ص 146.

(2) السابق، ص 146.

(3) من قول مصطفى الغلاييني، ينظر: أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 476/5.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5653، 126/7.



وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].
ومن ذلك أنه "ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يُعرف لهم غرقاً"⁽¹⁾. وقيل: "لا يُحسب عليهم ثواب عملهم فقط، ولكن يزدادون على ذلك"⁽²⁾.
هذا حديث عن الصبر؛ تعريفه، وأهميته، وأقسامه، وتجلياته، وثمراته.

ب. الشكر:

تعريف الشكر:

أولاً- في اللغة:

- الشكر في اللغة مصدرُ الفعل "شَكَرَ"، ويأتي بمعانٍ، أهمُّها:
- 1- معرفة الإحسان ونشره: وهو الشُّكُورُ أيضاً⁽³⁾، قيل: هو مقلوبٌ عن "الكشر"، أي: الكشف، ويزادُه الكفر، وهو: نسيانُ النعمة وستْرُها⁽⁴⁾.
 - 2- ظهور أثر النعمة: وأصل الشكر في الكلام الظهور، ومنه يقال: شَكَرَ الضرع إذا امتلأ، وامتلاؤه ظهوره، ويقال: دابة شكور، وهو السريع السِّمَن، فسرعة سِمَنه ظهور أثر صاحبه عليه، كأنه يشكر وإن كان ذلك الإحسان قليلاً، وشكره ظهور نمائه وظهور العلف فيه⁽⁵⁾.

(1) من قول الأوزاعي، ينظر: الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، 497/3.

(2) من قول ابن جريج، ينظر: ينظر: العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، 95/3.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 423/4، (شكر).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 461، (شكر).

(5) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص 47. وابن منظور، لسان العرب، 424/4، (شكر).



3- الثناء على المحسن: وذلك لما أولاه من المعروف، يُقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح⁽¹⁾، والشُّكرانُ: خلافُ الكفران⁽²⁾.

4- الرضا باليسير: ومنه قيل: "فرسٌ شُكُورٌ، إذا كفاهُ لِسْمَنه العلفُ القليلُ"⁽³⁾.

هذا، والشُّكرُ لا يكونُ إلَّا عن نعمةٍ يقدمها المشكور، والحمدُ يكونُ عن نعمةٍ وعن غير نعمة، فهذا الفرقُ بينهما⁽⁴⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عُرِفَ الشكر بأنه: "الثَّناءُ على المحسِن بما أولاه من المعروف"⁽⁵⁾.

وقيل: "هو الثَّناءُ على المحسِن بذكرِ إحسانه"⁽⁶⁾.

وقيل: "مُقابِلَةُ المنعِمِ على فِعْلِهِ بثناءٍ عليه، وقَبُولُ لِنِعْمَتِهِ، واعتِرافٍ بها"⁽⁷⁾.

وقيل: هو "معروفٌ يُقابِلُ النِّعمةَ؛ سواءً كان باللسانِ أو باليدِ أو بالقلبِ"⁽¹⁾.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 702/2، (شكر)، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 207/3، (شكر)، وابن منظور، لسان العرب، 424/4، (شكر).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 702/2، (شكر)، وابن منظور، لسان العرب، 424/4، (شكر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 207/3، 208، (شكر).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 423/4، (شكر)، والزبيدي، تاج العروس، 224/12، (شكر)، وينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 493/2، (شكر).

(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 702/2.

(6) القشيري، الرسالة القشيرية، 312/1.

(7) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 87.



أهمية الشكر:

تتجلى أهمية الشكر فيما يأتي:

(1) "الشَّاكِر" صفة من صفات الله تعالى، و"الشُّكُور" اسم من أسمائه.

فهو سبحانه "شاكِر"، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، والشاكِر: اسم الفاعل من شكر يشكر، وهو المظهر للإنعام عليه، وذلك المعنى في حق الله تعالى محال؛ فالشاكِر في حقه تعالى مجاز، ومعناه: المجازي على الطاعة⁽²⁾. فلما كان الله عز وجل يجازي عباده على أفعالهم ويثيبهم على أقل القليل منها، وتتضاعف لديه الحسنات، ولا يضيع لديه تبارك وتعالى لهم عمل عامل؛ كان شاكرًا لذلك لهم، أي: مقابلًا له بالجزاء والثواب⁽³⁾.

وفي أسماء الله تعالى "الشُّكُور"، قال تعالى: ﴿لِيُوقِفَهُمْ أَجْوَرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 30]، وهو من أبنية المبالغة، والشُّكُور هو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده: مغفرته لهم⁽⁴⁾، وإثابته الشاكِر على شكره؛ فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكرًا على طريقة المقابلة⁽⁵⁾.

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 128.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 4/139.

(3) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 87.

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/493، (شكر).

(5) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص 47.



(2) أمر الله ورسوله ﷺ المؤمنين بالشكر:

ومما يدل على عظيم أهمية الشكر أمر ربنا عز وجل ونبيه الكريم ﷺ المؤمنين به في نصوص كثيرة، إذ وردت مادة الشكر في القرآن الكريم في نحو سبعين موضعاً، تنهي على الشكر والشاكرين، وتأمُر بالشكر وتبين أسبابه وجزاءه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]، وقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]... إلى غير ذلك من الآيات، وستأتي نصوص من الهدى النبوي حاثّة على الشكر في بيان ثمراته.

(3) الشكر صفة ثابتة تمثلها الأنبياء عليهم السلام:

وصف الله تعالى في كتابه العزيز أنبياءه وأصفياه بصفة الشكر، فوصف إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120-121]، ودعا إبراهيم لذريته فقال: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]، وقال في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ



لَا يَشْكُرُونَ ﴿يوسف: 38﴾، ودعا سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: 19]، ولما جيء بالعرش إليه ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]، وقال في لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]... إلى غير ذلك من الآيات.

وكان نبينا ﷺ يجتهد في تمثُل قيمة الشكر، ففي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سجد في سورة (ص) وقال: «سجدها داود توبة، ونسجدها شكرًا»⁽¹⁾. وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا جاءه أمرٌ سرورٍ أو بُشْرٍ به خرَّ ساجدًا شاكرًا لله⁽²⁾.

(4) اهتمام الحكماء والشعراء بالشكر:

تغنى الشعراء بالشكر في شعرهم، وبين الحكماء قيمته في كلامهم، ومن ذلك:

قولهم: "العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى"⁽³⁾.

وقول الشاعر:

(1) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 957، 2/159.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2774، 4/404.

(3) من قول علي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر: الآبي، نثر الدر في المحاضرات، 4/110.



إذا كان شكري نعمة الله نعمةً
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله
إذا مس بالسراء عم سرورها
وما منهما إلا له فيه منة
عليّ له في مثلها يجب الشكر
وإن طالت الأيام واتصل العمر
وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر
تضيّق بها الأوهام والبر والبحر⁽¹⁾

ويقول الشيخ زايد طيب الله ثراه:

الله عطانا خير وإنعام
يللي عطانا إيمان وإلهام
والحمد لله واجب علينا
ومن فضله الطافي علينا⁽²⁾

أقسام الشكر وتجلياته:

الشكر أنواع، يمكن إجمالها في الآتي:

1) الشكر بالقلب:

بأن يعلم المرء أن الله تعالى هو صاحب النعمة، المتفضل بها، والذي يستحق الشكر عليها.

كما قال الشاعر:

(1) من قول محمود الوراق، ينظر: البهقي، شعب الإيمان، 238/6. والعلائي، إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة، 291/1.

(2) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9 - 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2021، 2022)، ص 146، وعارف الشيخ، زايد والشكر على النعم، جريدة البيان.



أوليتني نعمًا أبوءُ بشكرها وكفيتني كلَّ الأمور بأسرها
فلأشكرنَّك ما حييتُ، وإن أمت فلتشكرنَّك أعظمي في قبرها⁽¹⁾

(2) الشكر باللسان:

وهو نوعان:

- التحدث بالنعمة:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، وقال رسول الله ﷺ: «التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ»⁽²⁾.

- التلقُّظ بشكرها:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»⁽³⁾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "دعا رجلٌ من الأنصار من أهل قباء النَّبِيَّ ﷺ، فانطلقنا معه، فلمَّا طعم وغسل يده قال: «الحمد لله الَّذِي يُطْعِم ولا يَطْعَم، مَنْ عَلَيْنَا فِهْدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَلَّ بِلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الحمد لله غير مودَّعٍ، ولا مكافئٍ ولا مكفورٍ، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الَّذِي أَطْعَم من الطَّعَام، وسقى من الشَّرَاب، وكسا من العُرْي، وهدى من الضَّلَالَة، وبصَّر من العمى، وفضَّل على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، الحمد لله ربِّ العالمين»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 113/3.

(2) المناوي، فيض القدير، 340/3.

(3) مسلم، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2734، 87/8.

(4) النسائي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 10060، 120/9.



وعن عبد الله بن أبي نوح رحمه الله، قال: "قال لي رجل: كم عاملتَ ربك تبارك اسمه بما يكره فعاملتك بما تحب؟ قلتُ: ما أحصي ذلك كثرةً! قال: فهل قصدت إليه في أمرِ كَرَبِكَ فخذلك؟ قلتُ: لا والله! ولكنه أحسن إلي فأعانني. قال: فهل سألتَه شيئاً قط فأعطاك؟ قلتُ: وهل منعني شيئاً سألتُه؟ ما سألتُه شيئاً قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغاثني. قال: رأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال، ما كان جزاؤه عندك؟ قلتُ: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء. قال: فربك أحقُّ وأحرى أن تدب نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديماً وحديثاً إليك؛ والله لشكره أيسر من مكافأة عباده، إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكراً"⁽¹⁾.

وشكر النعمة باللسان دأب الصالحين وأهل الفضل، ولقد كان الشيخ زايد (طيب الله ثراه) دائم الشكر لربه، فكان يقول دائماً: "لا تشكروني، ولكن اشكروا الله الذي أنعم عليّ، وإذا كنتُ أعطي اليوم عطاياي فهي من نعم الله، وأنا وكيل عليها"⁽²⁾.

(3) الشكر بالعمل:

وهو نوعان:

- إظهار أثر النعمة:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»⁽³⁾.

(1) ابن أبي الدنيا، الشكر، ص 48.

(2) عارف الشيخ، [زايد والشكر على النعم](#)، جريدة البيان.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2819، 123/5.



وعن مالك بن نضلة رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وأنا كشف الهيئة ⁽¹⁾، فقال: «هل لك مال؟» قال: قلت: نعم. قال: «فما مالك؟» فقال: من كل المال، من الخيل والإبل والغنم... قال: «فإذا آتاك الله عز وجل مالاً فليُر عليك!» ⁽²⁾.

- العمل بما يرضي الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13]. ومن هذا النوع ما روته عائشة رضي الله عنها: أَنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقوم من الليل حتَّى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شُكْرًا» ⁽³⁾.

هذا، وقد تجلّت هذه القيمة في الجهود العملية لدولة الإمارات العربية المتحدة، فمن ذلك ما أعلنه المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رحمه الله في ديسمبر 2016، إذ أعلن 2017م عامًا للخير. وبموجب هذه المبادرة أطلقت الحكومة الاتحادية في دولة الإمارات، والحكومات المحلية، فضلًا عن القطاع الخاص والمؤسسات المدنية مئآت من المبادرات الإنسانية، التي تخدم قضايا خيرية داخل دولة الإمارات العربية المتحدة وخارجها، كما أسهم الأفراد بالتبرعات وساعات العمل التطوعي لخدمة قضايا مجتمعية وإنسانية. وكذلك رسمت حكومة دولة الإمارات أطرًا تشريعية وتنفيذية لترسيخ دور الدولة بوصفها عاصمة إقليمية وعالمية للعمل الإنساني، وخدمة البشرية، وتعزيز قيم

(1) أي: تاركًا للتنظيف والغسل والترّفه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/66، (كشف).

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2006، 4/364، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 15891، 25/226.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4837، 6/135.



وثقافة الخير في المجتمع. وهذا شكل من أشكال شكر النعمة بمساعدة الأصدقاء والأشقاء.

ثمرات قيمة الشكر:

يتصل خير الشكر وتمتد بركته لثمر ثمرات دنيوية وأخروية عظيمة وكبيرة، ومن أبرز ثمار الشكر وفوائده:

1) رضا الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147].

2) زيادة النعم:

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]. وقال الشاعر:

الشُّكْرُ أَفْضَلُ مَا حَاوَلْتُ مُلْتَمِسًا بِهِ الزِّيَادَةَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ⁽¹⁾

وقيل: "إن الشكر زيادة من النعم، وأمان من النِّقَم"⁽²⁾.

3) دوام النعم:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]، وجاء في المثل المشهور:

(1) البحتري، الحماسة، ص 228.

(2) من قول المغيرة بن سعيد، ينظر: الطرطوشي، سراج الملوك، ص 109.



"بالشكر تدوم النعم"⁽¹⁾. وقال عمر بن عبد العزيز P: "قيدوا النعم بالشكر"⁽²⁾.
وقيل: "اشكر من أنعمَ عليك، وأنعم على مَنْ شَكَرَكَ، فإنه لا بقاء لنعمة إذا
كُفِرَتْ، ولا زوال لها إذا شُكِرَتْ"⁽³⁾.

(4) الجزاء العظيم من الله الكريم:

قال سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال تعالى:
﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145]. أي: نؤتيهم الثواب الأبدي في الآخرة،
ونعطيهم من الرزق في الدنيا⁽⁴⁾.

(5) الخير في الدارين:

وهذه الثمرة يشترك فيها الصبر والشكر، يقول النبي ﷺ «عَجَبًا لِأَمْرِ
الْمُؤْمَنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمَنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ
فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽⁵⁾.

فمن أعظم ثمرات هاتين القيمتين: أنهما سبب للخير؛ ذلك أن إيمان
المؤمن يهذبه، فيحمد ربه على كل ما أصابه، "فإن أصابه ما يُسرُّ به من النِّعَمِ
شَكَرَ فكان الشكر خيرًا له لما فيه من الأجر. وإن أصابه شيء يؤلمه ولا يعجبه؛
صبر فكان الصبر، خيرًا له لأنه يحوز أجر الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير

(1) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 466/1.

(2) ابن أبي الدنيا، الشكر، ص 13.

(3) من قول المغيرة بن سعيد، ينظر: الطرطوشي، سراج الملوك، ص 109.

(4) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 227/4.

(5) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2999، 227/8.



حساب فكان أمره كله خير. هذا إن عمل بحق الإيمان فشكر وصبر؛ وإلا كان أمره كله شرًّا له إن لم يشكر ولم يصبر"⁽¹⁾.

يقول البحتري:

فأخلص الشكرَ فيما قد حبيتَ به وأثر الصبرِ، كلُّ سوفَ ينقطعُ⁽²⁾

فبين أن ما يعانيه الشاكر والصابر يزول، وتبقى العاقبة المحمودة والأجر الوفير.

طرق التعزيز والتنمية لقيمتي الصبر والشكر:

إن علاقة الصبر والشكر علاقة متينة؛ إذ يعزز كل منهما الآخر، ولا يمكن أن يقع أحدهما على وجه الكمال من دون الآخر؛ قال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشكر ولا يتم إلا به، وبالعكس، فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نعمة ففرضه الشكر والصبر، أما الشكر فواضح وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بلية ففرضه الصبر والشكر، أما الصبر فواضح، وأما الشكر فالقيام بحق الله عليه في تلك البلية، فإن لله على العبد حق في البلاء كما له عليه حق في النعماء⁽³⁾.

(1) الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، 204/7.

(2) أحمد قيش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 336/5.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 305/11.



ومن أبرز طرق الاكتساب والتعزيز لقيمتي الصبر والشكر:

(1) زيارة المرضى وتفقد أحوالهم:

إن مما يغدّي قيمة الشكر ويعين على الصبر عيادة المرضى وتفقد أحوالهم، وقد قيل: "الصِّحَّةُ تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلاّ المرضى"⁽¹⁾. فمثل هذه العوائد تذكر الإنسان بصحته وعافيته التي متعه الله بها؛ لأن الإنسان يحتاج إلى واعظ عملي في حياته إلى جانب الواعظ النظري، فإن رأى الزائر نفسه معافي مما يرى من البلاء والأدواء، شكر الله على العافية، وإن كان مبتلى بشيء من هذه الأدواء؛ كان هذا تسلية له عن مصابه ومعيناً له على الصبر؛ "فمشاركة غيره في المعرة القائمة به؛ يهوّن عليه مصيبتها؛ لأن المصيبة إذا عمّت هانت، وإذا خصّت هالت"⁽²⁾، "إنما هانت بالعموم لذكر مصيبة غيره، فيتسلى عن مصيبتة؛ بخلاف ما إذا خصت فلم يجد مصيبة غيرها نظيرتها لغيره يتسلى بها فتعظم عليه مصيبتة"⁽³⁾.

(2) استحضار النعم ساعة الابتلاء:

قال رسول الله ﷺ: «من رأى صاحب بلاء فقال: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً"، إلا عوفي من ذلك البلاء، كائنًا ما كان، ما عاش»⁽⁴⁾.

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 304/1.

(2) الدردير، الشرح الصغير، 246/4.

(3) الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، 246/4.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3431، 430/5.



ومن استحضار التَّعَمُّد عند الابتلاء ما وقع لعروة بن الزبير ρ ، حين قدم إلى الشام ومعه ابنه محمد، فوطئ عروة عظمًا في طريقه، فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب، فجمع له الوليد الأطباء، فأجمع رأيهم على قطع رجله، ولما قُطعت رجله قال: ضعوها بين يديّ، ثم قال: "ما أَحَسَّنَ صُنْعَ اللَّهِ عز وجل إلي! أخذ مني واحدة وترك لي ثلاثة، وأيْمُنُكَ، لئن كنتِ ابتليتِ لقد عافيت، ولئن أخذتِ لقد أبقيت"، فلما كان بعد أيام قام ابنه محمد بن عروة ليلاً فسقط من أحد الأسطح في اصطبل دواب الوليد، فضرِبته بقوائمها فقتلته. فأتى رجل عروة يعزيه، فقال له عروة: "إن كنتِ جئتِ تعزي برجلي فقد احتسبُها". فقال: بل أعزيك في محمد ابنك! قال: "وما له؟" فخبّره بشأنه، فقال: "اللهم أخذتَ عضوًا وتركتَ أعضاء، وأخذتَ ابنًا وتركتَ أبناء، ولئن كنتِ أخذتِ لقد أبقيت، ولئن كنتِ ابتليتِ لقد عافيت". ولما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأناه محمد بن المنكدر، فقال له: كيف كنت؟ قال: "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا"⁽¹⁾.

(3) المقارنة مع الأقل نعمًا، دون الأكثر:

وإن مما يعين على استدامة الشكر النظر إلى من هم أقل حظًا في الدنيا، قال ﷺ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ»⁽²⁾.

ومما يجعل المرء يزدري نعمة ربه كثرة النظر في أحوال من يظنهم أسعد منه وأكثر حظًا في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

(1) ينظر: أحمد ابن حنبل، الزهد، ص 301، وابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص 251.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6490، 102/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 213/8، 2963.



مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسَتِهِمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ طه: 131 ﴾. وفي الحديث: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله!»⁽¹⁾.

(4) المقارنة مع الأشد بلاء ليصبر:

فالنظر في أحوال من هم أشد بلاء، كالأنبياء، ثم الصديقين، ثم الأمثل فالأمثل، يشد الأزر، ويعين على الصبر، ففي قصصهم عبرة وموعظة، وإمامهم في هذا المقام سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ الضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ [البقرة: 214]. وقد قال ﷺ: «إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»⁽²⁾.

وقد أصاب رسول الله ﷺ حصى شديدة، فأمر بسقاء فعُلِقَ بشجرة، ثم اضطجع تحته، فجعل يقطر على فؤاده، قال: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»⁽³⁾.

(5) استحضار عظيم أجر الصبر:

ومما يزيد من الصبر معرفة جزاء الصابرين والاطلاع على أجورهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، ودخل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو موعوك، عليه قطيفة، ووضع يده

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2963، 2275/4.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، 27079، 10/45.

(3) النسائي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 7440، 47/7.



عليها فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشدَّ حرَّ حماك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنا كذلك؛ يشدّد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر»⁽¹⁾.

ومن ذلك الجزاء العظيم للصابرين أن الله معهم: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، ويحبهم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، ويبشرهم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]، ويعدّهم بالمغفرة، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ...﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

ومن ذلك الجزاء أن الله يخلف للمصاب خيراً من مصابه ما صبر واحتسب، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم! أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها" إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»⁽²⁾.

6) التصبُّر وتعلُّم الصبر:

بمحاولة التسلي عن الابتلاء، وفي الحديث: «ومن يتصبّر يصبره الله»⁽³⁾، أي: من يتكلف الصبر يسهله الله عليه⁽⁴⁾، ويقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 119، 99/1.

(2) مسلم، المسند الصحیح، رقم الحديث: 918، 632/2.

(3) البخاري، الجامع الصحیح، رقم الحديث: 1469، 122/2.

(4) الكجراتي، محمد طاهر بن علي، مجمع بحار الأنوار، 626/3.



له ويدعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه" (1). ومن زاول شيئاً واعتاده وتمرن عليه صار ملكةً له وسجية.

فخلق التسلي والتأسي مطلوب، والإنسان مستعد فطرياً له، ومما يشهد لذلك أن الليل أشد ألماً من النهار للمريض، مع أن الألم واحد، ولكنه في النهار يستأنس بمن يدخل عليه ويواسيه. ولذلك أمر النبي ﷺ بعيادة المريض، وتعزية أهل المتوفى، وتنفيس الكُرب بطيب الكلام، وهذا ظاهر في قول عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، لما قالت بعدما بلغها ما يتكلم الناس به: "فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبوي عندي، وقد بكيت ليلتين، ويوماً، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما أبوي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي" (2). ولعل استذكار عائشة رضي الله عنها لهذا الموقف وروايته؛ كان بسبب ما وجدته من تخفيف المصاب ببكاء هذه المرأة معها ورقتها لحالها.

وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 304/11.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4141، 116/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

112/8، 2770.



(7) فقه الصبر:

ومما يعين الإنسان على التصبر أن يعلم أنه لا خروج له من دائرة الصبر ما دام حيًّا؛ إذ الصبر على ثلاثة أقسام: صبر عن المعصية فلا يرتكها، وصبر على الطاعة حتى يؤديها، وصبر على البلية فلا يشكوره فيها، والمرء لا بد له من واحدة من هذه الثلاث، فالصبر لازم له أبدًا لا خروج له عنه، والصبر سبب في حصول كل كمال⁽¹⁾.

(8) التسليم لأمر الله:

ومما يعين على الصبر: التسليم بأن كل شيء مكتوب مقدر عند الله تعالى؛ فعندما يتفكر المرء أن كل شيء يصيبه - سواء من خير أو من شر، من فرح أو حزن، من مرض أو صحة، من غنى أو فقر - هو أمر مكتوب مقدر لا مفر منه؛ يهون المصاب ويزداد الرضا؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22 - 23].

وقال بعض أهل العلم: الصبر تارة يكون لله، وتارة يكون بالله، فالأول الصابر لأمر الله طلبًا لمرضاته، فيصبر على الطاعة ويصبر عن المعصية، والثاني: المفوض لله بأن يبرأ من الحول والقوة ويضيف ذلك إلى ربه، وزاد بعضهم: الصبر على قضاء الله، وهو الرضا بالمقدور، فالصبر لله يتعلق بإلهيته ومحبته، والصبر به يتعلق بمشيئته وإرادته، والثالث: يرجع إلى القسمين الأولين

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 305/11.



عند التحقيق، فإنه لا يخرج عن الصبر على أحكامه الدينية وهي أوامره ونواهيه، والصبر على ابتلائه وهو أحكامه الكونية. والله أعلم⁽¹⁾.

(9) التواصي بالصبر:

ومما يعين على الصبر التواصي به، فقد أوصانا الله تعالى بأن نتواصى بالصبر ويعين بعضنا بعضاً على الصبر، وقرّنه بالرحمة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: 17]. ووصف الإنسان أنه في خسران، ثم استثنى المتواصين بالصبر، وقرنه بالتواصي بالحق، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3]. فهذا مما يعزز الصبر ويشد أزَرَ الصابرين ويُحسن تجسيد هذه القيمة العظيمة.

خاتمة:

يتبين مما سبق أن الصبر والشكر قيمتان عظيمتان؛ تدلان على حكمة صاحبهما وكياسته، ورجاحة عقله وفطنته. لذا فقد اهتم الإسلام بهاتين القيمتين غاية الاهتمام، واهتم بها الأنبياء والعلماء والشعراء والحكماء، واعتنى بهما المسلمون عبر تاريخ حضارتهم الممتد، فنظموا فيهما الأشعار، وصاغوا فيهما الحكم، وتمثلوهما في حياتهم العملية، وصولاً إلى يومنا هذا؛ حيث برزا في حكمة القيادة الرشيدة ومبادراتها؛ التي تجسد ما توارثناه من القيم النبيلة والمبادئ الأصيلة والأخلاق الجليلة الجميلة.

* * *

(1) السابق.



- الإيجابية والأمل

مقدمة:

قيمة الإيجابية والأمل من أبرز ما يتسم به أهل الحكمة، وهي قيمة تتجلى في جميع جوانب الحياة، فيكون المرء إيجابيًا في تفكيره، إيجابيًا في شعوره، إيجابيًا في نظراته للحياة؛ مما يساعده على اتخاذ القرارات الصائبة، وصناعة الفرص السانحة؛ بكل ثقة وتوكل ورزانة، ويتخطى أسباب الفشل والمحن والصعاب، ليخرج من كل ذلك محققًا الفوز لنفسه وللآخرين.

وإن من أهم سمات الشخص الإيجابي: أنه صاحب عقلية نامية متطورة متفتحة، لديه إيمان داخلي بأنه يستطيع تغيير واقعه، يركّز على الحلول والبدائل لحل مشكلاته، يرى دائمًا أملًا في العمل، ويتطلع لما هو ممكن ليصنع المستقبل. وعلى العكس من ذلك: يتسم الشخص السلبي المحبّط بالتشاؤم والكسل والجهل والضعف والتمركز حول الذات، بجانب عدم السعي لأي هدف، وتكريس الجهد بالبحث عن الملهيات والرغبات وحسب، وإدامة الشكوى من المجتمع والحظ السيئ والقدر المحتوم...، فالفرد السلبي يكون تفكيره وشعوره وقناعاته وسلوكياته محبطة تشاؤمية؛ تعبّر عما بداخله من ألم وضيق وبؤس.



تعريف الإيجابية والأمل:

أ. تعريف الإيجابية:

أولاً- في اللغة:

الإيجابية مصدر صناعي من "إيجاب"، وتعني كل ما يصدر من أمور ناجحة ومقبولة وموفقة، و"إيجابي" اسم منسوب -كذلك- إلى إيجاب: عكسه سلب⁽¹⁾.

وبتتبع جذرها يمكن حصر مادتها في بضع معانٍ كوّنت مفهومها، وهي:

1. الإلزام الذاتي: يقال: وجب الشيء، أي: لزم⁽²⁾. وأوجبه يُوجبه إيجاباً، واستوجب الأمر: عدّه واجباً ولازماً⁽³⁾.
2. الثبات: يقال: وجب الشيء، أي: ثبت⁽⁴⁾، والوجوب: الثبوت⁽⁵⁾.
3. العملية والنجاح: يقال: رجلٌ إيجابيٌّ في مشاريعه، أي: عمليٌّ، يتّخذ خطوات إيجابية⁽⁶⁾.

ثانياً- في الاصطلاح:

بناء على المعنى اللغوي المتقدم يظهر أن الإيجابية: ملكة وعادة نفسية وذهنية، تحمل صاحبها على الجدّية والالتزام، والمبادرة لأداء الواجب، مع

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2400/3، (وجب).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 231/1، (و ج ب)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 152/5، 154، (و ج ب). وابن منظور، لسان العرب، 793/1، (وجب).

(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2400/3، (وجب).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 231/1، (و ج ب).

(5) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص 853.

(6) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2400/3، (وجب).



التكيُّف عند التحديات، والثبات عند المخاطر، والثقة بالنتائج؛ حتى بلوغها وتمامها عن جدارة واستحقاق.

ب. تعريف الأمل:

أولاً- في اللغة:

الأمل في لغة العرب هو توقُّع حصول الشيء⁽¹⁾، ويأتي بمعان عدة منها:

1. الرجاء: الأمل والأمل والإمل: الرجاء، والجمع آمال⁽²⁾.
2. التثبُّت والانتظار: الهمزة والميم واللام أصلان: الأول التثبُّت والانتظار⁽³⁾،... والتأمل: التثبُّت. وتأملْتُ الشيء، أي: نظرتُ إليه مستتبًّا له. وتأمل الرجل: تثبَّت في الأمر وانتظر⁽⁴⁾.
3. المعونة: ومنه: الأملَّة أعوان الرجل، واحدهم أمل⁽⁵⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عُرِفَ الأمل بأنه: ترقُّب الانتفاع بما تقدَّم له سببٌ ما، والرجاء مثله، وهو: تعلُّق القلب بحصول محبوب مستقبلاً⁽⁶⁾، أو: ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مسرَّة⁽⁷⁾. وقيل: هو "رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى، وهو قريب المعنى من التمني. وقيل: الفرق بينهما أن الأمل ما تقدَّم له سبب والتمني بخلافه.

(1) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 26/28، (أ م ل).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 27/11، (أمل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 140/1، (أمل).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 27/11، (أمل).

(5) السابق، 28/11، (أمل).

(6) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 27/28، (أ م ل).

(7) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص 346.



وقيل: لا ينفك الإنسان من أملٍ؛ فإن فاتته ما أمله عوّل على التمني. ويقال: الأمل إرادة الشخص تحصيل شيء يمكن حصوله فإذا فاتته تمناه⁽¹⁾.

ويمكن تعريف الأمل بأنه: شعور عاطفي يتفاءل به الإنسان، ويرجو فيه نتائج إيجابية لحوادث الدهر أو تقلباته؛ حتى وإن كانت تلك النتائج الإيجابية صعبة أو مستحيلة الحدوث؛ فإنه يتسلى بها ويرجو.

أهمية الإيجابية والأمل:

الإيجابية والأمل أمر لا يمكن للإنسان أن ينفك عنه أو عن بعضه ما دام حيًّا؛ فالأمل بحياة الزرع زائدٌ من يزرعه، والأمل بنجاح العمل الجراحي زائدٌ من يخضع له، والأمل بالريح زائدٌ التاجر في تجارته، والأمل بالنجاح المدرسي زائدٌ الطالب في دراسته، والأمل بالفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر زائدٌ المبتلى ووقود صبره وسعيه من أجل الخلاص، والأمل بالشفاء زائدٌ المريض الذي يعينه على تحمّل مرارة الدواء... وما إن ينقطع الأمل والرجاء والإيجابية حتى ينقطع كلُّ ذلك! وتموت المبادرة وينقطع الصبر وتتوقف المحاولة!

وتتجلى أهمية الإيجابية في مجموعة من النقاط، أهمها:

1) حث القرآن الكريم على الإيجابية والأمل:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: 139]. فهذه الآية تحث على الإيجابية، وتدعو إلى عدم الوهن والحزن. وفيها نهْيٌ عن أسباب الفشل. والوهن: الضعف، وأصله ضعفُ

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، 236/11.



الذات... وهو هنا مجازاً في خور العزيمة وضعف الإرادة وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جُبناً، واليقين شكاً، ولذلك نهوا عنه. وأمّا الحزن فهو شدة الأسف البالغة حدّ الكآبة والانكسار. والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرُزء فيترتب عليهما الاستسلام. فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهى عن سبهما وهو الاعتقاد، كما يُنهى أحدٌ عن النسيان، وكما يُنهى أحدٌ عن فعل غيره في نحو: لا أرينَ فلاناً في موضع كذا! أي: لا تتركه يحلُ فيه⁽¹⁾.

- وقال سبحانه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. الخطاب هنا للذين أسرفوا فتطرق اليأس من رحمة الله إلى نفوسهم، فكان إثبات (يا) المتكلم في خطابهم زيادة تصريح بعلامة التكلم تقويةً لنسبة عبوديتهم إلى الله تعالى إيماءً إلى أن شأن الرب الرحمة بعباده⁽²⁾.

- وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6]. فهذه الآيات تبين أهمية الإيجابية والأمل، مذكرة بأنه مع كل صعوبة وتحدي؛ هناك تيسير ومعونة. ومعناها "أن بعد ما تراه من الأذى فرج يأتي، وكثر تعالى ذلك مبالغة وتثبيتاً للخير، فقال بعض الناس: المعنى: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا في الدنيا، وإن مع العسر يسراً في الآخرة، وذهب كثير من العلماء إلى أن مع كل عسر يسرين بهذه الآية؛ من حيث العسر معروف للعهد، واليسر منكر، فالأول غير الثاني"⁽³⁾، وإن من عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرفاً ثم كرروه، فهو هو.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 98/4.

(2) السابق، 41/24.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 497/5.



وإذا نكروه ثم كرروه فهو غيره؛ فهما اثنان، ليكون أقوى للأمل، وأبعث على الصبر⁽¹⁾. (ولن يغلبَ عسرٌ يُسرِين)⁽²⁾.

(2) اهتم الأنبياء عليهم السلام بالإيجابية والأمل وتمثلوهما:

- قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام - وهو على حُسن ظنِّه بربه؛ مع الذي هو فيه من الحزن -: ﴿يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. يقول: التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره وخبر أخيه، ولا تقنطوا من أن يرَّوِّحَ اللهَ عنَّا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه، بفرَج من عنده، فيرينهما، إنه لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه سبحانه إلا القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه⁽³⁾. وفي هذه الآية، يعلم نبي الله يعقوب عليه السلام أبناءه درساً قيِّماً في الأمل وعدم الاستسلام لليأس، مؤكداً أن الثقة في رحمة الله وتدبيره يجب أن تظل حاضرة في قلوب المؤمنين.

- وذكر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام لما دخلت رسل الله عليه وقد كبرت سنه؛ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 52-56].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 107/20.

(2) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد روي بإسناد مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 3176، 329/2، والحديث: 3949، 575/2.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 314/13.



- وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدُكُمْ فَسَيْلَةً: فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا فَلْيَفْعَلْ»⁽¹⁾. إِنْ الْحَدِيثَ يَحْتَثُ عَلَى الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَتْ بِطَيْئَةِ نَتَائِجِهِ وَعَوَاقِبِهِ كَغْرَسِ الْأَشْجَارِ وَحَفَرِ الْأَنْهَارِ، وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ تَبْقَى هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً، فَالْأَنَاسُ قَدْ عَمَلُوا وَمَضَوْا وَانْتَفَعُوا مَن بَعْدَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَيَعْمَلُ الْآلِاحِقُ فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ السَّابِقِ حَتَّى يَنْتَفِعَ الْأَنَاسُ الَّذِينَ يَجِيئُونَ بَعْدَهُ⁽²⁾.

- وَحِينَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؓ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْهَجْرَةِ وَهُمَا فِي الْغَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِأُبْصَرْنَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَاتِهِ الْخَالِدَةُ الَّتِي تَرْشَحُ إِجَابِيَّةً وَتَفَاوُلًا وَأَمَلًا: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِأَنْتَ بَاثِنِينَ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»⁽³⁾.

- وَحِينَ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ "مَتَى السَّاعَةُ؟"، أَجَابَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسُؤَالٍ مُّوجِهٍ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»⁽⁴⁾. مُّوجِّهًا السَّائِلَ وَغَيْرَهُ لِلتَّفَكُّيرِ بِإِجَابِيَّةٍ وَاسْتِبَاقِيَّةٍ، وَالتَّرَكُّيزِ عَلَى مَا يُمْكِنُ الْقِيَامُ بِهِ فِي الْحَاضِرِ لِتَحْسِينِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ بِدَلِّ التَّرَكُّيزِ عَلَى الْأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ، وَالْخَوْضِ فِي تَفَاصِيلِ عَنْ مُوَعَدِ السَّاعَةِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ. وَهَذَا يَعِزُّزُ النُّظْرَةَ الْإِجَابِيَّةَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الْحَيَاةِ بِدَلًّا مِنَ الْقَلْقِ بِشَأْنِ الْمُسْتَقْبَلِ الْغَامِضِ.

(3) الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْ أَكْبَرِ الذَّنُوبِ:

أَطْبِقْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَأَجْمَعُوا عَلَى عَدِّ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَبِيرَةً، وَهَذَا ظَاهِرٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الَّذِي ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ

(1) أَحْمَدُ، مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 12916، 55/11.

(2) فَضْلُ اللَّهِ الْجِيلَانِي، فَضْلُ اللَّهِ الصَّمَدِ فِي تَوْضِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ، 475/1.

(3) نُورُ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ، السِّيَرَةُ الْحَلَبِيَّةُ، 52/2.

(4) الْبُخَارِيُّ، الْجَامِعُ الصَّحِيحُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 3688، 12/5.



مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا أَلْفَوْهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ [يوسف: 87]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]، فهذا تصريح بأنه من الكبائر، وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أكبر الكبائر ^(١): (القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) ^(٢).

وكأن هذه النصوص تحثُّ المسلم على الإيجابية والأمل، وتدرّبه عليهما، وتحفظه مما ينافيهما، فمن رزقه الله ذلك لم يكن لليأس في قلبه موضع، ولا في عقله للقنوط حساب.

(4) الإيجابية والأمل ضرورة من ضروريات الحياة:

إن عجلة الحياة لا تدور بالسرور على الدوام، بل تتقلب الأيام بين العسر واليسر، وتحمل البشائر والتحديات لكل حيٍّ، كما قال المتنبي:

لا تلق دهرك إلا غير مكتثرٍ	ما دام يصحب فيه روحك البدنُ
فلا يدومُ سرورٌ ما سُررتَ به	ولا يردُّ عليك الفأنتَ الحزنُ
ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يُدرّكه	تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ ^(٣)

فيحتاج الإنسان إلى زاد من الشكر في أيام الخير والنعمة والرخاء، وإلى زاد من الصبر والإيجابية والأمل أيام الشدة والبلاء؛ يسلي به نفسه ويثبت فؤاده، فالإيجابية والأمل روح الحياة، ولا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس.

(1) ينظر: ابن حجر الهيتمي، الزواج عن اقتراح الكبائر، 149/1.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 8784، 9/156.

(3) صاحب بن عباد، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، ص 63، والواحي، شرح ديوان المتنبي، ص 332.



ومن أجلى الأمثلة في ذلك ما ذكر الله تعالى عن يعقوب عليه السلام لما أخبره أبنائه بما وقع لأخيه، قال: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: 83].

كما يحتاج الإنسان أن يدرّب نفسه على التنقيب عن وجوه الخير في الأحداث التي يكون ظاهرها الشر، فقد قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، وقال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]، وقال سبحانه: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]، وفي هذه الآية إشارة إلى لزوم الانتظار - وهو معنى من معاني الأمل كما تقدم - حتى تظهر وجوه الخير ومعاله.

5) الإيجابية والأمل قيمة ثابتة في سياسات الإمارات العربية المتحدة

وإدراكًا من دولة الإمارات العربية المتحدة لأهمية التفاؤل والإيجابية قامت بمبادرات كثيرة تعززها في الأفراد والمجتمع، من مثل:

- البرنامج الوطني للسعادة وجودة الحياة:

وهو برنامج يهدف إلى تحفيز الأفراد والجهات الحكومية ومجتمع الإمارات لتبني جودة الحياة من أجل إثراء السعادة في الوطن. وهو برنامج اعتمده صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي (رعاه الله)، في شهر مارس 2016م، كميثاق وطني للسعادة. ويضم البرنامج مجموعة من السياسات، والبرامج، والمبادرات، والخدمات التي



تعزز من أنماط الحياة الإيجابية، بالإضافة إلى خطة لتطوير مؤشر السعادة، وقياس رضا الأفراد.

- استحداث منصب وزير دولة للسَّعادة في فبراير 2016م:

حيث أعلن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم (رعاه الله) عن إنشاء منصب وزير دولة للسَّعادة وجودة الحياة.

- إطلاق مجلس السَّعادة العالمي:

وهو مجلس عالمي أطلقه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي (رعاه الله) بعضوية 12 عالمًا وخبيرًا عالميًا، بهدف تحفيز المجتمع العالمي على تبني مفاهيم السَّعادة؛ ليمثل مبادرة إيجابية من دولة الإمارات العربية المتحدة، وإسهامًا في الجهود العالمية لتعزيز سعادة المجتمعات وجودة الحياة فيها.

- إعلان التحالف العالمي للسَّعادة:

وهو تحالف عالمي يجمع مجموعة من الدول، شهد إطلاقه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي (رعاه الله)؛ بهدف تعميم مفهوم السَّعادة كأساس وغاية للتنمية والعلاقات بين الأمم، وتبادل الخبرات وقياس أثر التجارب الرائدة في تكريس السَّعادة نهجًا للعمل الحكومي.



مظاهر الإيجابية والأمل:

ما إن تستقر الإيجابية والأمل في القلب والعقل؛ حتى تنعكس على السلوك، ومن أبرز مظاهرها:

(1) الابتسامة والبشر:

فمما يدل على إيجابية المرء في نفسه، ويزرع الإيجابية والأمل في غيره: ظهور البشر على محياه، والابتسامة لمن يلقاه، وقد روي: (ما أضمر إنسان شيئاً إلا ظهر منه في صفحات وجهه وفلتات لسانه)⁽¹⁾.

والابتسامة من الصدقة والمعروف، يقول النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»⁽²⁾.

ويقول صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد رئيس الدولة حفظه الله: "من المهم ألا تفارقنا الابتسامة والتعامل الراقي ودماثة الخلق في تعاملنا ومواقفنا مع الآخرين"⁽³⁾.

(2) رؤية الجانب المشرق:

وعدم التسخط والتلوّم في كل شيء، بل ملاحظة الأشياء المبهجة وسط الظروف الصعبة، وهذا يتأتى بإعمال الفكر والعقل، والنظر إلى الأشياء بنظرة إيجابية، يقول سيدشل: إن التفكير هو أحد المترادفات للتوجه التفاؤلي⁽¹⁾.

(1) ينظر: أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص 39، وابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، 136/1.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2626، 37/8.

(3) هيئة تنمية المجتمع حكومة دبي، أقوال قادة دولة الإمارات العربية المتحدة في حقوق الإنسان والتسامح، ص 77.



يقول إيليا أبو ماضي:

كُنْ بَلَسَمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا وحلاوةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلَقَمًا⁽²⁾

ومن أشعار الشيخ زايد طيب الله ثراه التي تحتل على العمل والأمل ورؤية
الجانب المشرق من الحياة قوله:

يا ذا الشَّبابِ اللي غطاريـف⁽³⁾ هبوا لوقت السَّعد لي زان⁽⁴⁾
هبوا بعقل وحسن تصريف معكم ثقافة وعلم وإتقان⁽⁵⁾

(3) التركيز على الحل بدل التركيز على المشكل:

إن من مظاهر الإيجابية: البحث عن الحلول لأصل المشكلات التي تواجه
الإنسان في هذه الحياة، وعدم التركيز على المشكل نفسه؛ حتى لا تضعف
العزائم، وتخور القوى. يقول ألبرت أنشتاين: "لا يمكننا حل مشكلة بنفس
العقلية التي أوجدت تلك المشكلة"⁽⁶⁾. ويقول كونفوشيوس: "بدل أن تلعن
الظلام، أوقد شمعة"⁽⁷⁾.

(1) الهلالي، حسام محمد منشد، التفكير الإيجابي وعلاقته بأساليب التعامل مع الضغوط النفسية لدى
المتعلمين، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة كربلاء، كلية التربية، السنة الجامعية 2013، ص 7.

(2) ثابت، محمد: أروع ما كتب إيليا أبو ماضي، ص 11.

(3) المعنى المراد شجعان وكرماء

(4) زان بمعنى حسن.

(5) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 5، 8، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة
الدراسية: 2022. 21)، ص 138.

(6) نبيل أحمد، حقائق الحكمة: أقوال مأثورة من مدرسة الحياة، ص 25.

(7) السابق، ص 25.



(4) التوكل على الله تعالى:

بين التوكل والإيجابية تأثير متبادل، فكلُّ منهما يعزز الآخر، فيأخذ الإنسان بالأسباب ويتوكل على الله ويكل أمر النتائج إليه تعالى. ولقد مدح سبحانه المتوكلين فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]. وقال ﷺ: «لو أنكم تَوَكَّلُون على الله حقَّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»⁽¹⁾.

(5) حسن الظن بالله:

ففي الحديث القدسي: «يقولُ الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»⁽²⁾. فهذا الحديث القدسي يُظهر أن الله يتعامل مع العبد بفضله، ويجزيه بناءً على ظنه وتوقعاته؛ مما يعزز التفاؤل والأمل بأن الله تعالى دائم القرب من عباده الساعين للتقرب منه، يفرج همهم، ويسر أمرهم، ويعينهم على ما يجدونه من النوازل والصعاب، يقول أبو العباس الصولي:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقَتْ فلمَّا استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج⁽³⁾

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2344، 166/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 266/5، 4164.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 7405، 121/9، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 62/8، 2675.

(3) التنوخي، الفرج بعد الشدة، 15/5.



(6) الكلمة الطيبة:

قال النَّبِيُّ ﷺ: «ويعجبني الفأل الصالح؛ الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة»⁽¹⁾. وفي هذا الحديث فسر النبي ﷺ التفاؤل والإيجابية والفأل الحسن بأنه الكلمة الطيبة، والقول الحسن؛ لأن الكلمة الطيبة الإيجابية تبعث الأمل، وتشجع على العمل.

آثار الإيجابية والأمل:

يثمر التفاؤل والأمل والإيجابية ثمارًا طيبة على مستوى الأفراد والمجتمعات، ومن أهم هذه الثمار:

(1) الصحة البدنية والنفسية:

يتفق علماء الصحة النفسية على ضرورة التفاؤل والتفكير الإيجابي حتى في الظروف الصعبة، لدور ذلك في تقليل مستويات التوتر والقلق، وتأثيره في دعم الجهاز المناعي للإنسان، يقول "ديل كارنيجي": "كتب الدكتور "ألكسيس كاريل" الحائز على جائزة نوبل في الطب: "أن رجال الأعمال الذين يعانون القلق يموتون مبكرًا"، وذكر لي الدكتور "جوبر" - وهو كبير أطباء اتحاد مستشفيات "جالت" - أن في استطاعة 70% من المرضى الذين يقصدون إلى الأطباء أن يعالجوا أنفسهم بأنفسهم، إذا هم تخلصوا من القلق والمخاوف التي تسيطر عليهم، ولا يعني هذا أن أمراضهم وهمية، بل هي حقيقية، لكن الخوف يسبب القلق، والقلق يسبب توتر الأعصاب واحتداد المزاج، ويؤثر في أعصاب المعدة،

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5424، 2171/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1746/4، 2224.



ويحيل العصارات الهاضمة إلى عصارات سامة تؤدي في كثير من الأحيان إلى قرحة المعدة⁽¹⁾.

(2) الدعم المعنوي:

وللإيجابية والأمل أثر كبير في الصبر والتصبر، والقدرة على الاحتمال وتخطي الصعاب، كما له دور كبير في سرعة التعافي والتشافي، فقد كان ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: «لا بأس، طهور إن شاء الله»⁽²⁾، ينقّس له في الأجل ويزرع فيه بذور الأمل، وهذا من معالي الأدب في عيادة المريض؛ أن يوسّع له الزائر في الأمل، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر⁽³⁾.

إن يقين الإنسان بأن الله تعالى هو المعطي المانع، والضار النافع، وأنه لا يُغني حذر من مقدّر، ولا يقي شر الحوادث والنوازل تشاؤم؛ هذا يمنحه دعمًا في ميادين الحياة، يتمثل قوة دائمة وقيئنا صادقًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2] وهذا المعنى ظاهر في عقول ذوي الفطن السليمة، كثير في آيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ، يطول إحصاؤه ويتعب استقصاؤه، وقد أكثر الشعراء والبلغاء في ذكر هذا المعنى وأسهبوا⁽⁴⁾.

(1) ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، ص46.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5332، 2141/5.

(3) ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 126/10.

(4) ينظر: المعافي بن زكريا، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص45.



فالإيجابية والأمل تَتَعَزَّزُ بالتوكل على الله وتَعَزِّزُهُ في النفس وترسِّخ معانيه، وتعين صاحبها على نبذ التواكل الذي هو من معالم السلبية. كما أن التفاؤل والرضا بقضاء الله يعزز من سلامة القلب والروح، مما يجعل الإنسان الإيجابي يشعر بالطمأنينة والراحة في حياته الدنيا، ويُحسِّن الانتظار للثواب في الآخرة.

(3) القدرة على التعامل مع التحديات بكفاءة:

إن استنزاف القوى النفسية بالمشاعر السلبية والأفكار التشاؤمية في الفترات الحياتية الطبيعية التي تكتنفها التحديات الطبيعية والمشكلات الروتينية؛ يجعل الإنسان يفقد جُلَّ طاقاته في صراعات داخلية، وتحديات نفسية وهمية، وافتراضات سلبية، تؤدي إلى قلق وتوتر عام لا معنى له! فإذا جدَّ الجدَّ؛ وجاءت الظروف الصَّعبة زمن الشِّدة والعُسر والبلاء؛ وجدَّ نفسه خائر القوى، عاجزًا عن المواجهة، محاصرًا بالوهن! أما الإيجابيون فهم أقل إجهادًا، وأكثر قدرة على التعامل بفاعلية مع الضغوط والأزمات.

(4) تعزيز العلاقات الاجتماعية:

من هدي القرآن الكريم اجتناب أحاديث الشرِّ وأهلها قبل أن تعدي من يستمعها، ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: 140]، والحرص على مجالس الخير وصحبة أهلها، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: 28].



فمجالس الخير تعدي، ومجالس الشر تؤذي، والإيجابية والسلبية - كذلك - تعدي وتنتقل بين الناس، والإنسان بطبعه يحب مجالسة الإيجابيين المتفائلين المستبشرين المحفّزين الواثقين، وينفر مما عداهم؛ فالتفاؤل يساعد في جذب الآخرين وبناء علاقات قوية قائمة على الثقة والاحترام المتبادل، في حين أن التشاؤم والقلق والتوتر والريب والشك... ينفر، وإلا فيُعدي. والأفراد الذين يملكون نظرة إيجابية يميلون إلى بناء علاقات أفضل وأكثر استقرارًا وثقة وتعاونًا، وأقل نزاعًا سلبية، وهذا ظاهر في اللقاءات العائلية والاجتماعية والعلمية وفي بيئات العمل وحتى في فضاءات التواصل الاجتماعي.

طرق اكتساب وتعزيز الإيجابية والأمل:

يمكن اكتساب وتنمية قيمة الإيجابية والأمل بما يأتي:

1. الشعور الحقيقي بالاحتياج للإيجابية والأمل، والإرادة الحقيقية لاكتسابها، والرغبة الصادقة بتحصيل طمأنينة إيجابية وسعادة التفاؤل.
2. رفع درجة المراقبة الذاتية وتتبع الأفكار التي تدور في الدماغ، لتصفية الأفكار، ومعالجتها من خلال الحوار الذاتي والتفكير بالأحداث، والبحث عن أجوبة وحلول.
3. معالجة الأخطاء الذاتية المانعة من اكتساب الإيجابية، مثل: الانهزامية، ودور الضحية، والحيل الدفاعية النفسية من تبرير وإسقاط واتهام الظروف أو الآخر بأنه سبب التعاسة والسلبية والتشاؤم...، ولعل من أبرز هذه الأخطاء الشعور بضرورة تحديد أسباب الكآبة الموسمية أو المتكررة، والبحث عن جهة أو ظرف أو حدث يحمل مسؤولية هذه المشاعر السوداء دائمًا.



4. اكتساب وتحرير بعض القناعات، مثل: القناعة بأن الإنسان حر مختار، ليس تبعًا ولا عبدًا لظروفه، بل هو الفاعل المؤثر الموجه لدفة حياته، المحاسب عن قراراته واختياراته، وأنه كما يفكر يكون.
5. الحذر من البيئة المشحونة بالسلبين والمتشائمين، والسعي إلى صحبة المتفائلين الإيجابيين، أو مجالستهم، أو القراءة لهم وعندهم، أو متابعتهم على مواقع التواصل الاجتماعي؛ والنظر كيف يفكرون ويحللون ويتعاملون مع الأحداث والأشخاص.
6. تدبر القرآن، وقراءة سيرة النبي ﷺ وحديثه، فكل سعادة وإيجابية وطمأنينة منبعها كتاب الله تعالى وهدى رسوله ﷺ.
7. دعم الثقة بالله، وحسن الظن به، والتوكل عليه، وتسليم الأمر إليه، والرضا بقضائه وقدره، مع الاستعانة والتقوى به، والدعاء وطلب الهدوء النفسي والسعادة وراحة البال واليقين منه سبحانه، بيده الخير.
8. توطئ النفس على المحاولة الدؤوبة، وتقبُّل الفشل، والصبر لتحقيق النتائج.
9. اختيار الصحبة الصالحة، فالصاحب يعدي، وقد قال أهل الحكمة: لا تصحب من لا يُنْهَضُك حاله، ولا يدُلُّك على الله مقاله⁽¹⁾.

(1) ابن عطاء الله، الحكم العطائية، ص 54.



ضبط توازن قيمة الإيجابية الأمل:

الإيجابية والأمل قيمة عظيمة، تقع بين نقيضين كحال كل فضيلة، طرفها الأول: التشاؤم واليأس والقنوط، وطرفها الثاني: طول الأمل والإغراق في الأمانى.

ولا يتنافى الحديث عن لزوم الأمل وضرورة التفاؤل والإيجابية مع الحديث عن ذم طول الأمل والإسراف في الأمانى الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: 14]. وقوله: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3]. دلت الآية على أن إثارة التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل من الانشغال عن الطاعة والاقتصار على اللذات الجسدية؛ ليس من أخلاق المؤمنين⁽¹⁾.

وقد جاء في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أحرز لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"⁽²⁾. وبوب الترمذي بـ (باب ما جاء في قصر الأمل)، ثم روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»⁽³⁾. وبوب البيهقي بـ (باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت، فإن الأمر قريب) ثم روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من

(1) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 119/19، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/14.

(2) الحارث بن أبي أسامة، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، رقم الحديث: 1093، 983/2.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2333، 158/4.



شِراك نعله، والنار مثل ذلك»⁽¹⁾. وقال الفضيل بن عياض: "إن من الشقاء طول الأمل، وإن من النعيم قصر الأمل"⁽²⁾.

خاتمة:

وهكذا، فإن الإيجابية والأمل هما جوهر النجاح والسعادة في الحياة؛ فمن خلال الإيجابية والأمل يتمكن الإنسان من مواجهة التحديات والصعاب بثقة وثبات، ويصبح أكثر قدرة على تحويل الأزمات إلى فرص، وتجاوز الإخفاقات، وتعزيز القدرات على تحقيق الأهداف وطموحاتها، وتقديم الدعم للنفس بشكل ذاتي.

ومن ثم؛ اهتم بهما الإسلام، وتمثلهما المسلمون عبر تاريخهم الحضاري، واعتنت بتعزيزهما دولة الإمارات العربية المتحدة لتصبح الإيجابية والأمل سلوكًا مجتمعيًا يسهم في بناء مجتمعات أكثر سعادة ورفاهية.

* * *

(1) البيهقي، السنن الكبير، رقم الحديث: 6578، 141/7.

(2) ابن أبي الدنيا، قصر الأمل، رقم الحديث: 90، ص 76.



- الجمال

مقدمة:

الجمال قيمة عظيمة في الإسلام، فالله تعالى «جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»⁽¹⁾، أي: حسنُ الأفعال كامل الأوصاف⁽²⁾، ومن حكمته سبحانه أن أودع في هذا الكون مكان الجمال، وجَمَّل الإنسان بمظاهره وصوره المادية والمعنوية وبصَّره بها، وحبَّها إليه، وأمره بالمحافظة عليها ورعايتها بما أنها جزء من نعم الله على عباده.

وقد ربط الإغريق قديمًا بين الجمال وبين الحكمة والفضيلة، وكانوا يؤمنون بالصلة التي تجمع بينهما أكثر مما يؤمن بها أي شعب من الشعوب المتحضرة القديمة، وكانوا يسمونها "Kalokagathia" والتي تعني اتحاد الجمال والخير والحكمة والفضيلة، وعلى هذا النحو بنى الإغريق أخلاقياتهم على أسس جمالية، ووضعوا الفنون في هذه المكانة السامية التي أثارت الإعجاب بها وحركت في الناس الولع بممارستها⁽³⁾.

وتعاليم الدين الإسلامي تقدر الجمال وتبرزه بوصفه عنصرًا أساسًا في الحياة، فقد حثَّ القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف على التجلُّل الظاهري من حيث الشكل والصورة، خاصة عند أداء العبادات؛ تعظيمًا لشعائر الله وتعزيزًا لشعور الطمأنينة والسكينة، كما حثَّ على التجلُّل المعنوي من حيث

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 91، 93/1.

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1/299، (جمل).

(3) ينظر: ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، ص 250.



الروح والأخلاق الحسنة، والسلوكيات الحميدة؛ من تعاون ورحمة وكرم وتسامح...

تعريف الجمال

أولاً- في اللغة:

الْجَمَالُ في اللغة مصدرُ الفعل "جَمَلَ"، ويأتي في اللغة على معانٍ، أهمُّها: الْبَهَاءُ وَالْحُسْنُ، فالْجَمَالُ يعني الْحُسْنُ، وقد جَمَلَ الرجلُ - بالضم - جَمَالًا، فهو جميلٌ، والمرأةُ جميلةٌ وَجَمَلَاءُ أيضًا⁽¹⁾، والجميل: ضِدُّ الْقَبِيحِ، وَالْجَمَالُ: ضِدُّ الْقَبِيحِ⁽²⁾، وَالْفِعْلُ مِنْهُ جَمَلٌ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6] أي: بهاءٌ وَحُسْنٌ⁽³⁾، والتَّجَمُّلُ: تَكَلُّفُ الجميل، تقول: جَمَلَ اللهُ عَلَيْكَ تَجْمِيلًا، إذا دعوت له أن يجعله اللهُ جميلًا حسنًا⁽⁴⁾، والجمالُ يقع على الصُّور والمعاني⁽⁵⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

تعددت تعاريف الجمال لتعدد وجهات النظر فيه، ومن تلك التعاريف أنه: "وحدة العلاقات الشَّكْلِيَّة بين الأشياء الَّتِي تدركها حواسنا"⁽⁶⁾. وقيل: إنه

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 4/1661، (جمل)، والرازي، مختار الصحاح، ص 61، (جمل)، وابن منظور، لسان العرب، 11/126، (جمل).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/491، (جمل)، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/481، (جمل).

(3) الفراهيدي، العين، 6/142، (جمل)، والأزهري، تهذيب اللغة، 11/76، (جمل)، وابن منظور، لسان العرب، 11/126، (جمل).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 11/126، (جمل).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1/299، (جمل).

(6) أمال حليم الصِّراف، علم الجمال فلسفة وفنّ، ص 13-14.



"قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء، خلعنا عليها وجودًا موضوعيًا"⁽¹⁾. فالجمال هنا قيمة كونها ليست إدراكًا لقيمة واقعة، بل هي انفعال لإرادتنا التذوقية، ووصفها بالإيجابية لانتفاء الشر فيها⁽²⁾. ويرى آخرون أن الجمال هو معنى من المعاني التي يمكن إدراكها، ولكن يصعب تحديد حقيقتها. فهو شائع في الكون منبث فيه في كثير مما يبدو من زهر وشجر، وغيرها من الأمور التي لا يمكن حصرها⁽³⁾.

فمن خلال ما سبق يتبين أن الجمال قيمة، وأن هذه القيمة نابعة من تفاعلاتنا وفهمنا للشيء، وليس للشيء ذاته؛ إذن فهي نسبية وليست مطلقة. وتكون في كل شيء من خُلُق وخُلُق وكل موجود.

أهمية الجمال:

وتبرز أهمية الجمال في عدد من النقاط، منها:

1) ذَكَرَ اللهُ مظاهرَ الجمال في القرآن:

ملأ الله تعالى الكون بالجمال والزينة، ولفت نظر عباده في القرآن إلى ذلك الجمال في السماوات والأرض، ففي السماء: شمس وقمر، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: 61]، ونجوم وكواكب: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: 6]،

(1) سنتيانا، جورج، الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في الجمال، ص 74.

(2) السابق.

(3) حسن، عبد الحميد. الأصول الفنية للأدب، ص 20.



﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: 16]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفات: 6]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: 5] تزين السماء ليلاً، وتزينها الطيور نهاراً، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: 19].

وفي الأرض نبات وشجر: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60]، وقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]، وحيوان وأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6]، أي: هذا الجمال لكم؛ لتتمتعوا فيه. وقال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ثم قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] أي: مما تركبون وتزينون من المصنوعات التي تتمايز بتصاميمها وألوانها وأصواتها المتألقة.

وفي الأرض تنوع الألوان والأشكال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: 27]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

وجمّل - سبحانه - الإنسان، فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: 64]، ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]، وأباح له التجمّل بالحلي والزينة واللباس، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً



تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: 14]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: 32]، وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31]، وهنا تنسب الآيات الزينة - تارةً - لله تشریفًا وتكريماً ﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾، وتنسبها - تارةً - للإنسان ملكاً ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾.

فلفت القرآن النظر إلى شيء ربما لا يهتم به بعض الناس - عادة - ولا يلتفت إليه، فلفتنا إلى جمال الكون، إلى جمال النجوم في السماء، والنبات والحيوان والإنسان والحلي في الأرض، لنرى ذلك حيًا، وإن كانت بعض الفنون تهتم بتصوير ذلك رسمًا أو تصويرًا، لكن القرآن دعانا دعوة عامة لمشاهدة ذلك واقعًا طبيعيًا ومتابعته حيًا متحركًا، لنرى من ورائه ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

إن "هذا الجمال المتفرق في سماء الكون وأرضه، وناطقه وصامته، ومتحركه وساكنه، إنما هو مرآة نقية صافية ننظر فيها فنرى وجه الله الكريم مشرقًا متألئًا، فنخر بين يديه ساجدين، ثم نصغي إليه لنستمع وحيه فنسمعه يقول لنا: أيها الناس، إنما خلق الجمال متعة لكم فتمتعوا به"⁽¹⁾.

2) بلاغة القرآن الكريم لونٌ من ألوان الجمال:

إن القرآن رسالة الله ومعجزة نبيه ﷺ الخالدة، وهو تحفة فنية جمالية أدبية بيانية رائعة، فالقرآن الكريم ثالث الفنون التي تذوقها العرب بعد الشعر والنثر، وألحقه بعضهم بالنثر؛ "لأنه نزل على أسلوب النثر ونهجه، والكلام

(1) المنفلوطي، العبرات، ص 37.



المنثور أفضل من الكلام المنظوم وأشقُّ منه، ومما يدلُّ على أن النثر أشق من النظم، وأصعب مأخذًا؛ هو أن العرب كانوا أفصح الناس، وأبلغهم وأكثرهم قدرة على التفنن في الكلام، ومع هذا فلم يسمع لأحد منهم نثر، إلا قس بن ساعدة، الذي يضرب بكلامه المثل في الفصاحة والبلاغة، ولأقوام آخرين وهم قليل. وإن القرآن معجزة الرسول ﷺ، ومن المعلوم أن المعجزات لا تجيء إلا من طريق الأصعب؛ بحيث إنه لا يمكن أحدًا من خلق الله الوصول إليها، والإتيان بمثلها. ولما كان النثر من الأقوال الشاقة، والأشياء المتصعبة، أنزل الله تعالى القرآن، الذي هو معجزة، على قانونه⁽¹⁾.

وحتَّ النبي ﷺ المسلمين أن يزينوا القرآن بأصواتهم ويحسنوا ترتيله وتجويده وتحبيره، ويستمعوا إلى جرسه ونظمه وإيقاعه ووقعه بأذان قلوبهم، ويراقبوا ذلك التأثير لذلك الكتاب البديع فيتذوقوا جماله، كما قال ﷺ لأبي موسى⁽²⁾: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود».

(3) وصف الله بالجمال مكارم الأخلاق:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]، أي: فأعرض عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضًا جميلًا بحلم وإغضاء⁽³⁾. وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، أي:

(1) ابن الأثير الكاتب، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 73. بتصرف

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4761، 4/1925، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 793، 1/546.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 19/158



تجاوز عنهم يا محمد، واعفو عفوًا حسنًا⁽¹⁾. وقال تبارك وتعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 12]، والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى⁽²⁾. وقال سبحانه: ﴿فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 28]، وهو التسريح الذي لا أذى معه⁽³⁾.

4) امتن الله عزوجل به على أهل الجنان:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71]. فإن لذة العين أثر من آثار الجمال.

وقال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24]. وقال عنهم: ﴿وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23].

5) اهتمام النبي ﷺ بالجمال:

فالم تأمل في سيرته عليه الصلاة والسلام يجد أن الجمال جزء لا يتجزأ من تعاليمه وسيرته، فبرز تقديره ﷺ للجمال من خلال أسلوب حياته وتعاملاته اليومية؛ وذلك في مختلف الأبعاد، سواء كان في النظافة والزينة، أو في الجمال الأخلاقي والروحي. وكان يُظهر اعتناء بالغًا بالنظافة الشخصية والطهارة، ويعدها جزءًا من الإيمان، وكذلك كان يُشجع على التجميل والتزين في المناسبات

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 54/10.

(2) السابق، 152/9.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 158/19.



المختلفة؛ دليلاً على الاحترام والتقدير للذات والآخرين. كما كان يُشيد بجمال الطبيعة ويُرغب في الاعتناء بها وتقديرها، مُبيناً أن الجمال في الكون هو جزء من خلق الله تعالى، وسنقف على ذلك مفصلاً في النقاط الآتية:

- عنايته ﷺ بجمال المظهر:

كان النبي ﷺ يعتني بالجمال الظاهري والشكلي، المتمثل في تقديره ﷺ للنظافة والطهارة بما أنها جزء أساس من الإيمان ومظهر من مظاهر الجمال. خاصة في المناسبات الدينية كيوم الجمعة. وتوجيهه لكل مسلم أن يعتني بذلك ويلتفت إليه التفاتاً يليق به، ومن ذلك:

أ. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»⁽¹⁾.

ب. وقال ﷺ «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»⁽²⁾.

ت. وقال ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيُدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يَصْلِي مَا كَتَبَ لَهُ، ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى»⁽³⁾.

ث. وفي الحديث: "كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمَّة إلى شحمة أذنيه، عليه حُلَّة حمراء، ما رأيتُ شيئاً قط

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4163، 240/6.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 223، 140/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 883، 3/2.



أحسنَ منه ﷺ⁽¹⁾. يبين هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يُظهر اهتمامًا بالمظهر من خلال ارتداء الملابس الجميلة والعناية بالشعر، مشيرًا إلى أن العناية بالمظهر الخارجي هي تعبير عن الاحترام والتقدير للنفس والآخر.

- عنايته ﷺ بجمال الطبيعة:

كان ﷺ يُشيد بجمال الطبيعة ويُرغب في الاعتناء بها وتقديرها، مُبينًا أن الجمال في الكون هو جزء من خلق الله تعالى. ومن أحاديثه في ذلك:

- أ. قال ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة؛ فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»⁽²⁾.
- ب. حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»⁽³⁾.

ت. وفي الحديث: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس»؛ وعدّ أنواعًا من البرِّ والخير، منها: «وتميط الأذى عن الطريق صدقة»⁽⁴⁾.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2337، 83/7.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 9، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 12، 63/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2320، 103/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1553، 28/5.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1009، 699/2.



ث. وقال ﷺ: «بينما رجلٌ يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق؛ فأخذه، فشكر الله له؛ فغفر له»⁽¹⁾.

ج. وروي عنه ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود»⁽²⁾ الحديث.

- عنايته ﷺ بجمال الأخلاق:

ومما ورد في ذلك:

أ. قول رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم»⁽³⁾. يعني: أن الله لا ينظر إلى الأشكال والثروات، بل ينظر إلى القلوب والأعمال، مشيرًا إلى أن الجمال الحقيقي يتعلق بما في القلب من نقاء وما في العمل من خير. وقيل: نفس جميلة في جسد جميل هو المثل الأعلى للجمال!

ب. حديث عن عبد الله بن مسعود رضه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة! قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطل الحق وغمط الناس»⁽⁴⁾. فالجمال يكون مقبولاً عندما يكون مصاحباً للتواضع والبعد عن الكبر.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 624، 233/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1914، 1521/3.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2799، 111/5.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2564، 11/8.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 91، 65/1.



ت. حديث أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽¹⁾. فهذا الحديث يُظهر خلقًا جميلًا يتمثل في الرغبة بالخير للآخرين، وهو ما يعكس جمال الروح والنفوس.

- عنايته ﷺ بجمال الأفعال:

ومما ورد في ذلك:

أ- قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا، وَخَيْرُهُمْ خَيْرُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»⁽²⁾. فإن كمال الإيمان يتجلى في حسن الخلق. ولقد كان النبي ﷺ يُمثل القدوة في هذا الجانب، في الكرم، والتسامح، والعفو،... مُظهرًا جمال الأخلاق في تعامله مع الأصدقاء والأعداء على حد سواء. وكان يُعلي من شأن الصدق، والأمانة، والرحمة، ويعدُّها من أسمى مظاهر الجمال الأخلاقي.

ب- وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»⁽³⁾.

ت- وقال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدًّا! نتحدث فيها، فقال «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 45، 49/1.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1162، 454/2.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6475، 100/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 47، 49/1.



فأعطوا الطريق حقَّه»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال:
«غَضَّ البصر، وكَفُّ الأذى، وردَّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر»⁽¹⁾.

**6) ولأهمية الجمال اعتنت به دولة الإمارات العربية المتحدة عبر
الآتي:**

- حفظ التراث:

وذلك من خلال إنشاء المتاحف الوطنية التي تحفظ تراث الإمارات التليد
بجماليته وفنونه المختلفة ومن هذه المتاحف:

1. متحف اللوفر في أبو ظبي.
2. متحف التاريخ الطبيعي في أبو ظبي.
3. متحف جوجنهايم في أبو ظبي.
4. متحف زايد الوطني.

- إنشاء القرى الثقافية:

والتي تعنى بالتراث وبكل ما هو جمالي، من ذلك مثلاً:

1. قرية التراث في أبو ظبي.
2. قرية التراث الثقافية في العين.
3. القرية التراثية في الفجيرة.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6229، 51/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:
2121، 2/7.



- بناء المساجد وفق قوانين العمارة التّراثيّة الجميلة:

ومن أجملها الرائعة المعمارية جامع الشيخ زايد الكبير في أبو ظبي، الذي لم يزل شاهداً من الشواهد على حرص الدولة على التمسك بتراثها الإسلامي وجمال العمارة الإسلاميّة، من خلال تشييد هذا الصرح الحضاري الذي يعكس أبرع فنون الهندسة الإسلامية المعمارية.

- تنظيم بطولات ومزادات جمال الخيل العربيّة.

أنواع الجمال:

الجمال ثلاثة أنواع، بيّنها أهل العلم، فقالوا: "الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق، ويكون في الأفعال.

(1) فأما جمال الخلقة:

فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر. ومنه جمال الأنعام والدواب، فإنه مرئي بالأبصار موافق للبصائر.

(2) وأما جمال الأخلاق:

فكونها على الصفات المحمودّة، مثل الصدق والتواضع والإيثار والعفة، وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد...



(3) وأما جمال الأفعال:

فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم⁽¹⁾. فليس الجمال مقتصرًا على الظاهر فقط؛ بل هو متعد إلى الجمال المعنوي، وتمثل ذلك في الأفعال، يقول علي بن أبي طالب عليه السلام:

ليسَ الجمالُ بأثوابٍ تزيّننا
إنّ الجمالَ جمالُ العلمِ والأدبِ⁽²⁾
وقال المتنبي:

وما الحُسْنُ في وجه الفتى شرفًا له
إذا لم يكن في طبعه والخلائق⁽³⁾
وقال أحمد شوقي:

صلاحُ أمرِكَ للأخلاق مرجعُهُ
والنفسُ من خيرها في خيرٍ عافيةٍ
فقوّم النفسَ بالأخلاق تستقيم
والنفسُ من شرّها في مرّتٍ وخم⁽⁴⁾
وقال عمرو بن معدي كرب:

ليسَ الجَمالُ بمئزَرٍ
إنّ الجَمالَ معادُنْ
فاعلَم وإن رُدّيت بُردًا
ومأثِرٌ أو رثَنَ مَجْدًا⁽⁵⁾

(1) الفرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 71/10.

(2) قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 112/2.

(3) الطالقاني، إسماعيل بن عباد، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، ص 51.

(4) البرقوقي، الذخائر والعبريات، 5/1.

(5) البحري، الحماسة، ص 415.



مجالات الجمال

تتعدد مجالات الجمال، ومن أبرزها:

(1) التجمل لطلب العلم:

قال مُطَرَف، قال مالك: "قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال، فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها. ثم قالت: اذهب، فاكتب الآن"⁽¹⁾، قال الزبيري: "كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد والخرسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد"⁽²⁾.

(2) التجمل لصلاة الجماعة:

أمر الله تعالى به الإنسان فقال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

(3) التجمل في الأعياد والمناسبات:

فقد نص الفقهاء على أنه يندب في الأعياد أن يلبس الرجال والنساء أحسن ما لديهم من ثياب⁽³⁾، وقد كان للنبي ﷺ برد أحمر يلبسه في العيدين والجمعة⁽⁴⁾، وإن ابن عمر رضي الله عنهما كان يلبس في العيدين أحسن ثيابه⁽¹⁾.

(1) عياض، أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 1/130.

(2) السابق، 1/51.

(3) الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، 1/318.

(4) البيهقي، السنن الكبرى، 3/350.



(4) التجل للضيوف:

وذلك من إكرامهم، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها أخرجت جبةً وقالت: هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبسها للوفود ⁽²⁾.
ومن السنع الإماراتي الأصيل أنه لا يجوز استقبال الضيوف بملابس غير لائقة ⁽³⁾.

(5) تجمل الزوجة لزوجها، والزوج لزوجته:

نص العلماء على أن من نباهة المرأة وفطنتها وفقهها: أن تتزين لزوجها، فإن المرأة تحظى عند زوجها - بعد تمام خلقها، وكمال حسنها - بأن تكون مواظبةً على الزينة والنظافة، عاملة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلي، واختلاف الملابس، ووجوه التزين بما يوافق الرجل ويستحسن منها ذلك.
وكذلك على الزوج أن يتزين لزوجته؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزين لزوجته، وسئلت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك ⁽⁴⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228]" ⁽⁵⁾.

(1) السابق، 398/3.

(2) البخاري، الأدب المفرد، ص 127.

(3) منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9، 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 2022. 21)، ص 07.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 253، 220/1.

(5) الواحدي، التفسير البسيط، 220/4.



وعندما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل أشعث أغبر ومعه زوجته تقول: لا أريد هذا الرجل، أمره عمر بالاستحمام وتهذيب شعره وتقليم أظفاره، ففعل الزوج، فلما رأته الزوجة رجعت عن طلبها، فقال سيدنا عمر: هكذا فاصنعوا لهن، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم⁽¹⁾.

خاتمة:

الجمال في الإسلام قيمة عامة اهتم بها ديننا الحنيف، وتشمل جمال الروح والأخلاق، والسلوكيات الحميدة، إضافة إلى جمال الظاهري. كما اهتم الإسلام بجمال الطبيعة وكل ما يحيط بالإنسان من أبنية ومساجد ومتاحف ودور ونحوها، فالجمال قيمة شاملة في الإسلام لجميع مناحي الحياة، ومن الحكمة الاعتناء بها، والحرص على إبرازها، لما تسهم في تحقيق السعادة والرضا في الدنيا والآخرة.

ولقد كان للحضارة الإسلامية اهتمام بمختلف أنواع من الجمال؛ لما يحققه الجمال في حياة الإنسان من سعادة ورضا، يجعل الحياة مليئة بالسلاام الداخلي والتوافق مع الآخرين.

* * *

(1) ابن حبيب، عبد الملك، أدب النساء، ص 168.



القيمة المركزية الخامسة (تهذيب النفس)

- تهذيب النفس

مقدمة:

تهذيب النفس هو العمل على تصويبها وتطهيرها وتنقيتها، وتنميتها وترقيتها، وهو ما يعرف بالمصطلح القرآني "التزكية"، وهي قيمة إسلامية مهمة، والمزكي الأول هو الله تعالى؛ بتوفيقه واجتهابه وهدايته ومعونته، والتزكية واحدة من أهم أركان دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، فرسول الله إلى الناس ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 164]، والساعي لتزكية نفسه محسنٌ طاهر الذات بنص القرآن، أقسم الله على فلاحه بأعظم الأيمان، ووعدَه أن يكون معه بتوفيقه ومعونته، وجعلَ له أعلى الدرجات في الجنان، ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 75-76].



تعريف التهذيب والتركية:

أ. التهذيب:

أولاً- في اللغة:

التهذيبُ لغةٌ مصدر الفعل "هَدَّبَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "هَدَّبَ"، الذي يأتي بمعانٍ، منها: التنقية والطهارة: "الهَاءُ والذَّالُ والباءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَنْقِيَةِ شَيْءٍ مِمَّا يَعْيبُهُ، يُقَالُ: شَيْءٌ مُهَدَّبٌ: مُنَقَّى مِمَّا يَعْيبُهُ"⁽¹⁾، فالتهذيبُ: التَّنْقِيَةُ⁽²⁾، هَدَّبَ الشَّيْءَ يَهْدِئُهُ: نَقَّاه وَأَخْلَصَهُ⁽³⁾، وَقِيلَ: أَصْلَحَهُ⁽⁴⁾، وأصل التهذيب والهذب: تنقية الأشجار بقطع الأطراف، لتزيد نموًّا وحسنًا، ثم استعملوه في تنقية كل شيء وتخليصه من الشوائب⁽⁵⁾، والمُهَدَّبُ مِنَ الرِّجَالِ: الْمُخْلَصُ النَّقِيُّ مِنَ الْغُيُوبِ؛ وَرَجُلٌ مُهَدَّبٌ، أَي: مُطَهَّرُ الْأَخْلَاقِ⁽⁶⁾، مُخْلَصٌ مِنَ الْغُيُوبِ⁽⁷⁾، وَهَدَّبَ هِنْدَامَهُ: أَصْلَحَهُ، وَسَوَّاهُ، وَهَدَّبَ الْكَلَامَ: زَيَّنَهُ، وَأَصْلَحَ عِبَارَتَهُ وَحَسَّنَهَا، وَهَدَّبَ قَصِيدَتَهُ: نَقَّحَهَا، وَهَدَّبَ طِفْلَهُ: رَبَّاهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً، وَطَهَّرَ أَخْلَاقَهُ مِمَّا يَعْيبُهَا⁽⁸⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 45/6، 46، (هَدَّبَ).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 782/1، (هذب).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، 307/1، (هذب)، وابن منظور، لسان العرب، 782/1، (هذب).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 782/1، (هذب).

(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 386/4، (هذب).

(6) ابن منظور، لسان العرب، 782/1، (هذب)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 237/1، (هذب).

(7) الفراهيدي، العين، 40/4، (هذب)، وينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 307/1، (هذب).

(8) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2338/3، (هذب).



ثانيًا- في الاصطلاح:

وانطلاقًا من المعنى اللغوي للتهذيب يمكن أن يكون في الاصطلاح: تزكية النفس والأخلاق والسلوك، والمبادرة سريعًا إلى تنقيتها واستدراك عيوبها وعلاج أخطائها واستكمال فضائلها، حتى تصبح خالصة مما قد يعيبها، نقيةً سوية، مزينة بحسن الصفات وطيب الأفعال ومكارم الأخلاق.

وإن قيمة تهذيب النفس ذكرها القرآن الكريم بلفظ "التزكية": لذلك لا بد أن نقف على تعريف "التزكية" لتوضيح أبعاد هذه القيمة في القرآن الكريم:

ب. التزكية:

أولًا- في اللغة:

تأتي التزكية في اللغة لمعانٍ عدة، من أهمها:

- 1- الطَّيْبَةُ: يقال: أرض زكيَّة: أي: طيبة⁽¹⁾.
- 2- الصَّلاحُ: يقال: زكا الرجل: صَلَحَ؛ ورجل تقي زكي؛ أي: ذو صلاح. ومنه قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءٌ﴾ [الكهف: 81]، أي: صلاحًا⁽²⁾. وزكَّى نفسه: "أي نَمَّأها وأصلحها"⁽³⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 358/14، (زكا).

(2) السابق.

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 78/22، وينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 380-381.



3- الطهارة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [النور: 21]، أي: ما طَهَّرَ⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، أي: من طَهَّرَ نفسه من مذام الأخلاق⁽²⁾.
ثانيًا- في الاصطلاح:

تعرف التزكية اصطلاحًا بأنها: تكميل النفس الإنسانية؛ بتطهيرها من الأخلاق الدنيئة والردائل، وتنميتها بمحاسن الطباع ومكارم الأخلاق والفضائل⁽³⁾.

فالتزكية تخلية وتحلية: تخلية للقلب من الحقد والحسد والكبر والعجب والكره، وغيرها من مذام الصفات، وتحلية له بالمحبة، والصفاء، والإخلاص، وغيرها من محامد الصفات؛ بما ينعكس على الجوارح بحسن الأقوال وجميل الأفعال.

أهمية تهذيب النفس وتزكيتها:

التزكية قيمة إنسانية عظيمة، اعتنى بها الإسلام وأولاهها حقها من الاهتمام، ومن مظاهر ذلك:

1) الله تعالى يزي عباده:

تزكية النفس تنميتها بالخيرات والبركات، وأن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره؛

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص 259.

(2) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 5/2819.

(3) ينظر: الخفاجي، نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، 1/69.



وذلك يُنسب تارة إلى العبد؛ لكونه مكتسباً لذلك، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

وتارة يُنسب إلى الله تعالى؛ لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة، نحو: ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 49].

وتارة يُنسب إلى النبي ﷺ؛ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم، نحو: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: 151].

وتارة إلى العبادة؛ التي هي وسيلة في ذلك، نحو: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4]، أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكّهم الله، أو ليزكّوا أنفسهم، والمعنيان واحد.

وتارة بالاجتباء، نحو قوله: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾، أي: ورحمة من عندنا لا يقدر عليها غيرنا، ﴿وَزَكَاةً﴾ [مريم: 13]، معطوف على ﴿وَحَنَانًا﴾. وبنحو قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19]، أي: مُزَكَّى بالخلقة، وذلك على طريق الاجتباء، وهو أن يجعل الله بعض عباده عالمًا وطاهر الخلق لا بالتعلّم والممارسة بل بتوفيق إلهي، كما يكون لجلّ الأنبياء والرسل⁽¹⁾.

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 381.



(2) التزكية من أهم مهام الأنبياء والرسل:

تعدّ التزكية من أهم المهام الرسالية التي أرسل بها الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، وحينما بعث الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون قال له: ﴿اذهبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: 17-18].

(3) اهتمام القرآن الكريم بالتزكية:

كثيراً ما وردت الآيات القرآنية تصف أحوال أهل التزكية، وتزكي النفوس: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وتشفي القلوب: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

وقد تحدث القرآن الكريم عن الزكاة في معانٍ متعددة، تدور حول زكاة المال، وطهارة النفس وتدريبها، وصلاح الحال والعمل، فوردت مادة "زكا" في القرآن المجيد على ستّة عشر وجهاً⁽¹⁾، منها لفظ "الزكاة" - التي هي أخت الصلاة - ثلاثين مرة، وذكرت "الزكاة" بمعنى الطهارة أو الصلاح أو الحلال في ثمانية مواطن، هي قوله تعالى:

(1) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 134/3



(1) ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: 19]، أي: أطيب طعامًا⁽¹⁾، أو هو إشارة إلى ما يكون حلالًا⁽²⁾.

(2) ﴿قَالَ أَقْتَلْتَنَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: 74]، أي: صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثماً، أو: مسلمة⁽³⁾.

(3) ﴿فَأَرْدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ [الكهف: 81]، أي: ولدًا خيرًا من هذا الغلام زكاة، أي: دينًا وصلاحًا⁽⁴⁾.

(4) ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13]، طاهرًا من الدنس والآثام والذنوب، وقال قتادة والضحاك وابن جريج: الزكاة العمل الصالح⁽⁵⁾.
وبنحو معناه قوله تعالى:

(5) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19].

(6) ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28]، أي: أطهر⁽⁶⁾، ومثله قوله تعالى:

(7) ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: 232].

(8) ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: 30]، أي: غَضُ البصر وحِفْظُ الفرج أطهر في الدين، وأبعد من دنس الآثام⁽¹⁾.

(1) الماوردي، النكت والعيون، 294/3.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 381.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 67/18.

(4) الرازي، التفسير الكبير، 491/21.

(5) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 344/17.

(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 150/19.



وذكرت الزكاة بمعنى تزكية النفس وتطهيرها وتهذيب السلوك في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم⁽²⁾، وهي قوله تعالى:

(1) ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 129].

(2) ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: 151].

(3) ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 174].

(4) ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 77].

(5) ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 164].

(6) ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103].

(7) ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: 76].

(8) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 21].

(9) ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: 18].

(10) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: 2].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 226/12.

(2) وقد تتداخل مع بعض ما سبق فيما ذهب إليه بعض المفسرين ورَّجَّحه، فتكثر أو تقل بناء عليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4]، وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ [فصلت: 6-7].



(11) ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: 18]، أي: تفعل ما تزكي به نفسك⁽¹⁾. وينحوه معنى:

(12) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: 3].

(13) ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ [عبس: 7].

(14) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14].

(15) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

(16) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18].

ووردت الزكاة مرتان بمعنى المدح والثناء على النفس، وذلك في قوله تعالى:

(1) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 49].

(2) ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32].

وهنا لا بد من توضيح وبيان، فالتركية جعل الشيء زكياً: إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، فتكون تركيبة الإنسان نفسه على ضربين:

أحدهما: بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14].

والثاني: بالقول، كتركية العدل غيره. والمذموم أن يزكي الإنسان نفسه بقوله، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32]، أي: بالقول، والمعنى: فلا تمدحوا أنفسكم، ونهيّه عن ذلك تأديبٌ لقبح مدح الإنسان

(1) الرازي، التفسير الكبير، 39/31.



نفسه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه⁽¹⁾.

ومدح المرء نفسه إنَّما يكون مذموماً إذا قصد به التفاخر والتوصل إلى ما لا يحل، والمراد بقوله تعالى جلت كبرياؤه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32] أن يزكي الإنسان حاله وهو يعلم خلاف ذلك أو لا يعلم يقين ذلك⁽²⁾، فقد قال سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

4) اهتمام النبي ﷺ بالتزكية:

تقدّم أن التزكية مقصد من أهم مقاصد بعثة الأنبياء وإرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - عموماً، وهي واحدة من أبرز وظائف النبي محمد ﷺ، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتركوا نفوسهم وتطهّروا من الدنس والخبث الذي كانوا متلبّسين به، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهنا موضع الشاهد.

ولما اختصر النبي ﷺ بعثته قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁽³⁾. ولا يكون ذلك بغير تزكية، ومما يشهد له قوله ﷺ لأبي ذر رضى الله عنه: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 381.

(2) ينظر: الكفوي، الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 490.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8952، 512/14.



كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُّها، وخالق الناس بخلُق حسن»⁽¹⁾. هذا الحديث احتوى على بعض أهم وسائل التزكية التي سيأتي ذكرها، وبنحوه لما قال له رجل: أوصني! قال: «لا تغضب». فردد مراراً، قال: «لا تغضب»⁽²⁾.

وسائل اكتساب وتعزيز قيمة تهذيب النفس وتزكيتها:

لتزكية النفس والارتقاء بها في مدارج الكمالات وسائل عديدة، يمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

1) الإيمان بالله تعالى:

فإن من أعظم وسائل تزكية النفس؛ الإيمان بالله تعالى، وإدراك عظمته وسلطانه، مما يؤدي إلى إجلاله في القلب، وخشيته في الغيب، ومن ثم العمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه. فإن الله تعالى سعى الإيمان تزكية، فقال ﷺ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: 3]، أي: يؤمن⁽³⁾. وقال تعالى لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكِّي﴾ [النازعات: 18]، أي: "تؤمن بما جئتُ به، وتعبد ربَّ العالمين"⁽⁴⁾. فالإيمان بالله تعالى يمنح الإنسان القوة والعزيمة على مقاومة الشهوات، ويملأ النفس طمأنينةً وسكينةً.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1987، 355/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5765، 2267/5.

(3) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 94/5.

(4) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 160/3.



(2) المراقبة الذاتية:

فمراقبة الله تعالى، واستشعار علمه واستحضار اطلاعه، يزكي نفس الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: -وذكر منها- وَزَكَّى نَفْسَهُ»، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال ﷺ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»⁽¹⁾. فإن ذلك يمنع نفس الإنسان من ارتكاب المعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41]، ويضبطها ويهذبها؛ حتى يتغلب على هواها، وينتصر على وساوسها، قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ»⁽²⁾. فنفس الإنسان تعتاد ما عودها صاحبها عليه من خير أو شر، قال البوصيري:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ، وَإِنْ تَفْطِمَهُ يَنْفَطِمَ

(3) المحاسبة:

إن محاسبة النفس ومساءلتها باستمرار؛ مما يحافظ على نقائها وصفائها، ويسهم في سموها ورقمها، فالمؤمن الفطن الذكي يتعهد نفسه بالمساءلة؛ على الرذائل: لِمَ فَعَلْتُهَا؟ وعلى الفضائل: لِمَ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؟ ليبقى قلبه في يقظة دائمة، وخشية مستمرة، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2]، وقال رسول الله ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ

(1) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 7275، 161/4.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 4602، 386/5.



وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ»⁽¹⁾ "ومعنى قوله: من دان نفسه: حاسب نفسه"⁽²⁾. ومما كتب "في حكمة آل داود: حق على العاقل ألا يُشغَل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها، فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عونًا على هذه الساعات وإجماعًا للقلوب"⁽³⁾.

(4) العبادة والطاعة:

مما يزكي نفس الإنسان ويربها؛ ويسمو بها ويرقيها، عبادة الله تعالى وطاعته، فإننا إذا نظرنا إلى العبادات الرئيسة في الإسلام نجد أن من أعظم غاياتها تزكية النفس؛ و"كلما كانت العبادات أكثر، كانت النفس أزكى وأطهر، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وذلك يكون بكثرة المواظبة عليها"⁽⁴⁾. ومن تأمل القرآن الكريم وجد أن العبادات قد وردت مقرونة بثمرتها من تزكية النفس؛ بتطهيرها من أدرانها، والسمو بأخلاقها، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿[الأعلى: 14-15]، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2627، 450/4، وقال: هذا حديث حسن.

(2) السابق.

(3) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 4677، 164/4.

(4) الغزالي، إحياء علوم الدين، 58/3.



أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا⁽¹⁾، أي: قد أفلح من زكَّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال⁽¹⁾،
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9 - 10]، أي: أخفاها بالفجور والمعصية⁽²⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: 30]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28]... إلى نحو ذلك من الآيات التي تقرن طاعة الله تعالى وعبادته بزكاة النفس وسموها.

(5) تلاوة القرآن:

فالقرآن الكريم يزي النفس ويخلصها من الشوائب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57]، فالقرآن الكريم شفاء للعقول، وجلاء للقلوب، وإذا صفا القلب؛ زكت النفس. وقد بين القرآن الكريم أن قراءة القرآن وسماعه، وتدبر ما فيه من آيات، والاتعاظ بما فيه من مواعظ، والتعلم مما فيه من حكم؛ يزيد الإيمان، ويزكي نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: 23].

(1) وهو قول سفيان بن عيينة وقتادة وغيرهما. ينظر: عبد الرزاق الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، 431/3.

وابن جرير الطبري، جامع البيان، 444/24.

(2) ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، ص 530.



(6) الذكر:

فذكر الله تعالى من أركى الأعمال وخيرها وأرفعها، قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»⁽¹⁾. به تحيا القلوب وتزكو النفوس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14-15]، فقد سمي الله تعالى التزكية في هذه الآية ذكراً، قال عكرمة: ﴿تَزَكَّى﴾: أي: قال: لا إله إلا الله⁽²⁾.

(7) حضور مجالس الكبار:

وذلك للنهل من علومهم وحكمهم، والانتفاع بقيمهم ومبادئهم، والإفادة من نضج عقولهم وآرائهم، والاقتداء بهم في عباداتهم ومحاسن أفعالهم، فإن مجالسة الكبار تعين على الصلة بالله تعالى وعبادته، والارتقاء بالنفس وتزكيتها، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتمثل القيم النبيلة والعادات الأصيلة، فمن جالس الكبار؛ أخذ من صلاح حالهم، وزكاة نفسهم؛ ما تزكو به نفسه، ويسمو بأخلاقه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3377، 459/5.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 319/24.



مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِبْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽¹⁾.

(8) العمل الإنساني:

فالمساهمة في الخدمات المجتمعية، والتطوع بالأعمال الخيرية، والإسهام في المبادرات الإنسانية؛ من إعانة للفقراء، وكفالة للأيتام، وسعي على المحتاجين، وغير ذلك؛ من أهم الوسائل التي تساعد على تزكية النفس، وتنقية القلب وصفائه؛ لأنها تربي صاحبها على البذل والعطاء بلا مقابل، وتنمي فيه قيم الرحمة والعطف والتعاون والتكافل والإيثار، ففي الحديث أن رجلاً طلب من النبي ﷺ أن يدلّه على ما يرقق قلبه، فقال له: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَاطْعِمِ الْمُسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»⁽²⁾.

وفي ربط بديع بين البذل والعطاء والصدقات؛ وبين تزكية النفس وتطهيرها يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18]، أي: ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه، ومنه سُمِّيت الزكاة، وأصل الزكاة أنها اسم مصدر "زَكَّى" - المشدّد - إذا طَهَّرَ النفس من المذمّات، ثم أُطْلِقَتْ على إنفاق المال لوجه الله مجازاً؛ لأنّ القصد من ذلك المال تزكية النفس، أو لأن ذلك يزيد في مال المعطي⁽³⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2101، 63/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2026/4، 2628.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 7577، 22/13.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/18.



فُتَطْلَقُ الزَّكَاةُ عَلَى الْعَيْنِ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمَالِ الْمُرْكَبِ بِهَا، وَعَلَى الْمَعْنَى، وَهُوَ التَّزْكِيَةُ، وَمَنِ الْجَهْلُ بِهَذَا الْبَيَانِ أَتَى مَنْ طَعَنَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4]، ذَاهِبًا إِلَى الْعَيْنِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ التَّزْكِيَةُ⁽¹⁾.

والزكاة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4]، ورد في معناها قولان: أحدهما: أن فعل الزكاة يقع على كل فعل محمود مَرْضِيٍّ، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14]، وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32]، ومن جملة ما يخرج من حق المال، وإنما سُمِّيَ بذلك لأنها تطهر من الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]. والثاني: وهو قول الأكثرين أنه الحق الواجب في الأموال خاصة، وهذا هو الأقرب⁽²⁾.

9) الدعاء:

بعد أن يُفْرِغَ المرء وسعه، ويبذل طاقته وجهده، في اتخاذ أسباب تزكية نفسه، والرقى بها؛ يستعين بالالتجاء إلى ربه ودعائه أن يعينه على ذلك، ويسر له سبله، اقتداء بالنبي ﷺ الذي كان من دعائه: «اللَّهُمَّ اتِّقْ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»⁽³⁾ ومما كان يدعو به عليه الصلاة

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 307/2، (زكا).

(2) الرازي، التفسير الكبير، 261/23.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2722، 2088/4.



والسلام: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»⁽¹⁾.

هذه أهم وسائل التزكية، وقد أقسم الله تعالى في كتابه على فلاح من سعى في تزكية نفسه أحد عشر قسمًا⁽²⁾، فقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 1 - 10]. قال الزجاج: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ هذا جواب القسم، والمعنى: لقد أفلح؛ ولكن اللام حُذِفَتْ لأن الكلام طال، فصار طوله عوضًا منها⁽³⁾.

ختامًا:

وهكذا، فإن تزكية النفس وتهذيبها؛ ترتقي بها في مدارج الكمالات الإنسانية، وتسمو بها في آفاق الفضائل الأخلاقية، كما أنها تطهر الإنسان من أمراضه القلبية والنفسية وتغرس فيه الفضائل والقيم ليكون إنسانًا صالحًا في نفسه نافعًا لغيره محبًا للخير منضبطًا مراقبًا ومحاسبًا لذاته، كما توطد

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 771، 534/1.

(2) هذا على الأكثر، وعدّها بعضهم أقل من ذلك، قال الشنقيطي في أضواء البيان: "في تلك الآيات العشر: يقسم الله تعالى سبع مرات بسبع آيات كونية، هي: الشمس، والقمر، والنهار، والليل، والسماء، والأرض، والنفس البشرية، مع حالة لكل مقسم به، وذلك على شيء واحد؛ وهو فلاح من زكّى تلك النفس وخيبة من دساها، ومع كل آية جاء القسم بها توجيهاً إلى أثرها العظيم المشاهد الملموس، الدال على القدرة الباهرة".

ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 536/8.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 76/20.



التزكية أو أواصر العلاقات الاجتماعية، وتحقيق التعايش الإيجابي، وتغرس قيم المحبة والوئام والحوار بين جميع البشرية.
ويمكن أن نتناول تحت قيمة تهذيب النفس المركزية جملةً من القِيَم الفرعية التي تندرج تحتها، وهي:

- الإيمان.

- العبادة.

- القدوة.

- الحب.

* * *



- الإيمان

مقدمة:

الإيمان بالله تعالى واحد من أعظم القيم التي تسهم في تعزيز قيمة تهذيب النفس وتزكيتها، فالعلم بجلاله - سبحانه - يحمل على إجلاله، والمعرفة بعظمة الأمر تحمل على التزام أمره واجتناب نهيه وطلب مرضاته، والتحلي بجميل الصفات واكتساب نبيل القيم وأحسن الأخلاق التي رضيها سبحانه وأحبها لعباده، فيسلك الإنسان بالإيمان سبيل التزكية، ويتزود بالقوة والعزيمة والإرادة للترقي الذاتي، وبالعلم الذي يعالج الشهوات، وبالإرادة الصلبة التي تقاوم الشهوات، فيغدو زكيًا خيّرًا نقيّ الفكر طيّب النفس حسن السلوك؛ وإن المرء إذا ترقّى في درجات الإيمان صلح حاله، وحسنت أخلاقه، وعمّ خيرُه.

ومن هنا سعى الله تعالى الإيمان في القرآن الكريم تزكيةً في غير موضع، فقال للنبي ﷺ حين جاءه الأعمى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: 3]، أي: يؤمن⁽¹⁾. وقال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: 18]، أي: "تؤمن"⁽²⁾.

(1) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 94/5.

(2) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 160/3.



تعريف الإيمان:

أولاً- في اللغة:

الإيمانُ في اللغة مصدر الفعل آمَنَ، "وأصله: أَمَن، بهمزتين، أبدلت الثانية أَلِفًا"⁽¹⁾، ويعودُ إلى الجذر اللغوي "أَمَن" الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1- التصديق: اتفق أهل العلم من اللُّغويين وغيرهم أنَّ الإيمان معناه التَّصديق⁽²⁾، وآمنَ بالشيء: صَدَّقَ به، وأَمِنَ كَذِبَ مَنْ أخبره⁽³⁾، و"المؤمن" في أسماء الله تعالى وصفاته، وهو أن يَصُدِّقَ ما وَعَدَ عَبْدُهُ مِنَ الثَّوَابِ⁽⁴⁾، وقوله تعالى حكايةً عن إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17]؛ لم يَخْتَلِفْ أهل التفسير أنَّ معناه: ما أنت بمُصَدِّقٍ لَنَا⁽⁵⁾.

2- الأَمْنُ والأَمَانُ (ضدُّ الخوف): الأَمَانُ والأَمَانَةُ بِمَعْنَى، وَقَدْ أَمِنْتُ فَأَنَا أَمِنٌ، وَأَمِنْتُ غَيْرِي؛ مِنَ الأَمْنِ والأَمَانِ، والأَمْنُ: ضدُّ الخَوْفِ⁽⁶⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ [الأنفال: 11]⁽⁷⁾، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ

(1) الجوهري، مختار الصحاح، ص 22، (أمن).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، 368/15، (أمن)، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 23/13، (أمن).

(3) ابن منظور، لسان العرب، 23/13، (أمن).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 135/1، (أمن).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 135/1، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 23/13، (أمن)، وينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 578/15.

(6) ابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن)، وينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2071/5، (أمن).

(7) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2071/5، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).



الْأَمِينُ [التين: 3]، أي: الآمِن، يعني مَكَّة، وهو من الآمِن⁽¹⁾، ومن معاني اسم الله تعالى "المؤمن": أنه يُؤمِّن عباده في القيامة من عذابه، فهو من الأمان⁽²⁾.

3- الأمانة (ضد الخيانة): الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان⁽³⁾، فالأصل في الإيمان دخول المؤمن في صدق الأمانة التي اتَّمَّنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه، فقد أدَّى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتدِّ التصديق بقلبه، فهو غير مؤدِّ للأمانة التي اتَّمَّنه الله عليها⁽⁴⁾، والأمانة من الأمن؛ لأنَّ الأمين يؤمِّن أذاه⁽⁵⁾، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: 283].

4- الثقة: ومن معاني الإيمان الثقة، يقال: ما آمن أن يجد صحبة، أي: ما وثق⁽⁶⁾، والأمانة صفة للذي يثق بكلِّ أحد⁽⁷⁾، وصفة - أيضاً - لكل موثق به مأمون⁽⁸⁾.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2072/5، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 69/1، (أمن).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 133/1، (أمن)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1176، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 23/13، (أمن).

(5) السابق، 22/13، (أمن).

(6) السابق، 26/13، (أمن).

(7) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2071/5، (أمن).

(8) ابن منظور، لسان العرب، 21/13، (أمن).



ثانيًا- في الاصطلاح:

لم يكن اصطلاح العلماء ببعيد عن دلالة مصطلح "الإيمان" التي أفادها في اللغة وضْعًا واستعمالًا؛ فلَمَّا كَانَ الإيمانُ في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التّصديقُ؛ وَجَبَ أن يكون الإيمانُ هو ما كَانَ عند اللغة إيمانًا، فالإيمان في الاصطلاح هو: التّصديقُ القلبي بالله، وعلى ذلك اجتماعُ أهل اللُّغة⁽¹⁾.

وقيل: الإيمانُ هو التّصديقُ، والمعرفةُ، واليقينُ، والإقرارُ، والإسلامُ⁽²⁾. وما ذكره هذا التعريف من الأمور الأربعة المعطوفة على التّصديق هي لوازمه التي تتفرّع عنه وترتبطُ به ارتباطَ الفروع بأصولها، وليسَ أيُّ منها بشرطٍ في وجوده أو صحّته، وإنّما هي من لوازمه وتتمّاته وكَمالاته.

ويمكن أن يكون التعريف الاصطلاحي المختار منطلقًا من التعريف النبوي؛ أن الإيمان هو: التّصديق القلبي «بِاللهِ تَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»⁽³⁾. أي: "القبول، مع الرضا،

(1) أبو الحسن الأشعري، اللَّمَعُ، ص 123.

(2) تعريف منقول عن أبي حنيفة رحمه الله، ينظر: كلمة عن العالم والمتعلّم، رواية أبي مُقاتل عن أبي حنيفة، ص 13.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، بنحوه، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 36/1.



والتسليم، وطمأنينة النفس"⁽¹⁾. ويؤيد هذا التعريف قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: 22].

أهمية الإيمان:

لعل أهمية الإيمان من الوضوح بمنزلة تستغني عن الاستدلال والشرح، ولكن يمكن أن نقف هنا عند أبرز النقاط التي تتجسد من خلالها أهمية الإيمان في المنظومة القيمية:

1) الإيمان أساس الدين ومقصد الرسالات:

الإيمان أهم مكونات الدين الإسلامي؛ بل هو أساسه الذي تبنى عليه المكونات الأخرى؛ حيث إنه يشكل العمود الفقري الذي تقوم عليه حياة المسلم؛ في ارتباطه بمؤجده، وفهمه لوجوده، وتوجيه سلوكه، وضبط علاقته مع غيره.

والإيمان مقصد جميع الرسالات السماوية، أرسل الله تعالى الأنبياء لتحقيقه، وأنزل معهم الكتب لتوضيحه؛ حتى يسعد الناس بإيمانهم في الدنيا والآخرة.

2) الإيمان من أهم القيم الأساسية في القرآن الكريم:

من أبرز الدلائل على أهمية الإيمان كثرة ورود مادته في القرآن الكريم لفظاً واشتقاقاً؛ وذلك في أكثر من سبعمئة موضع، ولا شك أن مفهوم الإيمان -

(1) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، لوامع الأنوار الهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، 420/1.



لكونه أسَّ الدِّينِ وَمَنْبَتُ أُرُومَتِهِ - يحظى في كتاب الله بأهميّةٍ لا يسامقُه فيها غيره من المفاهيم؛ فلذلك كثرت مواضع وروده في الكتاب العزيز؛ والتي تبين حقيقته، وفضله، وأثاره، وطرق اكتسابه وتنميته وصيانتَه...، وفي هذا المبحث منشورات من ذلك.

(3) الإيمان من أهم القيم الأساسية في الهدى النبوي:

وذلك لأنه من أجلّ الغايات الرسالية التي أرسل لأجلها النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتُؤَقِّرُوا وَتَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 8-9]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ [الحديد: 8].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازِدْنَا بِهِ إِيمَانًا"⁽¹⁾. ومثل ذلك روي عن ابن عمر⁽²⁾، وعن حذيفة بن اليمان⁽³⁾ رضي الله عنهم. وذلك يبين اعتناء النبي ﷺ وتركيزه على إكسابهم قيمة الإيمان أولاً؛ فإذا وقر الإيمان واستقر في قلوبهم؛ جاء القرآن على قلوب طاهرة بالإيمان فازدادوا به إيماناً.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك! قال: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَاسْتَقِمْ**»⁽⁴⁾،

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 61، 23/1.

(2) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 5355، 78/6.

(3) سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، رقم الحديث: 48، 206/1، والبيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 5291، 171/3.

(4) ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 38، 65/1، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 15416، 141/24.



وهذا من جوامع كلمه ﷺ، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30]، أي: آمنوا بالله، ثم استقاموا، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن خُتم لهم على ذلك ⁽¹⁾.

ولعل الإيمان هو الركيزة لتلك الاستقامة، لما ينشأ في القلب من الرقابة الذاتية نتيجة هذا الإيمان، والتي تحمل صاحبها على فعل ما يرضاه الرقيب عليه، واجتناب ما لا يرضيه، وهذه المراقبة الذاتية من أبرز صفات المؤمنين، فالمؤمن يعلم يقيناً أن الله تعالى مطلع عليه، مراقب له في أقواله وأفعاله وجميع أحواله، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: 7]، وقوله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، فيكون ذلك دافعاً له لعمل الصالحات، وترك المعاصي والموبقات، فتتحقق له بذلك الاستقامة.

(4) الإيمان أفضل الأعمال وأعظم الواجبات:

الإيمان بالله تعالى من أعظم الواجبات التي تواتر الأمر بها في النصوص القرآنية والنبوية، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: 136].
وسئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» ⁽²⁾، والمراد به - والله أعلم - الإيمان الذي هو التصديق بقلبه والنطق بما يقتضيه

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 9/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 26، 14/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 83،



والعمل بما يوافقه؛ فالتصديقُ عَمَلُ القلبِ والنطقُ عَمَلُ اللسانِ⁽¹⁾، والعمل يصدق ذلك كله.

ولعل هذه الأفضلية للإيمان على سائر الأعمال ترجع لعلو رتبته وشرف منزلته وعظيم درجته، ولعلمها ترجع - كذلك - لكون الإيمان هو المنبع الصافي للعمل الصالح الخالص وهو الدافع إليه والمحفز عليه؛ إذ يحمل صاحبه على الإكثار من الأعمال الصالحة، وتنقيتها وإتقانها، واجتناب الأعمال الذميمة، والبعد عن كل سبيل يوصل إليها؛ لذا نجد أن القرآن الكريم قرنَ ذكر الإيمان مع العمل الصالح في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 57]. وكثيراً ما يُصدِّر الله تعالى الأمر بالعمل الصالح بنداء الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وكأن نداء الإيمان يذكر المؤمن بالأسس المتينة التي سيبنى عليها كلُّ عمل صالح يأمر به القرآن، ويحمل إليه الذكرى بعلاقته مع خالقه، وواجبه نحو الخلق، ودوره في الحياة، وجزائه بعدها على صالح العمل؛ وذلك أدعى لاستجابته وامتناله.

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 78/2.



وكما يدفع الإيمان إلى حُسن العمل؛ فإنه كذلك المؤثر والدافع لحُسن الخلق؛ فجمال السُّلوك دليلٌ على صدق الإيمان؛ لأنَّ العلاقة بين السلوك والإيمان قويَّةٌ ومتلازمة، فلا يكمل إيمان الإنسان إلا بصلاح أعماله وحُسن أخلاقه؛ وكلما كان إيمان المرء قويًّا؛ حَسُنَتْ أخلاقه، وجَمُلَتْ خصاله، قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»⁽¹⁾.

لهذه المنزلة العظيمة الرفيعة التي يتمتع بها الإيمان، وهذا الأثر الواضح له على الأعمال والسلوك والأخلاق؛ كان أفضل الأعمال وأعظم الواجبات.

5) أن الله لا يضيع لعبده شيئاً من إيمانه؛ وإن قلَّ.

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، أي: مَنْ يعمل من صالحات الأعمال وهو مصدِّق بالله، وأنه مجازٍ أهل طاعته على طاعاتهم وأهل معاصيه على معاصيهم؛ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112]، أي: فلا يخاف من الله أن يظلمه؛ كأن يحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها، ولا يخاف - كذلك - أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها⁽²⁾.

وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: "أخرجوا مَنْ كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"، فيخرجون منها»⁽³⁾. الحديث.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4682، 220/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1162، 458/3.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 379/18.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 22، 16/1.



أركان الإيمان:

في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ وقال: فأخبرني عن الإيمان! قال ﷺ: «أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوْمَنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»⁽¹⁾.

ومن الحديث يظهر جلياً أن أركان الإيمان ستة، وهي:

1. الإيمان بالله تعالى.
2. الإيمان بالملائكة.
3. الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله إلى بعض رسله.
4. الإيمان بالرُّسل.
5. الإيمان باليوم الآخر.
6. الإيمان بالقدر خيره وشره⁽²⁾.

ويمكن أن نقف عند كلٍّ منها ببعض التفصيل لأهميتها:

(1) الإيمان بالله:

وهو أول أركان الإيمان وأولها وأعظمها، ويعني التصديق - كما تقدم -، ويشمل التصديق بما يأتي:

أ- وجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، بنحوه، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 36/1.

(2) ينظر: الأذري، شرح العقيدة الطحاوية، 511/2.



الْحُسْنَى ﴿ طه: 8 ﴾، وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 65].

ب- وأنه سبحانه خالق جميع الموجودات، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102].

ت- وأنه ﷻ المستحق للعبادة، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

(2) الإيمان بالملائكة:

وهو الركن الثاني من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]،

والملائكة ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، خلقهم الله تعالى من نور، قال النبي

ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»⁽¹⁾، يؤمنون به سبحانه، ويقرؤون بوحدانيته، قال

تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، ويواظبون على عبادته سبحانه

وطاعته، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْطُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ

مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، ومن مهامهم عليهم السلام أنهم

حملة رسالاته - سبحانه - إلى أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75]، وأنهم يعملون على

إحصاء أعمال بني آدم، وكتابتها، وحفظها، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2996، 226/8.



نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿الزخرف: 80﴾، والشهادة بذلك على الإنسان يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: 166].

(3) الإيمان بالكتب السماوية:

وهو الركن الثالث من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

ومن الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء (حسب ترتيبها من الأحدث):
أ. القرآن الكريم: أنزله سبحانه على سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 48].

ب. الإنجيل: أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

ت. الزبور: وهو الكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

ث. التوراة: أنزلها الله عز وجل على سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].



ج. صحف إبراهيم وموسى: "وهي الكتب المنزلة عليهما"⁽¹⁾، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:

. [19-18].

(4) الإيمان بالرسول:

وهو الركن الرابع من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

وقد أفرد الله سبحانه في القرآن الكريم سورًا بأسماء الأنبياء، مثل: (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح، محمد)، وذكر قصص خمسة وعشرين رسولًا متفاوتة إجمالًا وتفصيلًا، ويُنَّ أنه فضل بعض النبين، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55]، فاتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم موسى تكليمًا، وآتى سليمان ملكًا عظيمًا...، وأفضلهم أولو العزم الكرام؛ الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7].

(5) الإيمان باليوم الآخر:

وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4]، والمراد باليوم الآخر: اليوم الذي يُبعث فيه الناس للحساب والجزاء، فيؤمن أن الله تعالى سيحيي الناس بعد موتهم،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 24/20.



ويحاسبهم على جميع أعمالهم وتصرفاتهم، فيثيب المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

6) الإيمان بالقدر:

وهو الركن السادس من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، والإيمان بالقدر: يعني اليقين بأن كل ما يحدث في هذا الكون إنما هو بعلم الله تعالى، ومشيئته، وإرادته، "فالإيمان بالقضاء والقدر ليس قيدًا على حركة المؤمن؛ فليس هناك إكراه، ولهذا كان أمرًا طبيعيًا وعدلاً أن يجازى كل امرئ على ما عمل، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38]، وقال ﷺ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]"⁽¹⁾.

فالإيمان بالقدر:

- لا يسوغ ارتكاب المعصية: فلا يجوز للإنسان أن يفعل المعاصي، ثم يحتج بقدر الله تعالى، وأنه لا يد له في ذلك.
- لا ينافي السعي والعمل والأخذ بالأسباب، ولا يحمل على التحلل من مسؤولية التكليف، ولا على التواكل والتمني، ولا يشكل عقبة في طريق التقدم والازدهار، قال رسول الله ﷺ: «وَأَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا! وَلَكِنْ قُلْ:

(1) زقزوق، محمود حمدي، العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، مجلة الأزهر، 1415هـ، ص 45 بتصرف يسير.



قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»⁽¹⁾. وقال عمر رضي الله عنه: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة!"⁽²⁾.

- يوجب التداءوي: فلا ينبغي للمؤمن أن يمتنع عن أخذ الدواء بذريعة أن الداء مقدّر من الله تعالى، فكما أن الداء بقدر الله تعالى وعلمه، فكذلك الدواء، قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»⁽³⁾.

ثمرات الإيمان وآثاره:

للإيمان بالله تعالى، واليقين بوحدانيته، والتصديق بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ آثار حميدة على حياة الإنسان؛ في الدنيا والآخرة، منها:

1) الأمان النفسي والاطمئنان القلبي:

فالمؤمن يعلم أن الله تعالى الذي خلقه هو من يحفظه ويرعاه ويرحمه، فيطمئن قلبه، وتهنأ نفسه، ويتبدّد خوفه وقلقه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 4]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 56/8.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، 62/2.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2204، 21/7.



إِيمَانُهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[الأنعام: 82]، والمعنى: أن الذين

حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين:

أولهما: الإيمان، وهو كمال القوة النظرية.

وثانيهما: أنهم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وهو كمال القوة العملية⁽¹⁾.

ويلاحظ مما سبق ذكره في التعريف اللغوي لمادة (أمن) أنها ترجع لغةً إلى

معنيين مُتَقَارِبَيْنِ:

أ. سكون القلب وطمأنينته، ومنه الأمن، والأمان، والأمنة،

والأمانة، والأمن، والأمين، والمأمون، والمؤتمن، والمأمن....، وكلها

أسماء تدلُّ على الثقة التي تسكن معها النفس من الغوائل.

ب. التصديق والثقة، على نحوٍ تحوّل به الطمأنينة القلبية؛ وذلك

مجلى الترابط بين معنيي السكون والتصديق.

وقد أشار الحقّ تبارك وتعالى إلى هذا الترابط في كتابه العزيز، فقال جلّ

شأنه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ [الحديد: 19]،

فمدح سبحانه وتعالى المؤمنين بالتصديق الذي يبعث قلوبهم على التحقيق،

وألسنّتهم على الإقرار، وجوارحهم على صالح العمل، فينشئ ذلك في نفوسهم

الطمأنينة والسكون.

(2) السعادة والحياة الطيبة:

وعد الله تعالى من آمن به بالحياة الطيبة الهانئة السعيدة، فقال ﷺ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:

(1) الرازي، التفسير الكبير، 49/13.



[97]، والحياة الطيبة تشملُ وجوه الراحة من أيِّ جهةٍ كانت، وفَسَّرت بالسَّعَادَةُ، وقيل: إنَّها الرِّزْقُ الحلال الطَّيِّب⁽¹⁾، وهذا الوعد الإلهي يتساوى فيه الذكور والإناث، "وهو وعد بخيرات الدنيا؛ وأعظمها الرضا بما قُسم لهم"⁽²⁾، فمن آمن بالله تعالى علم أنه مدبر أموره، وأنه لا يكون في هذا الكون إلا ما قضاه وقدره بحكمته؛ فرضي بما يقدر له، وذلك واحد من معاني هذه الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين.

(3) السَّعة الطيبة والعطاء الكبير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، أي: أنه تعالى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها، أو أنه يَهَبُ لهم ما يحبون، ويعطيهم ما يودُّون⁽³⁾، تفضلاً منه سبحانه نظير إيمانهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47].

(4) حفظ المؤمن وتثبيته عند الشدائد:

وممَّا يبرزُ أهمية الإيمان أنَّ اللهَ جلَّ في علاه يحفظ المؤمن بإيمانه، ويدفعُ عنه شرَّ الشدائد والمكاره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38]، وهنا يُخبرُ تعالى أنَّه يَدْفَعُ عن عبادِهِ الذينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدَ الْفُجَّارِ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيَكْلُؤُهُمْ، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 350/14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 273/14، بتصرف يسير.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 567/21.



بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴿الزمر: 36﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

والإيمان يثبّت المؤمن عند الابتلاءات والنوازل والمصائب؛ لأن المؤمن يعلم أن أمره بيد الله، وأجره على الله، قال ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»⁽¹⁾، وقال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽²⁾، فالمؤمن في كل الأحوال طيب المعاش، راضي النفس، مرتاح البال؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2].

وبنحوه قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، يعني: يُحَقِّقُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وإيمانهم بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله⁽³⁾، فإيمانه الثابت بأنه "لا إله إلا الله"، ويقينه أنه تعالى ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، وأنه حكيم لطيف رحيم...؛ يعطيه قوّة الثبات عند الشدائد؛ بأنه لا يكون إلا ما قدّر الله وقضى.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5641، 114/7.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2999، 227/8.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 589/16.



(5) دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾
 [يونس: 9]، يقول: يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة⁽¹⁾. وبنحوه قوله تعالى:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: 107-108].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ
 الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

وقال ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ
 مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»⁽³⁾.

وهذه الأحاديث وأمثالها من النصوص القرآنية والنبوية لها سياقات
 وضوابط؛ تحددها وتجليها نصوص أخرى؛ وترسم دلالتها التي تدفع بالمؤمن
 نحو زيادة الإيمان والعمل بمقتضاه من إحسان القول وإتقان العمل
 والاستكثار من الصالحات، وتفتح باب الخير للراغبين فيه؛ وليس يُفهم منها أو
 يُتدرَّع بها لخلاف ذلك كله.

(1) السابق، 123/12.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 26، 55/1.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3435، 165/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:

57/1، 28.



طرق وآليات زيادة الإيمان:

يكادُ يُجمَعُ العلماءُ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ كماله بالطاعة، وينقصُ عن كماله بالمعصية⁽¹⁾؛ هذا بشكل عام، ومن أبرز الطاعات التي يزيد فيها الإيمان وينمو:

(1) تَعَلُّمُ الْعِلْمِ النَّافِعِ:

العِلْمُ يَهْدِي إِلَى الْإِيمَانِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ، وَالْإِيمَانُ يَرُدُّ إِلَى الْعِلْمِ وَأَهْلُهُ وَيَتَكَامَلُ مَعَهُ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي قِيَمَةِ الْعِلْمِ -، وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ بِالْعِلْمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الروم: 56]، وَقَالَ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وَقَالَ: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: 162]، وَقَالَ: ﴿وَالرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، ...، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْرُنُ الْعِلْمَ بِالْإِيمَانِ.

وَفِي التَّنْزِيلِ دَعْوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَاْجِعُوا أَهْلَ الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَعْلَمُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، أَيْ: إِلَى عُلَمَائِهِمْ، وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ⁽²⁾، ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]. وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مَشْهَبَاتٌ» تَشْبِهُ الْحَقَّ بِشَيْءٍ، وَتَشْبِهُ

(1) الغزالي، قواعد العقائد، ص 260.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 256/7، والرازي، التفسير الكبير، 153/10.



الباطل بشيء، تقف بينهما وتختلط معهما بوجوه «لا يعلمها كثير من الناس» إنما يعرفها أهل العلم، «فمن اتقى المشبهات؛ استبرأ لدينه وعرضه»، هذا الورع أصاب السلامة، «ومن وقع في المشبهات: كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعهُ»⁽¹⁾.

(2) الاستكثار من العمل الصالح:

الإيمان قول وعمل، وهو يزيد بالعمل الصالح وينقص بنقصه، ولئن اقترن الإيمان بالعلم في القرآن الكريم في أكثر من موضع - كما سبق -؛ فقد اقترن الإيمان بالعمل الصالح في نحو خمسة وسبعين موضعاً، منها خمسون موضعاً بلفظ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فمن لوازم الإيمان والعلم: العمل الصالح؛ الذي يشهد لكل منهما ويقويه ويثبته ويصدقّه، وقد روي: (إن الإيمان ليس بالتحلي، ولا بالتممي، إن الإيمان ما وقّر في القلب، وصدقّه العمل)⁽²⁾.

والعمل الصالح يشهد بإيمان صاحبه، ففي الحديث «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد؛ فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: 18]»⁽³⁾. فسلوكه هذا - وهو إقامة الصلاة وما تبعها من

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 52، 28/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1599، 1219/3.

(2) من قول الحسن البصري رحمه الله، ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، رقم الحديث: 32365، 29/17، والبيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 66، 80/1.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3093، 277/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 11651، 194/18.



العبادات في الآية - من المؤشرات التي تعبر عن إيمانه، وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94]، إلقاء السلام عمل صالح، وهو يدلُّ - كذلك - على الإيمان!

وقد سَمَّى الله العمل الصالح إيمانًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، والمعنى: لا يضيع الله ثواب طاعتكم وصلاتكم إلى بيت المقدس. نزلت هذه الآية بعد تحويل القبلة⁽¹⁾، وسَمَّى الصلاة ههنا إيمانًا لأنها كانت تصديقًا لرسوله ﷺ، واتباعًا لأمره سبحانه، وطاعة منهم له⁽²⁾.

كما بيَّن النبي ﷺ أن الإيمان ينقسم إلى شُعَب، وكل هذه الشُعَب إنما هي أقوال وأعمالٌ صالحات، فقال ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة؛ فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»⁽³⁾، وتمام الإيمان بالأعمال وكماله بالطاعات، وإن التزام الطاعات وضم هذه الشُعَب من جملة التصديق ودلائل عليه، وهي خلق أهل التصديق، فليست خارجةً عن معنى الإيمان الاصطلاحي ولا اللغوي⁽⁴⁾.

وفي هذه النصوص إشارات واضحة إلى أثر الطاعات في الإيمان، وأنها منه، وتزيد فيه، وتدلُّ عليه.

(1) ينظر الحديث في البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 40، 23/1.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 653/2.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 9، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 12، 63/1.

(4) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 272/1.



(3) تلاوة القرآن الكريم وتدبره:

القرآن الكريم فيه ذكرُ الآخرة وما فيها، وفيه أسماء الله تعالى وصفاته، وقصص الأنبياء وأقوامهم، وتدبر القرآن الكريم يقوِّي الإيمانَ ويزيده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2].

والقرآن الكريم جعله الله سبحانه نورًا يَهْتَدَى به إلى الإيمان والصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 52، 53]. وهذا دليل على أثر القرآن في زيادة الإيمان.

(4) التفكر في خلق الله:

ومما يزيد في الإيمان أن يتفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض وما فيها، لما في هذه الموجودات من العظمة الدالة على قدرة الخالق وعظمته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99]، وقال أيضًا: ﴿سَرِّبْنَاهُمْ﴾ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]. واستعظم القرآن أن لا يحمل هذا النظر في الخلق صاحبه إلى الإيمان بالخالق،



﴿قُلْ اَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].

(5) التوبة إلى الله:

وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾، أي: من الذنوب كلها، التاركون للفواحش، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ أي: القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها⁽¹⁾. وقال تعالى في توبة أبينا آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 121-122]، فهذه الآية دلت على أنه تعالى إنما اجتباه بعد الزلة والعصيان، ومعنى الاجتباء هو التخصيص بأنواع التشريعات⁽²⁾.

إن زيادة الإيمان تقتضي العمل على تزكية النفس وتهذيبها وتنميتها من خلال تطهيرها وتنقيتها من آثار الذنوب والمعاصي التي تؤثر على القلوب والنفوس، وتصحيح الأخطاء التي تؤثر على العلاقة مع الذات ومع المجتمع، بل إن التوبة هي القيمة التي يتحلى بها المؤمن في سائر أوقاته وأحايينه، فهي بداية طريق الإيمان، ووسطه، ونهايته، ولا يزال المؤمن فيها لا يفارقها أبداً إلى آخر الحياة، فحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما حاجته إليها في البداية كذلك⁽³⁾.

وكأن التوبة على طول طريق الحياة مكابح تكبح الشهوات، وتحجر اللذات المحرمات، وبوصلة تهدي المؤمن وتفتح له أبواباً جديدة إلى رحب الخيرات والحسنات، بعد أن تغلق دونه أبواب الذنوب، وتؤويه إلى المغفرة

(1) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 90/2.

(2) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 399/2، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 257/11.

(3) ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 304/2.



والعفو الذي يستره ويحميه من آثار السيئات، ويتجلى هذا المعنى في الحديث: «أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ لك بذنبي؛ فأغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»⁽¹⁾، «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك؛ لا أحصي ثناء عليك أنتَ كما أثنيت على نفسك»⁽²⁾.

خاتمة:

الإيمان قيمة أساسية في تهذيب النفس وتزكيتها، وقد سعى القرآن الكريم الإيمان تزكيةً، وبَيَّن أنه أساس الدين ومقصد الرسالات، وواحد من أجلِّ الغايات الرسالية التي أرسل لأجلها الأنبياء، فكانت له منزلة فريدة في القرآن الكريم والهدي النبوي؛ جعلته أفضل الأعمال وأعظمها، وركيزة ينطلق منها صالح العمل وحسن الخُلُق، فينعكس أمانًا نفسيًا، واطمئنانًا قلبيًا، وحياة طيبة، وسعادةً ونوالاً ورضا؛ حتى يبلغ بصاحبه الجنة.

* * *

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5947، 2323/5.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 486، 352/1.



- العبادة

عبادة الله تعالى وطاعته من أهم ما يزي نفس الإنسان وينميها؛ ويسمو بها ويرقيها، وقد اقترنت العبادات في القرآن الكريم مرارًا بثمرتها من تزكية النفس؛ لعظيم أثرها في تطهيرها وتنميتها وإكسابها أفضل الصفات وأكرم الأخلاق، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: 30]. وقوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14-15].... إلى نحو ذلك من الآيات التي تقرن طاعة الله تعالى وعبادته وذكره بزيادة النفس وسموها، فتزكية النفس من أعظم غايات العبادات في الإسلام.

ويرى الناظر في القرآن الكريم أنه نسب تزكية النفس تارة إلى الله تعالى المزي الأول، وتارة إلى النبي ﷺ؛ فهي إحدى أبرز مهامه، وتارة إلى العبد الذي يجتهد في تزكية نفسه، وتارة إلى العبادة؛ التي هي وسيلة في ذلك، نحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4]، أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكّهم الله، أو ليزكّوا أنفسهم، والمعنيان واحد. وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وذلك يكون بكثرة المواظبة عليها، وكلما كانت العبادات أكثر، كانت النفس أزكى وأطهر⁽¹⁾.

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، 58/3.



تعريف العبادة:

أولاً- في اللغة:

العبادة في اللغة تعودُ إلى الجذر اللغوي "عَبَدَ"، والذي يأتي بمعانٍ، منها:

1- الطَّاعَة والتَّنَسُّكُ: التَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ، والعبادة: الطَّاعَة مَعَ الْخُضُوعِ

(1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5]، أَي: نُطِيعُ الطَّاعَةَ الَّتِي يُخْضَعُ

مَعَهَا (2)، وَفُلَانٌ عَابِدٌ، أَي: خَاضِعٌ لِرَبِّهِ مُسْتَسْلِمٌ مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ (3).

2- الْخُضُوعُ وإظهار التذلل: أَصْلُ الْعُبُودِيَّةِ الْخُضُوعُ وإظهارُ

التَّذَلُّلِ (4)، وَعَبَدَ اللَّهُ يَعْبُدُهُ عِبَادَةً: تَأَلَّاهُ لَهُ (5)، وَالتَّعْبِيدُ: التَّذَلُّلُ، وَمِنْهُ:

الطَّرِيقُ الْمُعَبَّدُ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ الْمُدَلَّلُ (6)، وَالْعِبَادَةُ أبلغُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا

غَايَةُ التَّذَلُّلِ، وَلَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا مَنْ لَهُ غَايَةُ الْإِفْضَالِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى،

ولهذا قَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: 40] (7).

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 503/2، (عبد)، وابن منظور، لسان العرب، 272/3، (عبد).

(2) ابن منظور، لسان العرب، 273/3، (عبد).

(3) السابق، 273/3، 274، (عبد).

(4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 503/2، (عبد)، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 205/4، (عبد)، وابن منظور، لسان العرب، 271/3، (عبد).

(5) ابن منظور، لسان العرب، 273/3، (عبد).

(6) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 503/2، (عبد)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 206/4، (عبد).

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 542، (عبد).



3- الإسراع والالتزام: يقال: عبّد الرجل: أسرّع. وعبّد به: لزمه فلم يفارقه؛ وما عبّدك عني؟ أي: ما حبسك؛ والعبّدة: البقاء؛ يقال: ليس لثوبك عبّدة، أي: بقاء وقوة⁽¹⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

العبادة في الاصطلاح هي فعلُ المكلفِ على خلافِ هوى نفسه تعظيمًا لربه، وقيل: تعظيمُ الله وامتنالُ أوامره، وقيل: هي الأفعالُ الواقعةُ على نهاية ما يُمكنُ من التذللِ والخُضوع المتجاوز لتذللٍ بعض العبادِ لبعضٍ، ولذلك اختصَّ الربُّ بها، فهي أخصُّ من العبودية؛ لأنها التذللُ⁽²⁾.

ومما سبق من المعاني اللغوية والاصطلاحية يتّضح أنَّ المعنى الاصطلاحي للعبادة يمكن أن يبنى على ركنين أساسيين:

1- ركنٌ قلبيٌّ، وهو التذللُ لله تعالى، إسلامًا للوجه إليه، وإجلالًا لمقامه عزّ وجلّ.

2- ركنٌ عمليٌّ، وهو طاعته سبحانه وتعالى.

أهمية العبادة:

تبرز أهمية العبادة في الإسلام من خلال عدة نقاط، أهمها:

(1) ابن منظور، لسان العرب، 3/276، (عبد).

(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 235.



(1) إقامة العبادة مهمة أساسية كلف بها الإنسان:

تتجلى أهمية العبادة بكونها المهمة الرئيسة التي كلف بها الإنسان، وطلب إليه أن يلتزمها ولا يحيد عنها في حركته في الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

(2) العبادة صفة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

أمر الله تعالى أنبياءه ورسله بعبادته، فقال لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14]، وأخبر نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وأمره بالعبادة فقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، وقال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66]، وأمره بالثبات عليها، فقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وبالأصطبار عليها، فقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]، وبالإخلاص فيها، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2].

ووصف الله تعالى أنبياءه ورسله بصفة العبودية، فقال عن نوح ﷺ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وقال عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]، وقال عن أيوب ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]، وقال عن داود ﷺ: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، وقال عن سليمان ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ



سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿﴾ [ص: 30]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء: 172]، ووصف نبيّه محمداً ﷺ بالعبودية في مواضع كثيرة؛ حيث تجلّت عبوديته ﷺ في أعظم محطات حياته، فعند تلقي الرسالة قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]، وعند أدائها قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19]، وعند الحوار والحجاج قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]، وعند التأييد بالمعجزات قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1].

وكان النبي ﷺ كثير العبادة لله تعالى، كما وصفته زوجته عائشة رضي الله عنها فقالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ⁽¹⁾. وقالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فقال: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»⁽²⁾.

3) تعليم العبادة من أبرز مهام الرسل عليهم السلام:

لما كانت العبادة واحدة من أبرز مهام الناس، كان تعليمها وترسيخها أحد أبرز أعمال الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يعني: من الأمم التي سلفت قبلكم ﴿رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، وأفردوا له

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 373، 282/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4837، 6/135، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



الطاعة، وأخلصوا له العبادة"⁽¹⁾، ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، أي: اتركوا كلَّ مَعْبُودٍ دُونَ اللَّهِ⁽²⁾.

ويشهد لذلك كثير من الأحاديث النبوية والآثار الثابتة في كتب السيَر، من ذلك مثلاً:

ما روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجلٌ فصلّى، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارجع فَصَلِّ؛ فإنك لم تُصَلِّ!»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فَصَلِّ؛ فإنك لم تُصَلِّ!». ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيره، فعلمني؟ فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، و افعل ذلك في صلاتك كلها»⁽³⁾.

وعن جابر رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم. فإني لا أدري لعلّي لا أحج بعد حجتي هذه»⁽⁴⁾، هذه اللام «لتأخذوا» لام الأمر، ومعناه: خذوا عني مناسككم، وتقديره هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم، فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوها بها وعلموها الناس⁽⁵⁾.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 201/17.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، 103/10.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 724، 263/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 397، 298/1.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1297، 943/2.

(5) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 45/9.



وعن مالك بن الحُوَيْرِث رضي الله عنه أنه قال: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وآله ونحن شعبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله رحيماً رفيقاً، فلما ظنَّ أننا قد اشتَهينا أهلنا - أو قد اشتقنا -؛ سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم...، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»⁽¹⁾.

(4) الأمر المتكرر الصريح بالعبادة في القرآن الكريم:

مما يبرزُ أهمية العبادة في القرآن الكريم أنها إحدى المفردات الرئيسة فيه، فقد ورد جذر كلمة "العبادة" في القرآن الكريم في نحو مئتين وخمسة وأربعين موضعاً، منها ست وثلاثون موضعاً بصيغة الأمر بالعبادة، كان الأمر في ست منها فردياً موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وآله ولأُمته من بعده، وفي بقية المواضع جاء الأمر بالعبادة جماعياً بالصيغة القطعية الصريحة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس:61]، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:51]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21]، وهذا أمرٌ عامٌّ للناس جميعاً.

(5) العبادة طريق الجنة:

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وآله في كثيرٍ من أحاديثه العبادة طريقاً إلى الجنة، ففي الحديث أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، دُلّني على عملٍ إذا

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 605، 226/1، ومسلم بنحوه، المسند الصحيح، رقم الحديث: 674، 465/1.



عملته دخلت الجنة، قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةَ المكتوبة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتصومُ رَمَضانَ» قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا، ولا أنقصُ منه، فلمَّا ولى قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»⁽²⁾.

أقسام العبادات وأنواعها:

دائرة العبادات رحبة واسعة، فهي لا تنحصر بالشعائر؛ بل تشمل شؤون الإنسان جميعها، وتستوعب حياته كلها، ويمكن أن تختلف تقسيماتها باختلاف الجهة.

1) التقسيم الأول: بحسب الصفة:

يمكن تقسيم العبادات - من جهة الوصف - إلى قسمين رئيسيين:

- العبادة الشعائرية:

ومن أمثلتها:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1397، 105/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 44/1، 14.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1855، 287/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 6848، 436/11.



أ. الصلاة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: 103].

ب. الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

ت. الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].

ث. الزكاة: ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: 56].

- العبادات التعاملية:

وهي تعاليم دينية متعلقة بالأخلاق والمعاملات؛ مطلوبة فيما بين الناس:

أ. فالأخلاق: كالصدق، والأمانة، والعدل، والعفو، والرحمة، والإحسان، والبر... وغيرها، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36]، وسُئل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام أفضل؟ - أو: أي المسلمين خير؟ - قال: «مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»⁽¹⁾، وفي رواية: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»⁽²⁾.

(1) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 6753، 366/11. وابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 3639، 389/4.

(2) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 4995، 104/8.



ب. والمعاملات: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: 282]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

(2) التقسيم الثاني: بحسب الإلزام:

يمكن تقسيم العبادات - من جهة الإلزام - إلى نوعين:

- الفرائض:

ومن العبادات التي افترضها الله على عباده ما جعله أركاناً لدينه:

أ. فمنها الشعائرية: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

ب. ومنها ما يُعد في الأخلاق، كالأمانة، والصدق، والعدل...

ت. ومنها ما يعد في المعاملات؛ كالمهر، والنفقة على من تجب عليهم النفقة، وبيان عيب المبيع..

- النوافل:

وهي عبادات أخرى حث عليها سبحانه من غير إلزام، يتقرب بها المؤمن إلى ربه، طلباً لزيادة الحسنات، ورفعته الدرجات، ومنها:

أ. ما كان من جنس الفرائض: كالسنن الرواتب، والصدقات، والحج بعد الحج...

ب. ومنها ما كان مختلفاً عن الفرائض، أو مشابهاً لها في وجوه: كالذكر، وعبادة المريض...



(3) التقسيم الثالث: بحسب الوسائل:

يمكن تقسيم العبادات كذلك - من جهة الوسائل - إلى:

- أ. عبادات بدنية: كالصلاة، والصيام، والحج، وإتقان العمل..
 - ب. عبادات قلبية: كالحب، والتوكل، والخشوع، والإخلاص، وحسن الظن..
 - ت. عبادات عقلية: كالتفكير في الخلق، وتدبر القرآن، وطلب العلم...
 - ث. عبادات لسانية: كالذكر، والتلاوة، والنصح، والدعاء، والكلمة الطيبة...
 - ج. عبادات مالية: كالزكاة، والصدقة، والنفقة، وكفالة اليتيم...
 - ح. عبادات اجتماعية - سلوكية: كصلة الرحم، وحسن الجوار، والهدية...
- والعبادات بهذا التقسيم تتداخل فيما بينها وتشترك فيها وسائل الأداء.

شروط العبادة:

يشترط في العبادة حتى تكون صحيحة عند الله تعالى أن يتوقَّر فيها شرطان اثنان:

(1) إخلاص النية لله تعالى:

وهذا الشرط متعلق بالقصد، والمراد به أن يبتغي الإنسان من فعله وعبادته وجه الله تعالى والقَبول عنده، والأدلة على هذا الشرط في النصوص



القرآنية والنبوية كثيرة جدًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]، وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14]، وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: 65]، وقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، أي: فاشغع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة⁽¹⁾.

ومن أخطأ الإخلاص في العبادة أخطأه أجرها، مثال ذلك: عبادة العلم، قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم علما مما يُبْتَغَى به وجهُ الله عزوجل؛ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا؛ لم يجد عرفَ الجنة يوم القيامة» يعني: ربحها⁽²⁾.

هذا، وإن إخلاص النية لله سبحانه وتعالى في العبادة يساعد في تهذيب النفس وتصفيها وترقيتها، ويحول بينها وبين اتباع الشهوات والملذات التي نهى الله عنها، ويمكِّن للعبادة أن تقوِّي الصلة بين العابد وبين ربه، وبينه وبين نفسه؛ إذ تملأ النفس طمأنينة، والقلب رضا، وتعالج أمراض النفس والقلب من الأنانية والحسد والغل، وحبِّ الذات على حساب الغير، وتقوي الصلة - كذلك - بينه وبين مجتمعه؛ إذ تترك العبادة أثرها على العلاقات الاجتماعية فتقوِّي الإحساس بالآخرين، وتخرج العابد من دائرة الذات إلى فسحة المجتمع، فيشاركه فرحه وهمومه.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 250/21.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3664، 504/5. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 92/1، 252.



(2) موافقة التعاليم القرآنية والنبوية:

ويشترط في العبادة حتى تكون صحيحة عند الله تعالى أن توافِقَ تعاليم الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]. وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المالك: 2] أي: ليمتحنكم، فينظر أيكم أحسن عملاً، وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى عمّن بلغ أربعين سنة: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: 15]، أي: اجعل عملي كثيراً عظيماً سالماً من عدم قبولك له، وذلك بأن يكون خالصاً من الرياء والعجب؛ حتى يكون على وفق رضاك⁽²⁾.

ثمرات العبادة:

للعبادة فوائد عدة؛ على المستوى الذاتي والاجتماعي، الديني والدنيوي والأخروي، وأبرزها:

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 95/8.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 918/9.



(1) محبة الله تعالى:

ففي الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضْتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه»⁽¹⁾.

(2) محبة الناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

وفي الحديث: قيل لرسول الله ﷺ: رأيتَ الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»⁽²⁾.

وروي: (إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس)⁽³⁾.

(3) التحلي بآداب العبادة:

فالطاعة تحمل صاحبها على آداب عالية وأخلاق سامية، فيترفع عما لا يليق بأهل القرآن - مثلاً - إن كان يتلوهُ، أو بأهل صلاة الجماعة إن كان يرتادها، أو بالصائم أو بالحاج ما لزم فرضه أو تلبس بنسكه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: 58].

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6502، 105/8.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2642، 2034/4.

(3) ابن رجب، روائع التفسير، 135/2.



وقد جعل الله تعالى القيم والأخلاق مقصدًا لجميع العبادات والمعاملات؛
فما من عبادة ولا معاملة إلا وتحمل بعدًا أخلاقيًا قيميًا؛ فتنطوي على قيمة
كريمة، أو تثمر خلقًا حميدًا، ومثال ذلك:

أ. الصلاة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
[العنكبوت: 45]، أي: تحمِلُ على الامتناع عن ذلك، مما يحدث في
قلب المصلِّي بسببها من النُّور والانشراح، والخوف من الله تعالى
والحياء منه.

ب. الزكاة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾
[التوبة: 103].

ت. الحج: قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا
رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197].

ث. الصيام: قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وفي
الحديث: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو
شاتمته، فليقل إنني صائم - مرتين -»⁽¹⁾.

ج. الصدقة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ
وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264].

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1795، 670/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



ح. تلاوة القرآن: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: 121]، أي: يعملون به حقَّ عمله⁽¹⁾.

(4) حلاوة العبادة:

من ثمرات العبادة أن يجد المؤمن لها حلاوة في قلبه، فيطمئن قلبه بذكر ربه، وتسكن نفسه في صلاته، وتتوق روحه لمناجاة ربه، ويمتلئ قلبه بالرضا عند الإحسان إلى الخلق... قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

ومن حلاوة العبادة الفرح بالعبادة: بل هو طاعة مثلها وجزء منها، وقِسْمٌ من عاجل بشرى المؤمن، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

وفي الحديث: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»⁽²⁾.

وهذا الفرح بالطاعة والخير دليل على الفطرة السوية، وعلامة من علامات الإيمان، فقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: ما الإيمان؟ قال: «إذا ساءتكَ سيئتكَ، وسرَّتكَ حسنَتكَ؛ فأنت مؤمن»⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 490/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1805، 673/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1151، 806/2.

(3) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22159، 484/36.



وبين الفرح بالطاعة واستعظامها خيط بسيط، قد تخلط النفس بينهما، فيعجب المرء بطاعته، ويستأنس بها وكأنه أيقن بقبولها، لذلك يكون الفرح بالطاعة بغير تفاخر أو اعتداد، فالطاعة توفيق من الله ومحض فضل منه سبحانه.

(5) الفوز بالجنة:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:29]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:107]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة:25].

قال ابن عمر رضي الله عنه: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا» ⁽¹⁾ الحديث.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3502، 528/5.



وسائل تعزيز قيمة العبادة وتنميتها:

مما يعزز قيمة العبادة وينميتها:

(1) استدامة المعرفة بالله:

إن معرفة الله تعالى؛ بعظمته، وجلاله، وسائر أسمائه وصفاته تزيد من محبة الله وخشيته والرغبة بدوام عبادته، "وكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له، ومحبه لطاعته، وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره عَلَى قدر ذلك"⁽¹⁾. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

(2) تدريب النفس على دوام العبادة:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 7-8]، ومعناه: فإذا فرغت من عبادة فانصب في عبادة أخرى، فإن فرغت من صلاتك - مثلاً - فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك، فيأمره - تعالى ذكره - أن يجعل ﷻ فراغه من كل ما كان به مشغولاً إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسأله حاجاته، ولم يخصص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال أخرى⁽²⁾. فكان عمله ﷻ ديمة⁽³⁾، وكان يقول: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»⁽¹⁾.

(1) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، استنشاقي نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، 3/316.

(2) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 24/499.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6101، 5/2373، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



والاعتدال واحد من أهم المعينات على دوام العبادة، فمن لا يدرك يُسر الدين وحقيقته وجوهره؛ يعتقد أنه قائم على التشديد والتعسير، وأن الإنسان كلما شدد على نفسه وأرهقها بالعبادة كان أقرب من الله تعالى، فلا يطول عليه الزمان حتى ينقطع عن العبادة، فيخالف بذلك هدي النبي ﷺ الذي كان ينتهج التيسير في العبادة ويأمر به، ويتجنب التعسير وينهى عنه، ويبين أن هذا الدين ما شاده أحد إلا غلبه، كما نقل ذلك إلينا من عايشوه ﷺ، وعرفوا نهجه عليه الصلاة والسلام.

(3) الخشوع في العبادة:

فالخشوع في العبادة يقربها ويسرها، ويعين على زيادتها، وفي التنزيل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]؛ إذ يراقب الخاشع في عبادته ربه؛ فيعبده كأنه يراه، كما جاء في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽²⁾. فيستزيد القلب والروح من العبادة، ويجتهد البدن فيها.

(4) الصحبة الصالحة:

الصحبة من أهم العوامل التي تؤثر في الإنسان صلاحًا وفسادًا، فإن كان صاحب صالحًا عابدًا، أصابه من صلاحه، وزاد من عبادته، وإن كان فاسدًا؛

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2818، 2171/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8،



فلا بدَّ أن تسريَّ عدوى الفساد إليه، فالصاحب يُعدي، و«المرء على دين خليله»⁽¹⁾.

من هنا جاء الأمر بالعبادة بصيغة الجمع في عدد من المواضع القرآنية، وأمر الله بالتزام أهل العبادة، فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، وقال كذلك: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: 28].

(5) الدعاء والاتجاء إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

فيدعو بالتوفيق إلى الطاعة: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبليغنا به جنتك»⁽²⁾.

ويدعو بإتقانها وإحسانها: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»⁽³⁾.

ويدعو بالثبات عليها: «يا مقلبَ القلوبِ، ثبّت قلبي على دينك»⁽⁴⁾.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 204/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2378، 589/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8028، 398/13، واللفظ له.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3502، 528/5.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1522، 630/2، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1303، 53/3، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 22119، 429/36.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2140، 448/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3834، 1260/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 12107، 160/19.



ويسأل الله القبول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60]، وهؤلاء هم «الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم»، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61]»⁽¹⁾.

6) الصبر على الطاعة:

فمن اجتهد في العبادة وصبر على الطاعة ذاق لذتها، وقد قيل: الصبر ثلاثة أنواع: صبر على البلاء، وصبر عن المعصية، وصبر على الطاعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، بحيث يتغلب الوازع الديني على باعث الهوى والكسل⁽²⁾.

وقد أمر الله تعالى بهذا الصبر على الطاعة فقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65]، وقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 7].

خاتمة:

يظهر مما سبق أنَّ العبادة في الإسلام طريق يفضي إلى تهذيب النفس وتزكيتها، وتطهير القلب وتنقيته، وهي لا تقتصر على الشعائر من صلاة وصيام وحج وزكاة، بل تشمل كل الأعمال الصالحة، والأوصاف الحميدة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3175، 327/5، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 25263، 156/42.

(2) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 66/4.



وهي مهمة من أهم المهمات التي كُلف بها الإنسان، فمن تحقّقت فيه قيمة العبادة تمثلت طاعة في منشطه ومكرهه، في عُسرهِ ويسره، في رضاه وغضبه... والتزامًا بأدب العبادة: بالطاعة عند الأمر والنهي، والشكر عند النعمة، والصبر أو الرضا عند المصيبة؛ فتزكو النفس، وترقى الأخلاق، وتسمو الروح.

* * *



- القدوة

مقدمة:

لا يخفى ما للقدوة الحسنة من أثرٍ في تزكية النفس وتهذيبها، فالنبي المزيّ ﷺ كان قدوةً للصحابة الكرام، **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** [آل عمران: 164]، وهو القدوة لكل مؤمن بعدهم، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** [الأحزاب: 21]، أي: اقتدوا به وتأسّوا بشمائله.

وللقدوة دورٌ محوريٌّ في الحياة الإنسانية بصفةٍ عامة، وهي أحدُ أبرز المؤثرات الأساسية في مسار الفرد قديمًا وحديثًا، كما تشكّلُ عنصرًا فاعلاً في إعداد القدرات والكفاءات الفكرية لدى الأجيال الصاعدة في صقل مواهبهم وقدراتهم بما يؤهّلهم في تحمّل المسؤولية، وأداء الأمانة، وريادة الأوطان.

تعريف القدوة:

أولاً- في اللغة:

القدوة اسمٌ من الاقتداء، وكلاهما مأخوذ من مادة "قَدَو" التي تأتي بمعانٍ متقاربة، أهمّها:

- 1- الاقتباس والاهتداء: القافُ والِدالُ والحَرْفُ المَعْتَلُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اقْتِبَاسٍ بِالشَّيْءِ وَاهْتِدَاءٍ ⁽¹⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، 66/5، (قَدَو).



2- الأُسوة: القُدوة: الإسوة، يُقال: فلانٌ قِدوةٌ يُقتدى به، وقد يُضَمُّ فيقال: لي بك قُدوة⁽¹⁾، فالقُدوة ما تسنَّت به، واقتَدَيْتَ به⁽²⁾، والقُدوة اسمٌ من: اقتَدَى به؛ إذا فعَلَ مثلَ فعلِهِ تَأْسِيًّا، وفُلانٌ قُدوةٌ، أي: يُقتدى به، والضَّمُّ أَكْثَرُ مِنَ الْكَسْرِ⁽³⁾.

3- السَّبق والتقدُّم: والقُدوة التقدُّم. يقال: فلان لا يقاديه أحد، ولا يماديه أحد، ولا يباريه أحد، ولا يجاريه أحد، وذلك إذا برز في الخلال كلها⁽⁴⁾.

4- الاستقامة والالتزام: وَمِنْ الْبَابِ: فُلَانٌ يَقْدُو بِهِ فَرَسُهُ، إِذَا لَزِمَ سُنَنَ السَّيْرَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ قَدْوًا؛ لِأَنَّهُ تَقْدِيرٌ فِي السَّيْرِ، وَتَقَدَّى فُلَانٌ عَلَى دَابَّتِهِ، إِذَا سَارَ سَيْرَةً عَلَى اسْتِقَامَةٍ⁽⁵⁾.

5- القياس والاشتقاق: والقَد هو مُقَادَرَةٌ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ مُسَاوِيًّا لِغَيْرِهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: هَذَا قِدَى رُمَحٍ، أَي: قَيْسُهُ⁽⁶⁾، وَقَدْ الشَّيْءُ: قَدَرَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُتَكَلِّمِ: "قَدِي" أَي حَسْبِي، وَاقْتَدَّ الْأُمُورَ: اشْتَقَّهَا وَمِيزَهَا وَتَدَبَّرَهَا⁽⁷⁾.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2459/6، (قدا)، وينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 249، (قدأ)، وابن منظور، لسان العرب، 171/15، (قدا).

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1323، وابن منظور، لسان العرب، 171/15، (قدا).

(3) الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 494/2، (قدو).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 171/15، (قدا).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، 67/5، (قَدَو).

(6) السابق، 66/5، (قَدَو).

(7) ابن منظور، لسان العرب، 344/3 - 347، (قدا).



ثانيًا- في الاصطلاح:

لا تختلف القدوة بالمعنى الاصطلاحي عنها في المفهوم اللغوي، وقد عرّف "الاقتداء" بأنه: "طَلَبُ مُوَافَقَةِ الْغَيْرِ فِي فِعْلِهِ"⁽¹⁾. والقدوة كالأسوة كما بيّن ذلك غير واحد من العلماء⁽²⁾، فقول: "الْأُسْوَةُ وَالْإِسْوَةُ كَالْقُدْوَةِ وَالْقِدْوَةُ، وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا فِي اتِّبَاعِ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، فوصفها بالحَسَنَةِ"⁽³⁾، "وَالْأُسْوَةُ مَا يُتَأَسَّى بِهِ، أَيْ: يُتَعَزَّى بِهِ، فَيُقْتَدَى بِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَيُتَعَزَّى بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ"⁽⁴⁾.

ويمكن تعريف قيمة القدوة اصطلاحًا بأنها: اقتفاء المقتدي أثر قدوته؛ بهدف التأسي والاقتداء به والاهتداء بحاله وفعله والاقتباس برأيه، مع تقييم وتقويم دوري لالتزام المسار واتساق المسير وتقدّمه؛ حتى يصل بذلك إلى ما يعتقد تفوّق قدوته وتقدّمه فيه وسبقه إليه.

وهنا تبرز علاقة القدوة بهتذيب النفس وتزكيتها، وأهميتها وخطورها في ذلك؛ إذ يجسد القدوات نماذج قيمية وأمثلة حياة لمعاني التزكية ومبادئ التنمية الذاتية، ويشكّلون صورًا تعين المقتدي على حسن التصوّر وصحة الاتساء، فإن لم يكن القدوات أهلاً للاقتداء كان العكس من ذلك، فكان الأثر بخلاف التزكية والتنمية والطهر.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 35/7.

(2) الزين، محمد بسام، المعجم المفهرس لمعاني القرآن، ص 191.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 76.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 155/14.



أهمية القدوة:

لا ينقطع احتياج الإنسان على مرّ التاريخ وطول الحياة إلى قُدوات في مختلف المجالات الإنسانية؛ فاتخاذ القدوة الحسنة هو السبيل الأنجع لتكوين شخصية الفرد وإعدادهِ أخلاقياً ونفسياً واجتماعياً وفكرياً في ظل منظومة القيم، وتشتد الحاجة إلى القدوات في زمن تختلف فيه المعايير والموازين، وتظهر فيه "القدوات البديلة"، وهذا ما يتطلب العمل على تمكين وإبراز القدوات الحسنة حفاظاً على النقاء الفكري والأمان المرجعي والقيم الأصيلة والأخلاق النبيلة.

ويبرزُ أهمية القدوة في حياة الإنسان أمورٌ، منها ما يأتي:

(1) استلهم أفضل القيم والأخلاق من صفات الله سبحانه:

إذ يتحلّى الإنسان بالصفات الإلهية التي بيّنها الله تعالى ورسوله ﷺ، وأمر المسلم بالاعتداء به سبحانه في تمثّلها، كالرحمة: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»⁽¹⁾. والمغفرة والعفو والصفح، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]، والإحسان: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، وكذا العدل، والكرم، والحياء، والجود، والستر... إلى غير ذلك من الصفات.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 298/7، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924.



ومن الأقوال الماثورة للشيخ زايد طيب الله ثراه التي تشهد لهذا المعنى قوله: "علينا أن نحسن رعاية الأبناء وتوجيههم التوجيه السليم، فكل منا مسؤول وراع، وعلينا أن نحسن هذه الرعاية كما أحسن الله رعايتنا"⁽¹⁾.

إن كمال الإنسان وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه، وذلك في اكتساب محامد الصفات؛ من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم... إلى غير ذلك من مكارم الدين، فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى⁽²⁾.

(2) إسناد دور القدوة للأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

مما يشير إلى أهمية القدوة في حياة الإنسان عمومًا أن الله تعالى أسند دور القدوة لأصفيائه من عباده؛ وهم الأنبياء والمرسلون، فكانوا منارات للناس ونماذج للقيم التي يدعون إليها، ومثال ذلك قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

وأمر الله تعالى نبيه الكريم محمدًا ﷺ بالاقتداء بهدى من سبقه من الأنبياء والمرسلين، مع أنه ﷺ سيد ولد آدم وخاتم أنبيائهم، ومع ذلك لم يكن مستثنى من الحاجة إلى القدوة؛ إذ جعل سبحانه في قصصهم وأخبارهم أبلغ

(1) الملاً، ليلي، والبلوكي، خلود، أقوال قادة دولة الإمارات العربية المتحدة في حقوق الإنسان والتسامح، ص37.

(2) ينظر: الغزالي، المقصد الأسنى، ص45، وإحياء علوم الدين، 306/4.



العبر وأعظم الأثر له ﷺ، فقال: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، وقد ذَكَرَ تعالى له ﷺ مجموعةً من الرسل عليهم السلام، ثم قال له: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ هَمُّهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: 90]، أي: هؤلاء هم الذين هَدَاهُمُ اللَّهُ؛ فبالعمل الذي عملوا، والسبيل الذي سلكوا؛ اعمل يا محمد، وخُذ به واسلكه، فإنه عملٌ لله فيه رضا، وسبيلٌ مَنْ سلكه اهتدى⁽¹⁾. وهذا يدلُّ على أَنَّ الإنسانَ مهما بلغ من درجات الرقي والكمال يبقى بحاجةٍ إلى قدوةٍ يهتدي بهديها ويتأمَّى بمنهجها.

(3) أمر الله تعالى المؤمنين بالافتداء بالنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، والافتداء به ﷺ يعني بذل الوسع في التزام هديه وتعاليمه.

وجعل الله تعالى هذا الاقتداء دليلاً عملياً على محبته سبحانه، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، أي: مَنْ كَانَ مُحِبًّا لِلَّهِ تَعَالَى لَا بَدَّ وَأَنْ يَتَّبِعَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ لَمْ تَحْصِلْ هَذِهِ الْمَتَابَعَةُ؛ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ مَا حَصَلَتْ⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 518/11، 519.

(2) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 197/8.



فإن تحققت تلك المحبة، وحصل ذلك الاقتداء، كانت الجنة هي الجزاء،
لقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمِّي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي» قالوا: يا رسول الله،
وَمَنْ يَا بِي؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»⁽¹⁾.

ومن أمثلة اقتداء الصحابة الكرام وتأسيهم بالنبي ﷺ ما روى سعيد بن
يسارٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِطَرِيقِ مَكَّةَ، قَالَ سَعِيدٌ: فَلَمَّا خَشِيتُ
الصَّبْحَ نَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ قُلْتُ: بَلَى،
قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ⁽²⁾.

(4) حَذَرُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ مِنْ اتِّخَاذِ الْقُدْوَةِ السَّيِّئَةِ:

حذر القرآن الكريم والهدي النبوي من القدوة السيئة، وطلب إلى المسلم
أن يكون حاضر الذهن منتبهاً لقدوته وأسوته، وطريقه الذي يسلكه من ورائه،
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۚ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ
الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27-29]، هذا
المشهد في اليوم الآخر يبين خطر اتخاذ القدوة السيئة، ومآلها في الآخرة، وفي آية
أخرى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا
كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 166-167]. وعن حذيفة
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً: تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 7280، 92/9.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 13271، 333/12.



أحسنًا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وُطِّئوا أنفسكم إن أحسن الناس أن
تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»⁽¹⁾.

وسائل تعزيز قيمة القدوة وتنميتها:

إن تعزيز قيمة القدوة لدى الفرد والمجتمع يحتاج عملاً دؤوباً على
مستوى الاستراتيجيات والمبادرات والتعليم والممارسة التربوية، ومن أبرز ما
يُمكن ذكره في ذلك:

1 صناعة الوعي بقيمة القدوة:

بحيث يعي الأبناء أهمية القدوة وأثرها في حياتهم، ويتعلمون كيف
يختارون قدواتهم الصالحة، وما المعايير التي يضبطون من خلالها ذلك الاختيار
بدل ميزان الانهيار، وكيف يميزون بين الغث والسمين في زمن اختلطت فيه
المؤثرات وتشابهت فيه ظواهر المخرجات، بحيث يلتزمون الجيد منها ويحذرون
ما سواه.

2 تعزيز دور القدوة الحسنة من خلال الصحبة الحسنة:

فقد تواتر عن الحكماء والعلماء الحث على صحبة الأخيار ذوي الأخلاق
والعقول، والنهي عن مصاحبة الأشرار وأهل السوء؛ لئلا يقتدي بهم أصحابهم
وتأخذ طبائعهم من طبائعهم، قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي
إذا كنتَ في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي⁽¹⁾

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2075، 538/3.



وإن المرء وإن تحرَّزَ مهما أمكنه - ولو كان صالحًا - إذا أَلَمَّ بالمرء سيء الأخلاق يقتدي به في سيرته، وتأخذ طبيعته مما انطوت عليه مفسد سيرته، وفي الحديث: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽²⁾. وفي كلام أرسطو طاليس: "الأشكال لاحقة بأشكالها، كما أن الأضداد مباينة لأضدادها". وقال: "من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه"⁽³⁾.

وقال الشاعر:

فصاحب تقيًا عالمًا تنتفع به	فصحبة أهل الخير تُرجى وتطلب
وإياك والفساق لا تصحبهم	فقرهم يُعدي وهذا مُجرب
وجانب ذوي الأوزار لا تقر بهم	فقرهم يردى، وللعرض يسلب ⁽⁴⁾

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص166.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2101، 63/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2628، 4/2026.

(3) السفاريني، غداء الألباب في شرح منظومة الآداب، 478/2.

(4) السابق.



(3) تمثل القدوة في الأسرة:

بحيث يكون الوالدان قدوة لأبنائهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ويعززان القيم لدى الأبناء من خلال النماذج المجتمعية، والقصص والأمثلة الواقعية التي تجسد نماذج إيجابية.

فالتربية بالقدوة أعمق أثراً وأكثر قبولاً من الكلام والمحاضرات، وغرس القيم والأفكار في النشء عن طريق تجسيدها في قدواتهم أقصر طريقاً من إقناعهم بالوسائل والأدوات، ومثاله ما وقع في صلح الحديبية؛ إذ امتنع الصحابة الكرام عن التحلل من الإحرام، مع أن النبي ﷺ أمرهم بذلك، لكنهم بعدما رأوا النبي ﷺ يخلق رأسه أمامهم ويهدي هديه، اقتدوا به، وفعلوا فعله (1) ﷺ.

وأوصى الشافعي أبا عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحهم إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله، ولا تكثرهم عليه فيملؤا، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روههم من الشعر أعفاه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم (2).

(1) وكان ذلك رأي أم سلمة رضي الله عنها إذ قالت: "يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدئك، وتدعو حالك فيحلقك"، فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدئه، ودعا حالفه فحلقه، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً. ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2731، 3/196.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 4/306.



(4) اعتماد القدوة وسيلة للتربية والتعليم:

القدوة مثالٌ حيٌّ مشاهدٌ، له دور محوريٌّ في التوجيه والإلهام، وتعزيز القيم والأخلاق، وتطوير الشخصية، وتقديم خلاصات التجارب، والتحفيز على العمل؛ فينظر الإنسان في طور النشأة إلى من يقتدي به نظرة إعجاب واستحسان، تدفعه إلى تقليد قدوته، واحتضان أفكاره وقيمه وأخلاقه، وجعله أنموذجاً يحتذى، فيتبع قدوته فيما رآه قد تميز به، ويعمل بنصحه، ويجتنب ما يحذر منه.

والقدوة الحسنة تجعل الإنسان يرى الوصول إلى الفضائل ممكناً، وفي مُتناولِ القُدَرَات، وذلك عندما يراها بأَمِّ عينه مُتمثلةً في قدوته، بخلاف ما لو سمع من قدوته كلاماً، ورأى ما ينافيه ويناقضه، كما قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلمُ غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصفُ الدواءَ الذي السقامُ وذو الضنى	كيما يصحَّ به وأنت سقيم
ابداً بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تُعذر إن وَعظت ويُقتدى	بالقول منك ويُقبل التعليم
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم ⁽¹⁾

(5) إبراز القدوات في المجتمع:

ويكون ذلك من خلال تكريم القدوات التي تمثل نماذج إيجابية للمجتمع، وبيان جهودهم الإيجابية في المجتمع، وتبني مشاريعهم الإبداعية، ورصد

(1) ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص34.



المكافآت والجوائز لهم، وحث الآخرين على الاقتداء بهم، وإن لدولة الإمارات في ذلك قدَم السَّبق.

(6) الاقتداء بالرموز الوطنية:

من أعظم نعم الله على هذا الوطن الغالي أن حباه بقيادة يتمتعون بالحكمة والرشد، يقدمون دائماً الأسوة الحسنة في حب الوطن والإخلاص والتفاني في خدمته، مقرونة بأعلى وأروع صور البذل والعطاء، شديداً القرب من مواطنهم في مختلف الظروف والمناسبات والمواقف، وبهذه الروح والحب شَيَّد قادتنا وقودتنا صروح وطن العطاء إمارات المحبة والوفاء⁽¹⁾.

خاتمة:

يظهر مما سبق أنَّ للقدوة دوراً مهماً في حياة الإنسان، وهي دافعٌ نحو تهذيب النفس وتزكيتها، وعنصرٌ فعَّالٌ في التنمية والتطوير، وهي من أهم الأساليب التربوية، ولا تتوقف حاجة الإنسان إلى القدوة الحسنة على امتداد الزمان والمكان.

* * *

(1) ينظر: علي العمودي، [قادتنا قدوتنا](#)، مركز الاتحاد للأخبار.



- الحب

مقدمة:

الْحُبُّ صِمَامُ أَمَانٍ يَحْفَظُ قَلْبَ صَاحِبِهِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْغُلِّ وَالْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ وَسُوءِ الظَّنِّ...، وَمِنْ مَخْتَلَفِ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ الَّتِي يَعْانِي مِنْهَا الْمُبْغِضُونَ الْمَفْتَقَرُونَ إِلَى "الْحَبِّ" هَذِهِ الْقِيَمَةُ الْعَظِيمَةُ، فَيَنْعَكِسُ افْتِقَارُهُمْ فِي مُحَاكَمَاتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَتَشْتَدُّ حَاجَتُهُمْ لِلتَّزْكِيَةِ وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ بِمَادَّةِ الْحَبِّ، وَإِقَادِ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ بِنُورِ الْحَبِّ، وَتَمْتِنُ الْعِلَاقَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ بِالْمُودَةِ وَالْإِبْتِسَامَةِ وَالْهَدِيَّةِ وَالْإِعْذَارِ وَالْمُبَادَرَةِ... وَكُلُّ مَا يَتَرَجَّمُ عَنِ الْحَبِّ.

مِنْ هُنَا كَانَ لِلْمَحَبَّةِ أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِي نَقَاءِ النُّفُوسِ وَطَهْرِهَا، وَتَزْكِيَتِهَا وَتَنْمِيَتِهَا؛ وَكَانَ الْحَبُّ طَرِيقًا إِلَى الرِّفْقِ وَاللِّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ، كَمَا أَنَّ الْكُرْهَ وَالْبَغْضَ طَرِيقَ الْعُنْفِ وَالْقَسْوَةِ وَالْأَذَى، وَمِنْ هُنَا صَارَتِ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ النَّاسِ رَأْسَ مَالِهِمُ الثَّمِينِ، وَحَبْلَهُمُ الْوَاصِلَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ، فَبِهَا يَتَرَاكُمُونَ وَيَتَقَارِبُونَ وَيَتَوَاصِلُونَ، وَإِنَّ الْبَشَرَ الْيَوْمَ فِي أَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى تَطْبِيقِ هَذِهِ الصُّورَةِ الرَّاقِيَةِ الَّتِي رَسَمَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْهَدْيُ النَّبَوِيُّ الْعَظِيمُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمْ؛ حَتَّى يَنْعَمُوا بِالسَّلَامِ وَالْأَمَانِ وَالْوَثَامِ.



تعريف الحب:

أولاً- في اللغة:

الْحُبُّ في اللغة يعود إلى الجذر اللغوي "حَبَب" الذي يأتي بمعانٍ، وأهمُّها:
1- المودة والمحبة: "الْحُبُّ نَقِيضُ الْبُغْضِ، وَالْحُبُّ: الْوِدَادُ وَالْمَحَبَّةُ،
وَكَذَلِكَ الْحُبُّ بِالْكَسْرِ"⁽¹⁾، وَالتَّحَبُّبُ: إِظْهَارُ الْحُبِّ⁽²⁾، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِ: تَوَدَّدَ،
وَتَحَابُّوا، أَي: أَحَبَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ، وَالْحُبَابُ بِالضَّم: الْحُبُّ، قَالَ
الشاعر:

فوالله ما أدري وإني لصادِقٌ أَدَاءُ عَرَانِي مِنْ حُبَابِكِ أَمْ سِحْرُ⁽³⁾

وَالْحُبَابُ -بِالْكَسْرِ- أَيْضًا الْمُحَابَّةُ وَالْمَوَادَّةُ وَالْحُبُّ، قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ:
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: يَا لَكَ الْخَيْرُ، إِنَّمَا يُدَلِّيكَ لِلْخَيْرِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا⁽⁴⁾

2- إرادة المحبوب: والمحبة: إرادة ما تراه أو تظنُّه خيرًا، وهي على ثلاثة
أوجه: محبة للذة، ومنه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: 8]،
ومحبة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ [الصف:

(1) ابن منظور، لسان العرب، 289/1، (حب).

(2) ابن سيده، المخصص، 427/3، وابن منظور، لسان العرب، 292/1، (حب).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 106/1، (حب) وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 290/1، (حب).

(4) ابن منظور، لسان العرب، 290/1، (حب).



[13]، ومحبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم⁽¹⁾.
وكلُّ محبةٍ إرادة، وليس كلُّ إرادة محبة⁽²⁾.

3- اللزوم والثبات: (حبّ) الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها: اللزوم والثبات؛ فالحب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه، والمحبّ: البعير الذي يحسر فيلزم مكانه...⁽³⁾.

ثانياً- في الاصطلاح:

يُرادُ بالحبِّ في الاصطلاح ما يضادُّ البُغْضَ⁽⁴⁾، وتتجلى صلته بمعنى التَّجَمُّع أو التَّلَازُم في تعلق القلب بالمحبوب وملازمته؛ ولهذا عُرِفَت المحبةُ بأنَّها عبارةٌ عن "الرَّغبة في المحبوب وكراهة منافرتة"⁽⁵⁾. وهذا التَّعلُّق القلبِي بالمحبوب قد يكون فطرياً، وقد يكون اختياريّاً⁽⁶⁾. ولَمَّا كان الاختيارُ لا يُتصوَّر إلا ممَّن اختصَّ من بين الخليقة بالعقل، وهو الإنسانُ، كان معنى المحبة في حقِّه إفراطاً الرِّضَا⁽⁷⁾.

ويمكن تعريف الحب قيمةً بأنه: الميل إلى المحبوب والحرص على سلامته وسعادته وتمثُّل ما يوافقُه ويرضيه من الأحوال والأقوال والأفعال، فهو بهذا الاعتبار حالة تتجاوزُ الشُّعُورَ القلبِيَّ إلى أنماطٍ من السُّلُوكِ العمليِّ، يحرص فيها

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 214، (حبّ).

(2) السابق، ص 215، (حبّ).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 26/2، وانظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 31/3.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 290-289/2.

(5) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص 55.

(6) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 256.

(7) الكفوي، الكلّيات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص 478.



المحبُّ على سلامة محبوبه، وأن ينالَ قبولَه ورضاه، ويهذب من طبعه ويثري من أخلاقه ما يجعله حقيقاً بمحبة المحبوب؛ محبةً تقابل محبته وتكافئها.

أهمية الحب:

تتجلى أهمية الحب في نقاط عدّة، منها:

(1) الحب مكوّن أساسي في علاقة الإنسان بخالقه:

وصف الله تعالى المؤمنين، فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، وكلما ارتقى الإنسان في إيمانه ازداد حباً لخالقه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]. وهذه نتيجة طبيعية في الفطرة البشرية، فحين يرى المخلوق نِعَم خالقه، ويشعر بفضله سبحانه وإحسانه، يزداد له حباً وطلاعة، فقد جُبِلَت النفوس على حبٍّ من أحسن إليها، قال ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُم مِنْ نِعْمِهِ»⁽¹⁾.

ومحبة الله تعالى أرقى أنواع الحب وأعلاها؛ لأنها تحمل على المكارم

والمعالي، ومن ذلك قول الشاعر:

هذا محال في القياس بديع	تعصي الإله وأنت تُظهر حبه
إن المحبَّ لمن يحب يطيع	لو كان حبك صادقاً لأطعته
منه وأنت لشكر ذاك مضيع ⁽²⁾	في كل يوم يتديك بنعمة

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3789، 126/6.

(2) ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، 154/1.



وقال أبو العتاهية:

أراك امرأً ترجو من الله عفوَه
فحتى متى تعصي ويعفو إلى متى
وأنتَ على ما لا يحب مقيم
تبارك ربي إنه لرحيم⁽¹⁾

وحبُّ الله تعالى له دلائل وأسباب وثمرات، منها:

(2) الاقتداء بالنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، أي: قل إن كنتم صادقين في ادِّعاء محبة الله تعالى فكونوا منقادين لأوامره، مُحْتَرِزِينَ عن مخالفته، وإذا قَامَتِ الدلالة القاطعة على نبوة محمد ﷺ وجبت متابعتُهُ، فإن لم تحصل هذه المتابعة، دَلَّ ذلك على أَنَّ تِلْكَ المحبةَ ما حَصَلَتْ⁽²⁾.

(3) الرضا عن قضاء الله تعالى وقدره:

مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ بِقَضَائِهِ، حَلَوِهِ وَمَرِّهِ؛ لِأَنَّهُ يَدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُقَدِّرُ لَهُ إِلَّا الْخَيْرَ، وَأَنَّ الْإِبْتِلَاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ تَهْدِيبٌ لِلنَّفْسِ وَتَطْهِيرٌ لَهَا مِنْ آثَارِ الْخَطَايَا، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»⁽³⁾.

(1) السابق.

(2) الرازي، التفسير الكبير، 197/8.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5641، 114/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2573، 1992/4.



(4) محبة الله ومعيته:

إذا أحبَّ شخصٌ شخصًا في الدنيا حُبًّا صادقًا؛ فإنه يسعى لإرضائه والتقرُّبِ إليه، والله المثل الأعلى؛ فإذا أخلصَ العبدُ الحبَّ لربه، فإنه يتفانى في طاعته والتزام أوامره، ومَن أحبَّه الله تعالى وفقَّه وسدد خطاه في أموره كلها، كما جاء في الحديث القدسي: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضْتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه...، وإن سألني لأعطينَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذَنَّهُ»⁽¹⁾.

(5) المحبة عند صالح أهل السماء والأرض:

المحبة والقبولُ من أعظم النِّعم التي يُنعمُ اللهُ بها على الإنسان، وهذه النعمةُ محضُ فضلٍ منه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبَّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبُّوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»⁽²⁾.

(6) الحب جزء من إيمان المسلم بنبيه ﷺ:

محبة النبي ﷺ من أصول الإيمان، وهي مقارنةٌ لمحبة الله عز وجل، وقد قرنها الله بها، وتوعَّد مَنْ قدَّمَ عليها شيئًا من الأمور المحبوبة طبعًا؛ من الأقارب

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6502، 105/8.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3209، 111/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



والأموال وغير ذلك، قال ﷺ: «لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»⁽¹⁾.

وعن عبدِ اللهِ بنِ هشامٍ ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ!» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنْ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَقَالَ: "فَدِينَاكَ بَابَانَا وَأَمَهَاتِنَا!" فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدِينَاكَ بَابَانَا وَأَمَهَاتِنَا! فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ⁽³⁾.
وفي ذلك قال أبو سفيان ﷺ: "ما رأيتُ من النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا"⁽⁴⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 15، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 44، 49/1.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6632، 129/8.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3904، 57/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1854/4، 2382.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 172/2.



ومما يزيد محبة النبي ﷺ: قراءة سيرته، وتمثُّل أخلاقه، وكثرة الصلاة والسلام عليه، وزيارة مدينته المنورة، وبذل الوسع في التزام هديته، واتباعه في أقواله وأفعاله.

(7) الحب رباط مقدّس يربط بين الناس:

يتجسد هذا الحب بين الصديق وصديقه، وبين المعلم وتلميذه، وبين الطبيب ومريضه، وبين الجار وجاره...، فيثمر مبادرة إلى الخير وحرصًا على مصلحة الغير، ووفاءً ممتدًا على طول الزمن.

والناسُ اليوم في أمسِّ الحاجةِ إلى إيقاظ هذا التحاُب فيما بينهم؛ لأنَّ المجتمعَ بالحب يرقى ويزدهر، ويكون تربة خصبة للتعايش والسلام والرحمة والمودة والإحسان...، أما من غير حبٍّ فيكون بيئة موبوءة بالأمراض النفسية والظواهر الاجتماعية السلبية.

مجالات الحب:

تتنوّع مجالات الحب وتتعدّد بتعدّد المحابِّ ومراتبها؛ ومن ذلك:

(1) حب الله ورسوله:

وهو حبٌّ يحمل صاحبه إلى التزام تعاليم القرآن العظيم، والهدي النبوي الكريم، فيثمر الفضائل والكمالات التي ترقى بالإنسان في دنياه وآخرته.



وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ حُبًّا صَادِقًا خَالصًا؛ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ» وَعَدَّ أُولَئِكَ: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»⁽¹⁾.

(2) الْحُبُّ فِي اللَّهِ:

وهو واحد من أفضل الأعمال، وأوثق عرى الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ حُبًّا لِصَاحِبِهِ»⁽²⁾.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يذكروا هذه النعمة التي امتنَّ بها عليهم؛ حيث قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، وذكَّر بها تعالى نبيَّه الكريم ﷺ فقال له: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: 63]. وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ؛ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»⁽³⁾.

وللحب في الله فوائد وثمرات، منها:

- استجلاب محبة الله تعالى:

بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ الْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، فَذَكَرَ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 16، 14/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 43، 66/1.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7323، 189/4.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 1999/4.



عليه، قال: أين تُريد؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ ترثُها؟ قال: لا، غيرَ أني أحببته في الله عزوجل، قال: فإني رسولُ الله إليك، بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه»⁽¹⁾.

- الرحمة يوم القيامة:

فالمتحابون في الله يظلمهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، لحديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»⁽²⁾.

- رفع الدرجات في الجنة:

ودليل ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا، ولم يلحق بهم؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»⁽³⁾، "فدلَّ الحديث أنَّ مَنْ أَحَبَّ عَبْدًا فِي اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَامِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي جَنَّتِهِ وَمُدْخِلُهُ مَدْخَلَهُ، وَإِنْ قَصَرَ عَنْ عَمَلِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ) يَعْنِي: فِي الْعَمَلِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَبَيَانُ هَذَا الْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُحِبُّ لِلصَّالِحِينَ وَإِنَّمَا أَحَبَّهُمْ مِنْ أَجْلِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ، وَكَانَتْ الْمَحَبَّةُ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَاعْتِقَادًا لَهَا، أَثَابَ اللَّهُ مُعْتَقِدَ ذَلِكَ ثَوَابَ الصَّالِحِينَ؛ إِذَ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهَا، وَاللَّهُ يُوتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ"⁽⁴⁾.

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2567، 4/1988.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2566، 4/1988.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6169، 8/39، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2640، 4/2034.

(4) ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 9/333.



(3) حبُّ الوطن:

وهو من أقدس أنواع الحب وأنقاها؛ فهو حبُّ فطريٍّ مركوز في كل إنسان، ويتمثل في الإخلاص للوطن، والتَّضحية من أجله، والعمل على نُصرته، والدعوة إلى استقلاله ونمائه وازدهاره. وسيأتي حديث مفصَّل عن ذلك في قيمة المواطنة قريبًا.

(4) حبُّ الحاكم:

حب رئيس الدولة من المحبة التي يورثها إحسانه واهتمامه ورحمته وسبقه في خدمة أرضه ورفاهية شعبه ورفع راية وطنه، وقد امتن الله علينا في الإمارات العربية المتحدة بحكام امتزجت محبتهم في النفوس، وفاضت بها القلوب، فقد جُبِلت النفوس على حب من أحسن إلها، وفي الحديث: «خيار أئمتكم»، أي: أمرائكم وحكامكم؛ «الذين تحبونهم ويحبونكم»، فإن التحابب من الجانبين، كل فريق يحب الآخر لما بينهم من المواصللة والتراحم وتحقيق الأهداف في بناء الوطن واستقراره وازدهاره وإسعاد أهله...؛ حتى تنعقد بينكم وبينهم مودَّة ومحبة، «ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم»⁽¹⁾، أي: تدعون لهم بالتوفيق والسداد والعزة والريادة، ويدعون لكم بالسعادة والتوفيق⁽²⁾.

والحاكم مثل الوالد، تربطه بشعبه علاقة والدية، يحنو على رعيته، ويحرص على ما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يؤذيهم ويضرهم، فيحبونه كحب الأب،

(1) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1855، 1481/3.

(2) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 4/ 65. والمنائي، فيض القدير، 3/ 463، والمباركفوري، تحفة الأحوذى، 6/ 448.



وببادلهم حباً بحب، وفي الحديث: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ؛ أَعْلَمُكُمْ**»⁽¹⁾. وقد تجسد هذا المعنى في شخصية الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه، والذي أورث سجلاً حافلاً بصفحات ثرية ناصعة من المنجزات الوطنية الباهرة التي سطرها التاريخ بأحرف من نور على مدى نحو 66 عاماً متواصلة من العطاء، واهباً نفسه لبناء وطنه وخدمة مواطنيه وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم في الحياة الكريمة الرغدة، منطلقاً في ملحمة البناء من مرحلة الصفر، فكان بحق رجل التنمية، والمعلم والقُدوة والأب لجميع أبناء وطنه وشعبه، والنموذج الذي أحبه الكثير من شعوب العالم؛ إذ جمع، رحمه الله، بين مكارم الأخلاق وعلو الهمة وسداد الرأي، إضافة للحكمة والشجاعة والرحمة⁽²⁾.

وورث هذه الوالدية الحانية والرؤية الثاقبة والأخلاق النبيلة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد رئيس الدولة، حفظه الله، الذي تابع مسيرة العطاء والبناء والتقدم والتنمية والازدهار؛ فأعطى بكل سخاء من أجل عزة وطنه وإسعاد شعبه، ولم يألُ جهداً في رعايتهم وتفقُّد أحوالهم ومشاركتهم في مناسباتهم، يكلِّوهم بعطفه في أفراحهم وأتراحهم، وارثاً هذا الحب عن والده، فأحبَّ شعبه وأحبوه.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 8، 8/1. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 313.

114/1، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 7409، 372/12.

(2) ينظر: مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، [زايد.. الأب الملمم لأبناء الوطن](#).



(5) محبة الأولاد:

وهي محبة فطرية وهيبية، ألقاها الله في قلوب الآباء والأمهات، وعظمت عندهم مع عظيم ما يحتملونه ويقاسونه لأجل أولادهم، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: 9].

ومع ذلك يحبونهم أعظم الحب، وقد روي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: «أَتَحِبُّهُ؟» فقال: يا رسول الله، أَحَبَّكَ الله كما أَحَبُّهُ! (1).

(6) محبة الوالدين:

لئن كانت محبة الوالد لولده مطبوعة فطرية؛ فمحبة الولد لوالديه مصنوعة كسبية، يتحراها الابن لوالديه وينميها بالاحترام والاهتمام والإحسان، ولذلك جاءت وصية الله تعالى بالوالدين في القرآن الكريم والهدي النبوي متكررة ومؤكدة، مقرونة بعبادته، مستوفية وجوه البر والإحسان، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخُفِّضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24].

(1) النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1870، 22/4.



7) الحب بين الأزواج:

وهذا الحب آية من آيات الله، ورزق من رزقه سبحانه، قال الله تعالى:
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، والمودة هي المحبة⁽¹⁾، أي: جعل بينكم بالمصاهرة
موددة تتوادون بها، وتتواصلون من أجلها⁽²⁾.

وقال ﷺ عن السيدة خديجة ؓ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»⁽³⁾.

ويمكن اكتسابه وتنميته وتعزيزه بين الزوجين بإحسان الخلق، والعشرة
بالمعروف، واحترام الحقوق والواجبات، والاهتمام، والإكرام... وطرق أخرى يأتي
ببيانها في طرق وآليات تعزيز قيمة الحب.

8) محبة الأرحام:

وتتجسد هذه المحبة وهذا الإحسان بالصلة المادية والمعنوية بين الأرحام،
والتماسك والتآزر، والحرص على إيصال النفع لهم، والتعاون لدفع الضرر عنهم،
قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: 36].

9) محبة الناس جميعاً:

وفي هذا المجال تتسع دائرة الحب زمانياً ومكانياً، فيدخل فيها محبة
الإنسان لأخيه الإنسان، على امتداد الزمان والمكان، وتتجسد باحترام الإنسان
حق أخيه الإنسان، وتقدير الاختلاف فيما بينهما، وأداء الواجب نحو المشتركات

(1) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، 359/3.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 86/20.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2435، 4/1888.



بين الناس؛ كحفظ الموارد الطبيعية، وصون الممتلكات العامة، وخدمة العلوم النافعة، وإشاعة الحب، ونشر السلام، وتعزيز القيم الراقية والأخلاق السامية في المساحات والفضاءات المفتوحة.

هذا، وللمحبة ضرورٌ أخرى ذكرها بعض أهل العلم، منها: محبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين بسراً يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا اتصال النفوس⁽¹⁾.

منافع المحبة وثمراتها:

قيمة الحب لها ثمار كثيرة، منها:

1) تحقيق تهذيب النفس وتزكيتها:

فطر الله تعالى الإنسان على المحبة، فهو يُحِبُّ أن يُحِبَّ، ويُحِبُّ أن يُحَبَّ، ويألف ويؤلف، «ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»⁽²⁾، فإذا ما أحب الإنسان رفقاً طبعه، وحسنت أخلاقه، ولأن قلبه، والمحبة: البلوغ بالود إلى حبة القلب⁽³⁾، ومن غمر الود قلبه نمت عنده الفضائل ومال إلى العطاء، ويشهد لذلك "أن الأب يحب ابنه؛ فيترتب على تلك المحبة إرادة إيصال الخير إلى ذلك الابن،

(1) ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص 7.

(2) أحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 9198، 106/15.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 291، (خلد).



فكانت هذه الإرادة أثراً من آثار تلك المحبة وثمرتها، وفائدة من فوائدها⁽¹⁾.

(2) تعزيز التعاون:

الإسلام يحثُّ على التعاون والتعااضد في كل أمرٍ فيه خيرٌ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، والحب له أثر عميق على التعاون بين الناس، فعندما يسودُ الودُّ والحب بين أفراد المجتمع يسود التفاهم والتواصل، وهذا أدعى إلى التعاون والتَّساعد الذي يمهد لدرجات عالية من الإبداع والابتكار، "وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا عمَّروا"⁽²⁾.

(3) التماسك الاجتماعي:

الحب قيمة تعمل على تعزيز الروابط بين أفراد المجتمع الواحد، مما يسهم في تماسك المجتمع وتلاحمه، وائتلاف أبنائه وتواددهم، ويعزز لديهم شعور الانتماء الذي يرسخ قيم التكافل والمسؤولية فيما بينهم، ويجدد عند أفرادهم الرغبة بالأعمال التطوعية، والمشاركة الفاعلة في الأنشطة الاجتماعية والخيرية.

(1) الرازي، التفسير الكبير، 14/282.

(2) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 257.



(4) الصحة النفسية والعقلية:

الإنسان الذي يعيش في بيئة تملؤها المحبة والتوافق والتسامح والاحترام؛ يشعر بالارتياح والأمان والاطمئنان، ويتمتع بالدعم المعنوي في السراء والضراء؛ ويكون أبعد الناس عن التوتر والقلق والاكتئاب، ويتقبل اختلاف الآخرين ويتعامل معه بهدوء وموضوعية وإيجابية؛ مما ينعكس إيجاباً على صحته النفسية والعقلية.

طرق وآليات تعزيز قيمة الحب في المجتمع:

ويمكن تنمية قيمة الحب وتعزيزها في النفس والمجتمع عن طريق:

(1) إفشاء السلام:

مما يزيد المحبة بين الناس إفشاء السلام، قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»، معناه: لا يكملُ إيمانكم ولا يصلحُ حالكم في الإيمان إلَّا بالتحاب⁽¹⁾، «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»⁽²⁾.

فالسلام أول أسباب التآلف بين الناس، ومفتاح استجلاب المودة بينهم، وفي إفشائه تمكّن الألفة بين الناس بعضهم لبعض، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حقوق الآخرين⁽³⁾.

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 36/2.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 54، 53/1.

(3) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 36/2.



(2) الهدية:

الهدية سنة نبوية، وسبب للأنس، ومظهر للحب، تشق طريق المودة إلى النفوس، وتفتح مغاليق القلوب، وتزيد المحبة بين الناس، وقد حضَّ النبي ﷺ عليها حيث قال: «تهادوا تحابوا، فإن الهدية تذهب وَحَرَ الصَّدر»⁽¹⁾، أي: غشَّه ووَسَّوَسَتْه، وقيل: هو الحقد والغضب، وقيل: أشدُّ الغضب، وقيل: العداوة⁽²⁾. وقد كان النبي ﷺ «يَقْبَلُ الهدية»⁽³⁾، ويثيب عليها، ويرغب فيها، ولو بالقليل، فكان ﷺ يقول: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»⁽⁴⁾، والكراع: ما استدقَّ من ساق الحيوان، وفي هذا حضُّ منه ﷺ على المهاداة، والصلة، والتآلف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئاً مما يُهدى إليه أو يُدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدى، وإنما أشار بالكراع وفرسن الشاة إلى المبالغة في قبول القليل من الهدية، لا إلى إعطاء الكراع والفرسن ومهاداته؛ لأنَّ أحداً لا يفعل ذلك⁽⁵⁾.

(3) الابتسامة:

قيل لرجل: إنك تلقى الناس كلَّهم بالبشر؟! فقال: كَفَّ عداوة ودفعُ ضغينة بأرخص مؤونة، وكَسَبُ مودةً بأيسر مبدول⁽⁶⁾، والابتسامة من سنن

(1) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2130، 9/4.

(2) الفاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 2013/5.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4512، 174/4، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 8714، 332/14.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2568، 153/3.

(5) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 87/7، 88.

(6) ينظر: ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، 470/3.



النبي ﷺ وأخلاقه، فقد كان ﷺ «ضَحَّاكًا بِسَامًا»⁽¹⁾، والابتسامه صدقة، قال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»⁽²⁾، والابتسامه معروف، قال ﷺ أيضًا: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلَّقَ»⁽³⁾.

(4) إظهار الاهتمام والاحترام:

مِمَّا يَزِيدُ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانُ أَنْ يُظْهِرَ كُلُّ مَنِ اهْتِمَامَهُ بِالْآخَرِ وَاحْتِرَامَهُ لَهُ، وَهَذَا مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَ ﷺ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ⁽⁴⁾.

(5) حسن الخلق:

الْخُلُقُ الْحَسَنُ سَبَبٌ لَزِيَادَةِ الْمَحَبَّةِ، فَصَاحِبُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ جَمَلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، أي: "مَحَبَّةً فِي النَّاسِ فِي الدُّنْيَا"⁽⁵⁾.

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1/314، وابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، رقم الحديث: 1750، 3/1008، وأخرجه مختصراً برقم: 1001، 2/434، وابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، رقم الحديث: 397، ص120.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 698، 1/477.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2626، 8/37.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2490، 4/267.

(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 18/261.



(6) دعوة الإنسان بأحب الأسماء إليه:

ومما يزيد المحبة بين الناس أن يدعوا بعضهم بعضًا بأحب الأسماء إليهم، قال رسول الله ﷺ - ويروى موقوفًا على عمر رضي الله عنه -: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: توسّع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وتعوده إذا مرض»⁽¹⁾.

خاتمة:

وهكذا، يظهر أن للحب أثرًا عميقًا في تهذيب النفس وتركيبتها، وتنمية الذات، وتقويم الخلق، وتعزيز الصحة النفسية والعقلية، وبناء العلاقات الاجتماعية المستدامة المفعمّة بالمحبة والإيجابية والترابط، والتي تؤدي بدورها إلى الحفاظ على تماسك المجتمع وتعاونه، وازدهار الوطن وتقدمه. وأولى الناس بهذا الحب أقربهم فأقربهم، من زوجة وولد ووالد وأخ وذي رحم وجار وزميل...، فالإحسان إليهم والاهتمام بهم والاحترام لهم والمبادرة لإكرامهم يعزز المحبة ويديم الود ويدعم البيئة الصحية في دائرة الإنسان الأولى، لينتقل منها الخير إلى محبة عامة ومودّة واسعة.

* * *

(1) الطبراني، المعجم الأوسط، رقم الحديث: 3496، 16/4.



القيمة المركزية السادسة (المواطنة)

- المواطنة

مقدمة:

المواطنة - من حيث التسمية - حديثة معاصرة؛ لكنها بمعناها وروحها قديمة في الحضارة الإنسانية والثقافة الإسلامية، فقيمة المواطنة من أهم المبادئ التي حظيت بعناية فائقة؛ انطلاقاً من عصر النبي ﷺ تأصيلاً وتنزيلاً، ومروراً بمختلف مراحل الحضارة الإسلامية، وفي هذا العصر عمل العلماء والمفكرون لتأصيل مبدأ المواطنة الذي يستوعب مختلف الانتماءات بالفهم الصحيح، والتنقية السليمة للموروث الفقهي والممارسات التاريخية، وباستيعاب المتغيرات التي حدثت في العالم، وقد تطوّر مفهوم المواطنة؛ حيث ظهر مفهوم المواطنة العالمية؛ الذي يقوم على التعددية الثقافية والحقوق الإنسانية⁽¹⁾، ففي المفهوم العالمي ترمي المواطنة إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة، وطنها العالم، وأعضاؤها أفراد البشر جميعاً، فتفرض المواطنة على كل الشعوب - مثلاً - احترام حقوق الإنسان⁽²⁾. وفي ظل التوغّل الرقمي ظهر ما يسمى بالمواطنة الرقمية؛ وهي عبارة عن مجموعة من القواعد والضوابط

(1) ينظر: الحسيني، فائزة أحمد، وسليمان، محمد عبد المنعم محمد، المواطنة (المحلية، العالمية، الرقمية)،

2022م، ص 14.

(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2462/3، (وطن).



والمعايير والأعراف والأفكار والمبادئ المتَّبعة في الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا، والتي يحتاجها المواطنون صغارًا وكبارًا؛ من أجل المساهمة في رقي الوطن⁽¹⁾.

تعريف المواطنة:

أولاً- في اللغة:

أصل المواطنة في الاشتقاق العربي مفاعلة من الوطن؛ والتي تدل على التشارك بين اثنين فأكثر في وطن، والوطن يرد في اللغة لمعانٍ عدة، منها:

- مكان الولادة أو السَّكن والإقامة.

- بلد الآباء والأجداد.

كما سيأتي ذكرها مفصلاً عند الحديث عن قيمة "الوطن".

أما المواطنة: فهي مصدر "واطنَ"، وتفيد كون المرء مواطناً من مواطني دولةٍ، وله فيها حقوق وامتيازات تكفلها له الدولة، وبالمقابل عليه الالتزام بالواجبات التي تفرضها عليه، مع عدم التمييز بين أبناء الوطن الواحد وسكانه الذين ينتمون إليه على أساس الدِّين أو اللُّغة أو العنصر أو الجنس⁽²⁾.

والوطنية: اسم مؤنَّث منسوب إلى "وَطَنَ"، يفيد حُبَّ الوطن والإخلاص والتَّضحية من أجله، ومنه: "وطنيّ" وهو - في الأصل - اسم معبر عن حُبِّ

(1) الحسيني، فائزة أحمد، ثقافة المواطنة الرقمية، رؤية تربوية، بحث منشور في مجلة تربية وبحث، المعهد الوطني للبحث في التربية، الجزائر، 2019/05/12، العدد 2، المجلد 8.

(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2462/3، (وطن).



الوطن؛ فيوصف به مَنْ يُحِبُّ وطنه ويخلص له ويضحّي من أجله، ويعمل على حمايته، ويدعو إلى استقلال بلاده، ونمائها وازدهارها.

أو مستمدّ منه؛ فيقال: نشيد وطني، وشعور وطني، وشعر وطني، وصناعة وطنية...⁽¹⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

تعدّدت اصطلاحات المواطنة وتغيّرت عبر مرور التاريخ، ويمكن الاكتفاء بإيراد بعض التعريفات حسب ما يخدم الموضوع:

- عرّفها وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي⁽²⁾ بأنها: "موروث مشترك من المبادئ والقيم والعادات والسلوكيات بين الأفراد في الدولة الواحدة، والتي تسهم في تشكيل شخصية المواطن، وتمنحها خصائص تميّزه عن غيره من المواطنين في الدول الأخرى.
- وبمعنى آخر: هي عضوية الفرد التامة والمسؤولة في الدولة، وما يترتب على تلك العضوية من واجبات ومسؤوليات"⁽³⁾.
- وعُرفت المواطنة بأنها: "علاقة بين فرد ودولة كما حددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"⁽¹⁾.

(1) السابق.

(2) هي وثيقة تضم أهم الخصائص والسلوكيات والقيم والمهارات التي ينبغي أن يتحلّى بها المواطن الإماراتي، وتهدف إلى تنشئة جيل إماراتي واع بمسؤولياته وواجباته تجاه وطنه وأسرته ومجتمعه. وقد تم اعتمادها من مجلس الوزراء في دار الاتحاد بتاريخ 27 نوفمبر 2012م. ينظر: وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، [وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي](#).

(3) السابق.



● وعُرِّفَتْ بأنها: صفة المواطن؛ والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة، بنوع خاص، بولاء المواطن لبلاده وخدمتها، والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف الوطنية،

والمواطنة الإيجابية: ولاء المواطن لوطنه، واهتمامه بالصالح العام....، والمواطن: عضو في دولة له فيها ما لأي شخص آخر من الحقوق والامتيازات التي يكفلها دستورها، وعليه ما على أي شخص آخر من الواجبات التي يفرضها ذلك الدستور⁽²⁾.

● كما عرفت بأنها "التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والاقتصادية والاجتماعية، وعليه - في الوقت ذاته - واجبات يتحتم أداؤها"⁽³⁾.

ويمكن القول إجمالاً: إنّ المواطنة هي ذلك السلوك الفردي للإنسان في صلته بالممارسات المجتمعية التي تجلّي علاقته بالحقوق والواجبات، وتمثّله السليم لها، من خلال مختلف الأنشطة والأعمال التي تخرُج من رحم الوطن، والتي تحافظ على بنيته واستقراره.

(1) The New Encyclopedia Britannica، micropaedia، library of congress، 2003، 15th edition، voume3/p332

(2) ينظر: بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (إنجليزي فرنسي عربي)، ص: 60، 62.

(3) مان، مشيل، موسوعة العلوم الاجتماعية، ص 10.



وهي الإطار النَّاطم والكلِّي الجامع والحاضن لمختلف الأفراد المكوِّنين لبنية المجتمع، بغضِّ النظر عن معتقدهم الديني أو أصلهم العرقي أو غيرها من مظاهر الاختلاف.

وهذا المعنى الاصطلاحي ليس بخارج عن المعاني اللغوية السَّابقة، فإن الإنسان يكون بينه وبين بلده ووطنه تفاعل إيجابي؛ من حيث المشاعر من جهة، والعمل والإنتاج من جهة أخرى، وهذه العلاقة تتسم بالجديَّة والعزم والمسؤولية.

وبناء عليه؛ لا يقاس صلاح المواطن بمدى تديُّنه أو وفائه لمعتقده أو حرصه على هجر غيره، بل يقاس بمدى قابليَّته للاندماج في مجتمعه، وحرصه على خدمة الوَطْن بما يحفظ حرمتَه، ويضمَّن استقراره ونماءه، ومن ذلك:

- الانتماء للوَطْن والاعتزاز به.
- المشاركة الفعالة في مبادرات بناء الوَطْن والارتقاء به في مختلف المستويات.
- الإنتاجية في العمل.
- المحافظة على الحقوق والواجبات.

أهمية المواطنة:

حظيت قيمة المواطنة في الثقافة الإسلامية بأهمية فريدة، تتجلى بما

يأتي:



(1) اهتمام القرآن الكريم بالمواطنة:

ويظهر هذا الاهتمام بشكل واضح جلي في السور والآيات المدنية، التي تميّزت بتفصيل أحكامها، ودعوتها إلى التعايش، وتحقيق السلم والاستقرار⁽¹⁾.
لقد نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ مفرقًا على مدة الرسالة النبوية (قراءة 23 عامًا)، منها 13 سنة في مكة المكرمة، و10 سنوات في المدينة المنورة، مراعيًا أحوال الناس وما تتطلبه بيئتهم، ويسد حاجتهم، ويحل مشكلاتهم، ويحقق سعادتهم، ولئن اعتنت المرحلة المكية بالبناء الفكري وركّزت على الإيمان والأخلاق وصحّحت التصورات حول الذات والحياة وعلاقة الخالق بال مخلوق؛ فإن السور المدنية عنيت بالتنمية المدنية والقضايا المجتمعية والاقتصادية والتشريعية والأخلاقية...، وإرساء دعائم التماسك المجتمعي وضبط قواعد التكافل المجتمعي والتماسك الأسري وتنظيم الأدوار وبيان الحقوق والواجبات والصلاحيات.

(2) اهتمام الأنبياء π بأداء واجباتهم نحو أوطانهم وأهلهم:

لم يكن موقف الأنبياء عليهم السلام من الحضارات التي عاصروها موقفًا سلبيًا، بمعنى: موقف المعارض لها، أو المستفيد منها دون أن يشارك في تشييدها؛ بل كان لكل منهم دورًا إيجابيًا اتسم بالمبادرة والمشاركة والمساهمة الفاعلة لبناء المدينة والحضارة، ومن ذلك:

(1) ينظر: الخضري، محمد، تاريخ التشريع الإسلامي، ص 12.



- سعيهم في البناء الحضاري:

جعل الله الإعمار والتطوير واحدًا من الأولويات القرآنية وغايات الوجود الإنساني: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، وتمثّل الأنبياء دور القدوة في هذا الجانب، وكانوا مساهمين في بناء الحضارات لأوطانهم وأقوامهم، وأركانًا فاعلة في تطويرها ومعالجتها وتشديد البنى التحتية لها، ومن أعمالهم:

أ- إدارة الاقتصاد: وفي القرآن ذكر لقصة سيدنا يوسف ٧، وحسن تدييره وإدارته لاقتصاد مصر في زمن صعب، كان فيه يوسف المنقذ والمنظر والمخطّط والمنقّذ.

ب- إقامة السوق: حرص النبي ﷺ أول مقدمه إلى المدينة المنورة على تأسيس الأمن والاقتصاد، فذهب ﷺ إلى سوق النبيت، ونظر إليه فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثُمَّ ذهب إلى سوق فنظر إليه، فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثُمَّ جاءه رجل فقال: بأبي أنت وأمي، إني قد رأيت موضعًا للسوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: «بلى»، فقام معه حتّى جاء موضع السوق، فلما رآه أعجبه، وركضه برجله، ثُمَّ قال: «نعم سوقكم هذا، فلا يُنتَقَض، ولا يُضربَنَّ عليه خراج»⁽¹⁾.

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 2233، 751/2، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 264/19، 586.



ويلحق بذلك: إصلاح السوق: ومثاله سيدنا شعيب عليه السلام؛
 إذ قال لقومه: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾ [هود: 85]. وكان
 عليه السلام أول من تمثّل هذا الإصلاح التجاري على المستوى
 الشخصي، فقال: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَّا إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88].

ت- إرساء التعليم: فعن مالك بن الحُوَيْرث رضي الله عنه أنه قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وآله
 في نفرٍ من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رقيقاً،
 فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجِعُوا فكونوا فيهم،
 وعَلِّمُوهُمْ، وصلُّوا، فإذا حضرتِ الصلاةُ فليؤدِّنْ لكم أحدُكم،
 وليؤمَّكم أكبرُكم»⁽¹⁾.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله فتعلّمت له كتاب
 يهود". فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله، ويقرأ له إذا كتَبَ إليه⁽²⁾.

ث- ترسيخ الأخلاق: سعى الأنبياء عليهم السلام إلى ترسيخ القيم النبيلة
 والأخلاق الفاضلة، ومعالجة العادات السيئة والأخلاق الرذيلة التي
 كانت منتشرة في المجتمعات التي أرسلوا فيها؛ مثل قتل الأولاد
 والفواحش واستضعاف الناس، ومن أبرز النماذج على ذلك عمل

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 628، 128/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:
 465/1، 674.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3645، 318/3.



سيدنا لوط عليه السلام في معالجة ظاهرة مسّت أخلاق قومه، وأمضى حياته معهم في سبيل معالجتها.

ج- العمل: كان الأنبياء يعملون، ويتحملون مسؤولياتهم نحو أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم، وحدث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لرجل جالس عنده وهو يحدث أصحابه: أدن مني... فأحدثك عن الأنبياء المذكورين في كتاب الله؛ أحدثك عن آدم؛ أنه كان عبداً حراثاً، وأحدثك عن نوح؛ أنه كان عبداً نجاراً، وأحدثك عن إدريس؛ أنه كان عبداً خياطاً، وأحدثك عن داود؛ أنه كان عبداً زراداً، وأحدثك عن موسى؛ أنه كان عبداً راعياً، وأحدثك عن إبراهيم؛ أنه كان عبداً زراعاً، وأحدثك عن صالح؛ أنه كان عبداً تاجرًا...، وأحدثك عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله؛ أنه كان يرعى غنم أهل بيته بأجساد⁽¹⁾. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»⁽²⁾.

ولم يكن ذلك العمل عند الأنبياء مجرد تحمل للمسؤولية الشخصية والعائلية؛ بل كان وسيلة إلى تحمّل المسؤولية الاجتماعية، ويشهد لذلك قول خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وآله يوم نزول الوحي؛ إذ قال لها -وأخبرها الخبر-: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فقالت له خديجة: كلاً! أبشّر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 4165، 323/4.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1966، 730/2.



الرَّحْم، وَتَصْدُقُ الْحَدِيث، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُوم، وَتَقْرِي الضَّيْف، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ⁽¹⁾.

ح- المساهمة الإدارية: ذكر القرآن الكريم ذا القرنين، ومسيره في الأرض مصلحاً ومعيناً، وذكر جهده في إدارة التعاون والتكافل المجتمعي، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۖ فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84-85]، الآيات.

- حرص الأنبياء عليهم السلام على أهل بلادهم:

كان الأنبياء عليهم السلام شركاء أقوامهم في أوطانهم، وقد ذكر القرآن هذه العلاقة الأخوية الإنسانية والوطنية التي تجمع بين الأنبياء وأقوامهم، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 105-106]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 123-124]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 141-142]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 160-161]، فبينت الآيات الرابطة الإنسانية والوطنية التي تجمع الرسل مع أقوامهم، على الرغم من أنهم لم يؤمنوا برسولهم⁽²⁾، لكنها أخوة وطنية وإنسانية تؤدي للمشاركة والتعاون والتماسك في إطار علاقة حقوق وواجبات، وما دامت

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 4/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 160، 139/1.

(2) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 173/7.



الأخوة الوطنية حاضرة، فكل ذلك يستلزم ما تدفع إليه المواطنة من محبة ومساواة وتضامن وإحساس بشعور المصير الواحد، والحرص على مصلحة الآخر.

وذكر القرآن الكريم في سبعة مواضع خوف الأنبياء عليهم السلام على أهلهم وأقوامهم، وحرصهم على مصلحتهم، وذكر في موضعين شدة حرص النبي ﷺ على قومه حتى يكاد أن يهلك نفسه لشدة حرصه على هدايتهم وسعادتهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3].

- الدعاء لأوطانهم وأهلها:

كما فعل خليل الله إبراهيم عليه السلام حين دعا لمكة - موطن زوجه وولده - بالأمن والرزق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 126]، فهذا الدعاء المبارك من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام من جوامع كلم النبوة، يبين أن الدعاء بأمن البلاد والسبل، يستتبع جميع خصال السعادة في الحياة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء؛ إذ لا أمن بدونها، كما يستتبع تحقيق مقصد عمارة الأرض، والإقبال على ما ينفع الناس⁽¹⁾.

وفي الهدي النبوي نجد الدعاء للوطن صفة ملازمة لسيدنا مُحَمَّد ﷺ، فكان يدعو لوطنه المدينة بقوله: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 715/1.



أَشَدَّ»⁽¹⁾، «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ»⁽²⁾، وفي حديث آخر: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ» يَعْنِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ⁽³⁾.

(3) اهتمام النبي ﷺ بإرساء أسس المواطنة:

من أول ما بدأ به النبي ﷺ حين وصل المدينة المنورة أن دعم الركائز الأولى للمجتمع، وضبط العلاقات الداخلية من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وحاصر أي شيء يغذي الفرقة بين أطراف المجتمع ويحيي ذكرى الفتن الداخلية⁽⁴⁾.

ثم توجه بعد ذلك إلى ضبط العلاقات بين سكان المدينة عامّة، فأرسى أسس المواطنة، فوضع وثيقة المدينة، التي تضبط العلاقات بين سكانها، وتبيّن ما للمواطنين فيها من حقوق وواجبات، فكان لهذه الوثيقة الأسبقية في هذا النوع من المواطنة المؤثقة؛ حيث لم تكن معروفة ولا معهودة من قبل، فكانت أساساً صالحاً للمواطنة التعاقدية في المجتمع، واتفاقاً سلساً تداعت إليه أطرافه طواعية، للالتفاف حول المبادئ التي تضمنها ضمن دائرة التفاعل الإيجابي مع الواقع ومع مكوّنات مجتمع المدينة، وتحقيق السلم الاجتماعي

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1889، 23/3.

(2) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1374، 117/4.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2023، 749/2.

(4) ينظر: قصة الواقعة بين الأنصار - الأوس والخزرج - بذكر يوم بعث. ابن هشام، السيرة النبوية،



القائم على الاعتراف المتبادل بالحقوق والواجبات، والقبول بما يفرضه التنوع من اختلاف العقائد والمصالح وأنماط الحياة، مع وجود مرجعية حاكمة يفيء إليها الجميع حال التنازع والاختلاف⁽¹⁾.

ومما جاء فيها: «وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ... وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يَوْتَعُ [أَي: يُهْلِكُ] إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ...، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالرِّدْوَْنَ الْإِثْمَ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ»⁽²⁾.

كانت هذه الوثيقة دستوراً لمجتمع متعدد الأعراق والمعتقدات، وتجسيداً للكليات القرآنية والقيم الإسلامية الكبرى، وقد تضمنت بنودها كثيراً من مبادئ المواطنة التعاقدية؛ كحرية الدين، وحرية التنقل والتملك، ومبدأ التكافل العام، ومبدأ الدفاع المشترك، ومبدأ العدالة والمساواة أمام القانون...، وإنها لتقدم الأساس المرجعي المبدئي للمواطنة؛ فهي صيغة مواطنة تعاقدية، ودستور عادل لمجتمع تعددي أعراقاً وديانة ولغة، متضامن، يتمتع أفراداه

(1) ينظر: عبد الله بن بيه، [المواطنة الشاملة: موضوع للبحث](#)، مقالة منشورة على الموقع الرسمي لمعاليه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 503/1.



بنفس الحقوق، ويتحملون نفس الواجبات، وينتمون - مع اختلافهم - إلى مجتمع واحد⁽¹⁾.

أركان المواطنة الإيجابية:

استنادًا إلى ما تقدم من تعريفات المواطنة وما تضمّنته من حقوق وواجبات؛ يتبين أن للمواطنة الإيجابية والفعالة ثلاثة أركان رئيسة، حيثما توفرت؛ تتحول الأرض بتحقيقها إلى وطن، ويتحول الإنسان الذي يعيش عليها إلى مواطن، يُسهم في بناء وطنه واستقراره، ويسعى في رقيه وازدهاره، وهي:

1) الانتماء للأرض:

ويتضمن هذا الواجب واجبات أخرى، تتمثل في:

- الولاء للوطن:

ويقصد به - إضافة إلى الانتماء الجغرافي - شعور الفرد بارتباطه العاطفي والنفسي بوطنه، مما يجعله وفياً مخلصاً له، مهتماً بمصلحته وقضاياها، قائماً بحقه تجاهه مسؤولاً، عارفاً تاريخه ورموزه وقدواته، مطلعاً على ثقافته وعاداته وتقاليده، حريصاً على نفع أهله.

- الطاعة لولاء الأمر:

إذ لا يمكن أن تقوم المواطنة في وطن ما دون رابطة بين المواطن وسلطة الدولة ومؤسساتها، فالولاء للسلطة والقيادة يقابل الحقوق التي يتمتع بها

(1) ينظر: [إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدينية في العالم الإسلامي](#)، المحور الثاني، البنود 9 - 16.



المواطن. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

- الشعور بوحدة المصير والأخوة الوطنية:

إن الاشتراك في الوطن يكون نوعًا من الترابط بين المواطنين بعضهم ببعض، فتتكون فيما بينهم علاقة أخوية وطنية، وهذه الأخوة تستلزم على إثرها حقوق؛ كالمشاركة والمعاونة وكل ما تستلزمه لفظة الأخوة؛ فالمصالح واحدة، والجميع يشتركون في مسؤولية الحفاظ على الوطن، يلتزمون بحمايته جميعًا من التعدي والعدوان؛ لأن خيرهم يعم الجميع، والسوء أو الشر يعم الجميع أيضًا؛ لذلك لابد أن يكونوا صفاً واحداً، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمةِ إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فانقذكم منها كذلك يبينُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: 103].

فصون الأوطان أمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8].



(2) التكافؤ الاجتماعي:

ويُعد من أهم المبادئ الإنسانية والأخلاقية، ويعني تمتُّع جميع المواطنين بنفس الحقوق والواجبات بتكافؤ تام، دون تمييز أو تفرقة على أي أساس؛ من العرق أو الدين أو الجنس أو اللون، أو غير ذلك⁽¹⁾.

ومما يلزم احترامه وحفظه لتحقيق التكافؤ الاجتماعي وتنميته: حق الحياة، ومبدأ المساواة، والكرامة الإنسانية، والمسؤوليات الاجتماعية، والتعارف والاعتراف.

(3) المشاركة المثمرة:

وتعني الدور الفعال الذي يقوم به الفرد تجاه هذا الوطن؛ اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا، ومن وجوه هذه المشاركة: المبادرة إلى الخير، والسلام والتسامح، والاعتدال، وإحسان الظن بالناس، والتعاون والتكافل، والتراحم والتعاطف...

أسس المواطنة الإيجابية:

المواطنة الإيجابية تعني المشاركة الفعالة والمسؤولة لكل فرد في مجتمعه، وتقوم على مجموعة من الأسس التي تهدف إلى تعزيز التلاحم المجتمعي، والتنمية المستدامة، والارتقاء بالوطن وازدهاره.

(1) الحسيني، فائزة أحمد، وسليمان، محمد عبد المنعم محمد، المواطنة (المحلية، العالمية، الرقمية)، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 1443هـ - 2022م، (ص13).



ولقد اهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة بقيم المواطنة الإيجابية في جوانبها المختلفة، سواء منها المواطنة الجغرافية، أم المواطنة الرقمية.
أولاً- المواطنة الجغرافية:

ويمكن تحقيقها من خلال عدة أسس وقواعد تشمل ثلاثة جوانب⁽¹⁾:

- الجانب الأول: الأخلاق والسلوكيات العامة:

ويدخل تحته ما يأتي:

- أ. التحلي بالأخلاق الحميدة والسلوكيات الفاضلة: فعلى المواطن أن:
 - يتمسك بالأمانة والشرف في جميع معاملاته اليومية، ويتقيد بأخلاقيات المهنة في حياته العملية.
 - يتأدب بالآداب التي تجسد قيم التحضر والرقى، والحرص على الذوق العام.
 - يلتزم بالصدق في قوله وعمله، ويعزز من قيمة الشفافية في حياته اليومية ومعاملاته المختلفة.
 - يتحلّى بالصبر والحلم عند الشدائد، ويراعي اللين والتسامح في التعامل مع الناس.
 - يتحلّى بالكرم في أخلاقه ومعاملاته، ويتخلق بالإيثار مع أقرانه وزملائه.

ب. التقيد بالقيم الإنسانية والتسامح الديني: فعلى المواطن أن:

- يلتزم ويعمل وفق القيم الإنسانية والمبادئ الدينية.

(1) وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي.



- يحترم جميع الديانات الأخرى.
- ينتهج الاعتدال والتسامح في الدين، وفي جميع جوانب حياته،
ويبتعد عن التطرف والغلو.

ت. الاعتزاز بالعادات والتقاليد الأصيلة: فعلى المواطن أن:

- يكون مطلعًا على العادات والتقاليد الأصيلة للدولة التي كان
يتمتع بها مجتمع الآباء والأجداد.
- يطبق القيم والتقاليد الأصيلة في حياته اليومية، ويعكسها في
سلوكياته وتعاملاته مع الآخرين.
- يقدم أفضل صورة عن الهوية الوطنية للإماراتيين في حياته
اليومية، وتعامله مع الآخرين.
- يحرص على التعريف بالعادات الإماراتية، وإبراز تقاليدها
الأصيلة لغير المواطنين شكلاً ومضموناً.

ث. الاجتهاد والمثابرة: فعلى المواطن أن:

- يسعى دائماً للتفوق وتبوء أعلى المراتب في مختلف المجالات.
- يكون نموذجاً يحتذى به في جميع المحافل ومختلف الأصعدة.
- يقرن أقواله بالأفعال، ويؤمن أن النجاح رهين بالمثابرة والعمل
الجاد.

ج. الابتكار والريادة: فعلى المواطن أن:

- ينتهج التفكير المنطلق والخلاق، ويسعى دائماً للإبداع والابتكار
في مختلف جوانب حياته اليومية.
- يسعى للابتكار والريادة والتميز في عمله، ويبتعد عن الروتين.



- ينمي المعارف والمهارات التي من شأنها أن تدعم مقدرته على الإبداع والتميز.

- يطلع على كل ما هو جديد ومبتكر في مختلف المجالات.

ح. تحقيق الذات: فعلى المواطن أن:

- يضع لنفسه رؤية واضحة الأهداف والملامح، ويعمل بجِد واجتهاد في سبيل تحقيق هذه الرؤية.

- يتمتع بصحة نفسية وجسدية متوازنة، فالفرد السليم والصحيح نفسياً هو أكثر نفعاً لمجتمعه.

- يسعى باستمرار إلى تثقيف نفسه، وتوسيع مدارك فهمه، ورفع مستوى تحصيله العلمي.

- يواظب باستمرار على بناء خبراته العملية، وتوسيع معارفه في مجال اختصاصه.

- ينمي مهاراته الفردية، ويسعى باستمرار إلى اكتساب مهارات جديدة.

- يُوازن بين حياته العملية وحياته الخاصة، ويعطي عمله وأسرته القدر المناسب من الاهتمام.

خ. التمثيل خارج الدولة: فعلى المواطن أن:

- يعكس صورة إيجابية عن الدولة أثناء تواجده بالخارج من خلال حسن التعامل والتصرف.

- يحترم قوانين وبيئة وعادات وتقاليد الدول التي يزورها.



- الجانب الثاني: الأسرة والمجتمع:

ويدخل تحته ما يأتي:

أ. بناء أسرة متماسكة ومفيدة للمجتمع: فعلى المواطن أن:

- يضع لأسرته رؤية واضحة الأهداف، تحدد دور الأسرة كنسيج فعال في المجتمع.
 - يحترم ويثمن مؤسسة الزواج وأهمية تكوين أسرة، والمسؤوليات التي تترتب عليه كفرد مسؤول في هذه الأسرة.
 - يعزز بيئة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، ويدعم الاحترام المتبادل فيما بينهم.
 - يدعم الثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، ويعزز الشفافية بين أفرادها.
 - يغرس في أبنائه الوعي بالقيم الإسلامية، والأخلاق الحميدة، وضرورة التمثل بها.
 - يربي أبنائه على أهمية التمسك بالعادات والتقاليد، وضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية.
 - يغرس في أبنائه حب الوطن، والمشاعر الوطنية.
 - يغرس في أبنائه أهمية البذل والعطاء في سبيل رفعة الوطن، ويعزز من دورهم أفرادًا فاعلين في المجتمع.
- ب. ضمان الحرية لبقية أفراد المجتمع: فعلى المواطن أن:
- يحترم الآخرين في المجتمع على اختلاف فئاتهم.



- يحترم الثقافات الأخرى في المجتمع.
- يؤمن بمبدأ تكافؤ الفرص، ويتبعد عن الوساطة والمحسوبية.
- ت. التكافل والترابط الاجتماعي: فعلى المواطن أن:
 - يُعزز روح المسؤولية الاجتماعية، ويسعى للبذل في سبيل خدمة المجتمع.
 - يسعى للمشاركة في العمل التطوعي والخيري؛ بما يخدم المجتمع وأفراده.
 - يعمل في سبيل تحقيق التناغم المجتمعي، ودعم الترابط بين أفراد.
 - يسعى إلى مد يد العون للفئات الأقل حظاً في المجتمع؛ كأصحاب الهمم، والأيتام، والكبار، والفقراء.
- الجانب الثالث: الوطن:
 - ويدخل تحته ما يأتي:
 - أ. الولاء للوطن: فعلى المواطن أن:
 - يكون مخلصاً لدولة الإمارات العربية المتحدة وقيادتها.
 - يحافظ على أمن الدولة وسلامتها.
 - يكون مطيعاً لدستور الدولة وعاملاً بثوابته.
 - يؤدي كامل واجباته بصدق وأمانة.
 - ب. العلم والعمل: فعلى المواطن أن:



- يعمل بجد في سبيل رفعة الوطن، وإكمال مسيرة التقدم والتطور فيه.
- يتسلح بالعلم والمعرفة، ويتزود بالعلوم المفيدة، لتحقيق الازدهار والنماء في الدولة.
- يحرص على أداء العمل المناط به على أفضل وجه، ويجعل الإلتقان في العمل جزءاً من سلوكه الفعلي اليومي.
- ت. الوحدة والتلاحم: فعلى المواطن أن:
 - يدعم التلاحم المجتمعي في الدولة، ويعمل في سبيل تعزيز الوحدة الوطنية.
 - يدعم مفهوم الانتماء إلى دولة واحدة، وليس الانتماء إلى إمارة معينة.
 - يدعم روابط الوحدة الوطنية، ويحافظ على إنجازات الاتحاد.
- ث. احترام التشريعات: فعلى المواطن أن:
 - يبقى على اطلاع ومعرفة بمجمل القوانين واللوائح في الدولة.
 - يتقيد بالتشريعات العامة في الدولة، ويتباعد عن أي تجاوزات تخل بالأنظمة.
 - يدعم تطبيق القانون والنظام في الدولة، وإحلال الأمن فيها.
 - يجعل التقيد بالنظام أساساً لحياته بمختلف جوانبها.
- ج. الحفاظ على البيئة: فعلى المواطن أن:
 - يلتزم بجميع قوانين وتعليمات المحافظة على البيئة والسلامة العامة في الدولة وصحة أفرادها.



- يعمل من أجل تحقيق التنمية المستدامة والمحافظة على الموارد الطبيعية في البيئة.

- يستخدم الطاقة بشكل فعال ومؤثر، ويتباعد عن الإسراف والتبذير.

ح. الحفاظ على الممتلكات العامة: فعلى المواطن أن:

- يتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه المرافق العامة، ويتباعد عن العبث بها وتشويهها.

- يتبع الإرشادات والتعليمات الخاصة باستعمال المرافق العامة.

خ. الوعي بالحقوق والواجبات: فعلى المواطن أن:

- يُلمَّ بالحقوق التي كفلها له الدستور ضمن الأطر والقوانين المفروضة.

- يعمل في سبيل إتمام الواجبات المفروضة عليه مواطنًا.

- يضمن لبقية أفراد المجتمع حرية ممارسة حقوقهم وواجباتهم.

ثانيًا- المواطنة الرقمية:

- تعريفها:

ويمكن تعريف المواطنة الرقمية أنها مجموعة من المبادئ التوجيهية التي تساعد على التحلي بروح المسؤولية والوعي والحكمة عند استخدام التكنولوجيا .

- المبادئ الرئيسية للمواطنة الرقمية:

ومن خلال التعريف يظهر أن المبادئ الرئيسية للمواطنة الرقمية:



- 1- الأمن: يُركّز على أهمية منع المخاطر، وحماية النفس والآخرين.
 - 2- الحكمة: تسلّط الضوء على أهمية التعلّم مدى الحياة، والبقاء على اطلاع دائم بالمفاهيم والمتغيرات المرتبطة بالعالم الرقمي، وثقيف النفس والآخرين لاتخاذ قرارات حكيمة عند استخدام الإنترنت.
 - 3- التفاعل الاجتماعي: ويتمحور حول أهمية احترام الذات والآخرين في العالم الرقمي، لبناء وتعزيز العلاقات الاجتماعية الإيجابية والتعاونية بين المواطنين الرقميين.
- أهميتها:

يوجد في العالم مليارات الأشخاص المتصلين بالإنترنت، وتعدادهم في تزايد مستمر؛ حيث يتفاعل مستخدمو الإنترنت النشطون بانتظام من خلال استخدام العديد من التقنيات الرقمية.

يشكل هؤلاء المستخدمون لشبكة الإنترنت ما يسمى بالمجتمع الرقمي الذي يوفر فرصاً واعدة في مختلف المجالات؛ بما في ذلك: الترفيه، والتعليم، والتوظيف، والشبكات الاجتماعية.

إن استخدام الإنترنت يسهم في خلق مجتمع عالمي مترابط، بغض النظر عن موقعنا أو هويتنا، فإن جميع أعمالنا يمكن أن تؤثر بشكل كبير على الآخرين.

وكما هو الحال في أي مجتمع، فإنه من المتوقع من المواطنين أن يتصرفوا بطريقة مُعيّنة وفقاً للمعايير والقواعد والقوانين المتعارف عليها؛ حيث يشعر معظم سكان عالمنا اليوم من المواطنين الرقميين بارتياح تام تجاه التكنولوجيا، ولكن السؤال الملحّ: هل يستخدمونها بشكل مناسب؟ هل يفهمون أدوارهم



ومسؤولياتهم في المجتمع الرقمي؟ لا يمكن للمواطنين الرقميين تحقيق
الإمكانات الكاملة للتجارب الإيجابية في عالم الإنترنت إلا من خلال المواطنة
الرقمية.

- ومن صفات المواطن الرقمي أنه:

1. يتمتع بالمهارات والمعرفة اللازمة للتنقل في العالم الرقمي.
2. يستهلك المحتوى الرقمي، ويستخدم التقنيات الرقمية
بطريقة إيجابية.
3. يقوم بالمشاركة والتواصل والإسهام بإيجابية وبشكلٍ مدروس
في المجتمع الرقمي.
4. يستخدم التكنولوجيا بعناية، ويعرف الصواب من الخطأ،
ويتخذ قرارات حكيمة في أثناء ذلك.
5. يدرك أن هناك حقوقًا ومسؤوليات جدية تتعلق بالفضاء
الإلكتروني، ويقبل هذه الشروط التي من شأنها جعل الفضاء
الإلكتروني مكانًا أكثر أمانًا للجميع.

- تعزيز المواطنة الرقمية:

من الأولويات الرئيسة لتعزيز جودة الحياة الرقمية بشكلٍ عام الاهتمام

بما يأتي:

1. الصحة وجودة الحياة الرقمية: خاصة للأجيال الأكبر سنًا،
الذين لم يولدوا في العصر الرقمي، وذلك عن طريق إعداد
برامج مبسطة وموجهة لتعليمهم على طرق استخدام



التكنولوجيا وأهم ميزات ومخاطرها، مشتملاً ذلك التدريب على الاستخدام الأمثل للهواتف الذكية، والحواسيب، وبرامج التواصل الاجتماعي.

ويمكن أن يساعدهم كذلك اقتناء الأجهزة المناسبة، التي تكون أكثر بساطة ووضوحاً من حيث حجم الشاشة والأزرار والتطبيقات، مع توفير خطوط اتصال هاتفي للدعم والمساندة عند الحاجة.

2. محو الأمية الرقمية: بزيادة الوعي وثقافة الأفراد حول التكنولوجيا وكيفية استخدامها بطريقة مسؤولة وصحيحة.
3. فن التعامل الرقمي (الإتيكيت الرقمي): باحترام السلوك المقبول والإيجابي في المجتمع الرقمي.
4. الأمن الرقمي: بمراعاة الإجراءات اللازمة لضمان مجتمع رقمي آمن، يتسم بحماية النفس والبيانات من الانتهاكات وحالات الاختيال.

5. القانون الرقمي: باحترام القواعد والقوانين والتشريعات التي تحدد الإجراءات والسلوكيات والمسؤوليات الصحيحة، والآثار القانونية المترتبة في المجتمع الرقمي.

ويمكن تحقيق المواطنة الرقمية من خلال عدة أسس وقواعد مبيّنة في ميثاق قيم وسلوكيات المواطنة الرقمية الإيجابية؛ الذي أطلقه مجلس الإمارات لجودة الحياة الرقمية⁽¹⁾؛ بهدف تعزيز جودة الحياة الرقمية في الإمارات، وترسيخ مجتمع رقمي آمن وإيجابي.

(1) ينظر: [مجلس جودة الحياة الرقمية](#).



وقد نصّ الميثاق على مجموعة من القيم والسلوكيات للمواطنة الرقمية الإيجابية لدولة الإمارات، والتي يجب على جميع أفراد المجتمع من المواطنين والمقيمين الالتزام بها، وتفصيلها في البنود الآتية:

1. الإرث الإماراتي: أن ألتزم بالولاء للدولة، وأن أكون نموذجًا للقيم

والعادات والتقاليد الإماراتية والإنسانية في العالم الرقمي.

2. السمعة الرقمية: أن أمثل وطني أفضل تمثيل، وأن أدافع عن

مكتسبات وسمعة الدولة في العالم الرقمي.

3. احترام الآخرين: أن أحترم الآخرين وخصوصيتهم وملكيّتهم

الفكرية، ولا أنتمر عليهم، أو أتسبب في الضرر لعملهم أو هويتهم

الرقمية.

4. الاستثمار الإيجابي: أن أستخدم العالم الرقمي لتطوير مهاراتي،

ومواكبة التطورات، واستشراف المستقبل؛ تحقيقًا لرؤية دولة

الإمارات العربية المتحدة.

5. حسن التعامل: أن أعزز قيم التضامن والتعاطف الاجتماعي

والمعاملة بإيجابية، وأستخدم منصات التواصل الاجتماعي

بحكمة.

6. الخصوصية الرقمية: أن أحرص على حماية المعلومات

الشخصية وعدم نشرها، وأحافظ على خصوصية الآخرين.

7. مصداقية النشر: أن أتأكد من مصداقية المحتوى الذي أقوم

بنشره أو الذي أتلّقه من الآخرين، وأن أرجع إلى المصادر

الموثوقة.



8. المسؤولية والنظم: أن أكون مسؤولاً عن تعاملتي مع العالم

الرقمي، وأن أحترم القوانين والقواعد المنظمة لذلك.

9. الأخلاقيات الرقمية: أن أكون فعالاً في الحد من المحتوى الذي

يتعارض مع القيم الأخلاقية والإنسانية.

10. الاستخدام المتوازن: أن أحافظ على صحي الجسدية والنفسية

من خلال الموازنة وضبط الوقت بين العالم الافتراضي

والواقعي⁽¹⁾.

هذا، ونظراً لتطور التكنولوجيا باستمرار؛ فإن مفهوم المواطنة الرقمية ليس

ثابتاً، بل يتغير ويتطور باستمرار أيضاً، مع ثبات المبادئ الإنسانية والأخلاقية

والخطوط القيمية العريضة التي تحكم الحياة الرقمية.

خاتماً:

المواطنة مسؤولية مجتمعية ودينية، تحمل في ثناياها مجموعة من القيم

العليا، والمبادئ السامية؛ التي تنظم العلاقة بين الأفراد في الدولة، وبين الفرد

والدولة، على أساس متين وراسخ.

ولكي تتحقق المواطنة بصورة كاملة وتعطي ثمارها؛ لابد من إعمال القيم

الفرعية التي تندرج تحتها، وتعدّ تطبيقاً عملياً لها، نذكر ههنا أهمّها، وهي:

- الوطن.

- إرث زايد.

(1) مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، [10 قيم لـ \(المواطنة الإيجابية\) رقمياً](#)، 2021/1/29م.



- الانتماء والولاء.

- المسؤولية.

* * *



- الوطن

مقدمة:

الوطن موضع الميلاد، ومجمع ما يهوى الفؤاد، ومسكن الآباء والأجداد، مجرى الصبا وملعبه، وفرح الشباب وموكبه، ومراد الرزق ومطلبه، وسماء النبوغ وكوكبه، وطريق المجد ومركبه؛ وهو رأس مال الأمم⁽¹⁾، جبل الله طينه البشر على محبته، وفطرهم على الاشتياق إليه واستثقال مغادرته، وذكره القرآن واحتفى به في غير موضع، واهتم به الأنبياء وبإخوانهم الذين يسكنونهم فيه، ومدحوه، ودعوا له، واستشفوا بترابه، وأقرَّ الإسلام حبه الفطري، ودعا إلى صونه وحفظه وعمارته.

تعريف الوطن:

أولاً- في اللغة:

مفهوم الوطن في اللغة مأخوذ من "وطن"، فالوطن مصدر وطن، جمعه أوطان، ويَرِدُ لغةً في معانٍ، منها:

- مكان الولادة أو السَّكن والإقامة: فالوْطَن مكان الإنسان ومحلُّه⁽²⁾. وأَوْطَنْتُ الْأَرْضَ: اتَّخَذْتُهَا وَطَنًا⁽³⁾، ووَطَنَ بالمكان وأوطَن: أقام، والوطن: المنزل تقيم به⁽¹⁾.

(1) أحمد شوقي، أسواق الذهب، ص 9 - 18.

(2) المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، ص 489.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/120، (وطن).



- بلد الآباء والأجداد، ومنه: الوَطَنُ الأمُّ، وهو: الوَطَنُ الأصلي⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عُرِفَ الوطن بالمعنى العام بأنه: منزل الإقامة، والموطن الأصلي: هو المكان الذي ولد فيه الإنسان، أو نشأ فيه، والوطن بالمعنى الخاص: هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية⁽³⁾.

ومما تقدم من المعاني يتضح أن الوطن: هو المكان والمنزل الذي يسكنه الإنسان ويقيم فيه، بغض النظر عن كون هذا المكان هو أصل مولده أو مولد آبائه، أم لا، مكث فيه مدة طويلة، أم لا.

ويظهر أن هناك نماذج من العلاقة الوطنية؛ فهناك مقر الإقامة الأصلي الذي فيه ولادة الإنسان ومنشؤه، والذي فيه تتشكل هوية المواطن، وهناك وطن الإقامة الذي توطنه الإنسان بعد الانتقال إليه، فأصبح كمقر إقامة الأصلي، وقد يكون الوطن مقر الإقامة لمدة محددة، وكل ما سبق يترتب على إثره الحقوق والواجبات التي تحدد مواطنة الفرد.

ويمكن تعريف الوطن بأنه: بلد الإنسان؛ بحدوده الجغرافية المعترف بها دوليًا؛ يولد فيه، أو يقيم فيه وفق أسس المواطنة؛ فيخلص في حبه، وطاعة حكامه ومحبتهم، ويخضع لقوانينه وأنظمتهم، ويشارك بفاعلية في بنائه وازدهاره.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 154/13، (وطن).

(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2463/3، (وطن).

(3) صليب، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، 2/580.



أهمية الوطن:

تبرز أهمية الوطن من خلال نقاط عدّة، أهمها:

(1) ذِكرُ القرآن الكريم للوطن واحتفاؤه به:

لم ترد كلمة الوطن أو المواطنة بلفظها صراحة في القرآن الكريم، ولكن وردت بأصلها، فورد ذكر الموطن في القرآن الكريم صريحاً بمعنى الموضع، في قوله الله تعالى: ﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة:25]، وهذا أحد المعاني اللغوية للوطن كما تقدّم، أما بمعناه الاصطلاحي فقد تحدّث القرآن الكريم عن الوطن في آيات كثيرة، وذلك بذكر مرادفاته، ومن ذلك:

- الدار أو الديار:

كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر:8].

- الأرض:

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف:21]، أي: صيّرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكّنّا له في الأرض فجعلناه على خزائنها⁽¹⁾.

وفي هذا المعنى يقول أعشى بن قيس - الأعشى الكبير - صاحب المعلقة:

أَتَيْتُ النَجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ⁽¹⁾

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 65/13.



- البلد والبلاد:

كقوله تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15]، وقوله سبحانه: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: 3]، بل لقد سعى الله سبحانه سورة كاملة باسم (البلد)، وهو بمعنى الموطن والوطن، وأقسم سبحانه به حين قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: 1-2]، وهو من ذلك المعنى أيضاً.

(2) اهتمام الأنبياء π بأوطانهم:

لقد كان اهتمام الأنبياء π بأوطانهم بالغاً، وحرصهم عليها واضحاً؛ ولأجل ذلك كان من تهديدات أقوامهم لهم أن قالوا لهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: 13].

وقد اتخذ هذا الاهتمام والحرص على الأوطان صورةً عديدة، منها: إظهار حبها، ومدحها وذكر محاسنها، واستثقال مغادرتها، والشوق لها، والاستشفاء بتريتها؛ ونفصل الحديث عنها فيما يأتي:

- إظهار حب الوطن:

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال لمكة يوم ودَّعها: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ!»⁽²⁾، وفي رواية: «وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ»⁽³⁾.

(1) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، الديوان، ص 41.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3926، 723/5.

(3) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3108، 1037/2، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 18715، 10/31.



ثم كان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مَدِينَا، وَصَحَّحْهَا لَنَا»⁽¹⁾. وفعلاً؛ وضع الله حبَّ المدينة في قلبه ﷺ، فكان «إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَتَنْظُرُ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ؛ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا»⁽²⁾. "وتعجيل سيره ﷺ إذا نظر إليها من أجل أنَّ قُربَ الدار يجدد الشَّوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفي رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة"⁽³⁾.

- مدح الوطن وذكر محاسنه:

كان نبينا ﷺ يذكر محاسن المدينة ويثني عليها، ففي الحديث أنه ﷺ قال: «هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ» يَغْنِي الْمَدِينَةَ⁽⁴⁾. وفي حديث آخر: «هَذِهِ طَابَةٌ»⁽⁵⁾، و" (طيبة) - بفتح الطاء وسكون الياء - اسم مدينة النبي ﷺ، وهي (طابة) أيضاً، سماها بذلك من الطَّيِّب، وهو الزكاة والطهارة الذي هو ضد الخبث والنجاسة...، وقيل: لطيبها لساكنيها، وأمنهم بها، وسكون حال من هاجر إليها...، أو من الطيب وحسن العيش بها، من: طاب لي الشيء؛ إذا وافقني وواتاني، والطاب والطيب لغتان بمعنى واحد"⁽⁶⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1889، 23/3.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1886، 23/3.

(3) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 555/4.

(4) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2942، 203/8.

(5) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1872، 21/3.

(6) القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 326/1.



- استئصال مغادرة الوطن، والخروج منه:

لقد كان الأنبياء عليهم السلام متشبثين بأوطانهم، يصعب عليهم مفارقتها، ويشق عليهم مغادرتها، فهذا شعيب عليه السلام لما هدده قومه بإخراجه ومن معه من وطنهم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88]، يعني: هل تجبروننا على أن نخرج من أوطاننا، ونحن نكره ذلك؟⁽¹⁾ "وهذا يدل على صعوبة مفارقة الوطن"⁽²⁾.

وكذلك النبي ﷺ؛ بعد نزول الوحي قال له ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًا إذ يُخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: «أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟!» قال: نعم⁽³⁾.

وفي رواية قال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى. ولتكذبته، ولتؤذيته، ولتخرجته، ولتقاتلته⁽⁴⁾. ويلاحظ أنه "قال لرسول الله ﷺ: لتكذبته. فلم يقل له النبي ﷺ شيئًا، ثم قال: ولتؤذيته. فلم يقل له شيئًا، ثم قال: ولتخرجته، فقال: «أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟» ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس...، فلذلك تحركت نفسه ﷺ عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال:

(1) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 250/7.

(2) أبو حيان، البحر المحیط في التفسير، 112/5.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 4/1.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 222/1.



«أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟!»، والواو ترد إلى الكلام وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار أو التفجّع لكلامه أو التألم منه⁽¹⁾.

وحين خرج رسول الله ﷺ من مكة استثقل مغادرتها والخروج منها، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ⁽²⁾، يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ!»⁽³⁾.

وفي حديث آخر: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ!»⁽⁴⁾.

- الاشتياق إلى الوطن:

قص القرآن الكريم من خبر اشتياق كليم الله موسى عليه السلام إلى بلده، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29]. قال أهل التفسير: "لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله، وحن إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان تُقْتَحَمُ الأغرار، وتُرْكَبُ الأخطار، وتُعَلَّلُ الخواطر"⁽⁵⁾.

(1) السهيلي، الروض الأنف، 2/273.

(2) هو موضع بمكة عند باب الحناطين. كانت سوق مكة، فدخلت في المسجد الحرام. ينظر: الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، 2/294، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1/380.

(3) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3108، 2/1037، وأحمد، مسند أحمد ابن حنبل، رقم الحديث: 18715، 10/31.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3926، 5/723.

(5) ابن العربي، أحكام القرآن، 3/511.



كما كان نبينا ﷺ كلما سمع حديثاً عن وطنه مكة حنَّ إليها، فقد سألت عائشة ؓ يوماً أضيلاً الهذلي وقد قدم من مكة: كيف تركت مكة؟ قال: اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق إذخرها، وانتشر سلمها، فقال له رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ يَا أَصِيلُ، لَا تُحْزِنِي»⁽¹⁾، وفي رواية: «وَيْهًا يَا أَصِيلُ، دَعِ الْقُلُوبَ تَقْرُ»⁽²⁾. ولما رأى ربُّنا سبحانه وتعالى من اشتياق سيدنا ونبينا محمد ﷺ إلى مكة حيث مولده، أنزل تعالى عليه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص:85]، وكان المراد منه أن يردَّه إلى مكة، وردَّه إليها سبحانه⁽³⁾، قال العلماء: "معاد الرجل: بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده؛ وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: «نعم»، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص:85]"⁽⁴⁾.

ويوم الحديبية اشتاق المسلمون إلى زيارة مكة والبيت الحرام؛ بيت آبائهم وأجدادهم ومتعبدهم وقبلتهم، فقد مضى نحو ست سنين ولما يقضوا شيئاً من حاجات النفس المشوقة إليه، وأذكى هذا الشوق، وقوى الأمل في نفوسهم رؤيا رآها رسول الله ﷺ، فقد رأى أنهم يدخلون المسجد الحرام محلّقين رؤوسهم

(1) ينظر: السهيلي، الروض الأنف، 31/5.

(2) السابق.

(3) الرازي، التفسير الكبير، 19/25.

(4) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 226/6-227.



ومقصرين، ولكن صدتهم قريش عن البيت⁽¹⁾، ثم كان صلح الحديبية، ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الصلح قال لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد دخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك! فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا⁽²⁾.

وهذا نموذج من حب الوطن الفطري الذي كان مركزاً في قلب النبي ﷺ وصحبه، وقد فاضت قلوب الصحابة بهذا الحب لأوطانهم، وتعلموا البوح باشتياقهم إليها، فكانت لهم مشاهد كثيرة ومواقف عديدة، دلّت على تفانيهم في محبة أوطانهم والولاء لها، من ذلك: قول بلال رضي الله عنه معبراً عن شوقه لمكة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرْتُ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنُ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ
وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ⁽³⁾

فتُظهر هذه الأبيات الحزن الشديد والتأثر البالغ الذي اعتري الصحابي الجليل بلالاً رضي الله عنه على مفارقتها ووطنه مُكرهاً بعد أن أُخرج منه، فظل قلبه معلّقاً

(1) أبو شهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، 325/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2581، 974/2.

(3) السبيلي، الرّوض الأنف، 114/1.



بالأوبة والرجوع إليه، فهو إذًا تعلقٌ فطريٌّ ازداد رسوخًا بالانتساب للدين الكريم الداعي إلى التعلق بالوطن.

وبنحوه قول عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه في حبِّ مكة موطنه:

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها أمشي بلا هادي أرض بها ترسخ أوتادي⁽¹⁾

- الاستشفاء بتراب الوطن:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح. قال النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه هكذا - ووضع سبأته بالأرض ثم رفعها - وقال: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»⁽²⁾.
قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء؛ فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح. والله أعلم⁽³⁾.

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 107/2.

(2) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5413، 2168/5، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1724/4، 2194.

(3) النووي، شرح النووي على مسلم، 184/14.



وكانت العرب إذا سافرت حمّلت معها من تربة بلدها ما تستشفي به عند مرض يعرض، وتسلي به النفس عند الاشتياق إلى أرض المولد، وفي ذلك قال رجل من بني ضبية:

نسير على علم بكنه مسيرنا وعدّة زاد في بقايا المزاود
ونحمل في الأسفار منا قبيضة من البلد النائي لحب الموالد⁽¹⁾

هذا حديث عن اهتمام الأنبياء π بأوطانهم، ومحبتهم لها، وتعلّقهم بها، وقد سبق الحديث عن اهتمامهم π بأداء واجباتهم نحو أوطانهم وأهلهم، وحرصهم عليها، ودعائهم لها، ودورهم في نهضتها الحضارية.

(3) إقرار الإسلام المحبة الفطرية للوطن.

حب الوطن شعور إنساني فطري، وجبلة يشترك فيها الإنسان وغيره، فكلّ يحب وطنه وأوطانه وموطنه ومواطنه، "وفطرة الرجل معجونة بحب الوطن، ثم إن الإبل تحن إلى أوطانها، والطير إلى أوكارها"⁽²⁾. و"بحب الأوطان عمرت البلدان، وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببل المطر. وقال بقراط: يداوي كل عليل بعقاقير أرضه، وقال بعض الحكماء: عسرك في بلدك خير من يُسرك في غربتك"⁽³⁾.

(1) ابن الجوزي، مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ص 77.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، 343/2، (و ط ف)، وابن الجوزي، مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ص 78.

(3) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 117.



وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظلّه؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟! يمشي أحداً ميلاً فيرفض عرقاً كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساه، وتُقْبِلُ الرياح من كل جانب؛ فكأنه في إيوان كسرى⁽¹⁾.

والى هذا التعلُّق بالوطن يشير قول الشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (231هـ)، فيقول:

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِلْأَوَّلِ مَنْزِلِ
وأبلغ منه قول أحمد شوقي:

وطني لو شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نازعتني إليه في الخلد نفسي
أي أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها؛ لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه⁽²⁾.

هذا الميل الفطري الجبلي المتأصل في النفوس لحب الوطن والتعلُّق فيه ولو كان قفراً مستوحشاً؛ أقرّه الإسلام وراعاه، فقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث وقصص الأنبياء في ذلك، وأقربها شاهداً لهذا المعنى: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَتَنَظَّرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَأْسَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَكَهَا

(1) السابق، ص 118.

(2) عبد الرحمن الراعي، شعراء الوطنية، ص 70.



«مِنْ حُبِّهَا»⁽¹⁾. ففي هذا الحديث دلالة على مشروعية حب الوطن والحنين إليه⁽²⁾.

مظاهر محبة الوطن:

إنّ مظاهر محبة الوطن والوفاء له متعدّدة، وليس ذلك مجرد كلمات تردّد وشعارات ترفع، ولكّنها أفعال وممارسات إيجابيّة، فالحبُّ للوطن لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس؛ بل يتجلّى في الأقوال والأفعال، وأجمل ما يتجلّى به حبُّ الوطن: الاعتزاز بالانتماء الوطنيّ، وحماية الوطن والدّفاع عنه، والمشاركة المثمرة في بنائه وازدهاره، وسائر الأركان والأسس التي سبق ذكرها في المواطنة الإيجابية، وكذلك سنن الأنبياء وهدْيهم واهتمامهم بأوطانهم، وسعيهم في بنائها الحضاري، وحرصهم على بلدانهم وأهلها، وحتى الدّعاء للوطن بالحفظ والازدهار والنّماء، فالدّعاء للوطن بالخير وبسعة الرّزق سلوك إيمانيّ محمود، فيه تأسيّ بالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ومشروعيتّه متأصّلة في القرآن الكريم وفي سيرة الأنبياء ومنهجهم الزكّيّ، وهو كذلك مظهر من مظاهر المواطنة الإيجابيّة، بل هو داعٍ إلى التّعلّق بالوطن والتحقّق بمحبته، وموافقة الفطرة التي تقتضي أن يتعلّق الإنسان بوطنه فيدعو له ويدافع عنه ويبذل كلّ وسعه في سبيل رفع رايته وترسيخ مكانته.

وأُمير الشعراء أحمد شوقي له كلام جميل عن الوطن في كتابه (أسواق الذهب)، يختصر فيه كثيرًا من المشاعر والمظاهر في حب الوطن، يقول:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1886، 23/3.

(2) ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 621/3.



"الوطن موضع الميلاد، ومجمع أوطار الفؤاد، ومضجع الآباء والأجداد، الدنيا الصغرى، وعتبة الدار الأخرى... أول هواء حرك المروحتين، وأول تراب مس الراحةين، وشعاع شمس اغترق العين؛ مجرى الصبا وملعبه، وعرس الشباب وموكبه، ومراد الرزق ومطلبه، وسماء النبوغ وكوكبه، وطريق المجد ومركبه؛ أبو الآباء، مدت له الحياة فخلد، وقضى الله ألا يبقى له ولد... مدرسة الحق والواجب، يقضي العمر فيها الطالب، ويقضي وشيء منهما عنه غائب...

ومن مصالح الوطن المقدّمة، وأعباء أماناته المعظمة: صيانة بنائه، والضمانة بأشياءه، والنصيحة لأبنائه، والموت دون لوائه.

والوطن رأس مال الدول، وحظيرة الأعراض والعروض، ومحراب السنن والفروض، سيد الأديم، صفحاته التاريخ الكريم، وثَمَّ كرائم الأموال والأنفس؛ وهي غوالٍ، وثم ثمرات الرجال وضنائهم اللاتي خلف الخجال.

والوطن شركة بين الأوّل والآخر، وبين الحاضر والغابر، يدخلك فيها الميلاد، ولا يخرجك منها النفاد، فقد تحيا بك الديار وأنت بواد والحياة بواد.

والوطن مستودع المفاخر، وصوان المآثر، وخزانة الأعلاق والذخائر، لكل متقن منها موقعه، ولا ينبو بصالح فيها موضعه، فهو صحيفة الأخبار، وكتاب الأبرار، وسجل الهمم الكبار، أسماء المحسنين فيه مرفوعة، وأفعالهم مثل للخلف منصوبة، وحروف بماء الذهب مكتوبة؛ فإذا أتت السنون، ودارت على الرجال المنون؛ انفتح كتاب الوطن من نفسه وإذا الحسنات ثم على الصدق



مُحصاة، فلا الحَصاة دُرّة ولا الدُّرّة حَصاة؛ إذا الرجال يعظّمون على الأفعال،
وإذا الوقائع قد نحت منها الأبطال؛ على قدر العمل يأتي الجزاء، وبقدر جمال
الأثر يكون حسن الثناء.

وما وطن المحسنين إلا الأسرة الكبرى، والسقف الواحد والمنزل الحاشد،
القوم في ظلاله، على البر وخالله؛ أهل متصافون متناصفون، وجيران
متآلفون، قَصْدٌ في البغضاء، وبُعدٌ عن الشحناء؛ ألسنة عفيفة العذبات،
وصدور نظيفة الجنبات.

وبنو الوطن الواحد إخوة؛ وإن ذهب كل فريق بكتاب، ووصلت كل طائفة
من باب، واتبع أناس الإنجيل، وأناس اتبعوا التنزيل.

والوطن لا يتم تمامه، ولا يخلص لأهله زمامه؛ ولا يكون الدار المستقلة، ولا
الضيعة الخالصة الغلة؛ ولا يقال له البلد السيد المالك، وإن تحلى بألقاب
الدول والممالك؛ حتى يجيل العلم فيه يد العمارة، ويجمع له بين دولاب
الصناعة وسوق التجارة. فيا جيل المستقبل، وقبيل الغد المؤمل؛ حاربوا الأمية
فإنها كسح الأمم وسرطانها؛ والثغرة التي تؤتى منها أوطانها، وتذرعو بذرائع العلم
الصحيح⁽¹⁾.

(1) أحمد شوقي، أسواق الذهب، ص 9 - 18.



ختامًا:

حبُّ الوطن فطرة، والأوطان لا تقوم وتتقدم وتعلو إلا بعقول أبنائها
وسواعدهم؛ لذلك كان اكتسابهم القيم المتعلقة بالوطن والمواطنة ركيزة
أساسية للمشاركة الإيجابية والفعالة في التنمية المجتمعية⁽¹⁾.

* * *

(1) ينظر: الحسيني، فائزة أحمد، وسليمان، محمد عبد المنعم محمد، المواطنة (المحلية، العالمية، الرقمية)، ص11.



- إرث زايد - طيب الله ثراه -

مقدمة:

المواطنة قيم ومبادئ تتجسد في السلوك اليومي لأبناء الوطن، تُعزّز ترابطهم، وتنهض بهمهمهم، وتؤلف بينهم، وترتقي بوطنهم.

ولقد تجسّدت هذه القيم والمبادئ بأبهى صورها وأجلى تمثلاتها في الإرث العظيم الذي تركه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، فقد كان رائدًا في تعزيز قيم المواطنة، فأولى العلم والمعرفة أهميتهما، وأعطى القيم والأخلاق مكانتها، ورفع من شأن الموروثات الأصيلة، وحرص على بناء الإنسان والاستثمار بقدراته، وفتح قنوات التواصل والتعاون مع مختلف الثقافات والديانات، مؤسسًا بذلك لوطنٍ آمن مستقر ومزدهر، قائم على التعايش، والتسامح، وتحقيق الخير للإنسان، فأضحّت دولة الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا عالميًا فريدًا يحتذى به في كافة المجالات، وعلى جميع المستويات.

تعريف الإرث:

أولاً- في اللغة:

يطلق الإرث لغة على معان، منها:

1. البقاء، ومنه اسم الله (الوارث).



2. الأصل، والبقية، كما في قوله ﷺ: «اثبتوا على مشاعركم، فإنكم على إرث أبيكم إبراهيم»⁽¹⁾. أي أصله، وبقية منه.
3. ويطلق على الأمر القديم توارثه الآخر عن الأول.
4. كما يطلق على انتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

الذي يعيننا من تعريف الإرث هنا الإرث الاجتماعي والقيمي لا المادي، فيمكن تعريفه اصطلاحًا بأنه: ما يتركه السابق للاحق من قيم وأخلاق، ومثل ومبادئ، وحكم ومنافع، وغيرها.

قال البحري:

لك من حاتم وأوس وزيد إرث أكرومة وإرث فخار⁽³⁾

وفي اصطلاح الفقهاء يطلق الإرث على: "استحقاق الإنسان لشيء بعد موت مالكه بسبب مخصوص وشروط مخصوصة"⁽⁴⁾.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1919، 298/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 883، 221/3.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 199/2، (ورث)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 177، (ورث)، ومجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 13/1، (ورث).

(3) الأمدي، الحسين بن بشر، الموازنة بين شعراي تمام والبحري، 639/3.

(4) ينظر: ابن عابدين، الدر المختار، 499/5.



التعريف بالشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله

ثراه-⁽¹⁾:

يُعرف الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالأب المؤسس لاتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، وأول من نادى بإقامة اتحاد بين إمارات الساحل المتصالح، وهو الرئيس الأول لدولة الإمارات العربية المتحدة، تولى سموه هذا المنصب منذ قيام الدولة في الثاني من ديسمبر عام 1971 وحتى وفاته في 2004م. وشغل أيضًا منصب حاكم إمارة أبو ظبي من عام 1966 ولغاية 2004م.

مولده:

ولد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مدينة العين عام 1918، وهو الابن الرابع، وله ثلاثة من الأخوة الذكور هم: شخبوط، وهزاع، وخالد، وله أخت واحدة. حكم والده الشيخ سلطان بن زايد إمارة أبو ظبي من عام 1922 ولغاية 1926. والدته هي الشيخة سلامة بنت الشيخ بطي بن خادم بن نهيان آل حامد القبيسي.

(1) ينظر: بوابة حكومة دولة الإمارات، [الآباء المؤسسون للاتحاد، أبو ظبي، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والآثر الخالد، 100 من مقولات باني الإمارات الشيخ زايد](#) مترجمة ب5 لغات عالمية، الأمانة العامة للمجلس التنفيذي، لإمارة أبو ظبي.



حكيمته:

كان الشيخ زايد يتسم بسعة الصدر ونفاذ البصيرة وطول البال والحكمة، كما برز كمستمع ومصلح ووسيط في حل النزاعات، وهي الصفة التي لازمته طوال فترة حكمه، ولذلك لقب بـ "حكيم العرب".

إنجازاته:

إضافة إلى تأسيسه لدولة الإمارات العربية المتحدة، كان للشيخ زايد طيب الله ثراه العديد من الإنجازات على المستويين المحلي والعالمي، وفي كافة الجوانب، وعلى مختلف الصعد، من أهمها:

- التطوير العمراني والبنية التحتية:

فقد شهدت الإمارات تحت قيادة الشيخ زايد طيب الله ثراه قفزة عمرانية هائلة؛ حيث تم تطوير بنية تحتية حديثة تشمل طرقًا وجسورًا ومطارات وموانئ، منها: بناء "جسر المقطع" عام 1968 والذي يربط بين جزيرة أبوظبي والبر الرئيسي، مما ساهم في تحسين التواصل والنقل بين المناطق.

- التعليم:

أسس الشيخ زايد طيب الله ثراه العديد من المدارس والجامعات والمراكز التعليمية، مما ساهم في رفع مستوى التعليم في البلاد، من أبرزها: جامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين عام 1976، والتي تعد أول جامعة في الدولة.



- الرعاية الصحية:

بنى الشيخ زايد طيب الله ثراه شبكة من المستشفيات والعيادات والمراكز الطبية المتقدمة، مما أدى إلى تحسين الرعاية الصحية بشكل كبير في الإمارات، من أهمها: مستشفى "توام" في مدينة العين عام 1979، الذي أصبح أحد المراكز الطبية الرائدة.

- الحفاظ على البيئة:

فقد كان الشيخ زايد -طيب الله ثراه- مدافعاً عن البيئة، وحريصاً على حمايتها، فأطلق العديد من المبادرات البيئية؛ مثل: زراعة الأشجار، وحماية الحياة البرية، ومن المشاريع التي أطلقها: "زراعة مليون شجرة" في الثمانينيات، والذي ساهم في تحسين البيئة وزيادة المساحات الخضراء في الإمارات.

- تمكين المرأة:

دعم الشيخ زايد -طيب الله ثراه- حقوق المرأة، وسعى إلى تمكينها، وتعزيز دورها في المجتمع، فأتاح لها الفرص التعليمية، والوظائف، وقد تأسست جمعية "نهضة المرأة الطيبانية" في أبوظبي عام 1973، التي تهدف إلى تعزيز دور المرأة في المجتمع، وتقديم الدعم اللازم لتطويرها.

- التنمية الاقتصادية:

استثمر الشيخ زايد -طيب الله ثراه- عائدات النفط لدفع عجلة التنمية والتطوير في جميع المجالات، مما أدى إلى بناء اقتصاد قوي ومستدام، فأنشأ مشروعات تنموية ضخمة.



- السياسة الخارجية:

قاد الشيخ زايد -طيب الله ثراه- سياسة خارجية حكيمة، جعلت الإمارات تحظى بعلاقات دبلوماسية قوية مع العديد من دول العالم، وكان الشيخ زايد والشيخ جابر الأحمد الصباح أصحاب فكرة إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية في 1981م، بهدف تعزيز التعاون الخليجي، والتنسيق بينها، لما فيه خيرها ونفعها.

- العمل الخيري والإنساني:

عرف الشيخ زايد -طيب الله ثراه- بجهوده الإنسانية والخيرية، وأياديه البيضاء التي امتدت إلى مختلف دول العالم؛ حيث أسس العديد من المؤسسات الخيرية وساهم في مساعدة العديد من الدول النامية، من أهمها: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية عام 1992م، والتي تدعم العديد من المشاريع الخيرية في مجالات الصحة والتعليم والإغاثة الإنسانية.

- تعزيز الوحدة الوطنية:

عمل الشيخ زايد -طيب الله ثراه- على تعزيز التلاحم المجتمعي، والتماسك بين أبناء الإمارات، بسياسته الحكيمة، وخطواته الفريدة، فكان يعقد الاجتماعات الدورية مع المواطنين والقبائل المختلفة لتعزيز الوحدة والألفة الاجتماعية بينهم، مما ساهم في تعزيز الروابط بين مختلف فئات المجتمع الإماراتي.



فترك -طيب الله ثراه- إرثًا خالدًا لا يمحي، ما زالت دولة الإمارات تنعم به، وما زال أبنائها يرفلون في حله، ويفتخرون بمجده بين العالمين.

معالم إرث زايد رحمه الله

ولقد ترك الشيخ زايد طيب الله ثراه إرثًا وطنيًا عظيمًا، من أهم معالمه ما يأتي:

1) الحرص على تربية الأجيال، والاستثمار في الإنسان:

أكد الشيخ زايد -طيب الله ثراه- على أهمية تربية الأجيال على القيم الإيمانية، الأخلاق الراقية، والعادات الأصيلة، والأعراف النبيلة، وبناء شخصيتهم، وتقويم سلوكهم، ووقايتهم من الأفكار الدخيلة، والمعاول الهدامة، قال الشيخ زايد طيب الله ثراه: "إِنَّ الْبِلَادَ بِحَاجَةٍ إِلَى أْبْنَانِهَا؛ لِأَنَّ عَلَمَهُمْ يَعْتمِدُ الْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ، وَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُورِثَهُمْ مَا وَرِثْنَاهُ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ مِنَ الْعَادَاتِ الطَّيِّبَةِ"⁽¹⁾.

وذلك لأن الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الحقيقي، فهو عماد الوطن وسبيل نهضته، وسبب رقيّه وتقدمه، قال -طيب الله ثراه-: "بِنَاءُ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ الْاِسْتِثْمَارَاتِ فَوْقَ أَرْضِنَا، وَهُوَ الرِّكِيْزَةُ الْاَسَاسِيَّةُ لِعَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ"⁽²⁾.

وقد أكد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد -رئيس الدولة، حفظه الله- على إرث الشيخ زايد في الاستثمار في الإنسان، فقال: "كَمَا أَنَّ اِلِاسْتِثْمَارَ فِي

(1) ينظر: جريدة البيان، موقع إلكتروني، [من أقوال زايد](#).

(2) ينظر: موقع مكتب البعثات الدراسية، أقوال مأثورة، [أقوال المغفور له \(ياذن الله\) الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان](#).



الإنسان هو الاستثمار الحقيقي الذي ننشده⁽¹⁾. وجسد هذا القول بالممكنات التي أسهمت في بناء الإنسان، وفتحت له آفاق الجد والعمل.

(2) الاهتمام بالشباب:

فقد أولى الشيخ زايد - طيب الله ثراه - مرحلة الشباب أهمية بالغة، وخصها برعاية فائقة، وتوسم في الشباب آمالاً كبيرة، وحملهم مسؤولية البناء والعطاء؛ لأنهم رأس مال الوطن، وبنية حضارته، وذخر قيادته، وذلك لما يتميزون به من همة وقوة، وطموح وأمل، قال الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "إنَّ أَمَلَنَا كَبِيرٌ فِي شَبَابِنَا؛ الَّذِي يَعْرِفُ مَسْئُولِيَّاتِهِ، وَيَفْهَمُهَا، وَيَعْمَلُ بِجِدٍّ وَإِخْلَاصٍ"⁽²⁾.

ولأجل هذا حث - طيب الله ثراه - على الاهتمام بالشباب، وتسليحهم بالعلم والمعرفة، ومحاورتهم، والاستماع إلى آرائهم، ورعاية تطلعاتهم، فقال: "إنَّ الشَّبَابَ فِي حَاجَةٍ دَائِمَةٍ إِلَى الْحَوَارِ الْبِنَاءِ، وَفِي حَاجَةٍ إِلَى إِقْنَاعِهِ بِالرَّأْيِ الصَّائِبِ وَالتَّوْجِيهِ السَّلِيمِ"⁽³⁾. ليكونوا منتجين في وطنهم، مسهمين في بناء حضارته، ورفع رايته.

ولقد تمسك صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد - رئيس الدولة، حفظه الله ورعاه - بإرث الوالد المؤسس طيب الله ثراه، وعزز رؤيته، قائلاً: "إنَّ الثَّرْوَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَالْمُكْسَبَ الْفَعْلِيَّ لِلْوَطَنِ، يَكْمُنُ فِي الشَّبَابِ؛ الَّذِي يَتَسَلَّحُ بِالْعِلْمِ

(1) ينظر: مركز الاتحاد للأخبار، [رؤية محمد بن زايد... تمكين الإنسان](#).

(2) ينظر: جريدة البيان، موقع إلكتروني، محمد سبيعان، [جوهر الإخلاص](#).

(3) ينظر: جريدة الاتحاد للأخبار، [حماد الخاطري النعيمي يقابل النصوص ويفحصها في "إزالة الشبهات عن ما لحق بآثار الإمارات من تشويهات"](#).



وَالْمُعْرِفَةِ، بِاعْتِبَارِهِمَا وَسِيْلَةً وَمَنْهَجًا، يَسْعَى مِنْ خِلَالِهِمَا إِلَى بِنَاءِ الْوَطَنِ،
وَتُعْزِيزِ مَنْعَتِهِ، فِي كُلِّ مَوْقِعٍ مِنْ مَوَاقِعِ الْعَطَاءِ وَالْبِنَاءِ"⁽¹⁾.

(3) إعطاء المرأة مكانتها:

فكان الشيخ زايد - طيب الله ثراه - يدرك ما للمرأة من قيمة ومكانة، فهي
مربية الأجيال، وصانعة الرجال، وصاحبة الإنجاز والعطاء، والشريكة في
التنمية والبناء، فأوصى - طيب الله ثراه - برعايتها واحترامها، وإكرامها ومنحها
مكانتها اللائقة، مؤكداً على دورها الاجتماعي، وإسهامها الوطني، وإنجازاتها
الحضارية، والعلمية، والاجتماعية، والثقافية، قال الشيخ زايد - طيب الله
ثراه -: "إِنِّي أُشَجِّعُ عَمَلَ الْمَرْأَةِ فِي الْمَوَاقِعِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَتِهَا، وَبِمَا
يَحْفَظُ لَهَا احْتِرَامَهَا وَكِرَامَتَهَا كَأُمٍّ وَصَانِعَةٍ أَجْيَالٍ"⁽²⁾.

ولقد سارت القيادة الرشيدة في دولة الإمارات على خطا الشيخ زايد -
طيب الله ثراه -، فقدمت الكثير من المبادرات والإنجازات، وفتحت العديد من
المؤسسات في مجال رعاية المرأة وتمكينها؛ تحت رعاية كريمة من (أم الإمارات)
الشيخة فاطمة بنت مبارك - رعاها الله -.

(1) ينظر: أقوال مأثورة، أقوال صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله -،

مكتب البعثات الدراسية.

(2) ينظر: الإمارات اليوم، أقوال المؤسس.



(4) الحِص على التماسك الأسري، والتلاحم المجتمعي، والتعاون الإنساني:

فمما حرص عليه الشيخ زايد - طيب الله ثراه - تحقيق المحبة والمودة بين أفراد الأسرة الواحدة، والألفة والتواصل بين مكونات العائلة الواحدة، والترابط والتلاحم، والتعارف والتعاون بين العائلة الإنسانية، قال - طيب الله ثراه -: "الأخُّ مُحْتَاجٌ إِلَى أَخِيهِ فِي كُلِّ رُقْعَةٍ مِنْ أَرْضِ الْعُرُوبَةِ، وَاتِّصَالُ الْأَخِ بِأَخِيهِ - وَلَوْ بَعُدَتِ الْمَسَافَاتُ بَيْنَهُمَا -: شَيْءٌ مُهِمٌّ وَوَاجِبٌ"⁽¹⁾. لما لذلك من أثرٍ على التماسك الأسري، والتلاحم المجتمعي، والترابط العالمي، الذي يؤدي إلى رفعة الأوطان واستقرارها، وبناء الحضارات وازدهارها.

(5) التسلح بالعلم والأخلاق، والاستفادة من الماضي واستشراف المستقبل:

فقد ترك الشيخ زايد - طيب الله ثراه - لأبنائه إرثاً عظيماً من العلم، والأخلاق، والاستفادة من الموروث، والتطلع إلى المستقبل، وعدم الرضا بغير معالي الأمور؛ ليكونوا شامة بين الناس، وعلامة مضيئة بين الأنام، وسفراء وطنهم في العالم، ولتنبوأ دولة الإمارات مكانتها اللائقة في مقدمة دول العالم، يقول الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "بِدُونِ الْأَخْلَاقِ، وَبِدُونِ حُسْنِ السُّلُوكِ، وَبِدُونِ الْعِلْمِ؛ لَا تَسْتَطِيعُ الْأُمَمُ أَنْ تَبْنِيَ أَجْيَالَهَا، وَالْقِيَامَ بِوَاجِبِهَا، وَإِنَّمَا حَضَارَاتُ الْأُمَمِ بِالْعِلْمِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالشَّهَامَةِ، وَمَعْرِفَةِ الْمَاضِي، وَالتَّطَلُّعِ لِلْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ"⁽²⁾. فقد حث على سلوك سبيل العلم بكافة أنواعه وجميع

(1) ينظر: زايد الرقمية، [التعاون هو التأثر في كل المحن وكل شيء يحتاجه الأخ من أخيه، أقوال خالدة](#).

(2) ينظر: جريدة البيان، [من أقوال زايد رحمه الله](#).



مجالاته؛ لأنه مفتاح المعرفة، وبوابة العقل، وسبيل الرقي والتقدم، ووفر - طيب الله ثراه - كافة الوسائل للتعلُّم، فبنى المدارس، وشيّد الجامعات، وأسس المؤسسات البحثية، وشجّع على التفوق، وتحقيق المراكز الأولى في كافة المجالات، قال الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "لَقَدْ تَعَلَّمْنَا مِنْ هَذَا الْإِزْدَهَارِ؛ أَنَّ نَبِيَّ دَوْلَتِنَا مِنْ خِلَالِ التَّعْلِيمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَأَنَّ نَرْعَى أَجْيَالًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْمُتَعَلِّمِينَ"⁽¹⁾. فذلك هو البناء الحقيقي، الذي بيّنه الشيخ زايد - طيب الله ثراه - بقوله: "إِنَّ بِنَاءَ الرِّجَالِ أَصْعَبُ مِنْ بِنَاءِ الْمَصَانِعِ، وَإِنَّ الدُّوْلَ الْمُتَقَدِّمَةَ تُقَاسُ بِعَدَدِ أُنْبَاءِهَا الْمُتَعَلِّمِينَ"⁽²⁾. وعلى هذا النهج سار صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد - رئيس الدولة - حفظه الله ورعاه، ففتح للتعليم والتعلم ميادين رحبة، وجعله أولوية قصوى، قائلاً: "إِنَّ التَّعْلِيمَ يُمَثِّلُ أَوْلِيَّةً وَطَنِيَّةً قُصْوَى"⁽³⁾.

6) المحافظة على التراث الإماراتي الأصيل:

فالإرث الوطني - من عادات الآباء وتقاليدهم الأجداد - يمثل هوية المجتمع، وبصمته المتفردة التي يتميز بها عن غيره، والمحافظة عليها تمسك بالأصل والجدور، يقول الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "لَا بُدَّ مِنَ الْحِفَاطِ عَلَى تُرَاثِنَا الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَالْجُدُورُ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِأُصُولِنَا وَجُدُورِنَا الْعَمِيقَةِ"⁽⁴⁾. فقد أكد - طيب الله ثراه - على قيمة العادات والتقاليد، ووجوب

(1) ينظر: أقوال مأثورة، أقوال المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مكتب البعثات الدراسية.

(2) ينظر: جريدة البيان، رؤية زايد تستشرف مبادئ الخمسين وترسم المسار الاقتصادي.

(3) ينظر: أقوال مأثورة، أقوال صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله -، مكتب البعثات الدراسية.

(4) ينظر: الإمارات اليوم، أقوال المؤسس.



المحافظة عليها، وضرورة التمسك بها، قائلاً: "مَنْ لَيْسَ لَهُ مَاضٍ فَلَيْسَ لَهُ حَاضِرٌ"⁽¹⁾.

ويتمثل التراث الإماراتي الأصيل، باحترام الكبير، والرحمة بالصغير، والتعاون المجتمعي، والرُّقي الوطني، والبناء الحضاري، والتسلُّح بالعلم، والتحلي بالأخلاق، ومحبة ولادة الأمر وطاعتهم.

7 استثمار العقل والاهتمام بالصحة:

فالعقل والصحة من أعظم النعم التي امتنَّ الله تعالى بها على الإنسان، فبالعقل كرم الله تعالى الإنسان، وميزه عن سائر المخلوقات، وبه يعرف ربه، ويكتسب علمه، ويبني وطنه، وإن أعظم سبيل وأقوم طريق إلى سلامة العقل ونضجه؛ تغذيته بالعلوم النافعة، والقراءة الهادفة، يقول الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "الْكِتَابُ هُوَ وَعَاءُ الْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَابِ وَالْفُنُونِ، وَإِنَّ الْأُمَمَ لَا تُقَاسُ بِثُرَوَاتِهَا الْمَادِّيَّةِ وَحْدَهَا، وَإِنَّمَا تُقَاسُ بِأَصَالَتِهَا الْحَضَارِيَّةِ، وَالْكِتَابُ هُوَ أَسَاسُ هَذِهِ الْأَصَالَةِ، وَالْعَامِلُ الرَّئِيسِيُّ عَلَى تَأْكِيدِهَا"⁽²⁾.

كما أكد الشيخ زايد - طيب الله ثراه - على الاهتمام بصحة الأجسام وقوتها، وعافية الأبدان وسلامتها؛ فهي قوَّة الإنسان وركيزة تقدُّمه ورقِيَّه، قال الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "اللَّهُ مَنَحَنَا الْعُقْلَ وَالصِّحَّةَ، وَيَجِبُ أَنْ نُحْسِنَ

(1) ينظر: جريدة البيان، [من ليس له ماضٍ ليس له حاضر](#).

(2) ينظر: جريدة الخليج، [المؤسس حرص على الهوية العربية الإسلامية للأمة والمجتمع - زايد حافظ على التراث جزءاً من الخطاب السياسي للإمارات](#).



اسْتِغْلَالَهُمَا؛ لِيَرْضَى اللَّهُ عَنْنا، وَيُبَارِكَ أَعْمَالَنَا"⁽¹⁾. وذلك لأن الأوطان إنما تُبنى برقي العقول، وسلامة الأبدان.

(8) التسامح الإنساني، والتواصل الحضاري:

آمن الشيخ زايد - طيب الله ثراه - بأن الحوار هو اللغة التي يجب أن تسود بين شعوب العالم، وأن التسامح هو السبيل الوحيد للتواصل فيما بينهم، فحث - طيب الله ثراه - أبناءه على تمثل القيم الإنسانية الراقية، والبعد عن التعالي والتكبر، يقول - طيب الله ثراه -: "أَكْبَرُ نَصِيحَةٍ لِإِنْسَانِي: الْبُعْدُ عَنِ التَّكَبُّرِ، وَإِيْمَانِي بِأَنَّ الْكَبِيرَ وَالْعَظِيمَ لَا يُصَغِّرُهُ وَلَا يُضْعِفُهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ وَيَحْتَرِمَ النَّاسَ أَكْثَرُ مِمَّا يَحْتَرِمُونَهُ"⁽²⁾.

وشدد - طيب الله ثراه - على تمثل قيم العفو والصفح والتسامح في التعامل مع الناس، فهي من صفات المؤمنين، ومن هدي نبينا الرحيم ﷺ، قال - طيب الله ثراه -: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا وَمُتَسَامِحًا، أَمَّا الْقَاسِي فَهُوَ الَّذِي لَا يَرْحَمُ"⁽³⁾. وذلك لأن الإنسان أخو الإنسان؛ بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه، يقول الشيخ زايد - طيب الله ثراه -: "إِنَّا جَمِيعًا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، خَلَقَنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَسَاوَى بَيْنَنَا، وَكَانَتْ مَشِيئَتُهُ أَنْ يَخْلُقَنَا أَجْنَاسًا وَدِيَانَاتٍ مُخْتَلِفَةً، وَإِنَّ تَعَالِيمَ دِينِنَا تَدْعُو إِلَى التَّعَاوُنِ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ، مَهْمَا كَانَتْ دِيَانَتُهُ"⁽⁴⁾. وقال طيب الله ثراه: "التَّسَامُحُ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ

(1) ينظر: الإمارات اليوم، [أقوال المؤسس](#).

(2) ينظر: السابق.

(3) ينظر: جامعة زايد، [جامعة زايد تشهد زخمًا من الفعاليات احياء لليوم العالمي للتسامح](#).

(4) ينظر: الإمارات اليوم، [زايد.. نموذج ساطع للشخصية المتسامحة](#).



إِنْسَانٌ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، خَلَقَهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ مُسْلِمًا أَوْ غَيْرَ مُسْلِمٍ⁽¹⁾. فبذلك تسود المحبة، وَيَعْمُ السلام.

وفي سبيل تعزيز التواصل الحضاري، والتعايش السلمي، قام الشيخ زايد - طيب الله ثراه - بعدد من الإنجازات التي ما زالت شاهدة على إنسانيته وحكمته، من ذلك:

- افتتاح كنيسة "سانت أندروز" في أبو ظبي، عام 1968م.
- استقبال "وليم يعقوب" الرئيس الروحي للكنيسة الكاثوليكية في الإمارات والخليج، واستلام رسالة خطية منه من "البابا بولس السادس".
- استقبال المطران "براندو جريمولي" رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الجزيرة العربية، وتسلم منه رسالة من "البابا بولس السادس" بمناسبة يوم السلام العالمي، تتعلق بتدعيم التعاون والسلام بين العالمين الإسلامي والمسيحي، في 11/7/1977م.
- بناء ثلاث كنائس خدمة للطوائف المسيحية في أبو ظبي، وذلك في سبعينيات القرن الماضي.
- إصدار قوانين تتيح للأجانب المقيمين في الدولة ممارسة شعائرهم الدينية بحرية؛ وبما لا يخالف النظام العام.

(1) ينظر: جريدة الخليج، [قصة التسامح في الإمارات.. فصول ثرية وسخيا زايد](#).



- إصدار مرسوم لمكافحة الجرائم الإرهابية في 28/7/2004م، المتضمن للمادة (45)، التي تنص بعض موادها على أن: "السلم ضرورة لا يمكن التهاون مع من سعى لتجاوزه، والتسامح الديني مطلب وغاية يجب نشره وتطبيقه".

9) محبة الوطن، والسعي إلى رقيه:

دعا الشيخ زايد - طيب الله ثراه - أبناء الوطن إلى محبة وطنهم، وصدق الانتماء إليه، وتعميق الولاء له، والالتفاف حول قيادته، وتأدية الواجب تجاهه، بالمحافظة على منجزاته، وصيانة مكتسباته، والسعي على تقدمه وريادته، ورفع رايته عالية خفاقة، والذود عنه، والتضحية لأجله، قال - طيب الله ثراه -: "عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ لِتَعْمِيقِ الْإِحْسَاسِ لَدَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ هَذَا الْوَطَنِ، وَأَنْ يُؤَدِّيَ كُلُّ مُوَاطِنٍ وَاجِبَهُ، وَيُسَاهِمَ بِدَوْرِهِ فِي الْبِنَاءِ وَقُدْرَتِهِ الْخَلَاقَةِ فِي التَّهْوِضِ بِالْمُجْتَمَعِ؛ لِكَيْ يَرْفُرَفَ عَلَى رُبُوعِ الْوَطَنِ رَايَاتُ الْخَيْرِ وَالتَّقَدُّمِ وَالرِّفْعَةِ وَالْإِزْدِهَارِ"⁽¹⁾.

وقد ترك الشيخ زايد - طيب الله ثراه - لنا إرثاً عظيماً؛ وطننا نفخر به، ونعتز برفعته، ونسعى لحمايته، ورقيه وازدهاره.

استكمال المسيرة:

تمسك أبناء الشيخ زايد بإرثه من الحكمة والرؤية الثقابة والنظرة الوقادة، وساروا على نهجه، واستكملوا مسيرته - طيب الله ثراه -، فعززوا القيم

(1) ينظر: موقع برزة الشوح، [من أقوال الشيخ زايد رحمه الله](#).



التي رسخها، وأكدوا على المثل التي تبناها وغرسها، وذلك في المجالات كافة، مستلهمين ذلك من نهجه - طيب الله ثراه -؛ فعملوا على تحقيق التنوع الاقتصادي، وتطوير النظام التعليمي، وتحسين خدمات الرعاية الصحية، والاستثمار في الطاقة المتجددة، وتعزيز البنية التحتية، والحفاظ على التراث الثقافي، وتوطيد العلاقات الدولية، وتحقيق الأمن والاستقرار...، كما أسهمت القيادة الرشيدة في تعزيز الرفاهية، وتمكين المرأة، مما أدى إلى تبوء الإمارات الصدارة في العديد من المجالات.

ختامًا:

إن إرث الشيخ زايد - طيب الله ثراه - يشكل أساسًا متينًا في بناء دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد أسهم هذا الإرث العظيم في تعزيز الهوية الوطنية، والاستثمار في الإنسان، ودعم الشباب، وتمكين المرأة، والحفاظ على التراث، ونشر قيم التسامح والتعايش.

وقد تمكنت القيادة الرشيدة من السير على نهج القائد المؤسس، وتحقيق رؤية شاملة تنطلق من القيم والمبادئ الراسخة التي وضعها - طيب الله ثراه -، وهي في سعي دؤوب لمواصلة مسيرة التقدم والازدهار، مستندة في ذلك إلى هذه الأسس القوية، لتكون أنموذجًا يحتذى به في كافة المجالات، مضيئة بذلك صفحات مشرقة إلى تاريخها الحافل بالإنجازات.

وهكذا، فإن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه - ترك لنا إرثًا عظيمًا لا يقدر بثمن، يعد منارة تضيء دروب الأجيال الحالية والمستقبلية في الإمارات، فقد رسّخ فينا قيم المواطنة الإيجابية، والفعالة، وحثنا على الالتزام



بالعلم والمعرفة، وضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية، والتلاحم المجتمعي، وعزز فينا قيم التعايش والتسامح بين جميع الثقافات والأديان، مما جعل الإمارات نموذجًا يُحتذى به على مستوى العالم، وحمل أبناؤه البيرة هذا الإرث بكل فخر وأمانة، فواصلوا المسيرة، وحرى بنا أن نقتفي أثرهم، ونكون على إثرهم، فنجتهد ونعمل للمحافظة على هذا الإرث، وننشر خيره وعبقه بين الناس، لتظل دولتنا الغالية مرتكز خير، ومنطلق إحسان للعالم أجمع.

* * *



- الانتماء والولاء

الانتماء للوطن والولاء له شعور فطري متجذر في طبيعة الإنسان، يعد ركيزة أساسية في استقرار الوطن وتماسكه، ويلعب دوراً محورياً في تقدمه وازدهاره، فعندما يشعر الفرد بانتمائه لوطنه ومجتمعه، فإنه يسهم بشكل فعال في تعزيز قيم المواطنة الإيجابية؛ الفعالة والمستدامة.

تعريف الانتماء والولاء:

أولاً- في اللغة:

- الانتماء لغةً:

من مادة: "نَعَى"، يرد لمعان عدة؛ من أهمها:

1. العزُّ والانتساب: يُقال: نَمَيْتُهُ إلى أبيه وأَنْمَيْتُهُ: عزوته ونسبته⁽¹⁾.

- والولاء لغةً:

من مادة: "وَلِيَ"، يرد لمعان عدة؛ من أهمها⁽²⁾:

1. الصَّحْبَةُ والقَرَابَةُ في النسب: يقال: بينهما ولاءٌ بالفتح، أي:

قَرَابَةٌ⁽¹⁾.

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 480/5، (نَعَى)، وابن منظور، لسان العرب، 342/15، (نعي).

(2) قال ابن منظور في اللسان: "وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، قال: وهو اسمٌ يقعُ على جماعةٍ كثيرةٍ فهو: الرَّبُّ والمالك والسَّيِّدُ والمنعم والمعتق والتَّاصِرُ والمُحِبُّ والتَّابِعُ والجارُّ وابنُ العمِّ والحليفُ والعقيدُ والصَّهْرُ والمنعمُ عليه...، قال: وأكثرها قد جاءت في الحديث فيُضَافُ كُلُّ واحدٍ إلى ما يقتضيه الحديثُ الواردُ فيه". ابن منظور، لسان العرب، 409/15، (ولي).



2. القُرْبُ والدنو: يقال: دارُهُ وُلِيّ دَارِي، أي: قَرِيبَةٌ مِنْهَا⁽²⁾.

ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن تعريف الولاء والانماء للوطن بأنه: شعور الفرد بارتباطه العاطفي والنفسي بوطنه، مما يجعله وفياً مخلصاً له، مهتماً بمصلحته وقضاياها، قائماً بحقه تجاهه مسؤولاً، عارفاً تاريخه ورموزه وقدراته، مطلعاً على ثقافته وعاداته وتقاليده، حريصاً على نفع أهله⁽³⁾.

مظاهر الانتماء والولاء الوطني:

تتعدد المظاهر والتجليات التي تُبرز قيمة الانتماء والولاء للوطن، ومن ذلك:

1 حب الوطن:

دون شرط أو قيد، وذلك أن حب الوطن غريزة مودعة في نفس كل إنسان، وهو متعلّق بأرضه ووطنه الذي نشأ فيه، وهذا ما جسده النبي ﷺ عند إخراجه من مكة المكرمة، حين التفت إليها مخاطباً: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنْ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»⁽⁴⁾، ولما انتقل إلى

(1) الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2530/6، (ولي)، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 141/6، (ولي)، وابن منظور، لسان العرب، 411/15، (ولي).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 141/6، (ولي)، وينظر: الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2528/6، (ولي)، وابن منظور، لسان العرب، 411/15، (ولي)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1344.

(3) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 885.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3926، 208/6.



المدينة المنورة قال: «اللهم حَبِّبْ إلينا المَدِينَةَ كَحُبِّنا مَكَّةَ أو أَشَدَّ»⁽¹⁾. فما زال حب مكة في قلبه، وذكرها على لسانه وفي دعائه، وقد علم الله سبحانه وتعالى حب نبيه لوطنه، وشوقه إليه، فوعده بالرجوع إليه، فعن الضحاک قال: "لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجُحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]، أي: إلى مكة⁽²⁾.

2) طاعة ولي الأمر واحترام قوانين الوطن:

من أهم مظاهر الانتماء والولاء للوطن طاعة ولي الأمر، وقد أوجب الله تعالى طاعة أولي الأمر؛ لأنه بطاعتهم تنتظم أمور الدولة وأحوالها، ويكون التماسك والأمن والاستقرار، وفي ذلك تحقيقٌ للمصلحة العامة، وصونٌ لكرامة الوطن وكرامة مواطنيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

وقال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»⁽³⁾.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننزع الأمر أهله⁽¹⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1790، 667/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 118/4، 1376.

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3026/9.

(3) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2797، 1080/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1466/3، 1835.



وقد توافرت النصوص القرآنية والنبوية على تأكيد الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر، ولزوم الوفاء لهم، والتزام بيعتهم، والوعيد الشديد على مخالفتهم ومنازعتهم أو الإخلال بمقتضى بيعتهم، وأن طاعتهم فرض متعين في كل حال؛ في المنشط والمكروه، واليسر والعسر، بل جعل الشرع الحنيف طاعة ولاة الأمر دينًا وقربة وعبادة وعهدًا دينيًا ودينيًا ملزمًا. وقد منَّ الله سبحانه علينا في دولة الإمارات بحكام بررة أوفياء، قلَّ لهم نظير، وشهد لهم بالخير القريب والبعيد، وشهدت لهم أخلاقهم ومواقفهم النبيلة وإنجازاتهم العظيمة بالعدل والوفاء، والتفاني في إسعاد رعاياهم والسير على راحتهم، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة، فكان أثرهم عظيمًا، وحقهم كبيرًا، ومن حقهم: التزام طاعتهم في كل حال، والتوقير والتعظيم لهم، والثناء عليهم بالجميل، والدعاء لهم بدوام التوفيق والنجاح والفلاح.

(3) الدفاع عن الوطن:

فمن مظاهر الولاء للوطن الدفاع عنه، والذود عن حماه، وصيانتة سمعته، والدفاع عنه ضد الأخطار والاعتداءات، وهذا واجب وطني، وقد بين الله تعالى أن الدفاع عن الوطن أصل أصيل، وواجب محتتم، فقد أقر الذين يدافعون عن وطنهم، حين قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: 246]، وقد أكد النبي ﷺ على أن حماية الوطن مسؤولية مشتركة من جميع أبنائه؛ بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم، فالانتماء للوطن والدفاع عنه هو الركيزة التي يجتمع عليها أبنائه، فمما جاء في

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6774، 2633/6، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



وثيقة المدينة: "وإن بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين... وإنَّ بيَّهم النصر على مَنْ دهم يَثْرِبُ"⁽¹⁾.

والدفاع عن وطن الإمارات إنما يكون بالالتحاق بالخدمة الوطنية التي يعزز الشعور بالمسؤولية والالتزام تجاه الوطن، وغرس قيم الولاء والتضحية في نفوس المواطنين، لنيل شرف الدفاع عن إنجازات ومكاسب الاتحاد، ودفع عجلة التنمية إلى الأمام، وحماية الوطن وحدوده وموارده ومكاسبه، والحفاظ على أمنه واستقراره⁽²⁾.

(4) التعاون والتكافل بين المواطنين:

فمن أجلى صور الانتماء للوطن والولاء له، التعاون بين أبناء الوطن، وتوطيد أواصر المحبة والوئام، والتسامي والتسامح، والتكافل والتراحم والتعاضد، ومساعدة القوي والغني والقادر للضعيف والفقير وغير المستطيع، للارتقاء بالوطن، وتحقيق نموه وازدهاره، وجعله واحة أمن وأمان، ورخاء وازدهار، يعيش فيه جميع أبنائه، مثلهم في ذلك «مثلُ الجسد: إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى»⁽³⁾.

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 503/1، 504.

(2) ينظر: قانون الخدمة الوطنية، القوات المسلحة الإماراتية، موقع البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

(3) مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 1999/4.



(5) احترام التنوع والاختلاف بين أبناء الوطن:

سواء كان هذا الاختلاف في الدين أو العرق أو اللون أو غير ذلك، فمن مظاهر الولاء للوطن ولشعب الوطن احترام معتقدات المواطنين، وحماية حقهم في ممارسة شعائرهم وعباداتهم، ونبذ التمييز والكرهية على أساس اللون أو الدين أو المذهب أو الطائفة أو غير ذلك، فلا يجوز لمواطن أن يعتدي على مواطن آخر بأي نوع من الاعتداء القولي أو الفعلي، ويجب على كل مواطن أن يحترم شريكه في الوطن، فيعامله المعاملة اللائقة من الود والاحترام.

وعطفًا على ما جاء في وثيقة المدينة، قال القرافي في معرض حديثه عن حقوق المواطنين مهما كان نوع الاختلاف بينهم: "ومنها: أن من اعتدى عليهم، ولو بكلمة سوءٍ أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيَّع ما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله ﷺ"⁽¹⁾. وهذا كله واجبٌ وطني يجب الالتزام به من جميع أبناء الوطن الواحد؛ ليبقى المجتمع متماسكًا متآلفًا، بعيدًا عن النزاعات والخلافات.

(6) الافتخار بإنجازات الوطن والمشاركة في مناسباته الوطنية:

كالיום الوطني، وعيد الاتحاد، ويوم العلم، ويوم الشهيد، وغيرها من المناسبات، فالمشاركة فيها ليست مجرد تعبير عن المشاعر، بل هو فعل يجسد الالتزام بالوطن والانتماء إليه، فمن خلالها يعبر أبناء الوطن عن حُبهم لوطنهم، وفخرهم وانتمائهم له، يحتفون فيها بإرث الوطن وإنجازاته، ويجددون الولاء لقيادته، ويعززون ارتباطهم بأبناء وطنهم، ويجسدون وحدتهم، ويعززون روح

(1) القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، 27/3.



العطاء والمساهمة في بناء الوطن ونموه وازدهاره، ليكونوا جزءاً من قصة نجاح وطنهم.

(7) الحفاظ على مقدرات الوطن ومكتسباته:

فذلك من أهم الواجبات التي تقع على عاتق كل مواطن، وذلك يعكس مدى وعيه بأهمية دوره في حماية وصون وطنه، ويعزز من تماسك المجتمع وقوته، ويتجلى ذلك في حماية الموارد الطبيعية للوطن، بالاستخدام الأمثل لها، وترشيد استهلاكها، والحفاظ على مكتسباته وممتلكاته العامة والخاصة، والإسهام في اقتصاده، بدعم المنتجات المحلية، والإسهام في الأنشطة التطوعية، والمبادرات التي تهدف إلى تحسين المجتمع ودعمه، والحفاظ على التراث الثقافي للوطن، والعمل على نقله للأجيال القادمة.

(8) المحافظة على البيئة:

لا بدّ لكل وطنٍ من مكانٍ يقومُ عليه، وبيئةٍ ينعم فيها، وينبغي على كل مواطن أن يحافظ على هذه البيئة بجميع عناصرها، حتى تبقى صالحة للعيش عليها، وقابلةً لاستثمار مواردها، والانتفاع من خيراتها، وقد أكّد ديننا الحنيف على ضرورة المحافظة على البيئة، والمرافق العامة فيها، وعدم التعرّض لها بالإفساد والتخريب، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، "الفسادُ: خروجُ الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروجُ عنه أو كثيراً، ويضادّه الصّلاح"⁽¹⁾، فالإفساد في الأرض يتضمّن الاعتداء على البيئة بجميع عناصرها؛ لأنّ كلمة "الأرض" تشمل العناصر البيئية التي تهيئ للإنسان وللكائنات الحية مقومات الحياة السليمة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 636.



بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، معناه: ولا تفسدوا شيئاً في الأرض⁽¹⁾. وقد نهى النبي ﷺ عن كافة أنواع إلحاق الضرر بالبيئة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل**»⁽²⁾، وهذا نهى من النبي ﷺ عن إفساد الموارد البيئية الطبيعية؛ حتى لا يؤذى الناس، وتسلم البيئة من كل ما يؤذي إلى تلوثها وفسادها.

خاتمة:

وهكذا فإن الانتماء للوطن والولاء له من القيم التي يبنى عليها الوطن، ويتحقق استقراره وازدهاره بها، وهي دافع أصيل للعمل الجاد والتضحية من أجله، ليكون وطنًا قويًا ومزدهرًا. ومستقبله مشرقًا.

والانتماء والولاء للوطن يمثلان ركيزة أساسية في حياة المواطن، يعكسان مشاعره العميقة تجاهه، من حب وولاء، ويتمثلان في أفعاله وانجازاته التي تسهم في بناء الوطن ورفقيه، من خلال الالتزام بالقيم والمبادئ السامية، والحرص على التعاون والتكافل مع أبناء الوطن، حتى تتعزز الوحدة الوطنية، ويتحقق الازدهار والتقدم، فتكون دولة الإمارات العربية المتحدة بمساعي أبنائها المخلصين، وجهودهم الجبارة، واحة أمن وأمان، ورخاء واستقرار، وتقدم وازدهار.

* * *

(1) الرازي، التفسير الكبير، 283/14.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 26، 21/1، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 328، 268/1.



- المسؤولية

مقدمة:

المسؤولية صورة من صور المواطنة ومظهر من مظاهرها، بل لعلها واحدة من أبرز تمثّلاتها، فالمواطنة - كما تقدم - عبارة عن عضوية الفرد التامة والمسؤولة في الدولة، وما يترتب على تلك العضوية من واجبات ومسؤوليات⁽¹⁾. وتعد المسؤولية المجتمعية من أهم قواعد الحياة المجتمعية وأسسها؛ إذ تضمن للمجتمع التقدم الفردي والمجتمعي، بل إن قيمة الفرد لا تقاس حقًا إلا بميزان استشعاره المسؤولية المجتمعية تجاه نفسه وغيره، وإن ضعف أو انعدام هذا الاستشعار بالمسؤولية المجتمعية؛ هو الذي يقف وراء أي خلل يصيب روح المواطنة، كالفساد العام، وعدم المساواة، وضعف التنمية، وتقديم المصالح الفردية.

تعريف المسؤولية:

أولاً- في اللغة:

هي مصدر صناعي من "مَسْؤُول"؛ اسم المفعول من "سَأَلَ"، وتعدُّ كلمة "المسؤولية" في اللغة العربية من المصطلحات حديثة الاستعمال، فهي تعبيرٌ معاصرٌ استعمله بعض المتأخّرين؛ لذلك لا نجدُ لها وجودًا في المعاجم القديمة، ولكنها ترجع إلى الجذر "سَأَلَ".

(1) وزارة الموارد البشرية والتوطين، الموقع الإلكتروني الرسمي، [وثيقة قيم وسلوكيات المواطن الإماراتي](#).



وتأتي المسؤولية في اللغة بمعان عدة، منها:

(1) المحاسبة: فالمسؤول هو المحاسب، الذي تقع عليه تبعه عمل أو أمر ما أنيط به، وهي محدثة⁽¹⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّيهِمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: 24]، أي: قفوههم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس؛ يعني: احبسوهم إنهم محاسبون⁽²⁾، وبنحو ذلك قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، والسؤال هنا بمعنى المحاسبة، وطلب بيان سبب الفعل، وإبداء المَعذرة عن فعل بعض ما يفعل، وتخلص من ملام أو عتاب على ما يفعل. وهو مثل السؤال في الحديث⁽³⁾: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽⁴⁾.

(2) الوجوب: وقد كان بعض أهل العربية يُوجِّه معنى قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: 16]، إلى أنه معنيٌّ به: وعدًا واجبًا. وذلك أنَّ المسؤول واجب وإن لم يُسأل، كالدين. ويقول: ذلك نظير قول العرب: لأُعْطِيَنَّكَ ألفًا وعْدًا مَسْئُولًا. بمعنى أنه واجب لك، فتسأله⁽⁵⁾.

(1) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 411/1. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1020/2، (سأل).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 29/21.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 46/17.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2278، 848/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1459/3، 1829.

(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 414/17.



(3) الالتزام: ومنه يقال: مسؤولية أخلاقية، وتعني: التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، ومسؤولية جماعية: التزام تتحمله الجماعة⁽¹⁾، وفي الحديث: «ما من داعٍ دعا إلى شيء إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً له لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً» ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفافات: 24]⁽²⁾. ويقابل هذا المعنى "اللامسؤولية"، وهي: شعور المرء بأنه غير ملزم بعواقب أعماله⁽³⁾.

ثانياً- في الاصطلاح:

- عرّفت المسؤولية تعريفات عدة؛ وقد يختلف ذلك بحسب إطلاقاتها:
- (1) فالمسؤولية (بوجه عام) حال أو صفة من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته.
 - (2) وتطلق المسؤولية (أخلاقياً) على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً.
 - (3) وتطلق (قانونياً) على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير⁽⁴⁾.
- وقيل: هي ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتتها⁽⁵⁾.

بناء على ما تقدم من المعاني اللغوية يمكن أن تعرّف المسؤولية بأنها: التزام ذاتي أو مجتمعي يوجبه الفرد أو المجتمع ابتداءً، ويتحمله ملتزمه بأقصى

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1020/2.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3228، 364/5.

(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1020/2.

(4) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 411/1.

(5) لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ص316.



قدراته، ويطالب به حال التأخر أو التقصير أو الإهمال، ويسأل عنه ويحاسب عليه انتهاء، ويحمل نتيجته وتبعته.

ويمكن أن يكون معنى المسؤولية الوطنية: التزام المواطن بواجباته ومسؤولياته نحو نفسه ووطنه ومجتمعه، محبة للوطن وأهله، وانتماء وإخلاصاً له، ومشاركة في ازدهاره وتطوره.

أهمية المسؤولية:

وتبرز أهمية المسؤولية في وجوه، منها:

(1) أعظم الخلق أعظمهم مسؤولية:

فيعظم قدر الإنسان بقدر ما تعظم مسؤولياته، وتتسع صلاحياته باتساع دائرة مسؤولياته، وبقدر ما يرتفع حسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه واحترامه لها؛ يرتفع تقديره لذاته واحترامه لها، وكذلك تقدير الآخرين له منوط بشعوره بالمسؤولية، التي تشكل ركيزة أساسية في بناء الثقة بينه وبين الناس، فمن يتحمل مسؤولية مهامه وأقواله وأفعاله يظهر للآخرين بأنه جدير بالثقة به والاعتماد عليه.

(2) الإنسان مسؤول عن أقواله وأفعاله وكل ما يتعلق به أوقع

تحت تصرفه:

خلق الله تعالى الإنسان وميّزه بالعقل، وأكسبه الإرادة، ومنحه الاختيار، وحمله الأمانة، وكلفه المسؤولية، وهذا التكريم الإلهي والتسخير الكوني يستلزم الشعور بعظم المسؤولية، وثقل الأمانة تشريعاً وتكليفاً، فالمسؤولية في الثقافة



الإسلامية تنبع من التكليف، وكل معانيها تقوم على الأداء العملي والالتزام الأخلاقي.

• ففي مسؤوليته عن أقواله: قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، قال ابن عباس رضي الله عنه: "يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر؛ حتى إنه ليكتب قوله: أكلتُ، شربتُ، ذهبتُ، جئتُ، رأيتُ" ⁽¹⁾.

• وفي مسؤوليته عن أفعاله وأعماله وتصرفاته، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ

لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93]. وقال تعالى: ﴿لَيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 8].

وقد قيل:

ولو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بُعثنا ونُسأل بعد ذا عن كل شيء ⁽²⁾

• وفي مسؤوليته عن عقله وحواسه ونعم الله عليه: قال تعالى: ﴿إِنَّ

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:

36]، أي: يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب؛ فالفؤاد يسأل عما

افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع.

وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه

وبصره وفؤاده ⁽³⁾. وهو "يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الإنسان

(1) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، 3308/10.

(2) ويُعزى إلى سيدنا علي رضي الله عنه، ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 120.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 259/10.



هو المسؤول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعتمد بها إلى الطاعة والمعصية. الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهوداً عليه، وله، بما فعل من طاعة، وما ارتكب من معصية⁽¹⁾.

● وفي مسؤوليته عن ماله؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]، والمعنى: ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: من أين وصلتم إليه، وفيم أصبتموه، وماذا عملتم به؟⁽²⁾. وفي الحديث: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»⁽³⁾.

● وفي مسؤولياته عن كل ما أولاه الله وأعطاه، فقد جرت سنة الله في خلقه أنه إذا آتى عبده فقد كلّفه بقدر ما آتاه؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]، و﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 233]، فمسؤولياته تتحدد بقدر ما أعطي وبقدر ما يستطيع، ولذلك تتعدد مسؤولياته وتنوع بتعدد نعمه وتنوع أدواره، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالأُميرُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجلُ راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على

(1) الماوردي، النكت والعيون، 243/3.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان، 581/24.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2417، 612/4.



بيت بعليها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته»⁽¹⁾.
وفي الحديث "أن كل من تولى من أمر أحد شيئاً فهو مطالب بالعدل فيه، وأداء الحق الواجب، والقيام بمصلحة ما تولاه؛ كالرجل في أهل بيته، والمرأة فيما تتولاه من بيتها ومال زوجها وولده"⁽²⁾.

(3) المسؤولية أمانة ثقيلة:

ولأهمية المسؤولية وخطرها خافت السماوات والأرض والجبال من حملها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ وهي التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها؛ وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب، ﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]. فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله⁽³⁾.

أنواع المسؤولية:

للمسؤولية صور متعددة، تتصل كل صورة منها بناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، فمنها:

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2554، 150/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1459/3، 1829.

(2) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 230/6.

(3) ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 468/4.



(1) المسؤولية الدينية:

وهي التي تترتب على الأوامر التي أمر الله بها، وتعاليم الدين، ولا يكون لمخالفتها عقوبة في الدنيا، إنما تقتصر العقوبة فيها على استهجان المجتمع وتأنيب الضمير، أما عقوبتها الحقيقية فهي في الآخرة أمام الله عز وجل. ومثالها: شعور الواحد بمسؤوليته الدينية نحو ضعاف المجتمع، المتمثلة في كفالة الأرملة واليتيم، والمساهمة في علاج ورعاية المريض، ودعم المحتاج، والنفقة على المسكين...، ومسؤوليته الدينية عن أقواله وأفعاله، وحفظ علاقاته الاجتماعية أن يشوبها ما يخالف تعاليم الدين؛ مثل الغمز، واللمز، والغيبة، والنميمة، والكذب، والإخلاف بالوعد، وخيانة الأمانة، وتتبع العورات...

(2) المسؤولية الأخلاقية (الأدبية):

وهي التي تترتب عند الخروج على قواعد السلوك في المجتمع دون أن يترتب على ذلك أي أثر قانوني، فهي تتحقق حتى لو لم يلحق الغير أي ضرر، وليس لها جزاء إلا ضمير الشخص نفسه وازدراء المجتمع. ومثالها: احترام الآخرين، واحتواء المسيئ ورحمة الصغير، وإحسان عشرة الكبير، واحترام العرف والعادات والتقاليد...، وكثير منها يتداخل مع المسؤولية الدينية.

(3) المسؤولية القانونية:

وهي التي تقوم عند وقوع ضرر أو إخلال بالتزام قانوني، فيترتب عليها جزاء قانوني، تتمثل بمحاسبة الشخص على الضرر الذي أحدثه.
ومن أنواعها:

أ- المسؤولية الإدارية.



ب- المسؤولية المدنية.

ت- المسؤولية الجنائية.

(4) المسؤولية الوطنية:

وقد تقدم بيان معناها في التعريف، وأنها التزام بالواجبات والمسؤوليات الوطنية، محبة للوطن وانتماء للأرض والمجتمع، واحتراماً للتكافؤ الاجتماعي، ومشاركة مثمرة في ازدهار الوطن وتطوره.

مظاهر المسؤولية:

تقوم المسؤولية على ركائز أساسية تتمثل في الشعور بالواجب، والإخلاص في النية، والمبادرة إلى العمل، فيتجلى ذلك في مظاهر، يتمثل أبرزها في:

(1) الانضباط والالتزام:

وهو قوة وقدرة تستند إلى وعي وحزم، تدفع بالإنسان نحو الدأب والمثابرة، والحفاظ على النظام والالتزام بما يجب الالتزام به من القيم والمبادئ والسلوكات، وضبط السلوك والميول والرغبات لتبقى تحت السيطرة الذاتية، وضمن إطار الرؤية الكلية للذات والحياة، وتزوده بأسس التعقل والتوازن والدقة مما يحفظ له الثبات والكفاءة، بغض النظر عن الموافقة الداخلية المزاجية الظرفية الآنية.

وتتنوع مجالات الانضباط والالتزام بتنوع مجالات الحياة، وتختلف في تقسيمها بناء على ذلك، ولعل من أشملها ما يتبع دوائر الحياة، بدءاً من دائرة



الفرد نفسه، ومن ذلك: الانضباط الذاتي، ويدخل فيه الانضباط في مفردات الحياة الشخصية، والحياة العملية والمهنية، والحياة الاجتماعية...، والانضباط الأسري، والانضباط المجتمعي، والانضباط الوطني. والذي يُعدّ بمجموعه من أبرز مظاهر المسؤولية وتجلياتها في حياة الفرد والمجتمع.

(2) التعليم:

ويعد جزءاً من تحمل المسؤولية تجاه الآخرين؛ حيث يتضمن تقديم النصح والتوجيه لهم نحو القيم الاجتماعية السليمة، ودلالتهم على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، وإن الأنبياء عليهم السلام هم القدوة المثلى للاقتداء بهم في أمر الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وكذلك أهل كل اختصاص؛ هم قدوة في مجالهم وتخصصهم.

(3) الإتقان والإحسان:

الشّعور بالمسؤولية يقتضي أداء الواجب والإخلاص في العمل، فيتجلى بالإتقان والإحسان، وهو من صور التعبد لله والتقرب إليه، فهو ﴿الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88]، وهو ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، فإن الله يحب من عباده إتقان الأعمال على أفضل وجه ممكن، وإخراجها بأحسن صورة وأفضلها، وقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»⁽¹⁾.

(1) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، رقم الحديث: 4386، 349/7.



(4) العناية والرعاية:

ويقصد بها الاهتمام بالآخرين، وإظهار الرحمة والرأفة والشفقة بهم، كما هو حال صاحب العمل والعمال، والرجل والمرأة، والوالد والولد...، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فراه طلحة رضي الله عنه، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا؛ يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعترات عمر تتبع؟! ⁽¹⁾.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحَيِّ أغنامهم، فلما تولى المسؤولية قالت امرأة من الحي: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا! فسمعها فقال: بلى، لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه. فكان يحلب لهم ⁽²⁾.

(5) المبادرة المسؤولة:

المسؤولية تجعل الإنسان مبادراً لأداء واجبه نحو نفسه ومحيطه، حريصاً على سلامة مجتمعه، فَمَن الذي يدفع المتنقذ لإنقاذ الغريق، وإطفاء الحريق، والمسعف إلى إسعاف المصاب، والغني للصدقة على

(1) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 48/1.

(2) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 97/1.



الفقير المحتاج... كل أولئك إنما يدفعهم الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، في حين أن غيابها يجعله اتكاليًا فردانيًا متساهلاً متهاونًا غير مبالٍ.

6) تحمُّل النتائج:

من تحلى بروح المسؤولية يتحمل نتائج أعماله وأقواله، ولا يتخلص من مسؤولياته ولا يرمي غيره بأخطائه، وهذه هي مظاهر المسؤولية في الأخلاق القرآنية، يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَمَلَهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164]، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 112].

مجالات المسؤولية، وطرق الاكتساب والتعزيز:

تتعدد مجالات المسؤولية وتتنوع بتنوع العلاقات والمهام، وتقدم حديث: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽¹⁾، قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته⁽²⁾.

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2554، 150/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1459/3، 1829.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 213/12.



ويمكن إجمال أنواع المسؤولية في مجالات، ولكل مجال طرق خاصة به
للاكتساب وتعزيز:

(1) المسؤولية تجاه النفس:

ويمكن اكتسابها وتعزيزها من خلال:

- أ- التحلي بالأخلاق الحميدة والآداب والقيم الإسلامية في الأقوال والأفعال والأحوال.
- ب- احترام الواجبات، وحفظ الحقوق، وترتيب الأولويات.
- ت- رفع سوية الوعي والجد والاجتهاد علمًا وعملاً لتحقيق الذات.
- ث- الالتزام والمثابرة للتفوق والريادة والتميز.

(2) المسؤولية تجاه الأسرة:

ويتم اكتسابها وتعزيزها بالآتي:

- أ- بناؤها على قواعد صحيحة أُسريًا ومجتمعياً ودينياً.
- ب- تحمُّل المسؤوليات المادية من تأمين للسكن، وتعليم وتطبيب وغذاء وكساء... وما إلى ذلك من نفقات العائلة، ويلحق بحسن الكسب والنفقة إدارة المال وحسن التدبير، والابتعاد عن السرف والتبذير.
- ت- تحمُّل المسؤوليات المعنوية من حيث حماية الأسرة في أمر دينها ودنياها، وتحسين واقعها وتعزيز قيمها من الحوار والاحترام والإحسان والثقة والاهتمام والتعاون...



- ث- بناء مستقبل الأسرة بالاستثمار الأسري والتربوي، ووضع الأهداف للأسرة عامة، ولكل فرد منها خاصة.
- ج- تحمل المسؤولية تجاه الوالدين والأسرة الكبيرة، وصلة الرحم، وإيتاء ذي القربى.

(3) المسؤولية تجاه المجتمع:

ويتم اكتسابها وتعزيزها بالآتي:

- أ- احترام اختلاف الثقافات والفئات في المجتمع.
- ب- احترام المساواة بين الناس وتكافؤ الفرص.
- ت- العمل على تحقيق ودعم الترابط والتناغم المجتمعي.
- ث- احترام حرية أفراد المجتمع، وضمان حريتهم في ممارسة حقوقهم وواجباتهم.
- ج- البذل في سبيل خدمة المجتمع، وتنميته، وتمكين التكافل والترابط الاجتماعي.

(4) المسؤولية تجاه الوطن:

ويتم اكتسابها وتعزيزها بالآتي:

- أ- أداء الواجبات الوطنية.
- ب- حفظ أمن الوطن، وسلامته.
- ت- الإخلاص للوطن وقيادته.



ث- احترام دستوره، والامتثال لقوانينه وتشريعاته، والتقيّد بنظامه.

ج- الحفاظ على رفعة اسم الوطن ومكانته بحسن تمثيله.

ح- التعامل مع البيئة المحيطة، والممتلكات العامة، بشكل مسؤول وإيجابي.

(5) المسؤولية الوظيفية - الإدارية:

المسؤوليات مع ما يرافقها من الصلاحيات والميزات إنما هي تكليف وليست تشريعاً، يؤدّيها كل من ولي من أمر الناس شيئاً، أو توكلّ بشيء من خدماتهم، ولو بأقل رتبة وظيفية، فهي مسؤولية وواجب لا بدّ أن يعطى حقّه.

روت زوجة عمر بن عبد العزيز رحمه الله قالت: "دخلتُ يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده، ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ما لك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليتُ من أمر هذه الأمة ما وليتُ، فتفكرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذو العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أنّ ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأنّ خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيتُ أن لا يثبت لي حجة عند خصومتيّ، فرحمتُ نفسي فبكيّتُ"⁽¹⁾.

إن القيام بمقتضيات المسؤولية يضمن للفرد والمجتمع حفظ المكتسبات، وتجاوز التحديات، وتجاوز آثار النوازل، وسرعة إنهاء الأزمات.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 226/9.



(6) المسؤولية المستدامة:

ويتم اكتسابها وتعزيزها بالآتي:

- الشعور بالمسؤولية نحو الأجيال القادمة، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: الثلث؟ قال: «فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء؛ خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»⁽¹⁾.
- الحفاظ على الموارد، وتنميتها، ويشهد لذلك إعلان صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد رئيس الدولة حفظه الله عن "اتفاق الإمارات" في نهاية عام 2023م وبعد مؤتمر المناخ cop28، وهو إعلان تاريخي ي دشّن مرحلة نوعية جديدة في مسار العمل المناخي الدولي من منطلق العمل بروح التعاون والعمل الجماعي، ومنطلق الوعي بالمسؤولية تجاه الأجيال القادمة.

ضوابط المسؤولية:

- لا يمكن أن يتوازن الإنسان في دوائر المسؤوليات ما لم يضبط بوصلة الأولويات، وإلا فإن تعاهد مسؤوليات العمل قد يضيع مسؤوليات

(1) البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2591، 1006/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث:



العائلة، ورعاية المسؤوليات الاجتماعية قد يكون على حساب المسؤوليات الشخصية... وهكذا، فلا بد من ترتيب الأولويات، والعمل وفق قاعدة: "الأهم أولاً"، و"فرض العين قبل فرض الكفاية".

- إن احترام الإنسان لمسؤولياته ليس مرتبطاً باحترام الآخرين لمسؤولياتهم، وإخلال الآخرين ليس عذراً لغيرهم ولا مبرراً للإخلال بالمسؤوليات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]، يقول: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام؛ فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به ⁽¹⁾. وفي الحديث: «لا تكونوا إمعة؛ تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا» ⁽²⁾.

- إن عجز الإنسان عن أداء جزء من المسؤولية لا يعفيه أن يترك ما عداه، فما لا يدرك كله لا يترك كله، فيقدم لنفسه وأهله ومجتمعه ما يستطيعه، و﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

خاتمة:

إن المسؤولية أمانة عظيمة، وقيمة نبيلة، ومظهر من مظاهر القيم الوطنية الأصيلة، تسهم في تهيئة الحياة الاجتماعية الآمنة المسؤولة، المتجملية

(1) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 86/2.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2075، 538/3.



بأجمل المظاهر الإنسانية، التي تمتد جذورها من عمق النفس إلى أطراف
المجتمع، ومن أقاصي جغرافية الوطن إلى امتداد أفق المستقبل.

* * *





الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على نبيِّه الأمين، سيِّدنا مُحَمَّد وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى كلِّ من اهتدى بهديهم إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فقد تم بحمد الله وتوفيقه هذا الكتاب المرجعي في التعريف بالقيَم الكبرى في الإسلام، وما يتفرع عنها من أهم القيم المتصلة بها، وقد اشتمل الكتاب على تعريف بأبرز الأسس النظرية للقيم، وهي: تعريف القيم، وفلسفتها، وتصنيفاتها، ومدخل إلى فهمها، وبيان أهميتها للفرد والمجتمع، وأهم خصائصها. ثم تناول الكتاب التعريف بالقيَم المركزيَّة الكبرى في الإسلام، وما تفرع عنها من قيم مهمة، وهي:

- 1) الرحمة: وأهم فروعها: الإحسان، والرفق، والعطاء، والرأفة والعطف، والتعاون والتضامن.
- 2) السلام: وأهم فروعها: الكرامة الإنسانية، والأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش، والتواصل والتعارف والاحترام، والعدل والاعتدال.
- 3) العلم: وأهم فروعها: الاجتهاد التفكُّر والتفكير، والصدق، والأمانة العلمية.
- 4) الحكمة: وأهم فروعها: التعقل والمنطق، والصبر والشكر، والإيجابية والأمل، والجمال.
- 5) تهذيب النفس: وأهم فروعها: الإيمان، والعبادة، والقُدوة، والحب.



(6) المواطنة: وأهم فروعها: الوطن، وإرث زايد، والانتماء والولاء، والمسؤولية.

وكان التعريف بهذه القيم ومعالجتها وفق منهجية عامة تضمن بيان معالم القيمة في اللغة والاصطلاح، وأهميتها التي تتفرّد بها على مستوى الفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة، وأبرز ثمارها المترتبة على تمثّل القيمة، ومضار العمل بما يناقضها، واجتهدنا أن نعطي طرق الاكتساب للقيمة ومسارات التعزيز حقها من التناول، لتيسير التنزيلات السلوكية للقيمة؛ أو ما يطلق عليه "تجسيد القيم".

كان المستند في ذلك الخارطة القرآنية للقيمة، وصورها في الهدي النبوي ومرويات السيرة النبوية لتكون نماذج عملية يمكن الاقتداء بها، كذلك أقوال الفلاسفة والحكماء الداعمة للقيمة، وأهم الأقوال المأثورة والأشعار المختارة لفحول الشعراء، والمواقف المناسبة من تاريخ الحضارة الإنسانية.

ومع هذا البعد اللغوي والفكري والتاريخي لم يكن للمعالجة من بدّ أن تقف على البعد الوطني للقيمة في إرث زايد والسنع الإماراتي والمبادرات والإنجازات الوطنية والتفاعل العالمي المعاصر للقيمة.

وتأمل جامعة مُحَمَّد بن زايد للعلوم الإنسانية أن يكون المطالع الكريم حصّل في هذا السِفَر الفائدة المرجوة والثمرة المنشودة، بما يغني ثقافته ويثري معارفه المتعلقة بالقيَم الكبرى في الإسلام، وأن يكون قد عرض له الصُّورة الحضارية النَّاصعة للإسلام المتأَمِّس على القِيَم، والهادف إلى تحقيق السَّعادة للعالمين، بما يترك أعظم الأثر في فكره ونفسه ووجدانه؛ لتيسير سُبُل التَّواصل



الإنساني، وأن يكون هذا الكتاب لبنة أساسية في موسوعة القيم الإنسانية،
وفاتحة خير لمشروع علمي كبير في هذا المجال الواعد؛ مجال البحث في القيم
الإنسانية المشتركة؛ يساهم في إيجاد تفاهم عالمي حولها، وتفعيلها بما يحفظ
الإنسان والأوطان.

* * *



ملخص الكتاب

يتعرف القارئ في هذا الكتاب على القيم الكبرى في الإسلام، المتمثلة بقيم مركزية ست، هي: (الرحمة والسلام والعلم والحكمة، وتهذيب النفس والمواطنة)، وما يتفرع عنها من أهم القيم، التي تسهم في إبراز الصورة الحضارية الناصعة للإسلام المتأسس على القيم، والهادف إلى تحقيق السعادة للعالمين. ليدرك القارئ أن هذا الكتاب هو بمنزلة دليل استرشادي سيكون له عظيم الأثر في تيسير سبل التواصل بين الثقافات المعاصرة، بما يسهم في إيجاد تفاهم عالمي حول القيم المشتركة وتفعيلها، ويحفظ الإنسان، ويستديم العمران.

www.mbzuh.ac.ae